

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية الأديب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الله النوني

السفر الثالث

[الطبعة الثانية]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م

معين جروب
التاريخ
لأهل التاريخ

مجلد

السفر الثالث

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويزي

القسم الثاني من الفن الثاني

في الأمثال المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة
رضي الله عنهم ، والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب وأخبار الكهنة ،
والزجر ، والفأل ، والطيرة ، والفراسة والذكاء ، والكنايات
والتعريض ، والأحاجي ، والألغاز وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

صحيحة

- ١ في الأمثال
- ٢ ما تمثل به من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم
- ٤ ومن كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه
- ٥ ومن كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ٥ ومن كلام عثمان بن عفان رضي الله عنه
- ٦ ومن كلام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
- ٦ ومن كلام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

٥٨ امرؤ القيس بن حجر
٥٩ زهير بن أبي سلمى
٥٩ النابغة الذبيانيّ
٦٠ طرفة بن العبد
٦٠ أوس بن حجر
٦١ بشر بن أبي خازم
٦١ المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح
٦١ الأفوه الأوديّ
٦٢ تميم بن أبي مقبل
٦٢ حميد بن ثور
٦٢ عديّ بن زيد

صفحة

الأسود بن يعفر ...	٦٣
علقمة بن عبدة ...	٦٣
عمرو بن كلثوم ...	٦٤
الحارث بن حلزة ...	٦٤
حاتم الطائي ...	٦٤
المرقش الأصغر ...	٦٤
النمر بن قواب ...	٦٤
مهلهل بن ربيعة ...	٦٥
طفيل الغنوي ...	٦٥
عروة بن الورد ...	٦٥
الأعشى ميمون بن قيس ...	٦٥
لقيط بن معبد ...	٦٦
تأبط شراً ...	٦٦
المثقب العبدى ...	٦٦
المنزق العبدى ...	٦٦
أفنون التغلبي ...	٦٦
الأضبط بن قريع السعدى ...	٦٧
سويد بن أبي كاهل ...	٦٧

ومما يمثّل به من أشعار المخضرمين :

ليبد بن ربيعة ...	٦٧
كعب بن زهر ...	٦٨

النابعة الجعدى	٦٨
أمية بن أبى الصلت الثقفى	٦٨
حسان بن ثابت	٦٩
الخطيئة	٦٩
متم بن نورة	٦٩
أبو ذؤيب الهذلى	٦٩
الخنساء	٧٠
عمرو بن معد يكرب	٧٠
معن بن أوس	٧٠
زياد بن زيد	٧٠
أيمن بن خريم بن فاتك الأسدى	٧١
ومما يمثّل به من أشعار المتقدمين فى صدر الاسلام :	
القطامى	٧١
الطرماح بن حكيم بن الحكم	٧١
الكيت بن زيد الأسدى	٧١
المساور بن هند	٧٢
عدى بن الرقاع	٧٢
الفرزدق واسمه همام بن غالب	٧٢
جرير بن الحطافى	٧٣
الأخطل واسمه مالك بن غياث	٧٣
الصلتان العبدى	٧٤

صحيفة

٧٤	كثير عزة
٧٥	جميل
٧٥	عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة
		ومما يمثّل به من أشعار المحدثين :
٧٦	ابراهيم بن هرمة
٧٦	بشار بن برد
٧٧	أبو العتاهية
٧٨	سلم بن عمرو الخاسر
٧٩	صالح بن عبد القدوس
٨٠	ابن ميادة
٨٠	أبو نواس الحسن بن هاني
٨١	أبو عينة المهلب
٨١	عبد الله بن أبي عتبة المهلب
٨١	العباس بن الأحنف
٨٢	مسلم بن الوليد
٨٢	منصور النمرى
٨٣	العتابي
٨٣	أشجع السلمي
٨٤	الجرهمي
٨٥	محمود الوراق
٨٥	محمود بن حازم الباهلي

صحيفة

السموئل بن عاديا	٨٥
محمد بن أبي ذرعة الدمشقي	٨٦
أبو الشيص	٨٦
علي بن جبلة بن عبد الرحمن الأنباري	٨٦
الجلال الحارثي	٨٦
عبد الصمد بن المعذل	٨٦
الحمدوني	٨٧
العتبي	٨٧
أبو سعيد المخزومي	٨٧
دعبل بن علي الخزاعي	٨٨
اسحاق بن إبراهيم الموصلي	٨٨
المؤمل بن أميل	٨٨
ابراهيم بن العباس	٨٨
أبو علي البصير	٨٩
سعيد بن حميد	٨٩
علي بن الجهم	٨٩
ابن أبي فن	٩٠
يزيد بن محمد المهلب	٩٠
عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير	٩٠
أحمد بن أبي طاهر	٩٠
أبو تمام حبيب بن أوس الطائي	٩١

صيفة

٩٣	أبو عبادة البحتري
٩٥	ديك الجن
٩٥	ابن الرومي
٩٦	عبد الله بن المعتز
٩٦	عبيد الله بن عبد الله بن طاهر
٩٧	ابن طباطبا العلوي
٩٧	منصور النقيصه المقرئ
٩٨	ابن بسام
٩٩	حظة
٩٩	الصنوبري
١٠٠	أبو الفتح كشاجم
	ومما يمثّل به من أشعار المولدين :
١٠٠	أبو فراس الحمداني
١٠١	أبو الطيب المتنبي
١٠٣	السري بن أحمد بن السري الموصلي
١٠٣	أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي
١٠٤	أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي [أخوه]
١٠٤	الخباز البلدي
١٠٤	أبو اسحاق الصابي
١٠٤	عبد العزيز عجمي بن نباته
١٠٥	ابن لنكك البصري

صحيفة

أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلامي	١٠٥
أبو الفرج البغواء	١٠٦
ابن سكرة الهاشمي	١٠٦
ابن الحجاج	١٠٦
أبو الحسن الموسوي النقيب	١٠٧
أبو طالب المأموني	١٠٨
ابن العميد	١٠٨
الصاحب بن عباد	١٠٨
الحسن بن علي بن عبد العزيز القاضي	١٠٩
أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي	١٠٩
بديع الزمان أبو الفضل الحمداني	١١٠
اسماعيل الناشئ	١١٠
أبو الفتح علي بن محمد البستي	١١٠

الباب الثاني من القسم الثاني من الفن الثاني :

أوابد الغرب	١١٢
البحيرة	١١٢
الوصيلة	١١٢
السائبة	١١٣
الحامي	١١٣
الأزلام	١١٣
الميسر	١١٤

صحيفة

نكاح المقت ١١٦
رمى البعرة ١١٦
ذبح العتائر ١١٦
عقد السلع والعشر ١١٦
ذبح الظبي ١١٦
حبس البلايا ١١٧
خروج الهامة ١١٧
إغلاق الظهر ١١٧
العمية والتفئة ١١٧
بكاء المقتول ١١٧
رمى السن فى الشمس ١١٨
خضاب النجر ١١٨
التصفيق ١١٨
جز النواصى ١١٨
كى السليم عن الحرب ١١٩
ضرب الثور ١١٩
كعب الأرنب ١١٩
حيض السمرة ١٢٠
الطارف والمطروف ١٢٠
وطء المقاليت ١٢٠
تعليق الحلى على السليم ١٢٠

١٢٠ ذهاب الحدر
١٢١ الحلأ
١٢١ التعشير
١٢١ عقد الرتم
١٢١ دائرة المهقوع
١٢٢ شق الرداء والبرقع
١٢٢ نوء السماك
١٢٢ النسيء
١٢٢ وأد البنات

الباب الثالث :

في أخبار الكهنة ويتصل به الزجر والفأل والطيرة والفراسة والذكاء :

أخبار الكهنة ١٢٤

الزجر ١٣٠

الفأل والطيرة ١٣٩

الفراسة والذكاء ١٤٤

الباب الرابع :

في الكميات والتعريض ١٤٧

الباب الخامس :

ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص ١٦٦

القسم الثالث من الفن الثاني

فى المدح ، والمهجو ، والمجون ، والفكاهات ، والملح والخمر ، والمعاقرة
والندمان ، والقيان ، ووصف آلات الطرب
وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

فى المدح وفيه ثلاثة عشر فصلا	١٦٨
ذكر ما قيل فى الافتخار	١٩٦
ذكر ما قيل فى الجود والكرم وأخبار الكرام	٢٠٠
ذكر من انتهى اليهم الجود فى الجاهلية وذكر شئ من أخبارهم	٢٠٤
وفى أخبار الكرام	٢٠٧
ذكر ما قيل فى الإعطاء قبل السؤال	٢١٦
ذكر ما قيل فى الشجاعة والصبر والإقدام	٢١٧
ومما قيل فى الصبر والإقدام	٢٢٢
ذكر ما قيل فى وفور العقل	٢٢٩
ذكر ما قيل فى حدّ العقل وماهيته وما وصف به	٢٣٢
ذكر ما قيل فى الصدق	٢٣٦
ذكر ما قيل فى الوفاء والمحافظة والأمانة	٢٣٨
ذكر ما قيل فى التواضع	٢٤٤
ذكر ما قيل فى القناعة والنزاهة	٢٤٦
ذكر ما قيل فى الشكر والثناء	٢٤٧
ذكر ما قيل فى الوعد والإنجاز	٢٥٤

ذكر ما قيل في الشفاعة ٢٥٧

ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف ٢٥٨

الباب الثاني — في الهجاء وفيه أربعة عشر فصلاً :

ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه ٢٦٧

ومما قيل في الهجاء من النظم ٢٧٢

ومما يذم به الرجل أن يكون ثقيلاً ٢٨٥

ومما هجى به أهل الوقت على الإطلاق ٢٨٦

ومما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم ٢٨٦

ذكر ما قيل في الحسد :

ومما يذم به الرجل أن يكون حسوداً ٢٨٧

ومن أخبار الحسدة ٢٨٩

ومما قيل من الشعر في تفضيل المحسود ومدحه وهجاء الحاسد وذمه ... ٢٨٩

ذكر ما قيل في السعاية والبغى والغيبة والنميمة ٢٩١

ومما قيل في الغيبة والنميمة ٢٩٤

ذكر ما قيل في البخل واللؤم ٢٩٧

ومن أخبار البخلاء ٣٠٠

احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه ٣١٨

ومن نوادر البخلاء ٣٢٧

ذكر ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤاكلة ... ٣٢٨

ذكر آداب الأكل والمؤاكلة ٣٤٣

صحيفة

ذكر الاقتصاد في المطاعم والعفة عنها	٣٤٦
ذكر أخبار الأكلة	٣٤٩
ذكر ما قيل في الجبن والفرار	٣٥٣
ومن أخبار الفزارين الذين حسنوا الفرار على قبجه	٣٥٧
ذكر ما قيل في الحمق والجهل	٣٦٠
ومن صفات الأحق وعلامته	٣٦٣
ذكر ما قيل في الكذب	٣٦٧
ذكر ما قيل في الغدر والخيانة	٣٧١
ذكر أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة	٣٧٣
ذكر ما قيل في الكبر والعجب	٣٧٨
ومما هجى به أهل الكبر	٣٨٤
ذكر ما قيل في الحرص والطمع	٣٨٤
ذكر ما قيل في الوعد والمطل	٣٨٧
ذكر ما قيل في العي والحصر	٣٩٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القسم الثاني من الفن الثاني

①

في الأمثال المشهورة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ،
والمشهور من أمثال العرب ، وأوابد العرب ، وأخبار الكهنة ، والزجر ، والقال ،
والطيرة ، والفراسة ، والذكاء ، والكفايات ، والتعريض ، والأحاجى ، والألغاز .
وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول

من هذا القسم

(في الأمثال)

ضرب الله عز وجل الأمثال في كتابه العزيز في آى كثيرة ، فقال تعالى :
(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ) وتكرر ذكر الأمثال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى
جَنَبَيْ الصراط أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع
يقول أدخلوا الصراط ولا تعرجوا “ فالصراط : الإسلام ، والستور : حدود الله تعالى ،
والأبواب : محارم الله ، والداعى : القرآن .

قال المبرد : المثل مأخوذ من المثل وهو قول سائر شبه به حال الثاني بالأول ، والأصل فيه التشبيه . قال : وقولهم مثل بين يديه ، إذا انتصب ، معناه أشبه الصورة المنتصبة . وفلان أمثل من فلان ، أى أشبه .

والمثال : القصاص ، لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول .

وقال ابن السكيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق معناه .

وقال إبراهيم النظم : يجتمع في المثل أربع لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وجودة الكناية ، فهو نهاية البلاغة .
وقال ابن المقفع : إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق ، وأنىق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث .

وأول ما نبداً به من ذلك ما تمثّل به من أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .
فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو مما لم يسبق إليه :
”إياكم وخضراء الدمن“ فقليل له : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : ”المرأة الحسناء في منبت السوء“ .

”كل الصيد في جوف الفراء“ قاله لأبى سفيان يتألفه على الإسلام .

”مات فلان حتف أنفه“ .

”لا ينتطح فيه عزان“ .

”إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى“ . المنبت : المنقطع عن أصحابه

في السفر ، والظهر : الدابة ، قاله في الغلو في العبادة .

”الآن حمى الوطيس“ : ضربه في الحرب .

”يا خيل الله أركبي“ .

(١) أى يا فرسان خيل الله اركبي ، وهذا من أحسن المجازات وألطفها .

؟ "أَشْتَدِّي أَرْمَةً تَنْفَرِجِي".

وقوله صلى الله عليه وسلم: "الناس كأَسنان المُشْطِ وإنما يتفاضلون بالعافية".
؟ "الناس كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا".

؟ "النَّاسُ كِبَابِلٌ، مِائَةٌ لَا تَجِدُ فِيهَا رَاحِلَةً".

"المؤمن هين لين، كالجمل الأنف إن قيد أنقاد، وإن أنيخ على صخرة آستناخ".
"المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا".

"أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم".

"مثل أصحابي كالملح لا يصلح الطعام إلا به".

؟ "أمّتى كالطر، لا يدرى أوله خير أم آخره".

"مثل أبى بكر كالقطر أين وقع نفع".

"دُعْمَاكُمْ كَأَعْمَالِكُمْ وَكَمَا تَكُونُوا يُولَى عَلَيْكُمْ".

وقال لما كتب كتاب المهادنة بينه وبين سهيل بن عمرو: "والعقد بيننا كشرح العيبة" يعنى إذا انحلت بعضه انحلت جميعه.

؟ "المرأة كالضلع العوجاء إن قومتها كسرتها، وإن داريتها آستمتعت بها".

"المتشبع بما لم يعطه كلابس ثوبى زور".

؟ "الدال على الخير كفاعله".

"لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو نحاصا وتروح إبطانا".

؟ "وعد المؤمن كالأخذ باليد".

"مثل المؤمن كالنحلة، لا تأكل إلا طيبا ولا تطعم إلا طيبا".

"مثل المؤمن كالسنبلة تميل أحيانا، وتعديل أحيانا".

(١) قال ابن الأعرابي: العرب تمدح بالهين اللين مخمفين وتدم بهما مثقلين ولم يذكر غيره هذا الفرق.

”مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ كَالْعِطَّارِ، إِنْ لَمْ تُصَبَّ مِنْ عِطْرِهِ أَصَبْتَ مِنْ رِيحِهِ، وَمَثَلُ الْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَالْكَبِيرِ إِنْ لَمْ يَحْرِقْ ثَوْبَكَ آذَاكَ بِدُخَانِهِ“ .

”عَلِمَ لَا يَنْفَعُ كَثْرَ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ“ .

؟ وقال : ”المؤمن مِرَاةُ أَخِيهِ“ .

؟ ”قَدْ جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيَّرَةِ“ .

7 ”الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَكُلُّ أَمْرٍ مَا نَوَى“ .

”نِيَّةُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ“ .

”إِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحِكْمَةٌ وَإِنْ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرٌ“ .

؟ ”مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ“ .

”الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِمِهَا“ .

”سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شَرُّهَا“ .

”الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَمْرًا مَنْ يُجَالَّ“ .

”الْمُسْتَشِيرُ مَعَانٍ وَالْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ“ .

وَمِنْ كَلَامِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

إِنَّ اللَّهَ قَرَنَ وَعْدَهُ بِوَعِيدِهِ .

لَيْسَتْ مَعَ الْعَزَاءِ مَصِيبَةٌ .

؟ الْمَوْتُ أَهْوَنُ مِمَّا بَعْدَهُ وَأَشَدُّ مِمَّا قَبْلَهُ .

ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ عَلَيْهِ : الْبَغْيُ ، وَالنَّكَثُ ، وَالْمَكْرُ .

ذَلَّ قَوْمٌ أَسْنَدُوا أَمْرَهُمْ إِلَى أَمْرَأَةٍ .

أَحْرَصُ عَلَى الْمَوْتِ تُوهَبُ لَكَ الْحَيَاةُ ، قَالَ لَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى أَهْلِ الرَّدَّةِ .

كَثِيرُ الْقَوْلِ يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَإِنَّمَا لَكَ مَا وُعِيَ عَنْكَ .

٩ لا تكتم المستشارَ خبراً فتؤتى من قبل نفسك .

خير الخصلتين لك أبغضهما إليك .

صنائع المعروف تقي مصارع السوء .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

من كتم سره كان الخيار في يده .

أشقى الولاة من شقيت به رعيته .

اتقوا من تبغضه قلوبكم .

أعقل الناس أعذرهم للناس .

١٠ اجعلوا الرأس رأسين .

أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم .

لو أن الشكر والصبر بغيران لما باليت أيهما ركبت .

من لم يعرف الشر كان أجدر أن يقع فيه .

ما الخمر صرفاً بأذهب للعقول من الطمع .

١٥ الى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوى .

اقتصاد في سنة خير من اجتهد في بدعة .

٢ لا يكن حبك كلفاً ، ولا بغضك تلفاً .

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

٩ ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن .

الهدية من العامل اذا عُرِل مثلها منه اذا غَمِل .

٢٠ أنتم الى إمام فعال ، أخوج منكم الى إمام قوال ؛ قاله يوم صعد المنبر فأرتج عليه .

وقال يوم قُتل : لأن أُقتل قبل الدماء ، أحب الى من أن أُقتل بعد الدماء .

ومن كلام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه

من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه ؛ ومن ضيَّعه الأقربُ أُتيح له الأبعد ؛
ومن بالغ في الخصومة أثم ، ومن قصر فيها ظلم .

✽ رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

✽ الناس من خوف الذل في الذل .

✽ إن من السكوت ما هو أبلغ من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

لكل داخل دهشة فأبدؤه بالتحية ؛ ولكل طاعم حشمة فأبدؤه باليمين .

ومن أمثال العرب ما نقلته من كتاب "الأمثال" للميداني . [والميداني^(١) : هو

أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري — والميداني : بفتح الميم

وسكون الياء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة الى ميدان زياد ، وهي محلة

بنيسابور ؛ توفي سنة تسع وثلاثين وخمسمائة] ووضعته على حروف المعجم .

فمن ذلك ما جاء منها على حرف الهمزة : 

حرف الهمزة

١٥ تقول العرب : « إِنَّ الْمُوصَّيْنَ بَنُو سَهْوَانَ » قال الميداني : يُضْرَبُ لمن يسهو

عن طلب شيء أمر به ، وبنو سهوان : بنو آدم عليه السلام حين عُهِدَ اليه
فسما ونسى .

وقولهم : « إِنَّ الرَّثِيئَةَ تَفْتَأُ الْغَضَبَ » قال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط

بالحلوى والفث : التسكين ؛ وزعموا أن رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم ،

(١) هذه زيادة في إحدى النسخ .

وكان جائعا فسقود الرثيئة فسكن غضبه ، فقال هذا المثل . يضرب في الهدية
تورث الوفاق .

وقولهم : « إن الحديد بالحديد يُفْلَح » أى يستعان فى الأمر الشديد بما
يشاكله ويقاويه .

٥ ؟ وقولهم : « إن السلامة منها تركٌ مافيها » فى اللَّقَطَةِ وذم الدنيا .^(١)

والنفس تكف بالدينيا وقد علمت * أن السلامة منها تركٌ ما فيها

وقولهم : « إن العصا من العصية » يقال : إن أقول من قال ذلك الأفعى
الجرهمى ، ذلك أن نزارا لما حضرته الوفاة جمع بنيه : مضر ، وإيادا ، وربيعه ،

وأنمارا ، فقال : يا بني ، هذه القبة الحمراء — وكانت من آدم — لمضر ، وهذه الفرس

الأدهم والخباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم — وكانت شطاء — لإياد ، وهذه البدر

والمجلس لأنمار ، فإن أشكل عليكم كيف تقسمون ، فأتوا الأفعى الجرهمى ومنزله

بنجران . فتشاجروا فى ميراثه ، فتوجهوا إليه ، فبينما هم فى سيرهم إذ رأى مضر أثر

كلأ قد رعى ، فقال : إن البعير الذى رعى هذا أعور ، وقال ربيعة : إنه لأزور ،

وقال إياد : إنه لأبتر ، وقال أنمار : إنه لشروء ، فساروا قليلا ، فاذا هم برجل يوضع^(٢)

جملة فسألهم عن البعير ، فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم ، وقال ربيعة :

أهو أزور ؟ قال : نعم ، وقال إياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم ، وقال أنمار : أهو شروء ؟

قال : نعم ، هذه والله صفة بعيرى فدلونى عليه ! فقالوا : والله ما رأيناها ، فقال :

هذا والله الكذب ! كيف أصدقكم وأنتم تصفونه بصفته ! فساروا حتى قدموا بنجران ،

(١) فى الميدانى : وهذا فى بيت أوله . والنفس الخ .

(٢) فى الميدانى : ينشد جملة .

- فلمّا نزلوا، نادى صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جملى وصفوا لى صفته ثم قالوا :
 لم نره، فاخترصموا إلى الأفعى، فقال لهم : كيف وصفتموه وأنتم لم تروه؟ فقال مضر:
 رأيته قد رعى جانبا وترك جانبا، فعلمت أنه أعور؛ وقال ربيعة : رأيته إحدى
 يديه ثابتة والثانية فاسدة، فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بشدة وطئه؛ وقال إياد :
 عرفت أنه أبترباجتماع بعره ولو كان ذبيلا لمصع به؛ وقال أنمار : عرفت أنه
 شرود، لأنه يرمى فى المكان الملتف نبتة ثم يحوزه إلى مكان أرق منه؛ فقال الأفعى :
 ليسوا بأصحاب جملك فاطلبه، ثم سألهم : من أنتم ؟ فأخبروه بخبرهم، وبما جاءوا له،
 فأكرمهم، وقال : أحتاجون إلى وأنتم كما أرى ؟ ثم أنزلهم وذبح لهم شاة، وأتاهم
 بخمر؛ وجلس لهم الأفعى بحيث لا يرى؛ فقال ربيعة : لم أر كاليوم أطيب لحما لولا
 أن شاته غذيت بلبن كلبة؛ وقال مضر : لم أر كاليوم أطيب حمرا لولا أن حبلتها
 نبتت على قبر؛ فقال إياد : لم أر كاليوم رجلا أسرى لولا أنه ليس لأبيه الذى
 يدعى له؛ فقال أنمار : لم أر كاليوم كلاما أنفع فى حاجتنا من كلامنا، وكان كلامهم
 بإذنه، فدعا قهرمانه، فقال : ما هذه الخمر، وما أمرها ؟ قال : هى من حبله
 غرستها على قبر أبيك؛ وقال للراعى : ما هذه الشاة؟ فقال : هى عناق أرضعتها
 بابن كلبة وكانت أمها ماتت؛ ثم أتى أمه، فقال : اصدقينى، من أبى ؟ فأخبرته
 أنها كانت تحت ملك كثير المال وكان لا يولد له، فخفت أن يموت وليس له ولد،
 فأمكننت من نفسى ابن عم له كان نازلا عليه فولدتك؛ فرجع إليهم وقال : ما أشبه
 القبة الحمراء من مال نزار فهو لمضر، فذهب بالإبل الحمر والدنانير، فسميت مضر
 الحمراء . وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الأسود فله كل شىء أسود، فصار
 لربيعة الخيل الدُّهم وما شا كلها، فقيّل : ربيعة الفرس . وأما الخادم الشمطاء

(١) الحبله (بالضم ويحرك) : الكرمه التى يكون منها الخمر .

فلصاحبها الخيل البلق والماشية، فسميت : إيراد الشمطاء، وقضى لأنمار بالدراهم والأرض فصودروا من عنده على ذلك، فقال الأفعى : إن العصا من العصية، وإن خشيئاً من أخشن؛ فأرسلهما مثلاً .

وقولهم : «إن العوان لا تعلم الحجرة» : يضرب للرجل المجرب .

وقولهم : «إني لا آكل الرأس وأنا أعلم بما فيه» : يضرب للأمر تأتية وأنت تعلم ما فيه مما تكره .

وقولهم : «أنف في السماء، وأست في الماء» : يضرب للمتكبر الصغير الشأن .

وقولهم : «إن الدليل الذي ليست له عضد» : أى أنصار وأعوان : يضرب لمن يخذله ناصره .

وقولهم : «إن يدم أظلك فقد نقب خفي» الأطل : ما تحت منم البعير : والخف : قائمته : يضربه المشكوك إليه للشاكى أى أنا منه فى مثل ما تشكوه .

وقولهم : «إن تسلم الحلة فالنيب هدر» الحلة : جمع جليل يعنى العظام من الإبل ، والنيب : جمع ناب وهى الناقة المسنة؛ معناه إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به .

وقولهم : «إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر» يقال : إن بنى ثعلبة ابن سعد فى الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة : تطلع الشمس والقمر يرى، وقالت طائفة : بل يغيب قبل طلوعها، فتراضوا برجل جعلوه بينهم، فقال رجل منهم : إن قومى يبيعون على، فقال العدل : إن يبيع عليك قومك لا يبيع عليك القمر؛ فذهبت مثلاً : يضرب للأمر المشهور .

وقولهم : « إِنْ كُنْتَ رِيحًا فَقَدْ لَأَقَيْتَ إِعْصَارًا » الإعصار : ريح شديدة تهب فيما بين السماء والأرض : يضرب للدل بنفسه إذا صُلِّيَ بمن هو أدهى منه وأشدّ .
 وقولهم : « إِنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفَارِيْقِ الْعَصَا » قالوا : قالت غنّة الأعرابية لأبنها ، وكان عارما مع ضعفه ، فواثب يوما فتى^(١) فقطع أذنه فأخذت ديتها ، فزادت حُسْنَ حالٍ ثم واثب آخر فقطع شفته فأخذت الدية فذكرته في أرجوزتها فقالت :
 أَحْلِفْ بِالْمَرْوَةِ حَقًّا وَالصَّنَا * إِنَّكَ أَجْدَى مِنْ تَفَارِيْقِ الْعَصَا^(٢)



ف قيل لأعرابي : ما تفاريق العصا ؟ فقال : العصا تقطع ساجورا والسواجير للكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصير أوتادا ويقطع الوتد فيصير كل قطعة شظاذا وإن جعل لرأس الشظاظ كالفلكة صار للبختي مهارا وهو العود الذي يدخل في أنفه ، وإذا فرق المهار جاءت منه تَوَادٍ وهي الخشبة التي تشدّ على خلف الناقة .

وقولهم : « إِنَّهُ لَيَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ » : يضرب للرجل الداهي ؛ قال بعضهم : لِمَ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ مِنْ أَسْفَلِهَا ؟ قال : لأنها تتقشر عن عظمها وتبقى المرققة مكانها ثابتة .

وقولهم : « إِنَّكَ لَا تَجْنِي مِنَ الشَّوْكِ الْعِنَبَ » أى لا تجد عند ذى المنبت السوء جميلا ، والمثل من قول أكرم قال : إذا ظلمت فاحذر الانتصار ، فإن الظلم لا يكسبك إلا مثل فعلك .

وقولهم : « أَخُو الظَّهِمَاءِ أَعْشَى بِاللَّيْلِ » : يضرب لمن يخطئ حجه ولا يبصر المخرج مما وقع فيه .

(١) في الميداني : " فقطع الفتى أنفه فأخذت غنّة دية أنفه فحسنت حالها بعد فقر مدقع ثم واثب آخر فقطع أذنه الخ " . (٢) في الميداني : " خير " .

وقولهم : « إِنَّكَ لَتَكْثُرُ الْحَزَّ وَتُخْطِئُ الْمَفْصِلَ » : يضرب لمن يجتهد في السعى ثم لا يظفر بالمراد .

وقولهم : « أَوَّلُ الشَّجَرَةِ النَّوَاةُ » : يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

وقولهم : « إِذَا صَاَحَتِ الدَّجَاجَةُ صِيَاَحَ الدِّيكِ فَلْتَذْبَحْ » قَالَ الْفِرَزْدَقُ فِي أَمْرَأَةٍ قَالَتْ الشَّعْرُ .

وقولهم : « إِذَا رَأَى رَأَى السَّكِينِ فِي الْمَاءِ » : يضرب لمن يخافك جداً .

وقولهم : « إِنَّكَ رِيَّانٌ فَلَا تَعْجَلْ بِشَرْبِكَ » : يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق .

وقولهم : « أَبْطَشُ مِنْ دَوْسَرٍ » هِيَ إِحْدَى كَتَائِبِ النِّعَمِ أَشَدَّهَا بَطْشًا وَنَكَايَةً ، قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

ضَرَبْتُ دَوْسَرَ فِيهِمْ ضَرْبَةً * أَثْبَتْتُ أَوْتَادَ مُلْكٍ فَاسْتَقَرَّتْ

وقولهم : « أَبْرَمًا قَرُونًا » الْبَرَمُ : الَّذِي لَا يَدْخُلُ مَعَ الْقَوْمِ فِي الْمَيْسَرِ ابْخَلَهُ ، وَالْقُرُونُ : الَّذِي يَقْرُنُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ ، وَأَصْلُهُ أَنْ رَجُلًا كَانَ لَا يَدْخُلُ فِي الْمَيْسَرِ وَلَا يَرَى اللَّحْمَ بَجَاءِ إِلَى امْرَأَتِهِ وَيَبِينُ يَدَيْهَا لَحْمًا تَأْكُلُهُ فَأَقْبَلَ بِأَكْلِ مَعَهَا بَضْعَتَيْنِ يَقْرُنُ بَيْنَهُمَا فَقَالَتْ لَهُ : أَبْرَمًا قَرُونًا : يَضْرِبُ لِمَنْ يَجْمَعُ بَيْنَ خَصْلَتَيْنِ مَكْرُوهَتَيْنِ .

وقولهم : « الثَّيْبُ عَجَالَةُ الرَّكَبِ » : يَضْرِبُ فِي الْحَثِّ عَلَى الرِّضَا بِسِيرِ الْحَاجَةِ عِنْدَ إِعْوَازِ جَلِيلِهَا .

* ضَرَبْتُ دَوْسَرَ فِيهِمْ *

(١) فِي اللِّسَانِ : وَهَذَا الشَّعْرُ أَوْرَدَهُ الْجَوْهَرِيُّ

وَصَوَابُهُ : « دَوْسَرٌ فِيهِ » لِأَنَّهُ عَائِدٌ عَلَى يَوْمِ الْخَنَازِيرِ .

وقولهم :

« الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا * إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا »

- أول من قال ذلك يئس : وهو رجل من بني غراب بن فزارة ، وكان سابع سبعة إخوة ، فأغار عليهم أناس من بني أشجع ، وهم في إبلهم فقتلوا منهم ستة وتركوا يئسا لحمقه فقال : دعوني أتوصل معكم الى أهلي فأقبل معهم ، فلما كان من الغد نَحَرُوا جزورا في يوم شديد الحر ، فقال بعضهم : أظلموا لحكم لا تفسده الضَّحُّ ، فقال يئس : لكن بالْأَثَلَاثَ^(١) لحم لا يظلم ، فأرسلها مثلاً ، ثم فارقهم وأتى أمه فأخبرها الخبر فقالت : ما جاء بك من بين إخوتك وأنت أخبثهم ، فقال : ما خَيْرُك القوم فتختارى ، فأرسلها مثلاً ، ثم أعطته ثياب إخوته ومتاعهم ، فقال : يا حبيذا التراث لولا الذَّلَّةُ ، فأرسلها مثلاً ، وأخذ يوماً يَبْرُدُ سَكِينًا ، فقليل له : ما تصنع بها ؟ فقال : ١٠ أقتل بها قتلة إخواني ، فقليل له : إنك لأحمق ، فقال : ما يؤمنك من أحق في يده سكين ، فأرسلها مثلاً ، ثم إنه مرّ بنسوة من قومه يصلحن امرأة يردن أن يهدينها لبعض قتلة إخوانه فكشف ثوبه عن آسته وغطى به رأسه ، فقليل له : ما تصنع ؟ فقال : الْبَسْ لِكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا * إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

- وقولهم « الصَّيْفُ ضَيَّعَتِ اللَّبَنُ » قال الأصمعيّ : معناه تركت الشيء ١٥ في وقته ، وقال غيره : تركت الشيء وهو ممكن ، وقال أبو عبيدة : أول من قاله عمرو بن عُدَس ، وكان قد تزوج دَخْتَنُوسَ بعد ما كبر ، فكان ذات يوم نائماً في حجرها فجَحَفَ^(٣)

- (١) قال ياقوت في معجمه : أثلاث بالشاء هو الموضع المذكور في المثل في بعض الروايات ؛ لكن بالأثلاث الخ . ثم قال : وأكثر الرواة يقولون : الأثلاث - بالياء - جمع أثلة وهو صنف من الطرفاء ، كبير يظلل بفيته مائة نفس . (٢) في الأصل : « يبرم » وهو تحريف . ٢٠ (٣) الجخيف : صوت من الجوف أشد من الغطيظ .

وسال لعابه فتأففته فانتبه وهى تتأفف منه ، فقال : أتخبين أن أطلقك ؟ قالت : نعم ، فطلقها ، وتزوجها فتى ضرير حسن الوجه ، ففجأتهم ذات يوم غارة والفتى نائم بجاءت دختنوس فأنبهته وقالت له : الخيل ، فجعل يقول : الخيل الخيل ! من الخوف حتى مات فرقا وسُيِّت دختنوس فبلغ عمرا الخبر فركب ولحقهم وقاتل حتى أستنقذ جميع ما أخذوا وأستنقذها فوضعها قدامه على السرج وردها الى أهلها ، ثم أصابتهم سنة فبعثت إليه تقول : نحتاج اللبن فبعث إليها باقحة وقال : الصيف ضيعت اللبن .

وقولهم : « اضطره السيل الى معطشه » وهو أن رجلا عطش وكان قد أتى واديا له غور وماء شديد الحرارة ، فبقى فى أصل شجرة لا يقدر أن ينزل فيأخذ به الماء ، ولم يجد ماء فمات عطشا : يضرب لمن ألقاه الخير الذى كان فيه الى شر .

وقولهم :

« إن الحماة أولعت بالكنة * وأولعت كتهها بالظنة »

الحماة : أم الزوج ، والكنة : امرأة الابن والأخ ، والظنة : التهمة ، وبين الحماة والكنة عداوة مستحكمة : يضرب بها المثل فى الشر يقع بين قوم هم أهل لذلك .

وقولهم : « إن لله جنودا منها العسل » قاله معاوية : لما بلغه أن الأشر سقى عسلا فيه سم فمات : يضرب عند الشماتة بمصايب العدو .

وقولهم : « إن الهوى يميل بأستى الراكب » أى من هوى شيئا مال نحوه قبيحا أو جميلا ، كما قيل

وما زرتكم عمدا ولكن ذا الهوى * إلى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل



وقولهم : «إِنْ الْحَوَادِ قَدْ يَعُثُرُ» : يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الحميل
ثم تكون منه الزلّة .

وقولهم : «إِنْ الشَّهِيْقُ بِسَوْءِ ظَنِّ مُوَلِّعٍ» : يضرب للمعنى بشأن صاحبه لأنه
لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث كظنون الوالدات بالأولاد .

وقولهم : «إِنْ خَصَلْتَيْنِ خَيْرُهُمَا الْكَذِبُ لَخَصَلَتَا سُوءٍ» : يضرب للرجل
يعتذر من شيء فعله بالكذب .

وقولهم : «أَحَادِيثُ طَسَمٍ وَأَحْلَامُهَا» : يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له .

وقولهم : «أَحْشَفْنَا وَسُوءَ كَيْلَةٍ» : يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

وقولهم : «الْحَقُّ أَبْلَجٌ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجٌ» : معناه أن الحق واضح بين، والباطل
يتلجلج فيه أى يتردد فلا يجد صاحبه مخرجا .

وقولهم : «الْحَزْمُ سُوءُ الظَّنِّ بِالنَّاسِ» : هذا المثل قاله أكرم بن صيفي .

وقولهم : «اخْتِلَاطُ الْخَائِرِ بِالزُّبَادِ» ، الخائر : ما خثر من اللبن ، والزُّبَادُ : الزَّبَدُ :
يضرب للقوم يقعون فى التخليط من أمرهم .

وقولهم : «أَخْطَأَتْ أَسْتَهُ الْحُفْرَةَ» : يضرب لمن رام شيئا فلم ينله .

وقولهم : «ادْعِ إِلَى طِعَانِكَ مَنْ تَدْعُوهُ إِلَى جِفَانِكَ» أى أستعمل
فى حواريجك من تخصّه بمعروفك .

وقولهم : «أَرَوَّغَانَا يَا تُعَالٍ» ، وقد علقت بالحبال «ثعالة : الثعلب يضرب لمن
يراوغ وقد وجب عليه الحق .

وقولهم: «إِرِم فَقَدْ أَفْقَتْهُ مَرِيَشًا» يقال: أفقت السهم إذا وضعت فوقه في الوتر: يضرب لمن تمكن من طلبته .

وقولهم: «أَضِرْطَا وَأَنْتِ الْأَعْلَى؟» قاله سُلَيْكُ بْنُ سُلَيْكَةَ السَّعْدِيُّ، وذلك أنه بينما هو نائم إذ جثم عليه رجل من الليل وقال: استأسِرْ، فقال له سُلَيْكُ: الليل طويل وأنت مقمر، فأرسلها مثلاً: ثم ضمه سُلَيْكُ بيديه ضَمَّةً أضرطته، فقال له: أَضِرْطَا وَأَنْتِ الْأَعْلَى فأرسلها مثلاً: يضرب لمن يشكو في غير موضع الشكوى .

وقولهم: «أَضَلَلْتُ مِنْ عَشْرِ ثَمَانِيًّا» : يضرب لمن يفسد أكثر ما يليه من الأمر .

وقولهم: «أَعْطِ أَخَاكَ تَمْرَةً، فَإِنْ أَبَى بِخَمْرَةٍ» : يضرب لمن يختار الهوان على الكرامة .

وقولهم: «الْكَذِبُ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا» معناه لا تحدث نفسك بأنك لا تطفر، فإن ذلك يثبطك . قال لبيد :

الْكَذِبُ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا * إِنْ صَدَقَ النَّفْسَ يُزْرِى بِالْأَمَلِ

وقولهم: «أَكْبَرًا وَإِمْعَارًا؟» أى أتجمع بين الكبر والفقر .

وقولهم: «أَمَكْرًا وَأَنْتِ فِي الْحَدِيدِ» هذا المثل قاله عبد الملك بن مروان لعمر بن سعيد لما قبض عليه وبكاه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت ألا تفضحني بأن تخرجني للناس فتقتلني بحضرتهم فافعل، وإنما أراد عمرو بهذه المقالة أن يخالفه عبد الملك فيخرجه فيمنعه منه أصحابه، فقال: أبا أمية! أمكرا وأنت في الحديد: يضرب لمن أراد أن يمكر وهو مقهور .

وقولهم : « أَهْوَنُ هَالِكٍ عَجُوزٍ فِي هَامِ سَنَةٍ » : يُضْرَبُ لِلشَّيْءِ يُسْتَخَفُّ بِهِ وَبِهَلَاكِهِ .

قال الشاعر :

وأهون مفقود إذا الموتُ نابه * على المرء من أصحابه مَنْ تَقَنَّعا

وقولهم : « أَوْسَعَتْهُمْ سَبًّا وَأَوْدَوْا بِالْإِبْلِ » أصله أن رجلا من العرب أُغِيرَ ه على إبله فأخذت ، فلما تواروا صعد أكمةً وجعل يُسَبِّهم ثم رجع إلى قومه فسألوه عن إبله ، فقال هذا المثل .

ويقال : إن أول من قاله كعب بن زهير بن أبي سلمى ، وذلك أن الحارث بن ورقاء الصيدأوى أغار على بني عبد الله بن غطفان وأستاق إبل زهير وراعيه ، فقال زهير في ذلك قصيدته التي أولها :

بأن الخليطُ ولم يأووا لمن تركوا * وزودوك آشتياقا أيةً سلكوا

وبعث بها إلى الحارث فلم يرد الإبل ، فهجاه ، فقال كعب ابنه : أوسعهم سبًّا وأودوا بالإبل ، فذهبت مثلا : يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام .

وقولهم : « أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ » هو سعد بن زيد مناة أخو مالك الذي يقال فيه : إِنَّكَ آبِلٌ مِنْ مَالِكَ ، وذلك أن مالكا تزوج بامرأة وبني بها فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها ، فقال مالك :

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِلٌ * ما هكذا تورَدُ يَاسَعْدُ الْإِبِلُ

فضرب مثلا لمن قصر في طلب الأمر .

وقولهم : « إِنَّ الشَّقِيَّ وَأَفِدُ الْبَرَّاجِمِ » قاله عمرو بن هند الملك . وذلك أن

سُوَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ التَّمِيمِيُّ قَتَلَ أَخَاهُ سَعْدَ بْنَ هِنْدٍ وَهَرَبَ فَذَرَعَ عَمْرُو لِيَقْتُلَنَّ بِأَخِيهِ مِائَةَ ٢٠

من بنى تميم، فسار إليهم بجمعه فلقبهم الخبر فتفرقوا في نواحي بلادهم فلم يجد إلا عجوزا كبيرة وهي حمراء بنت ضمرة، فلما نظر إليها قال : إني لأحسبك أعجمية، قالت : لا والذي أسأله أن يخفص جناحك، ويهد عمادك، ويضع وسادك، ويسلبك بلادك، ما أنا بأعجمية، قال : فمن أنت ؟ قالت : أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد معدا كبيرا عن كابر، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة، قال : فمن زوجك ؟ قالت : هوذة ابن جرو، قال : وأين هو الآن ؟ أما تعرفين مكانه ؟ قالت : لو كنت أعلم مكانه حال بني وبينك، فقال عمرو : أما والله لولا أني أخاف أن تلدى مثل أبيك وأخيك وزوجك لأستبقيتك، فقالت : والله ما أدركت ثارا، ولا محوت عارا، مع كلام كثير كلمته به فأمر بإحراقها، فلما نظرت إلى النار، قالت : ألا فتي مكان عجوز ! فذهبت مثلا، ثم مكثت ساعة فلم يفدها أحد، فقالت : هيهات صارت الفتيان حما، فذهبت مثلا، ثم ألقيت في النار ولبث عمرو عامته يومه لا يقدر على أحد، حتى إذا كان آخر النهار أقبل راكب يسمى عمارة توضع به راحلته حتى أناخ إليه، فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا رجل من البراجم، قال : فما جاء بك إلينا ؟ قال : سطع الدخان وكنت طويت منذ أيام وطننته طعاما، فقال عمرو : إن الشقي وافد البراجم، فذهبت مثلا، وأمر به فألقي في النار، قيل : إنه أحرق مائة من بنى تميم : تسعة وتسعين من بنى دارم، وواحد من البراجم .

وقال بعضهم : ما بلغنا أنه أصاب من بنى تميم غير وافد البراجم وإنما أحرق النساء والصبيان، قال جرير :

وأخزاكم عمرو كما قد خزيتم * وأدرك عمارة شقي البراجم

ولذلك عيرت بنو تميم بحب الطعام، قال الشاعر :

إذا مامات ميت من تميم * وسرك أن يعيش فجئ بزدا

يُخْبِرُ أَوْ يُلْحِمُ أَوْ يَتَمَرُّ * أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ
تَرَاهُ يُنْقَبُ الْآفَاقَ حَوْلًا * لِيَأْكَلَ رَأْسَ لَقْمَانَ بْنِ عَادٍ

وهذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة طمعا .

حرف الباء

تقول العرب : « بلغ السيلُ الزُّبى » هي جمع زُبَيْة وهي حفرة تُحْفَرُ للأسد
إذا أرادوا صيده لا يعلموها الماء فإذا بلغها السيل كان مجحفا : يضرب لمن جاوز
الحد .

وقولهم : « بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا » اللحاء : القشر : يضرب للتخالين المتفقين ،
ويروى : لا مدخل بين العصا ولحائها .

وقولهم : « بَيْنَهُمْ دَاءُ الضَّرَائِرِ » هي جمع ضَرَّة : يضرب للعداوة إذا رسخت
بين قوم .

وقولهم : « بَيْنَهُمْ عَطَرٌ مَنْشِمٌ » قال الأصمعي : مَنْشِمٌ كانت عطارة بمكة
وكانت خُرَاعَةً وَجُرْهُمُ إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها فاذا فعلوا ذلك كثرت
بينهم القتلى فكان يقال : أشام من عطر منشم : يضرب في الشر العظيم ، وفيه
يقول زهير :

تَدَارَكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانًا بَعْدَ مَا * تَفَانَوْا وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عَطَرٌ مَنْشِمٌ

وقولهم : « بِهِ دَاءٌ ظَبِّي » أي أنه لا داء به كما أن الظبي لا داء به ، وقيل :
ربما يكون بالظبي داء لا يعرف مكانه ، معناه أن به داء لا يعرف .

وقولهم : « بَلَغَتِ الدِّمَاءُ الثُّنُنَ » الثُّنَةُ : الشعرات التي في مؤخرة رُءُوسِ الدابة :
يضرب عند بلوغ الشر النهاية .

وقولهم : «بَرَحَ الخَفَاءُ» أى زال من قولهم ما برح ، والمعنى زال السرّ فوضح الأمر ، ويقال : الخفاء : المتطأطأ من الأرض ، والبراح : المرتفع أى صار الخفاء براحا .

وقولهم : «بَنَانٌ كَيْفَ لَيْسَ فِيهَا سَاعِدٌ» : يضرب لمن له همة ولا مقدرة له على ما فى نفسه .

وقولهم : «بَاتَ فُلَانٌ يَشْوَى الْقَرَّاحَ» يعنى الماء الخالص لا يخالطه شىء : يضرب لمن ساءت حاله ، وفقد ماله بحيث يشوى الماء شهوة للطبخ

وقولهم : «بَجَّ بَجٌّ سَاقٌ بِخَلْخَالٍ» هى كلمة يقولها المتعجب من حسن الشىء وكماله . وأول من قال ذلك الْوَرِثَةُ بنت ثعلبة ، وذلك أنّ ذهل بن شيبان كان زوج الْوَرِثَةِ وكانت لا تترك له امرأة إلا ضربتها فترّوج رَقَاش بنت عمرو بن عثمان من بنى ثعلبة ، فخرجت رقاش يوما وعليها خَلْخَالان ، فقالت الْوَرِثَةُ ذلك فذهبت مثلاً .

حرف التاء

قولهم : «تَرَكَ الظُّبْيُ ظِلَّهُ» أى كُتَّاسَهُ الذى يستظلّ به : يضرب لمن نفر من شىء فزكه تركاً لا يعود له .

وقولهم : «تَرَكَتُهُ عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الصَّدْرِ» وهى ليلة ينفر الناس من منى فلا يبقى منهم أحد .

وقولهم : «تَرَكَتُهُ عَلَى أَنْقَى مِنَ الرَّاحَةِ» أى على حال لا خيره فيه كما لا شعر على الراحة : يضرب فى اصطلام الدهر .

وقولهم : «نَجُوعُ الْحُرَّةِ وَلَا تَأْكُلُ بِثَدْيَيْهَا» أى لا تكون ظِئراً وإن آذاها



الجوع . أول من قاله الحارث بن سليل الأسدى وكان حليفا لعلقمة بن حصيفة الطائى
فزاره فنظر الى أخته الزباء وكانت من أجمل أهل دهرها ، فقال : أتيتك خاطبا وقد
يُنكح الخاطب ، ويدرك الطالب ، ويُمنح الراغب ، فقال له علقمة : أنت كفء
كريم يُقبل منك الصفوة ، ويؤخذ منك العفو ، فأقم ننظر فى أمرك ، ثم أنكفا
الى أمها ، فقال : إن الحارث سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا ، وقد خطب الينا
الزباء فلا ينصرفن إلا بحاجته ، فقالت المرأة لآبنتها : أى الرجال أحب إليك الكهل
الجمّاح ، الواصل المناح ، أم الفتى الوضاح ؟ قالت : بل الفتى الوضاح ، فقالت :
إن الفتى يُغيرك ، وإن الشيخ يُميرك ، وليس الكهل الفاضل ، الكثير النائل ،
كالحديث السنّ ، الكثير المَنّ ، قالت يا أماه : إن الفتاة تحب الفتى ، تحب الرّءاء
أنيق الكلا ، قالت : أى بنية ! إن الفتى شديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت :
إن الشيخ يُبلى شبّابى ، ويدنس ثيابى ، ويُشمت بى أترابى . فلم تزل أمها بها حتى
غلبتها على رأيها ، فترّوجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم ،
فابتنى بها ، ثم رحل بها الى قومه فيبنا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهى الى جانبه ،
إذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست الصُّعداء ، ثم أرخت عينها بالبكاء ،
فقال : ما يبكيك ؟ قالت : مالى وللشيوخ ، الناهضين كالفرّوخ ، فقال لها : نِككتك
أمك ! تجوع الحرة ولا تأكل بشديها ، ثم قال لها : وأبيك ، لرب غارة شهدتها ،
وسبيّة أردفتها ، ونمرة شربتها ، فألقى بأهلك فلا حاجة لى فيك ، وهذا المثل : يضرب
فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب .

وقولهم : «تَجَشَّأُ لُقْمَانُ مِنْ غَيْرِ شَبِيعٍ» : يضرب لمن يدعى مالىس يملك .

وقولهم : «تُخْبِرُ عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَّاتُهُ» أى منظره يخبر عن مخبره .

وقولهم : « تشكو إلى غير مُصَحِّتٍ » أى إلى من لا يهتم بشأنك . قال الشاعر
إنك لا تشكو إلى مُصَحِّتٍ * فاضرب على الحمل الثقيل أومت

وقولهم : « تجاوز الرّوض إلى القاع القرق » : يضرب لمن يعدل بحاجته
عن الكريم إلى اللئيم ، والقرق : المستوى .

وقولهم : « تسمع بالمُعَيْدَى خيراً من أن تراه » ويروى : لا أن تراه :
يضرب لمن خبره خيراً من مرآه ، أول من قاله : المنذر بن ماء السماء .

وقولهم : « تقطّع أعناق الرجال المطامع » : يضرب فى ذم الطمع .

وقولهم : « تقلّدها طوق الحمامة » كناية عن الخصلة القبيحة التى لا تزيله
ولا تفارقه .

حرف الشاء

قولهم : « ثار حابلهم على نابلهم » الحابل : صاحب الحباله ، والنابل :
صاحب النبل أى اختلط أمرهم : يضرب فى فساد ذات البين وتأريث الشرّ
فى القوم .

وقولهم : « ثور كلاب فى الرّهان أقعد » هو كلاب بن ربيعة بن عامر
أبن صعصعة القيسى كان يحق ، وذلك أنه ارتبط عجل ثور ليسابق عليه ، والأقعد
من القعيد وهو المتخلف المتباطئ : يضرب لمن يروم ما لا يكون .

حرف الجيم

قولهم : « جرى المذكّيات غلاب » المذكّية من الخيل التى أتى عليها بعد
قروحها سنة أو سنتان والغلاب المغالبة : يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه

في حلبة الفضل ؛ وأول من قاله نذكره إن شاء الله تعالى في حرب داحس والغبراء .

وقولهم : « جَزَاءُ سِنِمَّارٍ » وهو الذي بنى الخوَرَنَق وتقدم خبره في مباني العرب .

وقولهم : « جَرَّحَهُ حَيْثُ لَا يَضَعُ الرَّاقِي أَنْفَهُ » قالته جندلة بنت الحارث ،

وكانت تحت حنظلة بن مالك وهي عذراء ، وكان حنظلة شيخا كبيرا فخرجت في ليلة مطيرة فبصر بها رجل فوثب عليها وأفتضها ، فصاحت وقالت : لُسِعْتُ . قيل أين ؟ قالت : حيث لا يضع الراقى أنفه : يضرب لمن يقع في أمر لا حيلة له في الخروج منه .

وقولهم : « جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طِخْنًا » : يضرب لمن يعد ولا يفى .

وقولهم : « جَرَى مِنْهُ مَجْرَى اللَّدُّودِ » وهو ما يُصَبُّ في أحد شِقِّ الفم من

الدواء : يضرب لمن يُبَغِّض وَيُكْرَهُ .

وقولهم : « جَمَاعَةٌ عَلَى أَقْدَاءٍ » معناه آجتماعُ بالأبدان ، وأفتراق بالقلوب ،

وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم : « هَذَنَةٌ عَلَى دَخَنٍ » : يُضْرَبُ لِمَنْ يَضْمِرُ أذى وَيُظْهِرُ صفاء .

وقولهم : « جَارٌ بِكَارٍ أَبِي دُوَادٍ » يعنون كعب بن مامة فإنه كان إذا جاوره

رجل فإن مات وداه ، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليه ، فضربت به العرب المثل في حسن الجوار ، قال طرفة :

إِنِّي كَفَانِي مِنْ أَمْرِ هَمَمْتُ بِهِ * جَارُ بَكَارِ الْحُذَاقِي الَّذِي اتَّصَفَا

والحذاقي هو أبو دواد .

وقولهم : « جَدَعَ الْحَلَالُ أَنْفَ الْغَيْرَةِ » قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليلة زُفَّتْ فاطمة الى علي رضي الله عنهما .

وقولهم : « جَوَّعَ كَلْبُكَ يَتَّبِعُكَ » أقول من قال ذلك ملك من ملوك حمير كان جائرا على أهل مملكته يسلبهم ما في أيديهم وإن أمراته سمعت صوت السؤال فقالت : إني لأرحم هؤلاء وإني لأخاف أن يكونوا عليك سباعا ، بعدما كانوا لك أتباعا ، فقال : جَوَّعَ كَلْبُكَ يَتَّبِعُكَ ، ثم إنه غزا بهم ولم يقسم عليهم شيئا فقالوا لأخ له : قد ترى ما نحن فيه من الجهد ونحن نكره خروج الملك عنكم إلى غيركم فساعدنا على قتل أخيك وأجلس مكانه ، فوافقهم على ذلك ، ثم وثبوا على الملك فقتلوه ، فمَرَّ به عامر بن جذيمة وهو مقتول ، فقال : ربما أكل الكلب مؤذبه إذا لم ينل شبعه ، فأرسلها مثلا ، والمثل يضرب في اللئام وما ينبغي أن يعاملوا به .

وقولهم : « جاءتهم عَوَانًا غَيْرَ بِكَرٍ » أى مستحكمة غير ضعيفة يريدون حربا أوداهية عظيمة .

وقولهم : « جاء بصحيفة المتلمس » إذا جاء بالداهية ، وكان من خبر صحيفة المتلمس أن المتلمس وطرفة قدما على عمرو بن المنذر بن أمري القيس فجعلهما في صحابة قابوس بن المنذر أخيه وأمرهما بلزومه ، وكان قابوس شابا يعجبه اللهو ، فطال بقاؤهما عنده ، فهجا طرفة عمرا بأبيات فبلغته ، فاستدعاهما فحباهما بحباء وكتب معهما إلى أبي كرب عامله على هَجَرَ أن يقتلهما ، وقال : قد كتبت لكما بحباء ومعروف ، فلما صدرا من عنده ، قال المتلمس لطرفة : هل لك في كتابتنا ، فإن كان فيهما خير مضينا له ، وإن كان شرا آتقيناها ؟ فأبى طرفة وقرأ المتلمس كتابه فإذا فيه السوء فألقاه في الماء وقال لطرفة : ألق كتابك فأبى ومضى بكتابه ، قال : ومضى المتلمس حتى لحق بملوك بني جفنة بالشام وسار طرفة بكتابه ، فلما انتهى إلى

وقولهم : « جَنْدَلَتَانِ أَصْطَكَا » : يضرب إقْرَنَيْنِ يتصاولان .

وقولهم : « جَزَيْتَهُ حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ » : للمكافأة .

وقولهم : « جَاءُوا عَلَى بَكْرَةٍ أَبِيهِمْ » أى جاءوا جميعا لم يتخلف منهم أحد .
 وقيل : بل البكرة تأنيث البكر، يصفهم بالقلة أى بحيث تحملهم بكرة أبيهم . وقيل بل
 البكرة التى يُسْتَقَى عليها، معناه جاءوا بعضهم يتلو بعضها كدوران البكرة على نسق واحد ؛
 وقيل : المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاءوا على طريقة أبيهم ، وقال ابن الأعرابي :
 البكرة : جماعة من الناس أى بأجمعهم .

وقولهم : « جَاوَزَ الْحَزَامُ الطُّبْيَيْنِ » : يضرب فى تجاوز الحد .

حرف الحاء

١٠ قولهم : « حَرَكْ لَهَا حَوَارَهَا تَحْنِ » الحوار : ولد الناقة، والجمع القليل أحورة
 والكثير حوران وحيران، معناه ذكركه بعض أشجانه يهيج له ، قاله عمرو بن العاص
 لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام، أى أُرهِم دم عثمان على قميصه .

وقولهم : « حَلَبْتُهَا بِالسَّاعِدِ الْأَشَدِّ » أى أخذتها بالقوة إذ لم يتأت بالرفق .

وقولهم : « حَذَوِ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ » أى مثلاً بمثل : يضرب فى التسوية بين

١٥ الشيئين ؛ ومثله : حَذَوِ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ ، وقد تقدم .

وقولهم : « حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ » معناه أنه آختر الدهر شَطْرَى خيره

وشَرَّه فعرف ما فيه .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَبْعٍ وَرِيٍّ » قال امرؤ القيس :
إذا ما لم تكن إِبْلُ فِعْزَى * كَأَنَّ قُرُونَ جِلَّتِهَا الْعِصَى
فتملاً بيتنا أَقْطَا وَسَمْنَا * وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَبْعٍ وَرِيٍّ

قال أبو عبيدة : يحتمل معنيين ، أحدهما أعط كل ما كان لك وراء شبعك
وريك ، والآخر القناعة باليسير .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا أَحَاطَ بِالْعُنُقِ » أى اكتف بالقليل
عن الكثير .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ » أى اكتف بسماعه ولا تعالينه ، قال :
ويجوز أن يريد يكفيك سماع الشر وإن لم تقدم عليه ولم تنسب إليه ، والمثل قالته
فاطمة بنت الخُرْشُب من بنى أنمار بن بغيض أم الربيع بن زياد ، وذلك أن ابنها
الربيع كان أخذ من قيس بن زهير بن جذيمة درعا ، فتعرض قيس لأم الربيع وهى
على راحلتها فأراد أن يذهب بها ليرتبتها بالدرع ، فقالت له : أين عزب عنك عقلك
يا قيس ؟ أترى بنى زياد مصالحيك ! وقد ذهبت بأهمهم يمينا وشمالا وقال الناس ما
قالوا وشاءوا ، وإن حسبك من شر سماعه ، فذهبت كلمتها مثالا تقول : كفى بالمقالة
عارا وإن كان باطلا .

وقولهم : « حَلَقَتْ بِهِ عُنُقَاءُ مُغْرِبٍ » : يضرب لما يُئس منه ، قال الشاعر :
إذا ما ابنُ عبد الله خَلَّى مكانه * فقد حَلَقَتْ بِالْجُودِ عُنُقَاءُ مُغْرِبٍ

قال الميدانى : والعنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم يقال : كان
بأرض الرّسّ جبل يقال له : دَحْجٌ مصعده فى السماء ، وكان يأتيه طائر عظيم لها عنق



طويلة، وهى من أحسن الطير؛ فيها من كل لون، وكانت تقع منتصبه وتنقض على الطير فتأكلها، فجاءت يوما وأعوزها الطير فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عتقاء مغرب : لأنها تغرب بكل ما تأخذه، ثم أنقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيهم : خالد بن صفوان، فقال : اللهم خذها وأقطع نسلها وسلط عليها آفة ! فأصابتها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثلاً .

قال عنتر بن الأخرس الطائي في مرثية خالد بن زيد :

لقد حَلَقْتُ بِالْجُودِ عِتْقَاءَ كَاسِرٍ * كَفَفْتُخَاءَ دَمَخٍ حَلَقْتُ بِالْحَزَوْرِ
فَمَا إِنْ لَهَا بَيْضٌ فَيُعْرِفُ بَيْضَهَا * وَلَا شِبْهُ طَيْرٍ مَنَجِدٍ أَوْ مَغُورٍ

وقولهم : « حَتَّامٌ تَكْرَعُ وَلَا تُنْقَعُ » كرع اذا تناول الماء بفيه من موضعه :
يضرب للحريص في جمع الشيء .

وقولهم : « حَسْبُكَ مِنْ إِنْصَاجِهِ أَنْ تَقْتُلَهُ » يضرب لطالب الثأر فيقول :
لأقتلن فلانا وقومه أجمعين فيقال : لا تعد، حسبك أن تدرك ثأرك وطلبتك :
ويضرب لمتجاوز الحد .

حرف الخاء

قولهم : « خَيْرَ حَالِيبِكَ تَنْطَحِينِ » : يضرب لمن يكافئ المحسن بالإساءة ،
ومثله : خَيْرَ إِنْاءِيكَ تَكْفِيئِينَ .

وقولهم : « خَامِرِي أُمَّ عَامِرٍ » معناه آسترى ، وأم عامر : الضبيع يشبه بها
الأحمق . ومثله : خَامِرِي حَضَابِجِرٍ، أتاكَ مَا تَحَاذِرُ ، وهو آسم للذكر والأنثى
من الضباع .

وقولهم : « خلا لك الجؤ فبيضى وأصفرى » قاله طرفة بن العبد ، وكان في سفر مع عمه فنصب نخاً للقنابر ونثر حباً فلم يصد شيئاً ، فلما تحملوا رأى القنابر يلقطن الحب الذى نثره لهنّ ، فقال فى ذلك :

يا لك من قنبرة بمعمّر * خلا لك الجؤ فبيضى وأصفرى
ونقرى ماشئت أن تنقرى * قد رحل الصياد عنك فأبشرى
ورفع الفخ فماذا تحذرى * لا بد من صيدك يوماً فاصبرى
يضرب فى الحاجة يتمكن منها صاحبها .

وقولهم : « خلّع الدرع بيد الزوج » المثل لرقاش بنت عمرو بن تغلب بن وائل ، وكان زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، فقال لها : آخلى ؛ فقالت : خلّع الدرع بيد الزوج ، فقال : آخلىه لأنظر إليك ، فقالت : التجرد لغير النكاح مثله ، فذهبت كلمتها مثلين : يضربان فى وضع الشئ فى غير موضعه .
وقولهم :

« خلّ سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق بالفلاة مأؤه » :
يضرب لمن كره صحبتك وزهد فيك .

وقولهم : « نحر أبى الروقاء ليست تسكر » : يضرب للغنى الذى لا فضل له على أحد .

حرف الدال

قولهم : « دمت لحنبك قبل النوم مضطجعا » أى استعد للنواب قبل حلولها ، والتدميث : التلين .

وقولهم : « دَعِ أَمْرًا وَمَا آخُتَار » : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَقْبَلُ النَّصِيحَ ؛

قال الشاعر :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْرِ مَا أَمْكَنَهُ * وَلَمْ يَأْتِ مِنْ أَمْرِهِ أَزِينُهُ
وَأَعْجَبَهُ الْعُجْبُ فَاقْتَادَهُ * وَتَادَ بِهِ التَّيَهُ فَاسْتَحْسَنَهُ
فَدَعَهُ فَقَدْ سَاءَ تَدْبِيرُهُ * سَيُضْحَكُ يَوْمًا وَيَبْكِي سَنَهُ

حرف الذال

قولهم : « ذَكَّرَنِي فُوكَ حِمَارِي أَهْلِي » أصله أن رجلا خرج يطلب حمارين ضالًا له ، فرأى امرأة [متنقبة] فأعجبته فنسى الحمارين ، فلما أسفرت عن وجهها رآها فوهاء فقال : ذَكَّرَنِي فُوكَ حِمَارِي أَهْلِي ، وقال :

لَيْتَ النَّقَابَ عَلَى النِّسَاءِ مُحَرَّمٌ * كَيْ لَا تَغُرَّ قَبِيحَةً إِنْسَانًا

وقولهم : « ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا » ويقال : تفرقوا ، أى تفرقوا تفرقا لا اجتماع معه .

وقصة سبيلًا تفرقوا بسبب سيل العرم مشهورة ، وسند كرها إن شاء الله تعالى في التاريخ .

وقولهم : « ذَهَبُوا شَجَرَ بَغْرٍ ، وَشَذَرَ مَذَرَ ، وَخَذَعَ مَذَعَ » أى فى كل وجه .

وقولهم : « ذَلَّ بَعْدَ شِمَاسِهِ الْيَعْفُورُ » : يضرب لمن أنقاد بعد جماحه ، واليعفور :

فرس .

وقولهم : « ذَهَبَتْ طُولًا ، وَعَدِمَتْ مَعْقُولًا » : يضرب للطويل بلا طائل .

حرف الراء

قولهم : « رمتني بدائها وأنسلت » أصل هذا المثل : أن سعد بن زيد مناة تزوج رُهمَ بنة الخزرج ، وكانت من أجمل النساء ، وكان ضرائرها إذا سابَّنها يُقلن لها : يا عفلاء ، فقالت لها أقما : إذا سابَّتك فابدئين بذلك ، ففعلت رُهم ذلك مع ضرتها ، فقالت : رمتني بدائها وأنسلت ، فذهبت مثلا : يضرب لمن يُعير الآخر بما هو يُعير به .

وقولهم : « رماه بثالثة الأثافي » وهي قطعة من الجبل يوضع إلى جنبها حجران ويُنصب عليها القدر : يضرب لمن رُمى بداهية عظيمة .

وقولهم : « رَبَّ صَلِّفِ تحت الراعدة » الصلف : قلة الخير، والراعدة : السحابة ذات الرعد : يضرب للبخيل مع السعة .

وقولهم : « رَجَعَ بِخَفَى حُنَيْنٍ » أصله أن حُنَيْنًا كان إسكافا بالحيرة وساوومه أعرابي بخفين فآختلفا حتى أغضبه ، فلما آرتحل الأعرابي أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على طريق الأعرابي ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه ، فلما مرَّ الأعرابي بالخلف الأول قال : ما أشبه هذا بخف حنين ولو كانا خفين لأخذتهما ، ثم مرَّ بالآخر فندم على ترك الأول فأناخ راحلته وأنصرف إلى الأول وقد كمن له حنين ، فأخذ الراحلة وذهب بها وأقبل الأعرابي إلى أهله ليس معه غير خفي حنين ، فذهبت مثلا : يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالحيبة .

وقولهم : « رَبَّ سَاعِ لقاعد وآكلٍ غير حامد » أول من قاله النابغة الذبياني ، وكان سبب ذلك أن وفدًا وفدًا إلى النعمان وفيهم رجل من بني عبس يقال

له : شقيق ، فمات عنده ، فلما حبا النعمان الوفود بعث بجبايته الى أهله ، فقال النابغة في ذلك :

أتى أهله منه حياءً ونعمة * وربّ أمرٍ يسعى لآخر قاعد

وقولهم : «رُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ» قاله أكتثم بن صيفي ، معناه قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون عذره ؛ وقيل : إن رجلاً قال للأحنف بن قيس : أنا أبغض التمر والزبد ، فقال : ربّ ملوم لا ذنب له .

وقولهم : «رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ لِصَاحِبِهَا دَعْنِي» : يضرب في النهي عن الإكثار مخافة الإهجار ؛ ذكروا أن ملكاً من ملوك حمير خرج الى الصيد ومعه نديم له فوقفا على صخرة ملساء ، فقال النديم : لو أن إنساناً ذبح على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه ، فأمر بذبحه ، وقال : ربّ كلمة تقول لصاحبها دعني .

ومثله قولهم : «رُبَّ رَأْسٍ حَصِيدٍ لِسَانٌ» : يضرب للأمر بالسكوت .

وقولهم : «رَدَّ الْحَجَرَ مَنْ حَيْثُ جَاءَكَ» أي لا تقبل الضيم وأرم من رماك .

حرف الزاي

وقولهم : «زَيْنٌ فِي عَيْنٍ وَالِدٍ وَلَدُهُ» يضرب في عجب الرجل برهطه .

وقولهم : «زَاحِمٌ بَعُودٌ أَوْدَعُ» أي لا تستعن إلا بأهل السن والتجربة .

وقولهم : «زَوْجٌ مِنْ عَوْدٍ خَيْرٌ مِنْ قَعُودٍ» ، قالته بعض نساء العرب ، قالوا : كان ذو الإصبع العدواني غيورا ، وله بنات أربع ، وكان لا يزوجهنّ غيرة عليهنّ ، فاستمع عليهنّ يوما وقد خلون يتحدثن ، فقالت إحدهنّ : لتقل كل واحدة منا في نفسها ،

ولنصدق جميعاً، فأشتهت كل واحدة من الثلاث زوجاً وصفت من جماله وكماله وسعة حاله، ثم أبت الصغرى أن تتكلم، فقالوا : لا بد أن تقولى، وألحجن عليها، فقالت :
زَوْجٌ مِنْ عُوْدٍ، خَيْرٌ مِنْ قُعُوْدٍ، فزَوَّجْهُنَّ .

وقولهم : «زُرْغَبًا تَزْدَدُ حُبًّا» قاله معاذ بن صرم الخزاعى، وكانت أمه من عك، وكان يكثر من زيارة أخواله، فأقام فيهم زمناً، ثم خرج يتصيد مع بنى أخواله، فحمل على عير، فلاحقه آبن خال له يقال له : الغضبان فتخاصما، فقال له الغضبان : والله لو كان فيك خير لما تركت قومك ! فقال : زُرْغَبًا ، تَزْدَدُ حُبًّا ، فأرسلها مثلاً ، وفى ذلك يقال الشاعر :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُقْلَى فَزُرْ مُتَوَالِيَا * وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِبَا

وقال آخر :

عَلَيْكَ بِإِغْبَابِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا * إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْمُهْجَرِ مَسْئَلَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَطَرَ يُسَامُ دَائِمًا * وَيُسَالُ بِالْأَيْدَى إِذَا هُوَ أَمْسَا

حرف السين

قولهم : «سَبَقَ السَّيْفُ الْعَدْلَ» قاله ضبة بن أد لما لامه الناس على قتل قاتل ابنه فى الحرم، ويقال : إنه لخزيم بن نوفل الهمداني .

وقولهم : «سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانٍ» أصله أن رجلاً خرج يلتمس العشاء، فوقع على ذئب فأكله، وقال آبن الأعرابي : أصله أن رجلاً من بنى غنى يقال له : سِرْحَانُ ابن هزلة كان بطلاً فاتكاً، فقال رجل : والله لأرعين إبلى هذا الوادى ! فورد بإبله، فوجد سرحان فقتله، وأخذ إبله وقال :

أَبْلَغُ نَصِيحَةٍ أَنْ رَاعِيَ أَهْلَهَا * سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى سِرْحَانِ
سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ * طَلَّقَ الْيَدَيْنِ مُعَاوِدٍ لِيَطْعَانِ

يضرب في طلب الحاجة يؤدى صاحبها إلى التلف .

ومثله قولهم : «سَقَطَ الْعِشَاءُ بِهِ عَلَى مُتَقَمِّرٍ» وهو الأسد .

وقولهم : «سَكَتَ أَلْفَاءٌ، وَنَطَقَ خَلْفَاءٌ» انجَلَفَ : الردىء من القول وغيره .

وقولهم : «سَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً» أول من قاله سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو أَخُو بَنِي
عَامِرٍ، وَكَانَ قَدْ نَحَجَ بِأَبْنِهِ أَنَسَ، فَوَقَفَ بِحَزْوَرَةِ مَكَّةَ، فَأَقْبَلَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ
الْثَّقَفِيَّ فَقَالَ لَهُ : مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ : آبَنِي ! فَقَالَ : حَيَاكَ اللَّهُ يَافَتِي [أَيْنَ أُمُّكَ؟]
فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ مَا أُمِّي فِي الْبَيْتِ، وَلَكِنَّمَا أَنْطَلَقْتُ إِلَى أُمِّ حَنْظَلَةَ تَطْحَنُ دَقِيقًا،
فَقَالَ أَبُوهُ : سَاءَ سَمْعًا فَأَسَاءَ جَابَةً، فَأَرْسَلَهَا مَثَلًا .

وقولهم : «سَحَابٌ نَوْءٍ مَأْوُهُ حَمِيمٌ» : يضرب لمن له لسان لطيف وليس
وراءه خير .

وقولهم : «سَوْءُ الْإِسْتِمْسَاكِ خَيْرٌ مِنْ حُسْنِ الصِّرْعَةِ» : معناه حصول
البعض مع الاحتياط خيرٌ من الكل مع التهور .

حرف الشين

قولهم : «شُخْبٌ فِي الْإِنَاءِ وَشُخْبٌ فِي الْأَرْضِ» : يضرب لمن يتكلم فيصيب
مرة ويخطئ أخرى .

وقولهم : «شَرِيقٌ بِالرَّيْقِ» أى ضربه أقرب الأشياء إلى نفعه .

وقولهم : «شِنْشِنَةٌ أَعْرَفُهَا مِنْ أَنْحَزَمَ» قاله أَبُو أَنْحَزَمِ الطَّائِيّ، وَكَانَ لَهُ

آبن يقال له : أخزم ، فمات وترك بنين ، فوثبوا على جدهم يوما فأدموه ، وكان أبوهم عاقاً له فقال :

إِنَّ بَنِيَّ ضَرَجُونِي بِالْذِّمِّ * شَذِشْنَةُ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

والشذشنة : الطبيعة والعادة : يضرب في قرب الشبه .

وقولهم : « شَمَّرَ ذَيْلًا ، وَأَدَّرَعَ لَيْلًا » : يضرب على الحث في الجلد والطلب .

وقولهم : « شَنْوَعَةٌ بَيْنَ يَتَامَى رُضْعٍ » الشنوعة : ما يستقذر من القول والفعل : يضرب لقوم اجتمعوا على فجور وفاحشة ليس فيهم مرشد ولا ناه .

وقولهم : « شَيْخٌ بِحُورَانٍ لَهُ الْقَابُ » وبعده * الذئب والتمتع والغراب * حوران بأرض الشام : يضرب لمن يظهر للناس العفاف ، ومن حقه أن يحترز منه .

وقولهم : « شَغَلَ الْحَلَى أَهْلَهُ أَنْ يُعَارَا » : يضرب للسئول شيئاً هو إليه أحوج من السائل .

وقولهم : « شَبَّ عَمْرُو عَنْ الطَّوْقِ » قاله جذيمة الأبرش . وعمرو هذا هو آبن أخته وهو عمرو بن عدى بن نصر .

حرف الصاد

قولهم : « صَبْرًا عَلَى مَجَامِرِ الْكِرَامِ » قال ذلك يسار الكواعب ، وكان عبدا أسود يرعى لأهله إبلا ضخمة ، وكان معه عبد يراعيه ، فمتر أهله يوما سائرين بحذاء الإبل التي يراها ، فعمد إلى لقوح فخلبها في علبه ، حتى ملأها ثم مشى بها ، وكان أخفج

(١) كذا بالأصل وهي من كانت ذات معنى يتناسب مع السياق إلا أنها لا تستبعد أن تكون محرفة عن الهمزة وهي من الإبل ما بين الأربعين إلى المائة ، يريد أنه كان يرعى لهم إبلا بهذا المقدار .

(١٢)

الرجلين ، حتى أتى بها ابنة مولاه يسقيها ، وهى راكبة على جملها ، فنظرت إلى رجله
فتبسمت ، ثم شربت اللبن وجرته خيرا ، فانطلق فرحا حتى أتى صاحبه ، فقص عليه
القصة ، فقال : أسخر بنفسك ولا تسخر ببنات الأحرار ، فقال : والله لقد دحكت
إلى دحكة لا أخيبها ، يريد : نحكمت ، وكان أعجمى اللسان . ثم باتا فقام فخاب فى علة
فلاها ، ثم أتى ابنة مولاه ، فنبهها من نومها فاستيقظت وشربت ، ثم اضطجعت
وجلس يسار حياهما ، فقالت : ما حاجتك ؟ فقال : ما أعلمك بحاجتى ! فقالت :
لا والله ! فما هى ؟ قال ذاك الرجل الذى دحكت إلى . فقالت : حياك الله ،
وقامت إلى سَفَطٍ لها فأخرجت منه بخورا ودهنا طيبا ، وعمدت إلى موسى كانت
تحف به الشمع ، وأخذت شجرة فيها نار ، فوضعت عليه البخور ووضعتها تحته ،
وطأطأت كأنها تصلح البخور ، فعمدت إلى مذاكيره فمسحتها بالموسى ، فلما أحس
بحرارة الحديد . قال : صبرا على مجامر الكرام ، ثم أومات إلى أنها تدهنه وقالت :
إن هذا دهن طيب إلا أن فيه حرارة فتصبر عليه ، فإن ريحك ريح الإبل وأنا أعافك ،
ثم أشمته الدهن على الموسى ، ورفعته فوضعت بين عينيه فاستلثت بها أنفه . وقالت :
قم إلى إبلك يا بن الحبيثة ، فأتى صاحبه ، فلما رآه . قال : أمقبل أنت أم مدبر ؟
قال : أخزأك الله ، أو قد عمى بصرك !

١٥

إذ لا ترى أنفا ولا أذنين * أما ترى وبأصة العينير

هذا أحد الأقوال فى هذا المثل : يضرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره . ويقال :
إن أعرابيا قدم الحضر بإبل ، فباعها بمال كثير وأقام لحوائج له ، ففطن
قوم من جيرته لما معه من المال ، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال
والحسب طمعا فى ماله ، فرغب فيها فزوجوه إياها ، ثم آخذوا طعاما وجمعوا الحى ،
وجلس الأعرابي فى صدر المجلس ، فأكلوا الطعام وأداروا الكؤوس وشرب

٢٠

الأعرجي ، ثم أتوه بكسوة فاحرة ، فلبسها وقدموا له حُمْرَةً فيها بخور لا عهد له به ، وكان لا يلبس السراويل ، فلما جلس على الحُمْرَةِ ، سقطت مذاكيره في النار ، فظن أن ذلك سُنَّةٌ لا بد منها ، وأستحيا أن يكشف ثوبه . فقال : صبرا على مجامر الكرام ، فذهبت مثلاً وأحترقت مذاكيره ، وتفرق القوم ، وأرتحل إلى البادية وترك المرأة والمال ، فلما وصل إلى قومه وقص عليهم القصة . قالوا : آست لم تُعَوِّد الحُمْرَةَ ، فذهبت مثلاً : يضرب لمن لا قديم له .

وقولهم : « صار الزجُّ قدام السنان » : يضرب في سبق المتأخر المتقدم من غير استحقاق لذلك .

وقولهم : « صرَّح المحض عن الزبد » : يضرب للأمر إذا آنكشف وتبين .

وقولهم : « صَفَقَةٌ لم يشهدْها حاطب » هو حاطب بن أبي بلتعة كان حازماً ، فباع بعض أهله ببيعة غين فيها حين لم يشهدْها حاطب ، فصارت مثلاً لكل أمر ينبرم دون صاحبه .

حرف الضاد

قولهم : « ضَرَبَهُ ضَرْبَ غرائب الإبل » وذلك أن الغريبة تزدهم على الحياض عند الورود ، وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله : يضرب في دفع الظالم عن ظلمه بأشد ما يمكن .

وقولهم : « ضَلَّ الدَّرِيصُ نَفَقَهُ » الدَّرِيصُ : ولد الفأرة واليربوع والمترّة وأشباه ذلك ، ونفقهُ : جحره : يضرب لمن يُعْنَى بأمره ويُعَدَّ حُجَّةً لخصمه ، فينسى

وقولهم : « ضَلَّ حِلْمُ امْرَأَةٍ فَأَيْنَ عَيْنَاهَا ؟ » أى هَبْ أَنْ عقلها ذهب
فأين ذهب بصرها ؟ : يضرب فى استبعاد عقل الحليم .
وقولهم : « ضَائِفُ اللَّيْثِ قَتِيلُ الْمَحَلِّ » : يضرب لمن اضطرب لشيء فغتر
بنفسه فى طلبه .

حرف الطاء

٥

قولهم : « طَوَيْتُهُ عَلَى بِلَالٍهِ وَعَلَى بِلَلَّتِهِ » قال الشاعر :
وصاحب مَرَامِي دَاجِيَّتُهُ * عَلَى بِلَالٍ نَفْسُهُ طَوَيْتُهُ
ويقال : طَوَيْتُ السَّقَاءَ عَلَى بِلَلَّتِهِ إِذَا طَوَيْتُهُ وَهُوَ نَدٍ لَأَنَّهُ إِنْ طَوَى يَابَسَا تَكْسَرُ،
وَإِنْ طَوَى نَدِيًّا عَمِنَ : يضرب للرجل يتحل على ما فيه من العيب ؛ قال الشاعر :
ولقد طَوَيْتُكُمْ عَلَى بِلَلَاتِكُمْ * وَعَلِمْتُ مَا فِيكُمْ مِنَ الْأَذْرَابِ
فَإِذَا الْقَرَابَةُ لَا تُتَّقَرُّ قَاطِعًا * وَإِذَا الْمَوَدَّةُ أَقْرَبُ الْأَنْسَابِ
وَالْأَذْرَابِ : جمع ذَرَبٍ وهو الفساد .

١٠

وقولهم : « طَوَيْتُهُ عَلَى غَرِّهِ » : غَرَّ الثَّوْبِ : أَثْرَكَسَرَهُ الْأَوَّلُ : يضرب لمن
يُوَكِّلُ إِلَى رَأْيِهِ وَمَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ .

حرف الظاء

١٥

١٣

قولهم : « ظَالِعٌ يَعُودُ كَسِيرًا » : يضرب للضعيف يَنْصُرُ مِنْهُ هُوَ أَوْ ضَعْفٌ مِنْهُ .
وقولهم : « ظَنَرُ رَعُومٍ ، خَيْرٌ مِنْ أَمِّ سَوْوَمٍ » : الظئر : الحاضنة ، والرءوم :
العطوف ، والسووم : الملول : يضرب فى عدم الشفقة وقلة الاهتمام .
وقولهم : « ظَاهِرُ الْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ بَاطِنِ الْحَقْدِ » معناه ظاهر .

وقولهم : « ظِلَالُ صَيْفٍ مَالِهَا قِطَارٌ » : يضرب لمن له ثروة ولا يُجسدى
على أحد .

حرف العين

وقولهم : « عند الصباح يُحَمَّدُ الْقَوْمُ السَّرَى » أقول من قاله خالد بن الوليد
لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنه ، وكان باليمامة أن يسير إلى العراق ، ونالته مشقة
بسبب العطش ، فأسرى حتى أدرك الماء فقال : عند الصباح يحمد القوم السرى :
يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة .

وقولهم : « عند جهينة الخبر اليقين » يضرب في معرفة الشيء حقيقة .

وقولهم : « عَيْرَ عَارِهِ وَتِدِهِ » أى أهلكه ، وأصله أن رجلاً أشفق على حمارة
فربطه إلى وتد ، فهجم عليه السبع فلم يمكنه الفرار فأهلكه .

وقولهم : « عند النطاح يُغَلَبُ السَّكْبَشُ الْأَجَمُّ » وهو الذى لا قرن له :
يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .

وقولهم : « على أهلها تَجْنِي بَرَأَقِشٌ » قالوا : كانت بَرَأَقِشُ كَلْبَةً لِقَوْمٍ مِنَ
العرب ، فأغیر عليهم فهربوا وهى معهم ، فنبحت فاتبعت القوم آثارهم بُنْبَاحِهَا ، فأدركوهم
فقتلوهم ، ففيها يقول حمزة بن بَيْض :
١٥

بل جناها أَخٌ عَلَى كَرِيمٍ * وعلى أهلها بَرَأَقِشٌ تَجْنِي

وقيل في هذا المثل غير ذلك .

وقولهم : « عَسَى الْغَوِيرُ أَبْوَسًا » الْغَوِيرُ : تصغير غار ، والأبْوَسُ : جمع بؤس
وهو الشدة ، قالت الزبَاءُ عند رجوع قَصِيرٍ مِنَ الْعِرَاقِ ، ومعه الرجال ، وكان الغوير

على طريقه ، ومعناه لعل الشرَّ يأتيكم من قبل الغار : يضرب للرجل يقال له : لعل الشرَّ جاء من قبلك .

وقولهم : «عُشِبٌ وَلَا بَعِيرٌ» : يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره .

وقولهم : «عَادَ غَيْثٌ عَلَى مَا أَفْسَدَ» : يضرب للرجل فيه فساد ، وصلاحه أكثر .

وقولهم : «عاد السهمُ إلى النَّزْعَةِ» أى رجع الحق إلى أهله .

وقولهم : «عصا الجبان أطول» لأنه يفعل ذلك من فشله ، يرى أن طولها أشدَّ ترهيباً لعدوه من قصرها .

وقولهم : «على الخبير سقطت» المثل لمالك بن جُبَيْر العامري ، وتمثل به الفرزدق حين لقي الحسين بن عليّ رضي الله عنهما ، عند مقدمه من العراق وخروج الحسين إليه وقد قال له : ما وراءك ؟ فقال : على الخبير سقطت ، قلوبُ الناس معك ، وسيوفهم مع بني أمية ، والنصر من السماء .

وقولهم : «عادة السوء شرٌّ من المغرم» معناه أن المغرم إذا أدبته فارقك ، وعادة السوء لا تفارق صاحبها .

وقولهم : «عَجَّجَ لِمَا عَضَّهُ الظَّعَانُ» أى صاح ، والظعان : نِسْعٌ يُشَدُّ به الهودج : يُضْرَبُ لمن يَضِجُ إذا لَزِمَهُ الحق .

وقولهم : «عند الرّهان تُعرَفُ السّوابق» : يضرب لمن يدعى ما ليس

وقولهم : « عَادَ الْأَمْرُ إِلَى نِصَابِهِ » : يُضْرَبُ فِي الْأَمْرِ يَتَوَلَّاهُ أَرْبَابُهُ .

وقولهم : « عَيْنُكَ عِبْرَى وَالْفُؤَادُ فِي دَدٍ » الدَّدُ وَالْدَدْتُ وَالْدَدَا : اللَّعِبُ وَاللَّهُوُ : يُضْرَبُ لِمَنْ يُظْهِرُ حُزْنَ لِحُزْنِكَ وَفِي قَلْبِهِ خِلَافٌ ذَلِكَ .

وقولهم : « عَرَفُطَةٌ تَسْقَى مِنَ الْغَوَادِقِ » وِيَرَوِي : الْغَوَابِقُ ، الْعَرُفُطَةُ : شَجَرَةٌ خَشِيشَةُ الْمَسِّ ، وَالْغَوَادِقُ : السَّحَابُ الْكَثِيرُ الْمَاءِ : يُضْرَبُ لِلشَّرِّيرِ يُكْرَمُ وَيُجَلَّلُ .

حرف الغين

قولهم : « غَدَّةٌ كَغَدَّةِ الْبَعِيرِ وَمَوْتُ فِي بَيْتِ سُلُوبِيَّةٍ » قَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا قَدَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدَّمَ مَعَهُ أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ أَخُو لَبِيدِ بْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيِّ الشَّاعِرَ لِأَمِّهِ ، فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ قَدْ أَقْبَلَ ، قَالَ : « دَعُهُ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يَهْدِيهِ » فَأَقْبَلَ حَتَّى قَامَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَا لِي إِنْ أَسَلَمْتُ ؟ قَالَ : « ذَلِكَ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ » قَالَ : تَجْعَلُ لِي الْأَمْرَ بَعْدَكَ ؟ قَالَ : « لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى يُجْعَلُهُ حَيْثُ يَشَاءُ » قَالَ :

فَتَجْعَلُنِي عَلَى الْوَبَرِ وَأَنْتَ عَلَى الْمَدَرِ ؟ قَالَ : « لَا » قَالَ : فَمَاذَا تَجْعَلُ لِي ؟ قَالَ : « أَجْعَلُ لَكَ أَعْنَةَ الْخَيْلِ تَغْزُو عَلَيْهَا » ، قَالَ : أَوْ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيَّ الْيَوْمَ ؟ وَكَانَ قَدْ أَوْصَى إِلَى أَرْبَدِ بْنِ قَيْسٍ : إِذَا رَأَيْتَنِي أَكَلَمَهُ فُدْرُ مِنْ خَلْفِهِ فَأَضْرِبْهُ بِالسَّيْفِ ، فَاخْتَرَطَ أَرْبَدُ سَيْفَهُ شَبْرًا فَخَبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى سَلِّهِ ، فَالْتَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَى أَرْبَدَ وَمَا يَصْنَعُ بِسَيْفِهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمَا بِمَا شِئْتَ » فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَرْبَدَ صَاعِقَةً فِي يَوْمٍ صَائِفٍ صَاحٍ فَأَحْرَقَتْهُ ، وَوَلَّى عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ هَارِبًا وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، دَعَوْتَ رَبَّكَ فَقَتَلَ أَرْبَدَ ، وَاللَّهِ لَا أُمْلَأَنَّهَا عَلَيْكَ خِيَلًا جُرْدًا وَفِتْيَانًا مُرْدًا ، فَقَالَ :

رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” يمنعك الله من ذلك [وابنا قيلة] “ فصار عامر حتى نزل بيت امرأة سألوية ، فخرجت على ركبته غدة عظيمة ، فقال : غدة كغدة البعير وموت في بيت سألوية ، ثم مات على ظهر فرسه ، وسألوا أكل العرب وأذلهم ، فصار كلامه مثلاً : يضرب في خصلتين إحداهما شر من الأخرى .

- (٢) وقولهم : « غمرني بردالك من خدافلي » ويروى : من غدافلي ، أصل المثل أن رجلاً استعار بردي امرأة فلبسهما ، ورعى بخلقان كانت عليه ، فاسترجعت المرأة برديها فقالة : يضرب لمن ضيع ماله طمعاً في مال غيره .

حرف الفاء

- قولهم : « في وجهه المال تعرف امرته » أي نماء وخيره ، ويقال : امرت أموال بني فلان إذا نمت وكثرت : يضرب لمن يستدل بحسن ظاهره على حسن باطنه .

- وقولهم : « في بيته يؤتى الحكم » زعمت العرب أن الأرنب ألقت تمرة فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان إلى الضب ، فقالت الأرنب : يا أبا الحسل ، قال : سمعاً دعوت ، قالت : أتيناك لنختصم إليك ، قال : عادلاً حكماً ، قالت : فأخرج إلينا ، قال : في بيته يؤتى الحكم ، قالت : إني وجدت تمرة ، قال : حلوة فكلها ، قالت : فاختلسها الثعلب ، قال : لنفسه بغى الخير ، قالت : لطمته ، قال :

(١) الزيادة عن الميداني ويريد بهما في الحديث الأوس والخزرج (ج ٢ ص ٣) .

(٢) في اللسان مادة ” خدافل “ وجمع الأمثال للميداني : « برداك » بفتح الكاف . وورد في القاموس وشرحه بفتح الكاف وكسرهما فرواية المنتج على أنه قالته امرأة رأت على رجل بردين فتزوجته طامعة في يساره فألفته معسراً . والكسر على أن قاله رجل استعار من امرأة برديها ... الخ .

بِحَقِّكَ أَخَذْتِ، قَالَتْ : لَطَمَنِي، قَالَ : حَرَّ أَنْتَ صِرَ، قَالَتْ : فَاقْضُ بَيْنَنَا، قَالَ :^(١)
حَدَّثَ حَدِيثَيْنِ أَمْرَاءَ، فَإِنْ أَبَتْ فَأَرْبَعَةً، فَذَهَبَتْ أَقْوَالُهُ كُلُّهَا أَمْثَالًا .

وقولهم : «فَتَى وَلَا كِمَالِكَ» قَالَهُ مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيْرَةَ فِي أَخِيهِ مَالِكٍ لَمَّا قُتِلَ .

وقولهم : «فِي دُونِ هَذَا مَا تُنْكِرُ الْمَرْأَةُ صَاحِبَهَا» أَوَّلُ مَنْ قَالَهُ جَارِيَةٌ مِنْ مُزَيْنَةَ،
قَالَ الْحَكَمُ بْنُ صَخْرٍ الثَّقَفِيُّ : خَرَجْتُ مُنْفَرِدًا فَرَأَيْتُ بِإِمْرَةً (وَأَمْرَةً مَوْضِع) جَارِيَتَيْنِ
أَخْتَيْنِ لَمْ أَرَّ كِمَالَهُمَا، فَكَسَوْتُهُمَا وَأَحْسَنْتُ إِلَيْهِمَا، قَالَ : ثُمَّ حَجَجْتُ مِنْ قَابِلٍ وَمَعِيَ
أَهْلِي، وَقَدْ آعْتَلْتُ وَنَصَلْتُ خَضَابِي، فَلَمَّا صَرْتُ بِإِمْرَةٍ، إِذَا إِحْدَاهُمَا قَدْ جَاءَتْ،
فَسَأَلْتُ سُؤَالَ مُنْكَرَةٍ، قَالَ فَقُلْتُ : فَلَانَةُ ؟ قَالَتْ : فِدَى لَكَ أَيْ وَأُمِّي، أَنَّى تَعْرِفُنِي
وَأُنْكَرُكَ ؟ قَالَ فَقُلْتُ : أَنَا الْحَكَمُ بْنُ صَخْرٍ، قَالَتْ : رَأَيْتُكَ عَامَ أَقُولُ شَابًّا سَوْقَةً،
وَأَرَاكَ الْعَامَ شَيْخًا مَدِكَ، وَفِي دُونِ هَذَا مَا تُنْكِرُ الْمَرْأَةُ صَاحِبَهَا، فَذَهَبَتْ مِثْلًا، قَالَ
قُلْتُ : مَا فَعَلْتُ أَخْتِكَ ؟ قَالَ : فَتَنَّفَسْتُ الصُّعْدَاءَ، وَقَالَتْ : تَزَوَّجْهَا ابْنَ عَمِّ لَهَا
وَذَهَبَ بِهَا، فَذَاكَ حَيْثُ تَقُولُ :

إِذَا مَا قَفَلْنَا نَحْوَ نَجْدٍ وَأَهْلُهَا * فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيَا قُفُولٌ إِلَى نَجْدٍ

قَالَ قُلْتُ : أَمَّا إِنِّي لَوْ أَدْرَكْتُهَا لَتَزَوَّجْتُهَا، قَالَتْ : وَمَا يَمْنَعُكَ مِنْ شَرِيكَتِهَا
فِي حَسَنِهَا وَجَمَالِهَا وَشَقِيقَتِهَا ؟ قَالَ قُلْتُ : يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ كَثِيرٍ حَيْثُ يَقُولُ :
إِذَا وَصَلْنَا خُلَّةَ كِي تَزِيلُنَا * أَبَيْنَا وَقَلْنَا الْحَاجِيَّةَ أَوَّلَ

فَقَالَتْ : كَثِيرٌ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، أَلَيْسَ الَّذِي يَقُولُ :

هَلْ وَصَلَ عَزَّةَ إِلَّا وَصَلَ غَانِيَةً * فِي وَصَلَ غَانِيَةً مِنْ وَصَلِهَا خَلْفُ

(١) هذه العبارة لم ترد في الميداني في شرح هذا المثل وهي نافية هنا عن السياق، وقد أوردنا الميداني

في حرف الحاء على أنها مثل مستقل وقال إن المراد أن تكرر للمرأة إذا حدثها الحديث مرتين فإن لم تفهم
فزد : وهو مثل يضرب في سوء السمع والإجابة .

قال : فتركت جوابها عيا .

وقولهم : « فأتكة واثقة برى » زعموا أن امرأة كثر لبنها وطفقت تهريقه ،
فقال لها زوجها : لم تهري يقينه ؟ فقالت : فأتكة واثقة برى : يضرب للمفسد الذى
وراء ظهره ميسرة .

حرف القاف

وقولهم : « قطعت جهيزة قول كل خطيب » أصله أن قوما اجتمعوا
يخطبون فى صالح بين حيتين ، قتل أحدهما من الآخر قتيلًا ليرضوا بالدية ، فبينما هم
فى ذلك . إذ جاءت أمة يقال لها : جهيزة ، فقالت : إن القاتل قد ظفر به بعض
أولياء المقتول فقتله ، فقالوا : قطعت جهيزة قول كل خطيب : يضرب لمن يقطع
على الناس ما هم فيه بجهله .

وقولهم : « قبل البكاء كان وجهك عابسا » : يضرب للبخل يعتل
بالإعدام ، ومثله : « قبل النفاس كنت مصفرة » .

وقولهم : « قلب الأمر ظهرًا لبطن » : يضرب فى حسن التدبير .

وقولهم : « قد شمرت عن ساقها فشمري » : يضرب فى الحث على الجدة
فى الأمر .

وقولهم : « قد يضرب العير والمكواة فى النار » قال عرفة بن عرفة
سيد بنى هزان ، وكان بينه وبين الحصين بن نبيت العكلى حروب ووقائع ، فقتلت
عكلى رجلا من بنى هزان ، وأسر عرفة بن عكلى رجلين ، فقال لها : أيكم أفضل
لأقتله بصاحبنا ؟ فجعل كل واحد منهما يخبر أن صاحبه أكرم منه ، فأمر بقتلهما

جميعاً، فتقدم أحدهما للقتل، بفعل الآخر يضرب، فقال عُرفُطة : قد يضرب العير والمكواة في النار، فأرسلها مشلاً : يضرب للرجل يخوف بالأمر فيجزع قبل وقوعه . وهذا أحد الأقوال فيه ، وقيل غير ذلك .

وقولهم : «قد بين الصبحُ لدى عَيْنين» : يضرب في ظهور الأمر كل الظهور .

وقولهم : «قد أنصف القارة من راماها» القارة : قبيلةٌ قد تقدم ذكرها في الأنساب .

وقولهم : « قبل الرماء ثَملاً الكائن » أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه . ومثله . « قبل الرمي يُراش السهم » : يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها .

وقولهم : « قلب له ظهر الحجن » : يضرب لمن كان لصاحبه على مودة، ثم حال عن عهده .

وقولهم : « قد ألقى عصاه » إذا استقر من سفر أو غيره ، يقال : إنه لما بويج لأبي العباس السفاح ، قام خطيباً فسقط القضيب من يده ، فقام رجل من القوم وأنشد :

فألق عصاه واستقر بها النوى * كما قر عينا بالإياب المسافر

وقولهم : « قد ونى طرفاه » : يضرب لمن ذل وضعف عن أن يتم له أمر ، قال النجاشي :

وإن فلانا والإمارة كالذى * ونى طرفاه بعد ما كان أجدا

وقولهم : « قُدَّتْ سَيُورُهُ مِنْ أَدِيمِكَ » يضرب للشئين يستويان
في الشبه قال الشاعر :

* وَقُدَّتْ مِنْ أَدِيمِهِمْ سَيُورِي *

وقولهم : « قَدْ بَلَغَ الشَّظَاظُ الْوَرَكَيْنِ » الشظاظ : عَوِيدٌ يُجْعَلُ فِي عُرْوَةِ
الْجَوَالِقِ : يضرب فيما جاوز الحد ، وهو كقولهم : جاوز الحزام الطَّيِّينَ .

حرف الكاف

وقولهم : « كَانَ كُرَاعًا ، فَصَارَ ذُرَاعًا » : يضرب للذليل الضعيف صار
عزيزاً قوياً .

وقولهم : « كَلَامٌ كَالْعَسَلِ ، وَفِعْلٌ كَالْأَسَلِ » : يضرب في اختلاف القول
والفعل .

وقولهم : « كُنْتَ تَبْكِي مِنَ الْأَثْرِ الْعَافِي فَقَدْ لَاقَيْتَ أَخْدُودًا » : يضرب
لمن يشكو القليل من الشر ثم يقع في الكثير .

وقولهم : « كُلَّ ذَاتٍ بَعْلٍ سَتَنِيمُ » هذا من أمثال أَكْثَمَ بْنِ صَيْفَى ؛ قال
الشاعر :

أَفَاطِمُ إِنِّي هَا لَكَ فَتَثْبَتِي * وَلَا تَجْزَعِي كُلَّ النِّسَاءِ تَنِيمُ
أى ستفارق زوجها .

وقولهم : « كُلَّ أَزَبٍ نَفُورٌ » قاله زُهَيْرُ بْنُ جَدِيمَةَ لِأَخِيهِ أُسَيْدَ ، وَنَذَرَ الْخَبَرَ
فِي وَقَائِعِ الْعَرَبِ .

وقولهم : « كُلَّ فَتَاةٍ بِأَبْيَاهَا مُعْجَبَةٌ » : يضرب في عجب الرجل بعشيرته ورهطه .

وقولهم : « كَلَّ الصَّيْدُ فِي جَوْفِ الْفَرَا » الفراء : الحمار الوحشي ، أصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيدين ، فأصطاد أحدهم أرنباً ، والآخر ظبياً ، والثالث حمارة ، فتطاولا عليه بصيدهما ، فقال : كل الصيد في جوف الفراء : يضرب لمن يفضل على أقرانه ، وقد تمثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : « كَدَمْتَ غَيْرَ مَكْدَمٍ » : يضرب لمن يطلب شيئاً في غير مطلبه .

وقولهم : « كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَافَتِ الْبَقَرُ » : يضرب في عقوبة البريء بذنب المجرم ، ويأتي ذكر ذلك في أوابد العرب .

وقولهم : « كَالْكَبَشِ يَحْمَلُ شَفْرَةً وَزَنَاداً » : يضرب لمن يتعزز للهلاك .

وقولهم : « كَالْمُسْتَغِيثِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ » : يضرب في الخلتين يجتمعان

١٠ على الرجل .

وقولهم : « كَالْقَابِسِ الْعَجَلَانِ » : يضرب لمن عجل في طلب حاجته .

وقولهم : « كَلَاهُمَا وَتَمْرًا » أقول من قاله عمرو بن حُمران الجعدي ، وذلك أنه مرَّ برجل وبين يديه زُبْدٌ وَسَنَامٌ وَتَمْرٌ ، فقال : أُنلني ممَّا بين يديك ، فقال : أَيْمًا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَزُبْدُ أَمْ سَنَامٌ ؟ فقال : كَلَاهُمَا وَتَمْرًا ، فسارت مثلاً .

وقولهم : « كَالْبَاحِثِ عَنِ الْمُدْيَةِ » يقال : إن رجلاً وجد صيداً ، ولم يكن معه

١٥

ما يذبحه به ، فبحث الصيد بأظلافه في الأرض ، فسقط على شفرة فذبحه بها . يضرب في طلب الشيء يؤدى صاحبه إلى تلف النفس .

وقولهم : « كَذَى الْعُرْيُكُوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ » : يُضْرَبُ فِي أَخْذِ الْبَرِيءِ

بذنب الجاني ، ويأتي ذكره في أوابد العرب .

وقولهم: « كالمحتاض على عَرَضِ السراب » : يُضرب لمن يطمع في محال .

وقولهم: « كل لياليه لنا حنادس » : يُضرب لمن لا يصل إليك منه إلا ما تكره .

حرف اللام

(١٦)

قولهم: « لو ذات سوار لطمتني » معناه لو ظلمني من كان كفئاً لي

لهان على ، ولكن ظلمني من هو دوني ، وهو كقول بعضهم :

فلو أني بليت بهاشمي * خؤولته بنو عبد المدان

لهان على ما ألقى ولكن * تعالى فانظري بمن آبتلاني

وقولهم: « لو غير ذات سوار لطمتني » روى الأصمعي أن حاتماً الطائي

مر ببلاد عترة في بعض الأشهر الحرم فناداه أسير لهم : يا أبا سقانة : أكلني الإيسار

والقمل ، فقال : ويحك ! أسأت إذا نوهت باسمي في غير بلاد قومي ، فساوم القوم به .

ثم قال : أطلقوه وأجعلوا يدي في القيد مكانه ، ففعلوا ذلك ، ثم جاءت أمراًة ببيع

ليفصده فنجده فطمته فقال : لو غير ذات سوار لطمتني ، يعني أني لا أقتص من

النساء ، ثم عُرف ، ففدى نفسه فداءً عظيماً .

وقولهم: « لو ترك القطا ليلاً لنام » قالته امرأة عمرو بن مامة ، وقد نزل عليه

قوم من مُرادٍ ، فطرقوه ليلاً ، فأثاروا القطا ، فرأته أمراًة فنبهته فقال : إنما هذا

القطا ، فقالت : لو ترك القطا ليلاً لنام ، فسار مثلاً : يُضرب لمن حُمِلَ على مكروه

من غير إرادته ، وقيل : إن التي قالته له حذام بنت الريان .

وقولهم: « لبست له جلد النمر » : يضرب في إظهار العداوة وكشفها .

(١) كذا في الميداني . وفي الأصل : « لبس لهم ... الخ » .

وقولهم : «لقد ذلّ من بالت عليه الثعالب» أصله أن رجلا من العرب كان يعبد صنما، فجاء ثعلب فبال عليه، فقال في ذلك :

أربُّ يبُولُ الثُّعْلَابُ^(١) برأسه * لقد ذلّ من بالت عليه الثعالبُ

وقولهم : «ليس هذا بعشك فأدرجى» : يُضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره .

وقولهم : «لم أجد لشفرتي محزّا» : يُضرب عذرا في تعذر الحاجة .

وقولهم : «لو سئلت العارية أين تذهبين لقلت أكسبُ أهلى ذمّا» هذا من كلام أكرم بن صيفى : يُضرب فى سوء الجزاء للنعم .

وقولهم : «ليس من العذل، سرعة العذل» أى لا ينبغي أن تعجل بالعذل قبل أن تعرف العذر .

وقولهم : «ليس التُّدَامَى كالخَوَافَى» : يُضرب عند التفضيل .

وقولهم : «لو كُويت على داءٍ لم أكره» أى لو عوتبت على ذنب ما أمتعت .

وقولهم : «ليس على الشرق طخاءٌ يحجب» أى ليس على الشمس سحاب : يُضرب فى الأمر المشهور الذى لا يخفى على أحد .

وقولهم : «لا كوينه كية المتلوم» أى كيا بليغا، والمتلوم : الذى يتتبع الداء حتى يعلم مكانه ، يُضرب فى التهديد الشديد .

وقولهم : «لأمرٍ ما جدع قصير أنفه» قالته الزباء لما رأت قصيرا مجدوعا، وخبره يأتى فى باب المكاييد .

(١) الثعلبان : ذكر الثعلب، كالأنعموان : لذكر الأفعى، والعقربان : لذكر العقارب .

حرف الميم

قولهم : « ما تنفع الشَّفْعَةُ في الوادي الرَّغْب » الشَّفْعَةُ : المطرة الهينة ، والرَّغْب :
الواسع : يضرب للذي يعطيك قليلا لا يقع منك موقعا .

وقولهم : « ما وراءك يا عصام ؟ » يقال : أول من قال ذلك الحارث بن عمرو
ملك كندة ، وذلك أنه باغاه جمال آبنة عوف بن مُحَيَّم فأرسل إليها امرأة ذات عقل
ولسان ، يقال لها : عصام ، وقال : أذهبي لتعلميني بحالها ، فلما انتهت إليها ونظرتها
خرجت وهي تقول : « تَرَكَ الخِدَاع ، مَنْ كَشَفَ القِنَاع » فذهبت مثلا ، ثم عادت
إليه ، فقال لها : ما وراءك يا عصام ؟ فقالت : « صَرَّحَ المحَضُّ عن الزُّبْد » فأرسلتها
مثلا ، وساق الميداني على هذا المثل كلاما طويلا قالته عصام في وصف أعضاء
المخطوبة .

١٠

وقولهم : « ما يوم حَلِيمَةَ بِسَر » هي حليلة بنت الحارث بن أبي شمر ، كان
أبوها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجت لهم طيبا في مِرْكَنٍ فطيبتهم ، فلما
آتته إلى لبيد بن عمرو وذهبت لتُخلِّقه قبلها ، فلطمته وأتت أباها ، فقال لها :
ويلك ! أسكتي عنه ، فهو أرجاهم عندي ذكاء فؤاد ، وإني مرسله ، فإن قُتل فقد كفى
الله شره ، فسار إلى المنذر بالجيش ، فقتلوا المنذر وكان يوما مشهورا ، ف قيل فيه :
ما يوم حليلة بسر .

١٥

وقولهم : « ما أشبه الليلة بالبارحة » أي ما أشبه بعض القوم ببعض .
وقولهم : « مرعى ولا كالسعدان » قالوا : السعدان أخثر العشب لبنا ،
ومنايته السهول : يضرب مثلا للشئ يفضل على أقرانه وأشكاله ، وأول من قال
المثل : خنساء بنت عمرو بن الشريد ، وقيل : بل قالته امرأة من طيء تزوجها

٢٠

١٧

أمرؤ القيس بن حُجْر الكِنْدِي فقال لها : أين أنا من زوجك الأول ؟ فقالت :
مرعًى ولا كالسعدان ، أى إنك إن كنت رضا فليست كغفلان .

وقولهم : « ماءٌ ولا كصداء » صَدَاءُ : رَكِيَّةٌ عَذْبَةٌ ، قال ضرار السعدى :
وإنى وتهيامى بزئب كالذى * تطلب من أحواض صداء مشربا
معناه أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لفراط حسنها ، كالذى يرد الماء فإنه يزاحم عليه
لفراط عذوبته .

وقولهم : « محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا » هو سالم بن دارة الغطفانى ،
ودارة : أمه ، وكان قد هجا بعض بنى فزارة فأغتاله زُمَيْلٌ فقتله ، ففيه يقول النُكَيْتُ
فلا تُكثروا فيه الضجَّاج فإنه * محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

وقولهم : « ملكت فأسبح » الإسباح : حسن العفو ، أى ملكت الأمر فأحسن
العفو ، وقد تمثل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته ، ونذكر الخبر
فى ذلك فى المغازى .

وقولهم : « من ينكح الحسناء يعط مهرها » أى من طلب حاجة بذل ماله فيها .
وقولهم : « من سره بنوه ساءته نفسه » قاله ضرار بن عمرو الضبي : وكان
ولده ثلاثة عشر رجلا ، كلهم قد غزا ورأس ، فرآهم يوما وأولادهم ، فعلم أنهم لم يبلغوا
هذه الأسنان إلا مع كبر سنه ، فقال : من سره بنوه ساءته نفسه ، فأرسالها مثلا .

وقولهم : « من أشبه أباه فما ظلم » معناه ظاهر .

وقولهم : « من ير يوما ير به » قاله كَلَّح بن شؤبوب الأسدى ، وكان يُغير على
طيء وحده ، فدعا حارثة بن لأم رجلا من قومه يقال له : عترم ، فقال له : أما تستطيع

أن تكفيني مؤونة هذا الخبيث؟ فقال : بلى ، فأرسل عشرة عيون عليه ، فعلموا مكانه فانطلق إليه عترم فوجده نائماً في ظل أراكية فنزل ومعه آخر فأخذ كل واحد منهما بإحدى يديه فانتبه فترع يده اليمنى من مُسكها وقبض على حلق الآخر فقتله وبادر الباقون فأخذوه وشدود وثاقاً وأتوا به حارثة ، فقال له : يا كلاب ، إن كنت أسيراً فطالما أسريت ، فقال : من يَوماً يَر به . فأرسلها مثلاً ، وقال حوذة وهو ابن المقتول لحارثة : أعطنيه أقتله بأبي ، فقال : دونك ! وجعلوا يتكلمون وهو يعالج كتافه حتى آنحل ، ثم وثب على رجله فأتبعوه بالخيول فأعجزهم .

وقولهم : « مَنْ سَلَكَ الْجَدَدَ أَمِنَ الْعَثَارَ » الجَدَدُ : الأرض المستوية : يُضْرَب في طلب العافية .

وقولهم : « مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَذَا أَثَرُهُ ! » قاله الحارث بن ظالم ، وذلك أنه لما قتل خالد بن جعفر بن كلاب بزهير بن جذيمة العبسي على ما نذكره إن شاء الله في وقائع العرب وهرب ، فوجه النعمان فوارس في طلبه فأدر كوه سحراً فعطف عليهم وقتل منهم جماعة وكرّوا عليه فجعل لا يقصد الجماعة إلا فترقها وهو يقول : مَنْ يَشْتَرِي سَيْفِي وَهَذَا أَثَرُهُ ، فارتدعوا عنه وأنصرفوا إلى النعمان .

وقولهم : « مَنْ مَالٍ جَعْدٍ وَجَعْدٌ غَيْرُ مَحْمُودٍ » قاله جعد بن الحُصَيْن أَبُو صَخْر ١٥ ابن جعد الشاعر ، وكان قد كبر ففتقر عنه بنوه وأهله ، وبقيت له جارية سوداء تخدمه ، فعلمت بفتي من الحى يقال له : عَمْرَابَة ، فجعلت تنقل إليه ما في بيت جعد ، ففطن جعد لذلك ، فقال في ذلك :

أبلغ لديك بني عمرو مغلاةً * عمراً وعَوْفاً وما قولى بمردود

بأنّ بيتي أمسى وفق داهية * سوداء قد وعدتني شرّ موعود ٢٠

(١) كذا في الميداني : وفي الأصل : « فوق » .

تُعْطَى عَرَابَةٌ بِالْكَفِّينِ مُجْتَنَحًا * من الخَلْأَوْقِ وتُعْطِينِي عَلَى الْعُودِ
أَمْسَى عَرَابَةٌ ذَا مَالٍ يُسَرُّ بِهِ * من مَالٍ جَعِدٍ وَجَعِدٌ غَيْرُ مَحْمُودٍ
يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يَصَابُ مِنْ مَالِهِ وَيَذْمُ .

وقولهم : « من مَأْمَنَهُ يُوْتَى الْحَذِرُ » قاله أَكْثَمُ بْنُ صَيْفَى .

وقولهم : « من يَمْشِ يَرْضَ بِمَا رَكِبَ » : يَضْرَبُ لِلَّذِي يَضْطَرُّ إِلَى مَا كَانَ
يَرْغَبُ عَنْهُ .

وقولهم : « من يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ » قاله عَقِيلُ بْنُ عَلْقَمَةَ الْمُتْرَى ،
وَقَدْ رَمَاهُ عَمَلَسُ ابْنِهِ بِسَهْمٍ فَخَلَّ نَحْذِيهِ ، فَقَالَ أَبْيَاتًا مِنْهَا :

إِنِّي بَنَى زَقْلَوْنِي بِالْذِمِّ * شَنِشْنَةً أَعْرِفُهَا مِنْ أَحْزَمِ

* من يَلْقَى أَبْطَالَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ *

وقولهم : « من لَا يَذْدُ عَنْ حَوْضِهِ يَهْدَمُ » أَيْ مِنْ لَمْ يَدْفَعْ عَنْ نَفْسِهِ يُظْلَمُ ،
قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ .

وقولهم : « مُكْرَهُ أَخْوَاكَ لَا بَطْلَ » قَالَ أَبُو حَنْشٍ خَالَ بَيْهَسَ : يُضْرَبُ لِمَنْ
يُحْمَلُ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ .

وقولهم : « مَنْ نَامَ لَا يَشْعُرُ بِشَجْوِ الْأَرَقِ » : يُضْرَبُ لِمَنْ غَفَلَ عَمَّا يَعَانِيهِ
صَاحِبُهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ .

حرف النون

وقولهم : « نَفْسُ عَصَامٍ سَوْدَتْ عِصَامًا » هُوَ عَصَامُ بْنُ شَهْبَرٍ حَاجِبُ النُّعْمَانِ
أَبْنِ الْمَنْذَرِ : يُضْرَبُ فِي نِبَاهَةِ الرَّجُلِ مِنْ غَيْرِ قَدِيمٍ ، وَقِيلَ فِي هَذَا :

نَفْسُ عَصَامٍ سَوَدَتْ عَصَامًا * وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

* وَصَيَّرَتْهُ مَالِكًا هُمَامًا *

وقولهم : « نَظْرَةٌ مِنْ ذِي عَالِق » أى من ذى هوى : يضرب لمن ينظر بوَدَّ .

وقولهم : « نَزَّتْ بِهِ الْبِطْنَةُ » : يُضْرَبُ لِمَنْ لَا يَحْتَمِلُ النِّعْمَةَ ؛

قال الشاعر :

فَلَا تَكُونَنَّ كَالنَّازِي بِبِطْنَتِهِ * بَيْنَ الْقَرِينَيْنِ حَتَّى ظَلَّ مَقْرُونَا

وقولهم : « نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِكَا » قال عبد الله بن هَمَّامِ السَّلُولِيّ :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ * نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالِكَا

يُضْرَبُ لِمَنْ يَنْجُو مِنْ هَلَاكَةٍ نَشَبَ فِيهَا شُرَكَاءَهُ وَأَصْحَابَهُ .

وقولهم : « نَامَ عَصَامٌ سَاعَةَ الرَّحِيلِ » : يُضْرَبُ لِمَنْ طَلَبَ الْأَمْرَ بَعْدَ مَا وُلِيَ .

حرف الهاء

قولهم « هُدْنَةُ عَلَى دَخَن » .

وقولهم : « هَذَا أَوَانُ شَدِّكُمْ فَشُدُّوا » .

ومثله قولهم : « هَذَا أَوَانُ الشَّدِّ فَاشْتَدِّي زَيْمٌ » قال الأصمعيّ : زَيْمٌ أَسْمُ

فَرَسٍ : يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُؤْمَرُ بِالْحَدِّ .

وقولهم : « هُوَ عَلَى حَبْلٍ ذِرَاعِكَ » أى الأمر فيه إليك : يُضْرَبُ فِي قَرَبِ

الْمُتَنَاوَلِ ؛ وَحَبْلُ الذِّرَاعِ : عَرَقٌ فِي الْيَدِ .

وقولهم : « هَانَ عَلَى الْأَمْلَسِ مَا لَاقَى الدَّيْرَ » : يُضْرَبُ فِي سُوءِ أَهْتَامِ الرَّجُلِ

بِشَأْنِ صَاحِبِهِ .

وقولهم : « هو بين حاذف وقاذف » الحاذف بالعصا ، والقاذف بالحصى :
يُضْرَب لمن هو بين الشمرين .

وقولهم : « هو على طَرْف الثَّمَام » الثَّمَام : نبت ضعيف سهل المتناول تُسَدُّ به
خِصَاصُ البيوت ، وربما حُشِيَتْ به المخادُّ ، قالوا : إنه ينبت على قدر قامة الإنسان :
يُضْرَب في تسهيل الحاجة وقرب النجاح .

وقولهم : « هي الحمر تُكْنَى الطَّلَاء » : يضرب للأمر ظاهره حسن وباطنه
على خلاف ذلك .

حرف الواو

قولهم : « وافق شَنْ طَبَقَةً » قال الشرقى بن القطامي : كان رجل من دهاة العرب
وعقلائهم يقال له : شَنْ ، قال أنه يطوف البلاد حتى يجد امرأة مثله فيترجوها ، فيبينا
هو في بعض مسيره إذ وافقه رجل في الطريق فسارا جميعا ، فقال له شَنْ : أتحملني
أم أحملك ؟ فقال : أنا راكب وأنت راكب ، فكيف تحملني أو أحملك ! ثم سارا فانتھيا
إلى زرع قد آستحصد ، فقال شَنْ : أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال : لم أر
أجهل منك ، نبتا مستحصدا فتقول : أكل أم لا ! فسكت باثم سارا حتى دخلا القرية
فلقيا جنازة ، فقال شَنْ : أترى صاحب هذا النعش حيا أم ميتا ؟ فقال له الرجل :
ترى جنازة تسأل عنها أميت صاحبها أم حي ! فسكت عنه شَنْ وأراد مفارقتة فأبى
أن يتركه وسار به إلى منزله ، وكان للرجل بنت يقال لها : طبقة ، فلما دخل عاينها أبوها
سأله عن ضيفه ، فقال : مارأيت أجهل منه ، وحدثها بحدثه ، فقالت : يا أبت
ما هذا بجاهل ، قوله : أتحملني أو أحملك ؟ أراد أتحديثني أم أحدثك ، وأما قوله :
أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما الجنازة

فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا؟ فخرج الرجل فقعده مع شنّ فخادته، وقال له :
 أتحب أن أفسر لك ما سألتني؟ قال : نعم . ففسره ، فقال شنّ : ما هذا من كلامك ،
 فأخبرني من صاحبه ؟ فقال : آنية لي ، نخطبها إليه فزوجه إياها وحماتها إلى أهله ،
 فلما رأوها قالوا : وافق شنّ طبقة ، فذهبت مثالا ، يضرب للتوافقين ،
 وقال الأصمعي : هم قوم كان لهم وعاء من آدم فتشنّ فجعلوا له طبقا فوافقه فقبل :
 وافق شنّ طبقة ، ورواه أبو عبيدة في كتابه ، وقال ابن الكلبي : طبقة : قبيلة من
 إياد كانت لا تطاق فأوقعت بها شن بن أفضى بن دُعْمَيٍّ فانتصنت منها وأصاب
 فيها فضربتا ، مثالا ، وأنشد :

لَقِيْتُ شَنَّ إِيَادَا بِالْقَنَا * طَبَقًا وَافَقَ شَنَّ طَبَقَهُ

وقولهم : «وجدتُ الناسَ أَخْبَرُ تَقَلَّه» أصله أَخْبَرُ الناسَ تَقَلَّهْم : يُضْرَب
 في ذم الناس وسوء معاشرتهم .

وقولهم : «وَلَوْ دُ الْوَعْدُ عَاقِرُ الْإِنْجَازِ» : يُضْرَبُ لِمَنْ يَكْثُرُ وَعْدُهُ وَيَقِلُّ نَقْدُهُ .

وقولهم : «وَدَّعَ مَالًا مُودِعُهُ» لأنه إذا استودعه غيره فقد ودَّعه وغرَّ به
 ولعله لا يرجع إليه .

وقولهم : «وَمَوْرِدُ الْجَهْلِ وَبِيءُ الْمَنْهَلِ» : يُضْرَبُ فِي النَّهْيِ عَنْ اسْتِعْمَالِ
 الْجَهْلِ .

ما جاء في ما أوله (لا)

قولهم : « لا مُحَبَّبًا لِعِطْرِ بَعْدِ عَرُوسٍ » ويقال : « لا عِطْرَ بَعْدِ عَرُوسٍ »

أول من قاله امرأة من عُدْرَةَ ، يقال لها : أسماء بنت عبد الله ، وكان لها زوج من

بنى عمّها يقال له : عَمْرُوسٌ ، فمات عنها ، فترّوجها رجل من قومها يقال له نَوْفَلٌ ، وكان أعسرَ أنْجَرَ بَخِيلاً ذَمِيماً ، فلما دخل بها قال : ضُمِّي إِلَيْكَ عِطْرَكَ ، فقالت : لا عِطْرَ بعد عَمْرُوسٍ ، فذهبت مثلاً ، ويقال : إن رجلاً تزوج امرأة ، فلما أهديت إليه وجدها تِفْلَةً فقال لها : أين الطَّيِّبُ ؟ فقالت خَبَأْتُهُ ، فقال لها : لا مَحَبّاً لِعِطْرِ بعد عَمْرُوسٍ : يُضْرَبُ مثلاً لمن لا يُدَّخِرُ عنه نفيسٌ .

وقولهم : « لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ »^(١) : يُضْرَبُ لمن أُصِيبَ وَنُكِبَ مَرَّةً بعد أخرى ، يقال هذا من أمثال النبي صلى الله عليه وسلم قاله لأبي عَزَّةَ الشاعر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسره يوم بدرٍ فَمَنَّ عليه وأطلقه ثم أتاه يوم أُحُدٍ فأسره ، فقال : مُنَّ عَلَيَّ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ » أى لو كنت مؤمناً لم تعد لقتالنا .

وقولهم : « لا أَطْلُبُ أَثْراً بَعْدَ عَيْنٍ »^(٢) أقول من قاله مالك بن عمرو العامري ، وكان من حديثه أن بعض ملوك غسان كان يطالب في بنى عامر ذَحَلًا فأخذ منهم مالكا وسَمَّاكا ابني عمرو العامري فاحتبسهما زماناً ثم دعا بهما ، فقال لهما : إني قاتل أحداً ، فأيكما أقتل ؟ فجعل كل واحد منهما يقول : آقتلني مكان أخى ، فقتل سَمَّاكا وخلق سبيل مالك ، فقال سَمَّاك حين ظن أنه مقتول :

فَأَقْسَمُ لو قَتَلُوا مالكا * لَكُنْتُ لَهُمْ حِيَّةً راصِدةً
برأس سبيلٍ على مَرَقِبٍ * ويوما على طُرُقٍ وارِدةً
فَأَمَّ سَمَّاكٌ فلا تجزعى * فلمموت ما تلد الوالدة

(١) كذا في الأصل . وفي مجمع الأمثال وفرائد اللآل : « لا يلسع » .

(٢) هكذا في الأصل . وفي مجمع الأمثال : « العاملي » باللام . وفي فرائد اللآل : « الباهلي » .

وأنصرف مالك إلى قومه فأقام فيهم زمنا ثم إن ركبا مرّوا وواحد منهم يتغنّى
بقول سماك * فأقسم لو قتلوا مالكا * فسمعتُه أتم سماك ، فقالت : يا مالك قبح الله
الحياة بعد سماك ، أخرج في الطلب فخرج فلحق قاتل أخيه يسير في ناس من قومه فقال :
من أحسن لي الجمال الأحمر ، فقالوا له وقد عرفوه : يا مالك أكفف ولك مائة
من الإبل ، فقال : لا أطالب أثرا بعد عين ، فذهبت مثلا .

وقولهم : « لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا » أصله في الحرباء : يضرب
لمن لا يدع حاجة إلا سأل أخرى .

وقولهم : « لا ماعك أبقيت . ولا حرك أنقيت » ويروى : ولا درنك ؛
أصله أن رجلا كان في سفر ومعه امرأته ، وكانت عاركا فطهرت وكان معها ماء يسير
فاغتسلت به فنقد ولم يكفها لغسلها فعطشا فقال هذا القول فصار مثلا ، وقيل : إن
الذي قاله الضب بن أروى الكلاعي قاله لأمراة عمرة بنت سبيع ، قال الفرزدق :
وكنْتُ كذات الحيض لم تُبقي ماءها * ولا هي من ماء العذابة طاهر

وقولهم : « لا ناقتي في هذا ولا جملي » المثل للحارث بن عباد حين قتل
جساس بن مرة كليباً وهاجت الحرب بين الفريقين وأعتزلها الحارث ، قال الراعي :
وما هجرتك حتى قلت مُعانة * لا ناقة لي في هذا ولا جمل
يُضرب عند التبرؤ من الظلم والإساءة .

وقولهم : « لا ينتطح فيها عنزان » قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وقولهم : « لا ينبت البقلة ، إلا الحملة » الحملة : القراح ، أى لا يلد الوالد
إلا مثله : ويضرب مثلا للكلمة الحسياسة تخرج من الرجل الحسيس .

وقولهم : « لا تَدْخُلْ بين العصا ولِحائها » : يضرب في المتخالفين المتصافين .
 وقولهم : « لا يَحْزُنُكَ دَمٌ هَرَّاقَهُ أَهْلُهُ » قال هذا المثل جَذِيمَةٌ : يُضْرَبُ
 لمن يُوقِعُ نَفْسَهُ فيما لا مَخْلَصَ له منه .

حرف الياء

قوله : « يَدَاكَ أَوْ كَتَا وَفُوكَ نَفَخَ » أصله أن رجلا كان في جزيرة من جزائر
 البحر فأراد أن يعبر على زِقٍ قد نَفَخَ فيه فلم يُحْسِنَ إِحْكَامَهُ ، فلمَّا تَوَسَّطَ البحر
 خرجت منه الريح فغَرِقَ فاستغاث برجل ، فقال له : يَدَاكَ أَوْ كَتَا وَفُوكَ نَفَخَ ، فذهبت
 مثلاً : يُضْرَبُ لمن يَجْنَى على نفسه الحَيْنَ .

وقولهم : « يَسْجُجُ وَيَأْسُو » : يُضْرَبُ لمن يُصِيبُ في التدبير مَرَّةً وَيَخْطِئُ
 أخرى ، قال الشاعر :

إني لأكثر مما سُمْتُني عَجَبًا * يدُ تشجُّ وأخرى منك تأسوني

وقولهم : « يَسِرُّ حَسَوًا فِي آرْتِغَاءٍ » أصله أن الرجل يُوْتَى باللبن فيُظْهِرُ أَنَّهُ
 يريد الرِّغْوَةَ خَاصَّةً فيشربها ، وهو في ذلك ينال من اللبن : يُضْرَبُ لمن يُرِيكَ أَنَّهُ
 يعينك وإنما يَجْرُ النفع إلى نفسه ، قال الكمي :

فإني قد رأيتُ لكم صدودًا * وتَحْسَاءَ بَعْلَةً مَرُتَغِيَا

وقولهم : « يَمْشِي رُوَيْدًا وَيَكُونُ أَوَّلًا » : يُضْرَبُ للرجل يُدْرِكُ حاجته
 في تَوَدَّةٍ وَدَعَةٍ ، وَيُنَشِّدُ فِيهِ :

تسألني أم الوليد جملاً * يمشي رُوَيْدًا وَيَكُونُ أَوَّلًا

وقولهم : « يُصْبِحُ ظِمَانًا وَفِي الْبَحْرِ فَمَهُ » : يُضْرَبُ لمن يعاشر بخيلاً مَثْرِيَا .

وقولهم : « يَمْلَأُ الدَّاءُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ » مأخوذ من قول عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ

مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلُنِي مَا جَدًّا * يَمْلَأُ الدَّاءُ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ

وهو الحبل الذي يُشَدُّ في وسط العَرَّاقِ : يُضْرَبُ لِمَنْ يَبَالِغُ فِيمَا يَلِي مِنَ الْأَمْرِ .

وقولهم : « يَكْوَى الْبَعِيرُ مِنْ لَيْسِيرِ الدَّاءِ » : يُضْرَبُ فِي حَسْمِ الْأَمْرِ الضَّائِرِ

قَبْلَ أَنْ يَعْظُمَ وَيَتَنَاقِمَ .

وقولهم : « يَعُودُ عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُمُّ » وَيُرْوَى : يَعْدُو، مَعْنَاهُ يَعُودُ عَلَى الرَّجُلِ

مَا تَأْمُرُهُ بِهِ نَفْسُهُ فَيَأْتُمُّ، أَيْ يَمْتَثِلُهُ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ رَشِيدٌ، وَرَبَّمَا كَانَ هَلَاكُهُ فِيهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

أَحَارِ بْنِ عَمْرِو كَأَنِّي نَحِرُّ * وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُمُّ

وَمَا يَمْتَثِلُ بِهِ مِنْ أَشْعَارِ الْجَاهِلِيَّةِ

(٢٠)

أَمْرُؤُ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ : قَدْ تَقَدَّمَ مِنْ شَعْرِهِ فِي الْإِسْتِشْهَادِ عَلَى أَمْثَالِ

الْعَرَبِ مَا يُسْتَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَكَانِ .

وَمِنْ شَعْرِهِ :

* وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيقَةِ الرَّجُلِ * * رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ *

* إِنْ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مُصْبُوبٌ *

وَقَالَ أَيْضًا :

وَقَاهُمْ جَدَّهُمْ بِدُنَى أَبِيهِمْ * وَبِالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِتَابُ

وَقَالَ :

فَإِنَّكَ لَمْ يَفْخَرْ عَلَيْكَ كِفَاخَرُ * ضَعِيفٌ وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغْلَبٍ

زُهَيْر بن أَبِي سُلَيْمٍ يَقُولُ :

وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ * وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرِمُ
وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَلِيقَةٍ * وَلَوْ خَالَهَا تَخَفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلِمُ
وَمَنْ لَا يَصَانِعُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ * يُضَرِّسُ بِأَنْيَابٍ وَيُوطَأُ بِمَنْزِمٍ
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرْضِهِ * يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشُّتْمَ يُشْتَمُ
وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ * عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَغْنَى عَنْهُ وَيُذَمُّ
وَمَنْ لَا يَذُدُّ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ * يُهْدَمُ وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمُ
وَمَنْ يَعْصُ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ * مُطِيعُ الْعَوَالِي رُكْبَتُ كُلِّ لَهْذَمٍ

وَقَالَ أَيْضًا :

وَهَلْ يَنْبِتُ الْخَطُّ إِلَّا وَشَيْجُهُ * وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

وَقَالَ أَيْضًا :

وَالسُّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَمَا * يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرٍ

وَقَالَ أَيْضًا :

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ * يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ

يَقُولُ : إِنَّمَا الْحَقُّوْقُ تَصَحَّ بِوَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ : يَمِينٌ أَوْ مُحَاكِمَةٌ أَوْ حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ ؛

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَعَجَّبُ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِمَقَاطِعِ الْحَقُّوْقِ .

الْناْبِغَةُ الذُّبْيَانِي : أَسْمُهُ زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو ، وَيُكْنَى أَبَا أُمَامَةَ ؛ غَلَبَ عَلَيْهِ "الْناْبِغَةُ" ،

لَأَنَّهُ غَبَرَ بُرْهَةً لَا يَقُولُ الشَّعْرَ ثُمَّ نَبَغَ فَقَالَ ؛ وَكَذَلِكَ الْجَعْدِيُّ ؛ وَقِيلَ : إِنَّمَا لُقِّبَ بِالنَّابِغَةِ

لِقَوْلِهِ :

* فَقَدْ نَبَغَتْ لَهُمْ مَنَا شُؤُونُ *

وقيل في نسبه : زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ بن مرة
ابن عوف بن سعد بن ذبيان .

فما يُمَثَّلُ به من شعره قوله :

* فإنك كالإل الذي هو مُدْرِكِي * * فإن مطية الجهل الشباب * *

وقال :

ولست بمُستَبْقٍ أخًا لا تُلْمُهُ * على شعثٍ أيُّ الرجال المهْدَب

وقال أيضا :

استبق ودك للصديق ولا تكن * قَتَبًا يَعْضُ بغاربٍ مباحًا

طرفة بن العبد يقول :

* حَنَانِيكَ بعضُ الشرَّاهون من بعض * * ما أشبه الـيـلـةَ بالـبـارحةِ

وقال أيضا :

سُبْدَى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلا * ويأتيك بالأخبار من لم تُرَوِّد

وقال أيضا :

وأعلمُ علما ليس بالشك أنه * إذا ذلَّ مولى المرء فهو ذليلُ

أوس بن حجرٍ يقول :

فإنكما يابني حُبَابٍ وُجِدْتُمَا * كمن دبَّ يستخني وفي الكفِّ جُلُجُلُ

وقال أيضا :

وما ينهض البازي بغير جناحه * ولا يَحْمِلُ الماشينَ إلا الحواملُ

إذا أنت لم تُعْرِضْ عن الجهل والحنأ * أصبتَ حلما أو أصابك جاهلُ

وقال أيضا :

ولستُ بخابئ أبدا طعاما * حذار غدي لكل غد طعام

بشر بن أبي خازم يقول :

* وأيدي الندي في الصالحين قروض * * كفى بالموت نأيا واغترابا *

المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح يقول :

قليل المال تُصلحه فيبقى * ولا يبق الكثير مع الفساد

وقال أيضا :

لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرع العصا * وما علم الإنسان إلا لعلما

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتي * جعلت لهم فوق العارنين ميسما

وما كنتُ إلا مثل قاطع كفه * بكف له أخرى فأصبح أجذما

وقال أيضا :

ولا يُقيم على ذل يراقبه ^(١) * إلا الأذلان غير السوء والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثي له أحد

الأفوه الأودي ^(٢) يقول :

إنما نعمة دنيا مُتعة * وحياة المرء ثوب مستعار

(١) كذا بالأصل والرواية المشهورة في هذا البيت :

ولن يقيم على خسف يسام به * إلا الأذلان غير الحى والوتد

(٢) ذكرت في صلب أحد الأصلين الفتوغرافيين هذه العبارة : (حاشية : الأفوه لقب واسمه صلاة بن

عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة وكان يقال لأبيه : فارس الشوها . وفيه يقول الأفوه :

أبي فارس الشوها . عمرو بن مالك * غداة الوغى إذ مال بالجد عائر

ووردت أيضا في الأصل الآخر حاشية بهامشه ولم ترد في النسخة الراجية .

وصروف الدهر في أطباقه * حلقة فيها ارتفاع وانحدار

بينما الناس على عيائها * إذ هووا في هوة منها فغاروا

وقال أيضا :

والبيت لا يبتنى إلا له عماد * ولا عماد إذا لم تُرس أوتاد

فإن تجمع أوتاد وأعمدة * وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

تهبدا الأمور بأهل الرأي ماصلحت * وإن تولت فبالأشرار تنقاد

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم * ولا سراة إذا جهالهم سادوا

تميم بن أبي بن مقبل يقول :

خليلى لا تستعجلا وانظرا غدا * عسى أن يكون الرفق في الأمر أرشدا

وقال أيضا :

ما أنعم العيش لو أن الفتى حَجَرُ * تنبوا الحوادث عنه وهو ملموم

حميد بن ثور يقول :

أرى بصرى قد رابى بعد صحة * وحسبك داء أن تصح وتسلما

ولن يلبث العصران يوما وليلة * — إذا طلبا — أن يدركا ما تيمنا

عدى بن زيد يقول :

كنى واعظا للمرء أيام دهره * تروح له بالواعظات وتغدى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدى

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة * على المرء من وقع الحسام المهند

إذا ما رأيت الشر يبعث أهله * وقام جنة الشر للشر فأقعد

(١) كذا بالأصل . والمشهور أن هذا البيت لطرفة بن العبد من معلقته التى مطلعها :

لخولة بأصلال بركة شهيد * تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد

وقال أيضا :

يا راقدا الليل مسرورا بأوله * إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

وقال :

قد يدرك المبطل من حظه * والخير قد يسبق جهد الحريص

وقال :

لو بغير الماء خلق شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصاري

وقال :

فهل من خالدٍ إما هلكنا * وهل بالموت يا للناس عارُ

الأسود بن يعفر يقول :

ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعث إباد

أرض تخيرها لطيب مقلها * كعب بن مامة وابن أتم دؤاد

أهل الخورنق والسدير وبارق * والقصير ذى الشرفات من سداد

جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة * في ظل ملك ثابت الأوتاد

فإذا النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير إلى بلى ونفاد

علقمة بن عبدة يقول :

فإن تسألوني بالنساء فإننى * عليم بأدواء النساء طبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

يرد ثراء المال حيث علمه * وشرخ الشباب عندهن عجيب

وقال أيضا :

وكل حصن وإن طالت إقامته * على دعائمه لا بد مهـدوم
ومن تعرّض للغربان يزجرها * على سلامته لا بد مشـئوم

عمرو بن كلثوم يقول :

وما شرّ الثلاثة أمّ عمرو * بصاحبك الذي لا تصحبينا
وإن غداً وإن اليوم رهن * وبعد غد بما لا تعلمينا

الحارث بن حلزة يقول :

لا تكسع الشول بأغبارها * إنك لا تدري من الناتج^(١)
وأصب لأضيافك ألبانها * فإن شرّ اللبن الواج

حاتم الطائي يقول :

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى * إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
وقد علم الأقوام لو أن حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

وقال أيضا :

وأنت إذا أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الذم أجمعاً

المرقش الأصغر يقول :

ومن يلق خيراً يحمّد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغنى لأنما

النمر بن تولب يقول :

يودّ الفتى طول السلامة جاهدا * فكيف ترى طول السلامة يفعل

(١) كسع الناقة بغيرها : ترك في ضرعها بقية من اللبن . وأغبارها جمع غبر وهو بقية اللبن .

وقال أيضا :

ومتى تُصَبِّك خَصَاصَةً فَارْجُ الْغَنَى * وإلى الذى يَهَب الرغائبَ فارغِب
لا تغضِبَنَّ عَلَى آمْرِئٍ فِي مَالِهِ * وعلى كرائمِ صُلْبِ مَالِكٍ فَاغْضِبْ

وقال :

فلا وأبى الناسُ لا يعلمو * ن للخير خيرٌ وللشرِّ شرٌّ
فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نُسَرُّ

مهلهل بن ربيعة، وأسمه عدى يقول :

أَعِزُّزٌ عَلَى تَغْلِبٍ بِمَا لَقِيتُ * أختُ بنى الأكرمين من جُشَمِ
أَنكِحَهَا فَقَدْ هَا الْأَرَاقِمُ فِي * جَنِبٍ وَكَانَ الْحَبَاءُ مِنْ أَدَمِ
لو بأبَانِينِ^(١) جاء يخطبها * ضَرَجَ مَا أَنْفَ خَاطِبٍ بَدَمِ
ليسوا بأَكْفَأْنَا الْكِرَامِ وَلَا * يَغْنُونُ مِنْ ذَلَّةٍ وَلَا عَدَمِ

طُفَيْلُ الْغَنَوَى يَقُولُ :

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبَتْنَ مَعَا * مِنْهُنَّ هَرٌّ وَبَعْضُ الْمَرْءِ مَا كَوَّلُ
إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ * فَإِنَّهُ وَاجِبٌ لَا يَدَّ مَفْعُولُ

عمرو بن الورد يقول :

وما شاب رأسى من سنين تتابعَتْ * على ولكن شيبَتْنِي الْوَقَائِعُ

وقال أيضا :

ومن يك مثلى ذا عِيَالٍ وَمُقَاتِرَا * من المَالِ يَطْرَحُ نَفْسَهُ كُلَّ مَطْرَحِ
لِيُبْلِغَ عُذْرًا أَوْ يَنَالَ رَغِيْبَةً * وَمُبَالِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مَنْجِجِ

الأعشى : وهو ميمون بن قيس من بنى قيس بن ثعلبة يقول :

كُطِطِحَ صَخْرَةً يَوْمًا لِفَاقِهَا * فلم يَضُرَّهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ

(١) أبانان : جبلان فى نواحي البحرين .

وقال أيضا :

تعالوا فإن الحكم عند ذوى النهى * من الناس كالبلقاء بادٍ مجوِّهًا

وقال أيضا :

ومن يغترّب عن قومه لم يزل يرى * مصارعَ مظلومٍ مجرّأً ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وإن يُسئ * يكن ما أثار النار في رأس كبكبا

وقال أيضا :

عوّدت كندةً عادةً فاصبر لها * اغفر لجاهلها وروّ سجّالها

(١)

لقبط بن معبد يقول :

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم * ثم آفرعوا قد ينال الأمر من فزعا
هيهات ما زالت الأموال مذأبدا * لأهلها — إن أصيبوا مرة — تبعا

تأبط شرّا : وهو ثابت بن جابر يقول :

لتقرعنّ على السنّ من نديم * إذا تذكّرت يوما بعض أخلاق

المثقب العبدى يقول :

فإما أن تكون أخى بحق * فأعرف منك غثى من سمينى
وإلا فاطرحنى وآتخذنى * عدوا أتقيك ونتقينى
فإنى لو تعاندنى شملى * عنادك ما وصلت بها يمينى

المزق العبدى يقول :

فإن كنت ما كولا فكن أنت آكلى * وإلا فأدركنى ولما أمرق

أفنون التغلبى يقول :

لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتقى * إذا هو لم يجعل له الله واقيا

(١) ويقال أيضا : لقط بن (معمر ويعمر) .

الأضبط بن قريع السعدى يقول :

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
لا تحقرن الفقير علك أن * تركع يوما والدهر قد رفعه
واقبل من الدهر ما أتاك به * من قتر عينا بعيشه نفعه

(٢٢)

سويد بن أبي كاهل يقول :

رب من أنضجت غيظا قلبه * قد تمنى لى موتا لم يطع
ويرانى كالشجى فى حلقه * عسرا مخرجه ما ينزع
ويحسينى إذا لاقيته * وإذا يخلو له لخمى رتع

أنهى ما يمثل به من أشعار الجاهلية .

ومما يمثل به من أشعار المخضرمين

المخضرمون : هم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام .

منهم لبيد بن ربيعة ، وفاته سنة إحدى وأربعين ، وعمره مائة سنة وسبع

ونخسون سنة يقول :

وإذا رمت رحيلاً فارتحل * وأعص ما يأمر توصيم^(١) الكسل
وأكذب النفس إذا حدثتها * إن صدق النفس يزرى بالأمل

وقال أيضا :

وما المال والأهلون إلا ودعة * ولا بد يوما أن تردّ الودائع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد إذ هو ساطع

(١) التوصيم فى الجسد : التكسير والفترة والكسل .

وقال أيضا :

كانت قناتي لا تلين لغامز * فالانها الإصباح والإمساء
ودعوت ربي في السلامة جاها * ليصحني فإذا السلامة داء

وقال أيضا :

ذهب الذين يعاش في أكفاهم * وبقيت في خلف بخلد الأجر

وقال أيضا :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن بيك حولا كاملا فقد اعتذر

كعب بن زهير يقول :

ومن دعا الناس إلى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل
مقالة السوء إلى أهلها * أسرع من منحدر سائل

النابعة الجعدى : وهو قيس بن عبد الله ، وقيل حسان بن قيس بن عبد الله
ويكنى النابعة : أبا ليلى ، وهو أسن من الذبياني ، وطال عمره حتى أدرك أيام بني أمية ،
وهو الذى قال له النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يفضض الله فاك " فما سقطت له
سن ، وفي رواية : فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن تنبت له أخرى ، وعاش
عشرين ومائة سنة ، وقيل أكثر . ومما يُمثل به من شعره قوله :

ولا خير في حلم إذا لم يكن له * بواذر تحمى صفوه أن يكذرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له * حليم إذا ما أورد الأمر أصدر

وقال أيضا :

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضرج بالدم

أمية بن أبي الصلت الثقفى يقول :

تلك المكارم لا قعبان من ابن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

حسان بن ثابت يقول :

وإن أمراً يُمسى ويُصبح سالماً * من الناس — إلا ما جنى — لسعيد

وقال أيضاً :

رُبَّ حِلْمٍ أضاعه عَدَمُ الما * لِ وجهٍ غَطَّى عايه النعيمُ

ما أبالى أنب بالحزن تيس * أم لحانى بظهر غيب لئيم

٥

الخطيئة : وأسمه جرول بن أوس بن مخزوم . وقيل : جرول بن أوس بن مالك

ابن غطفان بن سعد ويكنى : أبا مليكة ، والخطيئة لقب غلب عليه ؛ قيل لقب به

لقصره وقربه من الأرض ؛ وقيل : حبى فى مجلس قومه فقال : إنما هى حطاة

فسمى الخطيئة : فها يمثل به من شعره قوله :

مَنْ يفعل الخيرَ لا يَعدَمُ جوازِيه * لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

١٠

دع المكارمَ لا ترحلْ لبغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

وقال أيضاً :

أَقِلُّوا عليهم لا أباً لأبيكم * من اللومِ أوسدوا المكان الذى سَدُوا

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنا * وإن وعدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

متم بن نورة يقول :

١٥

وكنا كندمانى جذيمة حقة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

فلما تفرقنا كانى ومالكا * لطول أجماع لم نبت ليلة معاً

أبو ذؤيب الهذلى يقول :

وتجلدى للشامتين أريهم * أنى لرب الدهر لا أتضعض

وإذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميم لا تنفع

٢٠

والنفس رغبة إذا رغبها * وإذا ترد إلى قليل تقنع

الخنساء : وهي ثَمَاضِرُ بنت عمرو بن الشريد تقول :
وَمَنْ ظَنَ مَنْ يُلَاقِي الحُرُوبَ * بِالْأَيِّ صَابَ فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا
وقالت أيضا :

نُهِنُ النفوسَ وبذل النفوسِ * نس عند الكريمة أبقى لها

عمرو بن معد يكرب يقول :
إذا لم تستطع أمرا فدعه * وجاوزه إلى ما تستطيع
وقال أيضا :

ليس الجمال بمنزَّر * فاعلم وإن رُدَّتْ بُردًا
أن الجمال ماثِر * ومكارم أورثن مجدا

معن بن أوس يقول :
وفي الناس إن رثت حبالك واصل * وفي الأرض عن دار القلي متحول
إذا أنصرفت نفسي عن الشيء لم تكذ * إليه بوجه آخر الدهر تُقبل
وقال أيضا :

أعلمه الرماية كل يوم * فلما آستد ساعده رمانى^(١)

زياد بن زيد يقول :
ولا أتمنى الشرَّ والشرُّ تاركى * ولكن متى أُحمل على الشرِّ أركب
وقال أيضا :

هل الدهر والأيام إلا كما ترى * رزية مالٍ أو فراق حبيب

(١) كذا في النسخة الراجية وأحد الأصولين الفتوغرافيين . وفي الأصل الفتوغرافي : الآخر « اشتد » بالشين

المعجمة . وفي اللسان مادة « سد » : « قال الأصمعي اشتد بالشين المعجمة ليس بشيء الخ » . (انظر اللسان) .

أَيْمَنَ بنُ نُحْرَيْمِ بنِ فَاتِكِ الاسدىّ يقول :

إِنِّ للفتنة مَيْطًا^(١) بَيْنَنَا * فرويدَ المَيْطِ مِنْهَا تَعْتَدِلُ
فَإِذَا كَانَ عَطَاءُ فَاتِهِمْ * وَإِذَا كَانَ قِتَالُ فَاعْتَرَلُ

انتهى ما يُتمثل به من أشعار المخضرمين .

ومما يتمثل به من أشعار المتقدمين فى صدر الإسلام

الْقُطَامَى : وَأَسْمَهُ عُمَيْرِ بنِ شَيْمٍ يقول :

وَمَعْصِيَةُ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا * يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ آسْتَمَاعًا
وَأَخِيرُ الْأَمْرِ مَا آسْتَقْبَلْتَ مِنْهُ * وَلَيْسَ بَأْسٌ تَتَّبِعُهُ أَتْبَاعًا
أَرَاهِمُ يَغْمَزُونَ مِنْ آسْتَرَكُوا^(٢) * وَيَجْتَنِبُونَ مِنْ صَدَقِ الْمِصْبَاعَا
بِذَاكَ وَمَا رَأَيْتِ النَّاسَ إِلَّا * إِلَى مَا جَرَّ جَانِبِهِمْ سِرَاعَا

وقال أيضا :

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَأَنَّى بَعْضَ حَاجَتِهِ * وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ
وَرَبْمَا فَاتَ بَعْضَ الْقَوْمِ أَمْرُهُمْ * مَعَ التَّأَنَّى وَكَانَ الرَّأْيُ لَوْ عَجِلُوا
وَالنَّاسُ مِنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ * مَا يَشْتَهَى وَلَأُمُّ الْمَخْطِئِ الْهَبْلُ

الطَّرِمَاحِ بنِ حَكِيمِ بنِ الْحَكَمِ يقول :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنِّى * بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلِ
وَأَنِّى شَقِيٌّ بِاللَّئَامِ وَلَنْ تَرَى * شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ

الْكَمِيتِ بنِ زَيْدِ الْأَسَدَى يقول :

إِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْأُسْنَةُ مَرْكَبُ * فَلَا رَأْيَ لِلضُّطَّرِّ إِلَّا رَكُوبُهَا

(١) الميط : الشدة والقوة . (٢) استركوا : استضعفوا .

وقال ايضاً :

فيا موقدا نارا لغيرك ضوءها * ويا حاطباً في حبل غيرك تحطبُ

المساور بن هند يقول :

شقيت بنو أسدٍ بشعرٍ مساورٍ * إن الشقيّ بكل حبلٍ يُخْتَقُ

عدى بن الرقاع يقول :

وإذا نظرتُ إلى أميرى زادنى * ضناً به نظرى إلى الأمراءِ
بل ما رأيتُ جبالَ أرضٍ تستوى * فيما غشيتُ ولا نجومَ سماءِ
كالبرق منه وابلٌ متتابع * جودٌ وآخر ما يبضُّ بماءِ
والمرء يورثُ مجده أبناءه * ويموت آخرٌ وهو فى الأحياءِ

الفرزدق : واسمه همّام بن غالب يقول :

فواعجبا حتى كليبٌ تسبى * كأن أباهما نهشلٌ أو مجاشعُ

وقال أيضاً :

ترجى ربيعٌ أن يحيى صغارها * بخيرٍ وقد أعيا عليك كبارها

وقال أيضاً :

فإن تنج منها تنج من ذى عزيمة * وإلا فإنى لا إخالك ناجياً

وقال أيضاً :

يمضى أخوك فلا تلق له خلفاً * والمال بعد ذهاب المال مكتسبُ

وقال أيضاً :

ليس الشفيع الذى يأتىك مؤتراً * مثل الشفيع الذى يأتىك عرياناً

وقال أيضا :

قُلْ لَنْضُرَ والمرء في دولة السد * طان أعمى ما دام يُدعى أميرا
فإذا زالت الولاية عنه * وأستوى بالرجال عاد بصيرا

وقال أيضا :

ولا نالين لسلطان يُكايِدنا * حتى يلين لضرر الماضع المحجور

وقال أيضا :

هل آبنك إلا آبن من الناس فأصبرن * فلن يرجع الموتى حين المآتم

حرير هو آبن الحطَفنى تُوفى سنة عشر ومائة يقول :

إن الكريمة ينصر الكرم آبنها * وآبن اللئيمة للثام نصور

وقال أيضا :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا * أبشر بطول سلامة يا مربع

وقال أيضا :

وآبن اللبون إذا ما لُز في قرين * لم يستطع صولة البزل القناعيس

وقال أيضا :

رأيتك مثل البرق يُحسب ضوءه * قريبا وأدنى ضوءه منك نازح

وقال أيضا :

أما الرجال فجعلان ونسوتهم * مثل القنافذ لا حُسن ولا طيب

الأخطل : وأسمه مالك بن غياث بن غوث ، وقال أبو الفرج الأصبهاني :

أسمه غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن سيحان بن عمرو ، ورفع نسبهُ

إلى جُشَم بن بكر ويكنى : أبا مالك ، قال : وقال المدائني دو غياث بن غوث بن سلمة
ابن طارقة . فمما يمثّل به من شعره قوله :

والناس همُّهم الحياة ولا أرى * طول الحياة يزيد غير خبال
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد * ذخراً يكون كصالح الأعمال
وقال أيضاً :

إن الصنعة تلقاها وإن قدمت * كالعَرَّ^(١) يكن حيناً ثم ينتشر
وأقسم المجد حقاً لا يخالفهم * حتى يحالف بطن الراحة الشعر
وقال أيضاً :

وإذا دعوتك يا أخي فإنه * أحنى إليك مودةً ووصالاً
وإذا دعوتك عمهت فإنه * نسبٌ يزيدك عندهنّ خبالاً
وقال أيضاً :

ضفادعٌ في ظلماء ليل تجاوبت * فدلّ عليها صوتها حياة البحر
وقال أيضاً :

يا مرسل الريح جنوبا وصبا * إن غضبت قيس فزدها غضباً
الصَّلَتَانُ العَبْدِيُّ يقول :

وإن يك بحر الحنظلين واحدا * فما يستوى حيتانه والضفادع
وما يستوى صدر القناة وزجها * وما يستوى في الراحتين الأصابع

كثير عزة : وهو كثير بن عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي ، توفي سنة خمس ومائة
يقول :

وإني وتهيامي بعزة بعد ما * تخلّيت ممّا بيننا وتخلّت

(١) العَرَّ بالفتح وبالضم : الحرب .

٢٤

الكل مرتجى ظل الغمامة كلما * تبوأ منها للمقييل أضحت
فقلت لها يا عز كل مصيبة * إذا وطئت يومها النفس ذلت
هنيئا مريئا غير داء مخامر * اعزّة من أعراضنا ما استحالت

وقال أيضا :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزّة مطول معنى غريمها

وقال أيضا :

ومن لا يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهدا كل عورة * يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب

جميل يقول :

فإن يك حرب بين قومي وبينها * فإني لها في كل نائبة سلم

وقال أيضا :

ولرب عارضة علينا وصلها * بالحد تخلطه بقول الهازل
فأجبتها في القول بعد تسرّ : * حيّ بثينة عن وصالك شاغلي
لو كان في قلبي كقدر قلامه * وصلا وصلتك أو أئتتك رسائي

عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يقول :

ليت هندا أنجزتنا ما تعدّ * وشفت أبادنا فما نجد^(١)
وأسبتدت مرة واحدة * إنما العاجز من لا يستبد

وقال أيضا :

لا تلمني وأنت زيتها لي * أنت مثل الشيطان للإنسان

(١) الرواية المشهورة في هذا البيت : * وشفت أنفسنا مما تجد *

ومما يتمثل به من أشعار المحدثين

منهم إبراهيم بن هرمة يقول :

عجبت أئيلة أن رأيتي مخلقا * ثكلتك أمك أي ذاك يروع
قد يدرك الشرف الفتي ورداؤه * خلق وجيب قميصه مرقوع

وقال أيضا :

كماركة بيضها بالعراء * ومايسة بيض أخرى جناحا

بشار بن برد يقول :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل أخاك فإنه * مقارف ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقال أيضا :

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فإن الخوافي عدة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها * وما خير سيف لم يؤيد بقائم

وقال أيضا :

كبري تشتهى لذيد النكاح * وتفرق من صولة الناكح

وقال أيضا :

أنت من قلبها محل شراب * يشتهى شربه ويخشى صداعه

وقال أيضا :

الحس يلقى والعصا للعبد * وليس للمالحف مثل الرد

وصاحب كالدمل الممد * حملته في رقعة من جلدي

وقال أيضا :

وإذا جفوتَ قطعتُ عنك مَنافعي * والدَّرُّ يقطعُه جفاءُ الحالب

وقال أيضا :

ولو لا الذي خبروا لم أكن * لِأمدحَ رِيحانةً قبلَ شمِّ

وقال أيضا :

تأتى المقيمَ — وما سعى — حاجاته * عددَ الحصى ويخيبُ سعىَ الناصبِ

وقال أيضا :

أنا والله أشتهى سحرَ عيني * كِ وأخشى مصارعَ العشاقِ

وقال أيضا :

نرجو غدا وغداً كحاملة * فى الحى لا يدرون ما تلدُ

وقال أيضا :

تسقط الطيرُ حيث يَنْثُرُ الحبُّ * وتُغشى منازلُ الكرماءِ

ليس يُعطيك للرجاءِ ولا الخو * فى ولكن يلدُ طعمَ العطاءِ

وقال أيضا :

* والصعبُ يُمْكِنُ بعدَ ما جمعا * * وان تَبْلُغَ العَلِيَا بغيرِ الدراهمِ (١)

وقال أيضا :

ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة * يواسيك أو يُسَلِّيك أو يتوجعُ

أبو العتاهية يقول :

* أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ * * وكلُّ غنى فى العيونِ جليلُ *

* روائحُ الجنةِ فى الشبابِ * * وأىُّ الناسِ ليس له عُيوبُ *

(١) فى الأغاني طبع دار الكتب المصرية (ج ٣ ص ٢١٤) : ولا تبلغ العلياً بغير المكارم .

وقال أيضا :

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ * مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ أَيْ مَفْسَدَةٌ

وقال أيضا :

أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا * حَبِيبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ

فَإِذَا أَحْتَجَجْتَ إِلَيْهِ * سَاعَةً مَجَّكَ فَوهُ

وقال أيضا :

مَا يَحْرُزُ الْمَرْءُ مِنْ أَطْرَافِهِ طَرَفًا * إِلَّا تَخَوَّنَهُ النِّقْصَانُ مِنْ طَرَفٍ

وقال أيضا :

يُصَادُّ فُؤَادِي حِينَ أَرْمِي وَرَمِيَّتِي * تَعُودُ إِلَيَّ نَحْرِي وَيَسْلُمُ مِنْ أَرْمِي

وقال أيضا :

وَلَبَّ شَهْوَةٍ سَاعَةً * قَدْ أَوْرَثَتْ حَزَنًا طَوِيلًا

سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو الْخَاسِرُ : وهو مولى أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو
بصريّ. لُقِّبَ الْخَاسِرُ لِأَنَّهُ وَرَثَ مِنْ أَبِيهِ مَصْحُفًا فَبَاعَهُ وَأَشْتَرَى بِثَمَنِهِ طُنْبُورًا ،
وَقِيلَ : بَلْ خَلَّفَ أَبُوهُ مَالًا فَأَنْفَقَهُ فِي الْأَدَبِ وَالشَّعْرِ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَهْلِهِ : إِنَّكَ
لْخَاسِرُ الصَّفْقَةَ ، فَلُقِّبَ بِذَلِكَ . فَمَا يَتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا * وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

لَوْلَا مُنَى الْعَاشِقِينَ مَاتُوا * غَمًّا وَبَعْضَ الْمُنَى غُرُورُ

وقال أيضا :

وَلَوْ مَلَكَتْ عِنَانُ الرِّيحِ تَصْرِفُهُ * فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَا فَاتَكَ الْطَلْبُ

وقال أيضا :

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خَلَائِقِهِ * فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبِيرِ

صالح بن عبد القدوس يقول :

ما يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه
والجاهل الآمل ما في غد * كحفظه في اليوم أو أمسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه
والحمق داء ماله حيلة * ترجى كبعد النجم من لمسه

وقال أيضا :

وإنَّ عناء أن تفهم جاهلا * فيحسب جهلا أنه منك أفهم
متى يبلغ البنيان يوما تمامه * إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وقال أيضا :

إذا وترت أمراً فاحذر عداوته * من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً

وقال أيضا :

شر المواهب ما تجود به * من غير محمّدة ولا أجر

وقال أيضا :

لا تجد بالعطاء في غير حق * ليس في منع غير ذي الحق بخل
إنما الجود أن تجود على من * هو للجود منك والبذل أهل

وقال أيضا :

يشقى رجال ويشقى آخرون بهم * ويسعد الله أقواما بأقوام
وليس رزق الفتى من لطف حيلته * لكن جدود بأرزاق وأقسام
كالصيد يجرمه الرامي المحيد وقد * يرمى فيرزقه من ليس بالرامي

وقال أيضا :

إن يكن ما به أصبت جليلا * فذهاب العزاء منه أجل
كل آتٍ لآتٍ وذكوا الجهم * بل معنى والغم والحزن فضل
ابن ميادة : هو الرقاع بن أبرد كنيته شرحبيل يقول :
واعجبا من خالد كيف لا * يُخطئ فينا مرة بالصواب

وقال أيضا :

وأرانا كالزراع يحصده الده * رُفِن بين قائم وحصيد
وكأننا للوت ركبٌ مُحبو * ن سراع لمنهلٍ مورود
أبو نواس الحسن بن هانئ يقول :

* دع عنك أومي فإن اللوم إغراء * ألا رب إحسان عليك ثقیل *

وقال :

* وللرجاء حدة لا تُجهل * وأى جد بلغ المازح *

وقال أيضا :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

وقال أيضا :

لا أذود الطير عن شجر * قد بلوت المتر من ثمره

وقال أيضا :

وليس لله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وقال أيضا :

صار جدًا ما مزحت به * رب جد ساقه اللعِب

وقال أيضا :

كفى حَزَنًا أَنْ الجَوَادَ مَقْتَرٌ * عليه ولا معروف عند بخيل

وقال أيضا :

وأوبةٌ مشتاقٍ بغير دراهم * إلى أهله من أعظم الحدّان

أبو عَيْنَةَ المهلبي يقول :

* وكيف جُحود القلب والعين تشهد * ولا خير فيمن لا يدوم له عهد *

* وشتان ما بين الولاية والعزل *

وقال أيضا :

وإذا تطاولت الرءو * س فغط رأسك ثم طاطه

عبد الله بن أبي عتبة المهلبي يقول :

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الأعداء

وقال أيضا :

ما كنت إلا كلحم ميت * دعا إلى أكله اضطرار

العبّاس بن الأحنف يقول :

لو كنت عاتبة لسكن روعتي * أملى رضاك وزرت غير مراقب

لكن مللت فما اصدق حيلة * صد الملول خلاف صد العاتب

وقال أيضا :

صرت كأتى ذباله نصبت * تُضيء للناس وهي تَحترق

وقال أيضا :

أرى الطريق قريباً حين أسلكه * إلى الحبيب بعيداً حين انصرف

وقال أيضا :

كفى حَزَنًا أَنْ التَّبَاعَدَ بَيْنَنَا : وَقَدْ جَمَعْتَنَا وَالْأَحْبَبَةَ دَارُ

وقال أيضا :

أَقْمْنَا مَكْرَهَيْنَ بَهَا فَلَمَّا * أَلْفَنَاهَا نَخْرَجْنَا مَكْرَهَيْنَا

وقال أيضا :

* وَلَا خَيْرَ فِي وَدٍّ يَكُونُ بِشَافِعٍ * من عالج الشوق لم يستبعد الدار *

مُسلم بن الوليد : هو مولى الأنصار ، ثم مولى آل أبي أمامة : أسعد بن
زُرَّارَةَ الْخَزْرَجِيِّ وَلَقَّبَ صَرِيحَ الْغَوَانِي ، وَمِمَّا يُتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

دَلَّتْ عَلَى عَيْبِهَا الدُّنْيَا وَصَدَّقَهَا : مَا آسَرَجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أُعْطَانِي

وكان يقول أخذتُ معنى هذا البيت من التوراة .

وقال أيضا :

يَعُدُّ الْمَتَى مَرَّ اللَّيَالِي سَلِيمَةً * وَهَنَ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ عَوَاثِرُ

وقال أيضا :

أَمَّا الْهَجَاءُ فَدَقَّ عَرِضُكَ دُونَهُ * وَالْمَدْحُ عَنْكَ كَمَا عَلِمْتَ جَلِيلُ

فَأَذْهَبَ فَأَنْتَ طَلِيقُ عَرِضِكَ إِنَّهُ * عَرِضٌ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

منصور التَّمَرِيُّ : هو منصور بن الزُّبَيْرِ قَانُ بْنُ سَلَمَةَ . وقيل منصور بن سَلَمَةَ

ابن الزُّبَيْرِ قَانُ بْنُ شَرِيكٍ ، مُطْعِمُ الْكَبِشِ الرَّخْمِ ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَطْعَمَ نَاسًا نَزَلُوا بِهِ وَنَحَرَ
لَهُمْ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا هُوَ بِرَخْمٍ يَجْمُنُ حَوْلَ أَضْيَافِهِ ، فَأَمَرَ أَنْ يُذَبَّحَ لَهُنَّ كَبِشٌ وَيُرْمَى

لَهُنَّ فَفَعِلَ ذَلِكَ وَنَزَلَ عَلَيْهِ فَمَزَّقَنَّهُ ، وَهُوَ آبَنُ مَالِكِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَامِرِ الضَّحَّيَّانِ ، سَمِيَ

بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ سَيِّدَ قَوْمِهِ وَحَاكِمَهُمْ وَكَانَ يَجْلِسُ لَهُمْ إِذَا أَضْحَى النَّهَارُ ، وَهُوَ آبَنُ سَعْدِ

أَبْنُ الْخَزْرَجِ بْنِ تَيْمٍ اللَّهِ بْنِ الْمَرِّ بْنِ قَاسِطٍ بْنِ هَنْبٍ بْنِ أَفْصَى بْنِ دُعْمَى بْنِ جَدِيلَةَ
أَبْنِ أَسَدٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارٍ . فَمَا يُتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

لَعَلَّ لَهَا عَذْرًا وَأَنْتَ تَلُومُ * وَرَبُّ أَمْرِي قَدْ لَامَ وَهُوَ مُلِيمٌ

وقال أيضا :

مَا كُنْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ عِزَّتِهِ * حَتَّى أَنْقَضِي فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعٌ

وقال أيضا :

أَقْلَلُ عِتَابَ مَنْ آسَرْتَبْتَ بُوْدَهُ * لَيْسَتْ تُتَالِ مَوْدَةٌ بِعِتَابِ

الْعَتَابِيُّ : هُوَ كَلْثُومُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ أَيُّوبَ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ حَبِيشَ بْنِ أَوْسَ بْنِ مَسْعُودِ

أَبْنِ عَمْرٍو بْنِ كَلْثُومِ الشَّاعِرِ ابْنِ مَالِكِ بْنِ عِتَابِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُهَيْرِ بْنِ جُشَمِ بْنِ بَكْرِ بْنِ
حَبِيبِ بْنِ عَمْرِ بْنِ غَنَمِ بْنِ تَغْلِبَ . فَمَا يُتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

وَإِنْ عَظِيَمَاتِ الْأُمُورِ مَشُوبَةٌ * بِمَسْتَوْدَعَاتٍ فِي بَطُونِ الْأَسَاوِدِ

وقال أيضا :

وَلِلَّهِ فِي عَرَضِ السَّمَوَاتِ جَنَّةٌ * وَلَكِنَّهَا مُحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ

وقال أيضا :

قُلْتُ لِلْفَرَقْدِينَ وَاللَّيْلِ مُلْقٍ * سُودًا أَكْثَفَهُ عَلَى الْآفَاقِ

إِبْقِيَا مَا بَقِيَتَا سَوْفَ يُرْمَى * بَيْنَ شَخْصِيكُمَا بِسَهْمِ الْفِرَاقِ

أَشْجَعُ السَّلَمِيِّ : هُوَ أَشْجَعُ بْنُ عَمْرٍو أَبُو الْوَلِيدِ ، وَقِيلَ : أَبُو عَمْرٍو مِنْ أَهْلِ الرَّقَّةِ .

فَمَا يُتَمَثَّلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :

نَسِيبُكَ مِنْ أَمْسَى يَنَاجِيكَ طَرْفُهُ * وَلَيْسَ لِمَنْ تَحْتَ التَّرَابِ نَسِيبُ

وقال أيضا :

سبق القضاء بكل ما هو كائن * فليجهد المتقلب المحتال

وقال أيضا :

داء قديم في بني آدم * فتنة إنسان بإنسان

وقال أيضا :

وعلى عدوك يا بن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والإظلام
فاذا تنبه رعته وإذا غفا * سلت عليه سيوفك الأحلام

الجرهمي :

وأعدته ذخرا لكل ميمة * وسهم الرزايا بالذخائر مولع

وقال أيضا :

إذا ما مات بعضك فابك بعضا * فإن البعض من بعض قريب

وقال أيضا :

أرى الحلم في بعض المواطنين ذلة * وفي بعضها عزاً يسود فاعله

وقال أيضا :

ودون الندى في كل قلب ثنية * لها مصعد حزن ومنحدر سهل

وقال أيضا :

العيش لا عيش إلا ما قنعت به * قد يكثر المال والإنسان مفتقر

وقال أيضا :

وهل حازم إلا كآخر عاجز * إذا حل بالإنسان ما يتوقع

محمود الورّاق : هو محمود بن الحسن البغدادي مولى بني زُهرة، ويُكنى
أبا الحسن . فما يُتمثل به من شعره قوله :

وإذا غلا شيءٌ على تركته * فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

وقال أيضا :

ما كنتُ أخفّ عن أحي ثقةٍ * إلّا دمتُ عواقبَ الفحص

وقال أيضا :

الدهر لا يبق على حالة * لا بد أن يُقبل أو يدبر
فإن تلقاك بمكروهه * فأصبر فإن الدهر لن يصبر

وقال أيضا :

إذا كان وجهُ العذريس بواضح * فإن أطراح العذير خير من العذر

محمود بن حازم الباهلي :

ألا إنما الدنيا على المرء فتنةٌ * على كل حال أقبلت أم تولت

وقال أيضا :

وقائل كيف تفرقتما * فقلت قولا فيه إنصافُ
لم يك لي شكلا ففارقته * والناس أشكالٌ وألاف

السّموعل بن عادياء :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه * فكُل رداء يرتديه جميل

وقال أيضا :

إذا كنت ملجئاً مسيئاً ومحسناً * فغشيان ما تهوى من الأمر أكيس

محمد بن أبي ذُرْعَةَ الدِّمَشْقِي :

لَا يُؤْنِسُكَ أَنْ تَرَانِي ضَاحِكًا * كَمْ ضَحْكَةٍ فِيهَا عُيُوسٌ كَامِنٌ

وقال أيضا :

قَدْ يَهْزُ^(١) الْهِنْدِيُّ وَهُوَ حُسَامٌ * وَيُحِثُّ الْجَوَادُ وَهُوَ جَوَادُ

أبو الشَّيْص : واسمه محمد بن رُزَيْن بن تَمِيم بن نَهْشَل ، وأبو الشَّيْص لَقَبٌ
غَلَبَ عَلَيْهِ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو جَعْفَرٍ وَهُوَ عَمُّ دِعْبِل بن عَلِيٍّ . فَمَا يُحْتَمِلُ بِهِ مِنْ شَعْرِهِ قَوْلُهُ :
إِذَا لَمْ تَكُنْ طُرُقَ الْهَوَى لِي ذَلِيلَةً * تَنْكِبُهَا وَانْحَزْتُ مِنْ جَانِبِ السَّهْلِ

عَلَى بن جَبَلَةَ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَنْبَارِيِّ ، وَهُوَ الْمُتَلَقَّبُ بِالْعَكَّوكِ قَالَ :

وَأَرَى اللَّيَالِي مَا طَوْتُ مِنْ شِرَّتِي * رَدَّتْهُ فِي عِظَتِي وَفِي إِفْهَامِي

وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ سَنَنِ الرَّدَى * حَيْثُ الرَّمِيَّةُ مِنْ سِيْهَامِ الرَّامِي

وقال أيضا :

وَخَافْتُ عَلَى التَّطَوَّافِ قَوْمِي وَأَنَا * تُصَابُ غَرَارُ الْوَحْشِ وَهِيَ رُتُوعُ

الْجَلَّاجُ الْحَارِثِيُّ :

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِنْ ذَا الْهَوَى * إِلَى حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوَى بِهِ الرَّجُلُ

وقال أيضا :

إِذَا مَا أَهَانَ أَمْرُؤُ نَفْسَهُ * فَلَا أَكْرَمَ اللَّهُ مِنْ يُكْرِمُهُ

عبد الصَّمَدِ بن المَعْدَل :

لَيْسَ لِي عُذْرٌ وَعِنْدِي بُلْغَةٌ * إِنَّمَا الْعُذْرُ لِمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ

وقال أيضا :

وأعلم أن بنات الرجاء * تُحَلِّ العزیزَ محَلَّ الذلیلِ
وان لیس مُستغنيا بالكثیر من لیس مُستغنيا بالقلیل

وقال أيضا :

أرى الناس أحوثة * فكونوا حديثا حسن
كان لم يكن ما أتى * وما قد مضى لم يكن
إذا وطن رابى * فكل بلاد وطن
إذا عز يوما أخو * ك فى بعض أمر فهن

الحمدونى :

إن المقدم فى حذق بصنعتة * أتى توجه فيها فهو محروم

العتبى :

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها * إن الشباب جنون برؤه الكبر

وقال أيضا :

وحسبك من حادثٍ بامرئ * يرى حاسديه له راحينا

أبو سعيد الخزومى : وأسمه عيسى بن خالد بن الوليد ، والصحيح أنه أبو سعد

لا سعيد . فما يمثّل به من شعره قوله :

وكم رأينا للدهر من أسدٍ * بالت على رأسه ثعالبه

وقال أيضا :

إذا ضنّ الحواد بما لديه * فما فضلّ الحواد على البخيل

وقال أيضا :

ليس لبس الطيالىس * من لباس الفوارس

لا ولا حومة الوغى * كصدور المجالس
وظهور الجياد غير ظهور الطنافس
ليس من مارس الخطو * ب كمن لم يمارس

دعبل بن علي الخزاعي : هو أبو جعفر واسمه محمد ودعبل لقب غلب عليه ،
والدعبل : البعير المسن ، وقيل : الناقة التي معها أولادها . فما يُمَثَّل به من شعره قوله :
لا تعجبي ياسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكي

وقال أيضا :

هي النفس ما حسنته فحسنت * إليها وما قبحتَه فمُقبَح

وقال أيضا :

جئنا به يشفع في حاجة * فاحتاج في الإذن إلى شافع

وقال أيضا :

تلك المساعي اذا ما أترت رجلا * أحب للناس عيباً كالذي عابه
كذلك من كان هدم المجد عادته * فإنه لبناء المجد عيابه

إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

وكل مسافر يزاد شوقاً * إذا دنت الديار من الديار

المؤمل بن أميل :

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتىكم ونعتذر
لاتحسبوني غنياً عن مودتكم * إني إليكم وإن أيسرت مفتقر

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول مولى يزيد بن المهلب يكنى أبا إسحاق ،
وأصله من خراسان . فما يُمَثَّل به من شعره قوله :

ورب أخ ناديتُه لممة * فالفيتُه منها أجل وأعظما

وقال أيضا :

وكنْتُ أَذْمُ إِلَيْكَ الزَّمانَ * فأصْبَحْتُ فِيكَ أَذْمُ الزَّمانِ
وكنْتُ أَعْدُّكَ لِلنَّائِبَاتِ * فهاُنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمانَ

وقال أيضا :

دَنَنْتُ بِأَناسٍ عَنِ تَناءٍ زِيارَةً * وَشَطَّ بِلَيْلى عَنِ دُنُوٍّ مَزَارُها
وَإِنَّ مَقِيماً بِمَنْقَطِعِ الدَّوى * لِأَقْرَبِ مِنْ لَيْلى وَهاَتِيكَ دارِها

أبو عليّ البصير : وهو الفضل بن جعفر الكوفي يقول :
فلا تَعْتَذِرْ بِالشُّغْلِ عَنّا فَإِنَّمّا * تَناطُ بِكَ الْأَمالُ ما أَتَصِلُ الشُّغْلُ

وقال أيضا :

لَعَمْرُ أَيْبِكَ ما نُسَبُّ المَعْلَى * إِلى كَرَمٍ وَفى الدُّنْيا كَرِيمُ
وَلَكِنِّ البَلادَ إِذا أَقْشَعَتْ * وَصَوَّحَ نَبْهاً رُعى الهَشِيمُ

سعيد بن حميد يقول :

* إِنَّ جَهْدَ المَقْلِ غَيْرُ قَلِيلٍ * وَعَلَى المَرِيبِ شَواهِدٌ لا تُدْفَعُ *

وقال أيضا :

وَإِنَّكَ كالدُّنْيا تُذَمُّ صَروْفُها * وَنَوسَعُها سَبًّا وَنَحْنُ عَبيدُها

عليّ بن الجهم يقول :

وَلِكُلِّ حَالٍ مَعْقَبٌ وَلرَبِّما * أَجَلِي لَكَ المَكْرُوهُ عَمّا تَحْمَدُ

وقال أيضا :

وَعاقِبَةُ الصَّبْرِ الجَمِيلِ جَمِيلَةٌ * وَأَفْضَلُ أَخلاقِ الرِّجالِ التَّفَضُّلُ
وَلَا عارَ إِنْ زالَتْ عَنِ المَرءِ نَعمَةٌ * وَلَكِنِّ عارا أَنْ يَزُولَ التَّجَمُّلُ

وقال أيضا :

أَرْضُ لِلْسَائِلِ الْخُضُوعَ وَلِلْقَا * رِفْ ذَنْبًا مَذَلَّةَ الْأَعْذَارِ

ابن أبي فتن : هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور يقول :

أَرَى الدَّهْرَ يُخَلِّقُنِي كُلَّمَا * لَبِسْتُ مِنَ الدَّهْرِ ثَوْبًا جَدِيدًا

وقال أيضا :

سَرَّ مَنْ عَاشَ مَالَهُ فَإِذَا حَا * سَبَّهَ اللَّهُ سَرَّهُ الْإِعْدَامُ

وقال أيضا ،

رَبِّ أَمْرٍ سَرَّ أُخْرَدَ * بَعْدَ مَا سَاءَتْ أَوَائِلُهُ

يزيد بن محمد المهلبى يقول :

* لَا عَارَ إِنْ ضَامَكَ دَهْرٌ أَوْ مَلِكٌ *

وقال :

وَإِنْ النَّاسَ جَمَعَهُمْ كَثِيرٌ * وَلَكِنْ مِنْ تُسَرُّ بِهِ قَلِيلٌ

وقال أيضا :

وَمَنْ ذَا الَّذِى تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا * كَفَى الْمَرْءَ نُبَلًّا أَنْ تَعُدَّ مَعَايِبُهُ

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقول :

فَإِنْ تَلَحَّظْ حَالِي وَحَالَكَ مَرَّةً * بِنَظَرَةٍ عَيْنٍ عَنْ هَوَى النَّفْسِ تُحْجَبُ
تَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَرًّا مِنْ بَوْسٍ عِشْتِي * عَلَيْكَ بِيَوْمٍ مِنْ نَعِيمِكَ يُحْسَبُ

أحمد بن أبي طاهر يقول :

وَدَيْنَ الْفَتَى بَيْنَ التَّمَاكِ وَالنَّهْيِ * وَدُنْيَا الْفَتَى بَيْنَ الْهَوَى وَالتَّغَوَّرِ

وقال أيضا :

حسن الفتى أن يكون ذا حسب * من نفسه ليس حسنه حسبه^{هـ}

أبو تمام حبيب بن أوس الطائي يقول :

* ما الحب إلا للحبيب الأول * لسان المرء من جذم الفؤاد *

* وذو النقص في الدنيا بذى الفضل مولع *

وقال :

ما أب من أب لم يظفر بحاجته * ولم يغب طالب للنجاح لم يخب

وقال أيضا :

ومن لم يسلم للنوائب أصبحت * خلائقه طرأ عليه نوائب

وقال أيضا :

لأمر عليهم أن يتم صدوره * وليس عليهم أن تتم عواقبه

وقال أيضا :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالى

وقال أيضا :

واذا تأملت البلاد رأيته * ثرى كما ثرى الرجال وتعدم

وقال أيضا :

واذا أمرؤ أهدى إليك صنيعه * من جاهه فكأنها من ماله

وقال أيضا :

خلقنا رجالا للتجلد والأسى * وتلك الغوانى للبك والمآثم

وقال أيضا :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهل * ويكدي الفتى في دهره وهو عالم
ولو كانت الأرزاق تجري على الجحا * هلكن إذا من جهلن البهائم

وقال أيضا :

أألفه النحيب كم أفترق * أطل فكان داعية أجمع
ولست فرحة الأبواب إلا * لموقوف على ترج الوداع

وقال أيضا :

وإذا أراد الله نشر فضيلة ^(١) * يوما أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

وقال أيضا :

خشعوا لصولتك التي هي عندهم * كالموت يأتي ليس فيه عار

وقال أيضا :

ذاك الذي قرحت بطون جفونه * مرها وتربة أرضه من إثم

وقال أيضا :

وتركى سرعة الصدر اعتباطا * يدل على موافقة الورود

وقال أيضا :

ولم أر كالمعروف تدعى حقوقه * مغارم في الأقوام وهي مغانم

وقال أيضا :

وإن أمراً ضنت يداه على أمرئ * بنيل يد من غيره لبخيل

كذا في الأصول . والرواية المشهورة كما في ديوان أبي تمام طبع مصر ص ٤٣ : « ... طويت ... الخ » .

أبو عبادة البُحترى، وهو الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملان بن جابر
ابن مسلمة بن مسهر بن الحارث بن خيثم بن أبي حارثة بن جدى بن نزول بن بختر
الطائي . فما يمثّل به من شعره قوله :

جروب
معين التارح
لأهل التارح

* وأبرح ممّا حلّ ما يتوقّع *

وقال أيضا :

* وليس تقترن النعماء والحسد *

وقال أيضا .

* إن المعنى طالب لا يظفر *

وقال أيضا :

* أرى الكفر للنعماء ضربا من الكفر *

وقال أيضا :

* يزين اللاّلى فى النظام آزدواجها *

وقال :

وكان رجائى أن أووب مملّكا * فصار رجائى أن أووب مسلّما

وقال أيضا :

متى أخرجت ذا كرم تخطّى * اليك بيعض أخلاق اللئيم

وقال أيضا :

والشئ يُمنّعه يكون بفوّته * أجدى من الشئ الذى تُعطاه

وقال أيضا :

تناس ذنوب قومك إن حفظ الذنوب إذا قدّمن من الذنوب *

وقال أيضا :

واذا ما خَفِيتُ كُنْتُ حَرِيًّا * أن أرى غير مُصْبِحٍ حيث أُمِسِي

وقال أيضا :

متى أَرَتِ الدُّنْيَا نِبَاهَةً خَامِلٍ * فلا تَنْتَظِرْ إِلَّا نُحْمُولَ نَيْيِهِ

وقال أيضا :

وأرى النِّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا * لِنَجِيبِ قَوْمٍ لَيْسَ بَابُنِ نَجِيبِ

وقال أيضا :

واذا ما الشَّرِيفُ لَمْ يَتَوَاضَعْ * لِلْأَخْلَاءِ فَهُوَ عَيْنُ الْوَضِيعِ

وقال أيضا :

ولم أرَ أَمْثَالَ الرِّجَالِ تَفَاوَتْ * إِلَى الْمَجْدِ حَتَّى عُدَّ أَلْفٌ بِوَاحِدِ

وقال أيضا :

لَيْسَ الَّذِي يُعْطِيكَ تَالِدَ مَالِهِ * مِثْلَ الَّذِي يُعْطِيكَ مَالَ النَّاسِ
وَتَفَاضُلُ الْأَخْلَاقِ إِنْ حَصَّلَتْهَا * فِي النَّاسِ حَيْثُ تَفَاضُلُ الْأَجْنَاسِ

وقال أيضا :

لَا يِيَّاسُ الْمَرْءُ أَنْ يَنْجِيَهُ * مَا يَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّهُ عَظَمُهُ
يَسْرُكُ الشَّيْءُ قَدْ يَسُوءُ وَكَمْ * نَوَّهُ يَوْمًا بِخَامِلٍ لِقَبْهُ

وقال أيضا :

إِذَا مُحَاسِنِي اللَّاتِي أَدُلُّ بِهَا * كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ

وقال أيضا :

وَعَطَاءٌ غَيْرُكَ إِنْ بَذَلَ * بَتَّ عَنَاءُهُ فِيهِ عَطَاؤُكَ

ديك الجحش ، وأسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم بن مجد من أهل حمص يقول :

(١) وشافى النَّصْحُ يُعَدِّلُ بِالْأَشَافِي * وليس القِدر إلا بالأثافي

وقال :

إذا شجر المودّة لم تجدّه * بغيث البرأسرع في الجفاف

وقال أيضا :

يرقدُ الناسُ آمنين وريب الدهر يرعاهمُ بمقلّةٍ إصّ

آبن الرومي يقول :

وكم داخلٍ بين الحميمين مصلح * كما أنغلّ بين العين والجفن مرودٌ

وقال أيضا :

هو بازٍ صائد أرسلته * فأرجعوه سالما إن لم يصد

وقال أيضا :

وما الحمد إلا توعم الشكر في الفتى * وبعض السجايا ينتسبن الى بعض

إذا الأرض ردت ريع ما أنت زارع * من البذر فهمى الأرض ناهيك من أرض

وقال أيضا :

وإذا أتاكَ من الأمور مقدّر * ففرت منه فنجوه نتوجه

وقال أيضا :

كيف ترضى الفقر عرسا لأمري * وهو لا يرضى لك الدنيا أمه

وقال أيضا :

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثر من الصحاب

فإن الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

(١) هكذا ورد في جميع الاصول ولم نوفق الى تحقيقه في المراجع التي بين أيدينا .

عبد الله بن المعتز يقول :

* فإن العيون وجوه القلوب *

وقال أيضا :

* أم الكرام قليلة الأولاد *

وقال أيضا :

* أبطأ فيض الدلاء أملؤها *

وقال أيضا :

اصبر على كيد الحسو * د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضها * إذ لم تجد ما تأكله

وقال أيضا :

ولا هم إلا سوف يفتح قفله * ولا حال إلا للفتى بعدها حال

وقال أيضا :

لا تأمنوا من بعد خير شرأ * كم غصن أخضر عاد جمرا

وقال أيضا :

وإني على إشفاق عيني من البكا * لتجمع مني نظرة ثم أطرق

كما حلت عن ماء ورد طريده * تمت إليه جيدها وهي تفرق

وقال أيضا وإشارته الى الديك :

صفق إما آرتياحة لسنا الـ * فجرو وإما على الدجى أسفا

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم تر أن المرء تدوى يمينه * فيقطعها عمدا ليسلم سائر

فكيف تراه بعد يمينه صانعا * لمن ليس منه حين تدوى سائر

وقال أيضا :

ألا قبّح الله الضرورة إنَّها * تكلف أعلى الخلق أدنى الخلائق

وقال أيضا :

وكم قائل قد قال مالك راجلا * فقلت له من أجل أنك فارس

وقال أيضا :

ومن سرّه ألا يرى ما يسوءه * فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدًا

ابن طباطبّا العلوى : هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوى الأصهبانى يقول :

إن فى نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد عند السرف

كسراج دهنه قوت له * فإذا غرقت فيه طفى

وقال أيضا :

لقد قال أبو بكر * صوابا بعد ما أنصت

خرجنا لم نصد شيئا * وما كان لنا أفلت

وقال أيضا :

يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا * علما ورد من الصبا أياما

منصور الفقيه المقرئ يقول :

يا من يخاف أن يكو * ن ما أخاف سرمدًا

أما سمعت قولهم * إنَّ مع اليوم غدا

وقال أيضا :

الملح يصلح كل ما * يخشى عليه من الفساد

فإذا الفساد جرى عليه * فحكمه حكم الرماد

وقال أيضا :

كلُّ مذكورٍ من الناس إذا ما * فمُـدَّوه صار في حكم الرماد

وقال أيضا :

كلُّ مذكورٍ من الذئب * س إذا ما فقدوه

صار في حكم حديث * حفظوه ونسوه

وقال أيضا :

كلُّ من أصبح في دهـ * يرك من قد تراه

هو من خلفك مقرا * ض وفي الوجه مراد

ابن بسام : هو علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام كنيته أبو الحسن يقول

* وكم أمنية جلبت منه *
١٠

وقال :

ولولا الضرورة ما جئتكم * وعند الضرورة يؤتى الكنيف

وقال أيضا :

قل لأبي القاسم المرجى * قابلك الدهر بالعجائب

مات لك أبنٌ وكان زينا * وعاش ذوالشين والمعائب

حياة هذا كموت هذا * فليست تخلو من المصائب

وقال أيضا :

ربُّ يوم بكيت منه فلما * جزت في غيره بكيت عليه

وقال أيضا :

قد يحمل الشيخُ الكبير * رُجْنازةَ الطفل الصغير

بَحْظَةٌ : هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك
النديم يقول :

* وللساكين أيضا بالندى وَلَعُ *

وقال أيضا :

* وآفة التبرِ ضَعْفُ مُنْتَقِدِهِ *

وقال أيضا :

* متى يلتقى الميْتُ والغاسِلُ *

وقال أيضا :

لا تَعْدَنَّ للزمانِ صديقًا * وأعدّ الزمان للأصدقاء

وقال أيضا :

وما كَذَبَ الذي قد قال قَبْلِي * إذا ما مرَّ يومٌ مرَّ بَعْضِي

وقال أيضا :

إذا الشَّهر حَلَّ ولا رزقَ لِي * فَعَدِّي لأيامه باطلُ

وقال أيضا :

وإذا جفاني جاهِلُ * لم أستخر ما عشتُ قطعَه

وجعلته مثل القبو * رَأَزوره في كُلِّ جمعه

الصنوبري يقول :

مَحَنَ الفتي يُخْبِرَنَّ عن فضلِ الفتي * كالنارِ مخبِرةٌ بفضْلِ العنبرِ

وقال أيضا :

رَبِّ حَالٍ كأنها مُذْهَبُ الدِّيبِ * سَبَاحَ صارت من رِقَةٍ كاللَّاذِ

(١)

(١) اللادة : ثوب حرير أحمر صيني ، والجمع لاذ .

وزمانٍ مثل آبنة الكرم حسنا * عاد عند العيوف مثل الداذي^(١)
أو ما من فساد رأى الليالى * أن شعري هذا وحالى هذى^(٢)

أبو الفتح كشاجم : هو محمود بن الحسين بن السندی بن شاهك ، وشاهك
أُمّه يقول :

يُعاد حديثه فيزيد حسنا * وقد يستقبح الشيء المعاد

وقال أيضا :

شخص الأنام إلى جمالك فاستعد * من شتر أعينهم بعيب واحد

✱ ✱

ومما يمثّل به من أشعار المولّدين : منهم

أبو فراس الحمداني :

غنى النفس لمن يعقد * بل خير من غنى المال
وفضل الناس في الأنف * س ليس الفضل في الحال

وقال أيضا :

ونحن أناس لا توسّط عندنا * لنا الصّدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن خطّب الحسناء لم يغلبها مهر

وقال أيضا :

وندعو كريما من يجود بماله * ومن يبذل النفس النفيسة أكرم

وقال أيضا :

وجميل العدو غير جميل * وقبيح الصديق غير قبيح

(١) العيوف : الأبي وفي الأصول : (العيون) وهو تحريف .

(٢) الداذي : — جاء على لفظ النسب وليس بنسب — شراب مسكر ، قال الشاعر :

شربنا من الداذي حتى كأننا * ملوك لنا برّ العراقيين والبحر

أبو الطيب المتنبّي يقول :

* مصائب قوم عند قوم فوائد *

وقال أيضا :

* إن المعارف في أهل النّهي ذمّ *

وقال أيضا :

* وخير جليس في الزمان كتاب *

وقال أيضا :

* وتأبى الطباع على الناقل *

وقال أيضا :

* ومنفعة الغوث قبل العطب *

وقال أيضا :

* ومن فرح النفس ما يقتل *

وقال أيضا :

* اذا عظم المطلوب قلّ المساعد *

وقال أيضا :

* أنا الغريق فما خوفي من البلل *

وقال أيضا :

* فإن الرفق بالحنى عتاب *

وقال أيضا :

* بغیض الى الجاهل المتعاقل *

وقال أيضا :

وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان يُنبِت العزّ طيب

وقال أيضا :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
ووضع الندي في موضع السيف بالعلأ * مضرك وضع السيف في موضع الندي

وقال أيضا :

والأمر لله رب مجتهد * ما خاب إلا لأنه جاهد

وقال أيضا :

وليس يصح في الأفهام شيء * إذا احتاج النهار إلى دليل

وقال أيضا :

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدو له ما من صداقه بُد

وقال أيضا :

وإذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الأجسام

وقال أيضا :

وإن يكن الفعل الذي ساء واحدا * فأفعاله الآتي سرر ألوف

وقال أيضا :

وإذا أتت مذمتي من ناقص * فهي الشهادة لي بأني فاضل

وقال أيضا :

وما الحسن في وجه الفتى شرفا له * إذا لم يكن في فعله والخلائق

وقال أيضا :

وما يوجع الحرمان من كف حارم * كما يوجع الحرمان من كف رازق

وقال أيضا :

إنا لفي زمن ترك القبيح به * من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته * ما قاته وفضول العيش أشغالاً

وقال أيضا :

وقيدت نفسي في ذراك محبة^(١) * ومن وجد الإحسان قيّداً تقيداً

وقال أيضا :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
السرى بن أحمد بن السرى الموصلى يقول :

إذا العبء الثقيل توزّعته * أكف القوم هان على الرقاب

وقال أيضا :

فإنك كلما استودعت سرّاً * أنتم من النسيم على الرياض

وقال أيضا :

إلى كم أحبر فيك المديح * ويأقى سواى لديك الحُبورا

أبو بكر محمد بن هاشم الخالدى يقول :

إن خانك الدهر فكن عائداً * بالبيد والظلماء والعيس

ولا تكن عبد المني فالمني * ربوس أموال المفاليس

وقال أيضا :

وأخ رخصت عليه حتى ملنى * والشئ مملول إذا ما يرخص

ما في زمانك ما يعزّ وجوده * إن رمته إلا صديق مخلص

(١) كذا في الأصول . وفي ديوانه طبع مصر : « في هواك » .

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالديّ [أخوه] يقول :

يا هذه إن رحمتُ في * خَلَقَ فما في ذاك عارُ
هذي المدام هي الحيا * ة قيصها خرقُ وقَارُ

وقال أيضا :

صغيرٌ صرفتُ إليه الهوى * وما خاتمٌ في سوى خنصر

الحبّاز البلديّ : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان ، نسبة الى "بلد" وهي
من بلاد الجزيرة التي منها الموصل يقول :

إذا استثقلت أو أبغضتَ خلقًا * وسرّك بعده حتى التنادِ
فشرّده بقرض دُرهمات * فإن القرض داعيةُ الفسادِ

أبو إسحاق الصبائي يقول :

نعمُ الله كالوحوش وما تأ * لف إلا الأخير النساكا
نفرتها آثامُ قوم وصارت * لأولى البر والتقى أشراكا

وقال أيضا :

ومن الظلم أن يكون الرضا سـُـرا ويبدو الإنكار وسطَ النادى

وقال أيضا :

الضب والنون قد يُرجى التقاءهما * وليس يرجى التقاء اللب والذهب

عبد العزيز عمر بن نباته يقول :

فلا تحقرن عدوا رماك * وإن كان في ساعديه قصرُ
فإن السيوف تحزّ الرقاب * وتعجز عما تنال الإبر

وقال أيضا :

مَثَلُ خَلَعْتُ عَلَى الزَّمَانِ رِدَاءَهُ * عَوَزُ الدَّرَاهِمِ آفَةُ الْأَجْوَادِ

وقال أيضا :

يَهْوَى الثَّنَاءَ مُبَرِّزًا وَمُقَصِّرًا * حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

وقال أيضا :

وَنَبَتُ بِنَا أَرْضُ الْعِرَاقِ * قِفَا مَحَنَاتِهَا بِمَحْنِهِ
غَيْرِ الرَّحِيلِ كَفَى الْبَلَاءِ * دَبْرُ حِلَّةِ النُّجَبَاءِ هُجْنُهُ

ابن لنكك البصريّ : هو أبو الحسين محمد بن محمد يقول :

وماذا أُرْجَى مِنْ حَيَاةٍ تَكَدَّرَتْ * وَلَوْ قَدْ صَفَتْ كَانَتْ كَأَضْغَاثِ أَحْلَامِ

وقال أيضا :

عَدْنَا فِي زَمَانِنَا * عَنْ حَدِيثِ الْمَكَارِمِ
مَنْ كَفَى النَّاسَ شَرَّهُ * فَهُوَ فِي جُودِ حَاتِمِ

وقال أيضا :

جَارُ الزَّمَانِ عَلَيْنَا فِي تَصَرُّفِهِ * وَأَيُّ دَهْرٍ عَلَى الْأَحْرَارِ لَمْ يَنْجُرِ
عِنْدِي مِنَ الدَّهْرِ مَا لَوْ أَنَّ أَيْسَرَهُ * يُلْقَى عَلَى الْفَلَكَ الدَّقْوَارِ لَمْ يَدُرِ

أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلاميّ يقول :

تَبَسَّطْنَا عَلَى الْآثَامِ لَمَّا * رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذُّنُوبِ

وقال أيضا :

وَالْمَرْءُ مَا شَغَلَتْهُ فُرْصَةٌ لَذَّةٌ * نَاسِيَ الْحَوَادِثَ آمِنَ الْحَدَثَانِ

وقال :

وَكَانَ رِقَادِي بَيْنَ كَأْسٍ وَرَوْضَةٍ * فَصَارُ سَهَادِي بَيْنَ طَرِيفٍ وَصَارِمِ

وقال أيضا :

ركوبُ الهولِ أركبك المذاكي^(١) * وأبش الدرع ألبسك الغلائلُ

أبو الفرج البيهقي يقول :

ما الذل إلا تتحمل المن * فكن عزيزاً إن شئت أوفهين

وقال أيضا :

ومن طلب الأعداءَ بالمال والظبا * وبالسعد لم يبعد عليه مرامُ

وقال أيضا :

ولم أرُ مذ عرفتُ محلَّ نفسي * بلوغَ مني تساوى حملَ منَّ

وقال أيضا :

أكلٌ وميضُ بارقةِ كذوبُ * أما في الدهرِ شيءٌ لا يريب

ابن سكرة الهاشمي : هو محمد بن عبد الله يقول :

* وعلة الحال تُنسى علة الجسد *

وقال أيضا :

* وقد ينبت الشوك بين الأقاحي *

وقال أيضا :

الموت أنصف حين عدل قسمة * بين الخليفة والفقر البائس

ابن الحجَّاج : هو عبد الله الحسين بن أحمد بن الججاج يقول :

* وربَّ كلام تُستثار به الحربُ *

وقال أيضا :

* خُود تُزفُّ إلى ضريرٍ مُقعد *

(١) المذاكي : الخيل التي تم سنّها وكملت قوتها .

وقال أيضا :

واللوزة المـترّة يا سادتي * يفسد في الطّعم بها السكّر

وقال أيضا :

مازلت أسمعكم من واقفٍ نجـيل * حتى أبتليتُ فكنتُ الواقفَ الخجـالَ

وقال أيضا :

وبى مرضان مختلفان حال الـ * عـليـلة منـهما تُـمـسـى بحـالـى

إذا عـالـجتُ هـذا جفّ كـبـدى * وإن عـالـجتُ ذاك ربّا طـحـالـى

أبو الحسن الموسوى النقيب : هو محمد بن الحسين بن موسى يقول :

أمسيتُ أرحمُ من قد كنتُ أغـبطـه * لقد تقارب بين العـزّ والهـوـن

ومنظـيرٍ كان بالسـرّاء يضحكنى * يا قـرب ما عاد بالضـرّاء يـبـكـنـى

وقال أيضا :

والحـز من حذر الهـوا * ن يـزاول الأمر الجـسـيـا

وهو العـظـيم وغير بدّ * عـ منه إن ركب العـظـيـا

وقال أيضا :

ما السُّودُّ المطلوب إلّا دون ما * يُومى اليـه السُّودُّ المـولـودُ

فاذا هما آتفقا تكسرت القنا * إن غـالـبـا وتضعـضـع الجـلـمـودُ

وقال أيضا :

اشـتر العـزّ بـما بيـ * ع فـما العـزّ بـغـالـى

بالقـصار البـيـض إن شـدّ * ت أو السُّمـر الطـوـالـى

ليس بالمـغـبون عـقـلا * مشـتر عـزّا بـمـالـى

إنما يُدْخِرُ المَا * لِحَاجَاتِ الرِّجَالِ

والفَتَى من جَعَلَ الأَمَّ * بَوَالِ أَثْمَانِ المَعَالِ

أبو طالب المأمونيّ يقول :

لِي فِي ضَمِيرِ الدَّهْرِ سِرٌّ كَامِنٌ * لَا بَدَأُ أَنْ تَسْتَلَّهَ الأَقْدَارُ

وقال أيضا :

وَمَا شَرَفَ الْإِنْسَانُ إِلَّا بِنَفْسِهِ * أَكَانَ ذُووَهُ سَادَةَ أُمِّ مَوَالِيَا

وقال :

إِذَا الْغَيْثُ وَفَى الرُّوْضَ وَاجِبَ حَقِّهِ * وَزَادَ فَإِنَّ الْغَيْثَ لِلرُّوْضِ ظَالِمٌ

(٣١)

ابن العميد : هو أبو الفضل محمد بن أبي عبد الله الحسين بن محمد، عُرف

بابن العميد، كان أبوه أبو عبد الله وزير مرداويج توفي ابن العميد بالرّية في محترم
سنة ستين وثلثمائة يقول :

إِنْ يَصْرِفَ الدَّهْرَ مِنْ سَجِيَّتِهِ * أَرَبَ أَرِيبَ وَحَوْلَ ذِي حَيْلٍ

أَيُّ مَعِينٍ صَفَا عَلَى كَدْرِ الدَّهْرِ وَأَيُّ النِّعَمِ لَمْ يَزِلْ

وقال أيضا :

مَنْ يُشَفِّ مِنْ دَاءٍ بَاخِرٍ مِثْلِهِ * أَثَرْتُ جَوَانِحِهِ مِنَ الأَدْوَاءِ

داوَى جَوَى بِجَوَى وَلَيْسَ بِحَازِمٍ * مَنْ يَسْتَكْفِ النَّارَ بِالْحَافِئَاءِ

الصاحب بن عباد : هو أبو القاسم إسماعيل بن عباد . توفي في صفر

سنة خمس وثمانين وثلثمائة وعمره خمس وستون سنة وسمى بالصاحب لصحبة ابن
العميد يقول :

* بِقَدْرِ الِهْمُومِ تَكُونُ الِهْمَمُ * كَمْ صَارِمٍ جُرِّبَ فِي خَتَرٍ *

وقال أيضا :

لقد صدقوا والراقصات الى منى * بأن مودات العدا ليس تنفع
ولو أنى داريت دهرى حية * اذا استمكنت يوما من اللسع تلسع

الحسن بن على بن عبد العزيز القاضى يقول :

* القلب يدرك ما لا يدرك البصر * * يملك الأحرار بالإيناس *

وقال أيضا :

وما أعجبتنى قط دعوى عريضة * واوقام فى تصديقها ألف شاهد

وقال أيضا :

يقولون لى فىك أنقباض وإنما * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجا
اذا قيل هذا مورد قلت قد أرى * ولكن نفس الحر تحمل الظما

وقال أيضا :

وقالوا اضطرب فى الأرض فالرزق واسع * فقلت ولكن مطلب الرزق ضيق
اذا لم يكن فى الأرض حر يعينى * ولم يك لى كسب فمن أين أرزق

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى يقول :

* ومن عجب الأيام ترك التعجب *

وقال أيضا :

* لكل صناعة يوما مديل *

وقال أيضا :

واذا مدة الشقى تاهت * جاءه من شقائه متقاضى

وقال أيضا :

عليك بإظهار التجلّد للعدا * ولا تظهرن منك الدنو فتحقرا

بديع الزمان أبو الفضل الهمداني، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد
توفي سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموما، وأوفي على الأربعين سنة يقول :

يا حريصا على الغنى * قاعدا بالمراصد
لست في سعيك الذي * خضت فيه بقاصد
إن دنياك هذه * لست فيها بخالد
بعض هذا وإنما * أنت ساع لقاعد

إسماعيل الناشئ يقول :

* وللشباب تراعى حرمة الكتم^(١) *

وقال أيضا :

وكنت أرى أن التجارب عتة * نخانت ثقات الناس حتى التجارب

وقال أيضا :

فركضا في ميادين التصابي * أحق الخيل بالركض^(٢) المعار

وقال أيضا :

ولا تجزعن على أيكة * أبت أن تظلك أغصانها

أبو الفتح علي بن محمد البستي يقول :

إذا مرّ بي يوم ولم ألتخذ يدا * ولم أستفد علما فما ذاك من عمري

وقال أيضا :

أنا كالورد فيه راحة قوم * ثم فيه لآخرين زكام

(١) الكتم : نبات يخضب به .

(٢) المعار : الفرس المضمرة .

وقال أيضا :

لا ترجُ شيئًا خالصا نفعُهُ * فالغيث لا يخلو من العيث

وقال أيضا :

ولم أرَ مثلَ الشكرِ جَنَّةَ غارِس * ولا مثلَ حَسَنِ الصبرِ جَنَّةَ لايس

وقال أيضا :

ولن يشرب السمَّ الزُّعافُ أخوالِ الحجا * مُدِلًّا بدرياقٍ لديه مجرَّب

وقال أيضا :

ما آسَتْقامتُ قناةُ رأيَ إلا * بعدَ أن عَوَجَ المشيبُ قناتي

وقال أيضا :

وطولِ جِمامِ الماءِ في مُستقرِّه * يغيِّره لونا وريحا ومطعما

وقال أيضا :

إذا حيوانٌ كان طعمةً ضده * توقاه كالفأر الذي يتقى الهرأ

ولا يشكُّ أن المرءَ طعمةٌ دهره * فما باله يا ويحه يأمن الدهرا

وقال أيضا :

لا تحقرِ المرءَ إن رأيت به * دمامةً أو رثاةَ الحُلل

فالنحلُ شيءٌ على ضؤولته * يَشْتارُ منه الفتى جَنَى العسل

الباب الثاني

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أوابد العرب

ومعنى الأوابدِ ها هنا : الدواهي ؛ وهى مما حى الله تعالى هذه الملة الإسلامية منها ، وحذر المؤمنين عنها . فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ وقال تعالى : ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ . وكانت للعرب أوابد جعلوها بينهم أحكاما ونسكا وضلالة وعادة ومداواة ودليلا وتفاؤلا وطيرة . فمنها :

البحيرة :

١٠

قالوا : كان أهل الوبر يعطون لآلهتهم من اللحم ، وأهل المدر يعطون لها من الحرث ، فكانت الناقة اذا أنتجت خمسة أبطن عمدوا الى الخامس ما لم يكن ذكرا فشققوا أذنها ، فذلك : البحيرة ؛ فربما اجتمع منها هجمة من البحر فلا يُنَزُّ لها وبر ولا يذكر عليها إن ركب اسم الله ، ولا إن حمل عليها شيء ، فكانت ألبانها للرجال دون النساء .

١٥

الوصيلة :

كانت الشاة اذا وضعت سبعة أبطن عمدوا الى السابع ، فان كان ذكرا ذُبح ، وإن كانت أنثى تركت في الشاء ، فان كان ذكرا وأنثى قيل : وصلت أخاها ، فخرما جميعا ، وكانت منافعها ، ولبن الأنثى منها للرجال دون النساء .

السائبة :

كان الرجل يسبب الشيء من ماله ، إما بهيمة أو إنسانا ، فتكون حراما أبدا ،
منافعها للرجال دون النساء .

الحامى :

كان الفحل إذا أدركت أولاده فصار ولده ^(١) جدا قالوا : حمى ظهره ، أتركوه ،
فلا يحمل عليه ولا يركب ولا يمتنع ماء ولا مرعى . فإذا ماتت هذه التي جعلوها
لآلهتهم ، أشترك في أكلها الرجال والنساء ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ
هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ﴾
قالوا : وكان أهل المدر والحريث إذا حرثوا حرثا ، أو غرسوا غرسا ، خطوا
في وسطه خطأ ، فقسموه بين اثنين فقالوا : ما دون هذا الخط لآلهتهم ،
وما وراءه لله ، فإن سقط مما جعلوه لآلهتهم شيء فمما جعلوه لله ردوه ، وإن سقط
مما جعلوه لله فمما جعلوه لآلهتهم أقروه ، وإذا أرسلوا الماء في الذى لآلهتهم ، فانفتح
في الذى سموه لله سدوه ، وإن أنفتح من ذلك في هذا قالوا : أتركوه فإنه فقير إليه ،
فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ
بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصُلُّ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصُلُّ
إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

الأزلام :

قالوا : كانوا إذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يريدونه ، ولا يدرون ما الأمر
فيه ولم يصح لهم أخذوا قداحا لهم ، فيها : أفعل ولا أفعل لا يفعل ، نعم لا خير ،

(١) هكذا في الأصول ، والذي في بلوغ الأرب للالوسى ولسان العرب مادة حمى عن الحامى جملة أقوال
فقال الفراء : هو الفحل إذا لقح ولدوله فتدحمى ظهره ، وقيل : الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن ، وقيل غير ذلك .

شُرْبَطِيٌّ سَرِيعٌ ، فأما المداراة : فإن قَداحاً لهم فيها بيضا ليس فيها شيء فكانوا يجيلونها
فمن خرج سهمه فالحق له . وللخضر والسفر سهمان ؛ فيأتون السادن من سدة
الأوثان فيقول السادن : اللهم أيهما كان خيراً فأخرجه لفلان ، فيرضى بما يخرج له .
فإذا شكوا في نسب الرجل أجالوا له القَداح وفيها : صريحٌ ، وملصقٌ ؛ فإن خرج
الصريح ألحقوه بهم ، وإن خرج الملصق نفوه وإن كان صريحاً ، فهذه قَداح
الاستقسام .

الميسر :

قالوا في الميسر : إن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجزور بينهم ، فيفصلونها
على عشرة أجزاء ؛ ثم يؤتى بالحُرْضة وهو رجل يتأله عندهم لم يأكل لحماً قط بئس ،
ويؤتى بالقَداح وهو أحد عشر قَدحاً ، سبعة منها لها حظٌ إن فازت ، وعلى أهلها
غرم إن خابت ، بقدر ما لها من الحظ إن فازت ، وأربعة يُنقل بها القَداح ، لا حظ
لها إن فازت ، ولا غرم عليها إن خابت .

فأما التي لها الحظ : فأولها الفَدُّ في صدره حرٌّ واحد ، فإن خرج أخذ نصيباً ،
وإن خاب غرم صاحبه ثمن نصيب ؛ ثم التوعم ، له نصيبان إن فاز ، وعليه ثمن نصيبين
إن خاب ؛ ثم الضَّريب ، وله ثلاث أنصباء ؛ ثم الحُلُس ، وله أربعة ؛ ثم النَّافِس ،
وله خمسة ؛ ثم المُسْبِل ، وله ستة ؛ ثم المُعَلَّى ، وله سبعة . قالوا : والمسبِل يسمى :
المُصَفِّح ، والضريب يقال له : الرقيب .

وقد جمع الصاحب بن عباد هذه الأسماء ونظمها في أبيات فقال :

إن القَداحَ أمرُها عَجِيبٌ * الفَدُّ والتوعمُ والرقيبُ
والحُلُسُ ثم النَّافِسُ المصِيبُ * والمُصَفِّحُ المشتهرُ النجيبُ
ثم المُعَلَّى حظُّه التَّرييبُ * هَاكُ فَقَدْ جاءَ بها الترتيبُ

وأما الأربعة التي ينقل بها القِداح ، فهي : السَّفِيح ، والمنِيح ، والمُضْعَف ،
والوغد .

قال ابن قتيبة : والمنِيح له موضعان : أحدهما لا حظ له ، والثاني له حظ ،
فكانه الذي يُمنَحُ حظّه ، وعلى ذلك دلّ قول عمرو بن قبيصة :

بأيديهم مَمْرُومَةٌ وَمَغَالِقٌ * يعودُ بأرزاق العيال مَنِيحَهَا

قالوا : فيؤتى بالقِداح كلها وقد عَرَفَ كُلُّ ما آخَتر من السبعة ولا يكون الأيسار
إلا سبعة ، لا يكونون أكثر من ذلك ، فإن نقصوا رجلا أو رجلين ، فأحب الباقون
أن يأخذوا ما فضل من القِداح ، فيأخذ الرجل القِدَح والقِدَحِين فيأخذ فوزهما إن
فازا ، ويغرم عنهما إن خابا ، ويدعى ذلك التَّمِيم قال النابغة :

إني أتمم أيسارى وأمنحهم * من الأيادي وأكسو الجفنة الأدماء

فيعمد الى القِداح ، فتشَدُّ مجموعة في قطعة جَدِيدٍ ثم يعمد الى الحُرْضة فيلف
على يده اليمنى ثوب لئلا يجد مَسَّ قِدَح له في صاحبه هوى ، فيحابه في إخراجهِ ، ثم
يؤتى بثوب أبيض يُدعى المِجْوَل ، فيبسط بين يدي الحُرْضة ، ثم يقوم على رأسه
رجل يدعى الرقيب ، ويدفع رِبَابَةَ القِداح الى الحُرْضة وهو محوّل الوجه عنها ،

والربابة : ما يجمع فيها القِداح ، فيأخذها ويدخل شماله من تحت الثوب ، فينكر
القِداح بشماله ، فإذا نهّد منها قِدَح تناوله فدفعه الى الرقيب . فإن كان مما لا حظ له
رُدَّ الى الرِّبَابَةِ ، فإن خرج بعده المُسْبِلُ ، أخذ الثلاثة الباقية ، وغريم الذين خابوا ثلاثة

أنصياء من جزور أخرى ، وعلى هذه الحال يفعل بمن فاز ومن خاب ، فربما نَحَرُوا
عدة جزر ولا يغرم الذين فازوا من ثمنها شيئا ، وإنما الغرم على الذين خابوا ولا يحلّ

﴿ ٣٣ ﴾

للخائبين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئا ، فإن فاز قِدَحُ الرجل فأرادوا أن يعيدوا قِدَحَه

ثانية على خطار فعلوا ذلك به .

(١) لعله : « ذبح عنها » . (٢) الربيض : الغنم نفسها .

ومنها : حبس البلايا ، كانوا اذا مات الرجل يشدون ناقته الى قبره ،
ويعكسون رأسها الى ذنبها ، ويغطون رأسها بوليّة وهي : البردعة ، فإن أفلت لم تُردّ
عن ماء ولا مرعى ، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ، ليركبها صاحبها في المعاد ،
ليحشر عليها ، فلا يحتاج أن يمشى ، قال أبو زيد :

كالبلايا رءوسها في الولايا * مانحات السّموم حرّ الحدود

ومنها : خروج الهامة ، زعموا أن الإنسان اذا قُتل ، ولم يطالب بثأره ، خرج
من رأسه طائرٌ يسمى : الهامة ، وصاح على قبره : أسقوني ! أسقوني ! الى أن
يطلب بثأره ، قال ذو الإصبع :

يا عمـرو إلّا تدع شتى ومَنَقَصَتِي * أضربك حتى تقول الهامة أسقوني

ومنها : إغلاق الظهر ، كان الرجل منهم اذا بلغت إبله مائة ، عمد الى البعير
الذى أمات به ، فأغلق ظهره لئلا يُركب ، ويعلم أن صاحبه حمى ظهره ، وإغلاق
ظهره أن ينزع سناسن فقرته ويعقر سنامه .

ومنها : التعمية والتفقيّة ، وكان الرجل إذا بلغت إبله ألفاً فقاً أعين الفحل
يقول : إن ذلك يدفع عنها العين والغارة ، قال الشاعر :

وهبتّها وأنت ذو آمتان * تفقاً فيها أعين البُعـران

فإن زادت عن ألف فقاً العين الأخرى ، فهو التعمية .

ومنها : بكاء المقتول ، كان النساء لا يبكين المقتول إلا أن يُدرك بثأره ،
واذا أدرك بثأره بكينه ، قال شاعر :

من كان مسروراً بمقتل مالك * فليأت نسـوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه * يلطمن حرّ الوجه بالأسحار

(١) أمات به : صارت به مائة .

ومنها : رمى السن في الشمس ، يقولون : إن الغلام اذا نغر ، فرمى سنّه
في عين الشمس بسبّابه وإبهامه وقال : أبدلني أحسن منها ، أمن على أسنانه
العوج ، والفَلَج ، والثَّعلَب ، قال طرفة :

بدّثه الشمس من منيته * بردا أبيض مصقول الأشر

ومنها : خضاب النحر ، كانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد
منها ، خضبوا صدره بدم الصيد علامة له ، قال الشاعر :

كأن دماء العاديات بنحوره * عصارة حنّاء بشيب مرجل

ومنها : التصفيق ، كانوا اذا ضلّ الرجل منهم في الفلاة ، قلب ثيابه ، وحبس
ناقته ، وصاح في أذنها كأنه يومئ الى إنسان ، وصفق بيديه : الوحا الوحا ، النجا النجا !
هكيكل ، الساعة الساعة ! الى الى ! تجل ، ثم يحرك الناقة فيتهدى ، قال الشاعر :
وأذن بالتصفيق من ساء ظنّه * فلم يدر من أىّ الدين جوابها
يعنى يسوء ظنّه بنفسه اذا ضل .

ومنها : جزّ النواصي ، كانوا اذا أسروا رجلا ، ومثوا عليه فأطلقوه جزّوا ناصيته
ووضعوها في الكانة ، قال الخطيئة :

قدنا سلول فسللوا من كاناتهم * مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس^(٢)

(١) هكذا في أحد الأصاين الفتوغرافيين . وفي الأصل الآخر والنسخة الراجية : « ديكل » .
(٢) ورد هذا البيت مع تفسيره هكذا في الأصول ، وقد روى هذا البيت في ديوانه (النسخة المخطوطة
المحفوطة بدار الكتب تحت رقم ٣ أدب ش) وفي ترجمته في الأغاني الجزء الثاني طبع دار الكتب ص ١٨٥
ضمن قصيدته في هجو الزبرقان ومنازلته عن بغض هكذا :

قدنا ضلوك فسللوا من كاناتهم * مجدا تليدا وعزا غير أنكاس
ورد في لسان العرب مادة نكس :

قد ناضلونا فسللوا من كاناتهم * مجدا تليدا وعزا غير أنكاس
وفسره الأزهري بأن العرب كانوا اذا أسروا أسيرا خيروه بين النخلة وجز الناصية والأسرقان اختار جز
الناصية جزوها وخلوا سبيله ثم جعلوا ذلك الشعر في كاناتهم فان افتخروا أخرجوه وأروهم مفاخرهم .

يعنى بالنبل : الرجال ؛ وقالت الخنساء :

جززنا نواصي فرسانهم * وكانوا يظنون ألا تُجزّا

ومنها : كي السليم عن الجرب ، زعموا أن الإبل إذا أصابها العرّ فأخذوا

(٣٤)

الصحيح وكواه زال العرّ عن السقيم ؛ قال النابغة :

وكلفتنى ذنب أمري وتركته * كذى العرّ يكوى غير وهو راتع

ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك ، ويقولون : تؤمن معه العدو .

ومنها : ضرب الثور ، وزعموا أن الجنّ تركب الثيران فتصعد البقر عن الشرب ؛

قال الأعشى :

وإني وما كلفتماني وربكم * ليعلم من أمسى أعق وأحوبا

لكالثور والجنّ يركب ظهره * وما ذنبه إن عافت الماء مشربا

وما ذنبه إن عافت الماء باقر * وما إن تعاف الماء إلا ليضربا

وقال آخر :

كذاك الثور يضرب بالهراوى * إذا ما عافت البقر الظماء

ومنها : كعب الأرنب ، كانوا يعلقونه على أنفسهم ويقولون : إن من فعل

ذلك لم تصبه عين ولا سحر ، وذلك أن الجنّ تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من

مطايا الجنّ لأنها تحيض ؛ قال الشاعر :

ولا ينفع التعشير إن حُم واقع * ولا ددع^(١) يغنى ولا كعب أرنب

وقيل لزيد بن كثوة : أحقّ ما يقولون : إن من علق على نفسه كعب أرنب

لم يقربه جنان الحى وعمّار الدار؟ فقال : إى والله ! ولا شيطان الجمّاة — الجمّاة :

(١) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ ، وددع : كلمة يقولونها عند العثار . وفى الأصلين الفتوغرافيين :

« ددع » وفى هامش إحداهما : « صوابه ددع » . وفى النسخة الراجية : « جدع » بالبدال المهملة .

وفى بلوغ الأرب للارسي (ج ٢ ص ٣٤٨ طبع بغداد) : « زعزع » .

٥

١٠

١٥

٢٠

شجرة التين — وجان العُشيرة، وغول القفرة، وكلّ الخوافي، إني والله يطفئ نيران السَّعالي .

ومنها : حيض السُّمرة ، يزعمون أن الصبي إذا خيف عليه نظرة أو خطفة ، فعُلّق عليه سنّ ثعلب ، أو سنّ هرة ، أو حيض سُمرة آمن ، فإن الجنّة إذا أرادته لم تقدر عليه ، فاذا قال لها صواحباتها في ذلك ، قالت :

كانت عايه نَفَرَه * ثعلبٌ وهِرَرَه
* والحيض حيض السُّمرة *

ومنها : الطارف والمطروف ، يزعمون أن الرجل إذا طرف عين صاحبه ، فهاجت فمسح الطارف عين المطروف سبع مراتٍ وقال في كلّ مرة : بإحدى جاءت من المدينة ، باثنتين جاءت من المدينة ، بثلاث جئن من المدينة ، الى سبع سكن هيجانها .

ومنها : وطء المقاليت ، يزعمون أن المرأة المقلات إذا وطئت قتيلا شريفا بقي أولادها ، وفي ذلك يقول بشر بن أبي خازم :

تظلّ مقاليتُ النساءِ يطأنه * يقلن ألا يُلقَى على المرءِ مِئْرُ

ومنها : تعليق الحلّى على السليم ، كانوا يعلقون الحلّى على الملسوع ويقولون إنه إذا علق عليه أفاق ، فيلقون عليه الأسورة والرّعاث ، ويتركونها عليه سبعة أيام ويمنع من النوم ، قال النابغة :

يُسَهَّدُ في وقتِ العشاءِ سليمُها * حلّى النساءِ في يديه قعاقعُ

ومنها : ذهاب الخدر ، يزعمون أن الرجل إذا خدرت رجله فذكر أحبّ الناس إليه ذهب عنه ، قال كثير :

إذا خدرت رجلى دعوتك أَشْتَفَى * بذكراك من مَذَل بها فيهونُ

وقالت امرأة من كلاب :

إذا خدرت رجلى ذكرتُ ابنُ مصعب * فإن قلتُ عبد الله أجلى فتورُها

وقيل ذلك لابن عمرو وقد خدرت رجلاه فقال : يا محمداه .

ومنها : الحَلَّاءُ ، زعموا أنه إذا ظهرت بشفة الغلام بُشُورٌ ، يأخذ مُنْخَلاً على رأسه ويمر بين بيوت الحى ، وينادى : الحَلَّاءُ الحَلَّاءُ ، فيلقى فى منخله من هاهنا ثمرة ، ومن هاهنا كسرة ، ومن ثم بضعة لحم ، فإذا آمتلاً ، نشره بين الكلاب ، فيذهب عنه البثر ، وذلك البثر يسمى : الحَلَّاءُ .

ومنها : التَّعْشِيرُ ، يزعمون أن الرجل إذا أراد دخول قرية ، يخاف وباءها . فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشركا ينهق الحمار ، ثم دخلها لم يصبه وباءؤها ، قال عُروة بن الورد :

لعمري أئن عشت من خشية الردى * نُهَاقَ الحمير إننى لجزوعٌ

ومنها : عقد الرِّتَمِ ، كان الرجل منهم إذا أراد سفراً ، عمد إلى رَتَمٍ فعقده ، والرتم : نبت ، فإن رجع وراه معقوداً ، زعم أن امرأته لم تحنه ، وإن رآه محلولاً زعم أنها قد خانتها ، قال الشاعر :

هل ينفعنك اليوم إن همت بهم * كثرة ما توصى وتعتمد الرِّتَمُ

وقال آخر :

خانتها لما رأت شيباً بمفرقه * وغرّه حلفها والعقد للرِّتَمِ

ومنها : دائرة المهتوع ، وهو الفرس الذى به الدائرة التى تسمى : الحَقَّةُ ، يزعمون أنه إذا عرق تحت صاحبه ، أغتلمت حليته وطلبت الرجال ، قال الشاعر :

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت * حليته وأزداد حراً عجائها

ومنها : شقّ الرداء والبرقع ، زعموا أن المرأة اذا أحببت رجلا أو أحبها ثم لم تشقّ عليه رداءه ، ويشقّ عليها برقعها ، فسد حبهما ، فاذا فعل ذلك دام حبهما ، قال الشاعر :

اذا شقّ برد شقّ بالبرد برقع * دواليك حتى كلنا غير لابس

فكم قد شققنا من رداء محبر * ومن برقع عن طفلة غير عانس

ومنها : نوء السماء ، كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل ، قال الشاعر :

ليت السماء ونوءه لم يخلق * ومشى الأفريق في البلاد سليما

ومنها : النسيء ، وقد تقدم خبره في الفن الأول من الكتاب .

ومنها : وأد البنات ، وقد نهاهم الله عز وجل عنه في قوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ

خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ . وكانوا يقتلونهن خشية الإملاق أو من الإملاق ،

وقد قيل : إنهم كانوا يقتلونهن خوف العار أو أن يُسبين ، فمن قتلهن خشية الإملاق

ما روى عن صَعْصَعَةَ بْنِ نَاجِيَةَ الْمُجَاشِعِيِّ جَدِّ الْفَرَزْدَقِ : أنه لما أتى النبي صلى الله

عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إني كنت أعمل عملا في الجاهلية ، أفينفعني ذلك

اليوم؟ قال : «وما عملك»؟ قال : أضللت ناقتين عُشْرَاوَيْنِ ، فركبت جملا ومضيت

في بُغَاءٍهما فُرفِعَ لِي بَيْتٌ حَرِيدٌ ، فقصدته فاذا رجل جالس بفنائيه ، فسألته عن الناقتين ،

فقال : ما نارهما؟ قلت : ميسم بنى دارم ، قال : هما عندي ، وقد أحيا الله تعالى

بهما قوما من أهلك من مضر ، واذا عجوز قد خرجت من كسر البيت ، فقال لها :

ما وضعت؟ فان كان سقبا شاركنا في أموالنا ، وإن كانت حائلا وأدناها — معنى قوله

سقبا أي ذكرا ، وحائلا أي أنثى — فقالت العجوز : وضعت أنثى ، فقلت أتبيعها؟

(١) الحرير : المعتزل المتنحي عن الناس .

قال : وهل تباع العرب أولادها ! قال قلت : آحتكم ، قال بالناقين والجمل ، قلت : لك ذلك ، على أن^(١) ينقلني الجمل وإياها ففعل ؛ فأمنت بك يا رسول الله ، وقد صارت لي سنة على أن أشتري كل موءودة بناقتين عشراوين وجمل ، فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة قد أنقذتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :^(٢) « لا ينفعك ذلك لأنك لم تبغ به وجه الله تعالى وإن تعمل في إسلامك عملا صالحا تُثَبَّ عليه » ففي ذلك يقول الفرزدق مفتخرا :

وجدى الذى منع الوائدين * وأحيا الوئيد فلم توءد

وممن قتلهم خشية العار : قيس بن عاصم المنقرى وكان من وجوه قومه ومن ذوى الأموال فيهم وكان يئد بناته ، وسبب ذلك : أن النعمان بن المنذر لما منعه بنو تميم الإتاوة التى كانت تؤذيها له جهز اليهم أخاه الريان بن المنذر ، ومعه بكر بن وائل فغزاهم ، فاستاق النعم وسبى الدارارى ، فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحب البقاء عليها ، فقال النعمان :

ما كان ضرر تميما لو تعمدها * من فضلنا ما عليه قيس عيلان

فأناب القوم وسألوه النساء ، فقال النعمان : كل امرأة آختارت أباه ردت اليه وإن آختارت صاحبها تركت عليه ، فكلن آخترن آباءهن إلا آبنة لقيس بن عاصم آختارت صاحبها عمرو بن المشمرج ، فنذر قيس لا يولد له آبنة إلا قتلها ، فاعتل بهذا من وأد وزعم أنه حمية .

(١) كذا فى النسخة الراغية . وفى باقى الأصول : « تباعنى الجمل » وهو تحريف .

(٢) فى الأغاني (ج ١٩) فى الكلام على الفرزدق ، ساق أبو الفرج هذا القصة وقال فقال : هل لي

فى ذلك من أجر يا رسول الله فقال عليه السلام : « هذا باب من البر ولك أجره اذ من الله عليك بالإسلام » . ٢٤

الباب الثالث

من القسم الثاني من الفن الثاني

في أخبار الكهنة

- ويتصل به الزجر والفأل والطيرة والفِراسة والذكاء، وكانت كهنة العرب لهم أتباع من الشياطين يسترقون السمع ويأتونهم بالأخبار، فيلقونها لمن يتبعهم ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام، فمُنعت الشياطين من استراق السمع، كما أخبر الله تعالى عنهم في كتابه العزيز: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ فعند ذلك أُنقطعت الكهانة فلم يسمع في الإسلام بكاهن، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال في الوحي. فمن أخبار الكهنة: خبر سطيح الكاهن حين ورد عليه ابن أخته عبد المسيح وهو يعالج الموت، فأخبره خبر ما جاء لأجله، وذلك أنه لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم آرتجس إيوان كسرى، وسقط منه أربع عشرة شُرْفَةً، ونجّدت نار فارس، ولم تكن نحدث قبل ذلك بألف عام، وغارت بحيرة ساوة، ورأى المُوبدّان إبلا صعبا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلاد فارس، فلما أصبح [وأخبر] كسرى تصبّر تشجعا ثم رأى ألا يكتّم ذلك عن وزرائه ومُرازبته، فلبس تاجه، وقعد على سريره، وجمعهم وأخبرهم الخبر فبيناهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بنمود النار فأزداد غمّا وسأل المُوبدّان وكان أعلمهم فقال: حَدِثْ يكون من قبل العرب، فكتب كسرى الى النعمان بن المنذر: أن وجهه الى رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجهه إليه عبد المسيح بن حسان بن نائلة الغساني، فقال له كسرى: أعندك علم بما أريد

أن أسألك عنه ؟ قال : ليخبرني الملكُ فإن كان عندي منه علم ، وإلا أخبرته بمن يعلمه ، فأخبره بما رآه فقال : عِلْمُ ذلك عند خالٍ لي يسكن مشارف الشام يقال له : سَطِيحٌ ، فأرسله كسرى إليه فورد على سَطِيحٍ وقد أشفى على الموت فسَلَّمَ عليه وحيَّاه فلم يُجِرْ سَطِيحٌ جواباً فأَنشد يقول :

أَصَمَّ أُم يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمْنِ * أُم فَازَ فَازَلَمْ بِهِ شَأْوُ الْعَنْزِ
يا فاضل الخطة أعييت من ومن * وكاشف الكربة عن وجه الغضن
أتاك شيخ الحى من آل سنن * وأمه من آل ذئب بن حجن
أزرق مُمَهَّى النَّابِ صَرَّارُ الْأُذُنِ * أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يسرى بالوسن * لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
يجوب فى الأرض على ذات شجن * ترفعنى وجناً وتهوى بى وجن
حتى أتى عارى الجمأجى والقطن * تَلَفَّه فى الريح بوغاء الدمن
* كأنما حُثِثَ من حِضْنِي ثَكَنُ *

ففتح سَطِيحٌ عينيه ثم قال : عبد المسيح ، على جمَلٍ مُشِيحٍ ، أتى الى سَطِيحٍ ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بنى ساسان ، لأرتجاس الإيوان ، ونحمود النيران ، ورؤيا الموبدان : رأى إبلا صعباً ، تقود خيلاً عراباً ، قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلاد فارس ، يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة ، وبُعث صاحب الهراوه ، وفاض وادى السماوه ، وغازت بحيرة ساوه ، ونمدت نار فارس ، فليس الشام لسَطِيحٍ شاما ، ولا بابل للفرس مقاما ، يملك فيهم ملوك وملاكات ، بعدد الشرفات ، وكل ما هو آت آت ، ثم قضى سَطِيحٌ لوقته ، فثار عبد المسيح الى رحله وهو يقول :

شمر فإنك ماضى العزم شَمِيرُ * لا يفزعك تفريق وتغيير
إن كان ملك بنى ساسان أفرطهم * فإن ذا الدهر أطوار دهارير

- فربما ربما أضحوا بمنزلة * تهاب صولهم الأسد المهاصير
 منهم أخوال الصرح بهرام وإخوته * والهرمزان وسابور وشابور
 والناس أولاد علات فمن علموا * أن قد أقل فمحقوق ومهجور
 وهم بنو الأثم أتما إن رأوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
 والخير والشر مقرونان في قرن * فالخير متبع والشر محذور
 ٥ فلما قص الخبر على كسرى قال : إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون أموراً فملك
 منهم عشرة في أربع سنين ، وملك الباقيون إلى زمن عثمان رضى الله عنه .
 ومن أخبارهم : أن سعدى بنت كرز بن ربيعة كانت قد تطرقت وتكهننت
 وهى خالة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، روى عنه أنه قال : لما زوج النبي صلى
 ١٠ الله عليه وسلم آفته رقية من عتبة بن أبي لهب وكانت ذات جمال رائع ، دخلتني
 الحسرة أو كالحسرة ألا أكون سبقت إليها ، ثم لم ألبث أن أنصرفت إلى منزلي فألفيت
 خالتي فلما رأتني قالت :

- أبشر وحييت ثلاثا تترى * ثم ثلاثا وثلاثا أخرى
 ثم بأخرى كي تتم عشرا * أذاك خير ووقيت شرا
 ١٥ نكحت والله حصانا زهرا * وأنت بكر ولقيت بكرا
 وافيتها بنت نفيس قدرا * بنت نبي قد أشاد ذكرا
 قال عثمان : فعجبت من قولها ، وقلت : ماذا تقولين ؟ فقالت :
 عثمان يا ابن أخت يا عثمان * لك الجمال ولك البيان
 هذا نبي معه البرهان * أرسله بحقه الديان
 ٢٠ وجاءه التنزيل والفرقان * فاتبعه لا تجتالك الأوثان^(١)

(١) اجتاله : حوله عن قصده ، ومنه اجتالهم الشياطين أى صرفتهم عن هدايتهم إلى ضلالتهم .

فقلت : يا خالة ، إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره في بلدتنا فأثبتيه لى ، فقالت :
 إن محمد بن عبد الله رسولٌ من عند الله ، جاء بتزويل الله ، يدعو الى الله ، مصباحه
 مصباح ، وقوله صلاح ، ودينه فلاح ، وأمره نجاح ، وقرنه نطاح ، ذلت له البطاح ،
 ما ينفع الصباح ، لو وقع الذباح ، وسُلت الصفاح ، ومدت الرماح ، قال : ثم قامت
 فانصرفت ووقع كلامها فى قلبى ، وجعت أفكر فيه ، وذكر بعد ذلك إسلامه وتزويجه
 زقية ، فكان يقال : أنهما أحسن زوجين اتفقا وجمالا .

ومنها أن هنداً بنت عتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المغيرة ، وكان من فتيان
 قريش ، وكان له بيت الضيافة خارجاً من البيوت ، تغشاه الناس من غير إذن ، فخلف
 البيت ذات يوم وأضطجع هو وهند فيه ، ثم نهض لبعض حاجته ، وأقبل رجل ممن
 كان يغشى البيت فوجده ، فلما رآها ولّى هارباً وأبصره الفاكه فأقبل اليها فضربها
 برجله وقال لها : من هذا الذى خرج من عندك ؟ قالت : ما رأيت أحداً ،
 ولا آتيتها حتى أنبهتني ! فقال لها : أرجعى الى أبيك ، وتكلم الناس فيها ، فقال
 لها أبوها : يا بنية ، إن الناس قد أكثروا فيك ، فأنبئني نبأك ، فإن يكن الرجل
 عليك صادقاً دسست عليه من يقتله ، فتقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذباً حاكمته
 الى بعض الكهّان ، فقالت : لا والله ! ما هو على بصادق ، فقال له : يا فاكه ! إنك
 قد رميت ابنتى بأمر عظيم ، فخاكنى الى بعض كهّان اليمن ، فخرج الفاكه فى جماعة
 من بنى مخزوم ، وخرج عتبة فى جماعة من بنى عبد مناف ، ومعهم هند ونسوة ، فلما
 شاربوا البلاد ، وقالوا : غدا نرد على الرجل ، تنكرت حال هند ، فقال لها عتبة : إني أرى
 ما بك من تنكر الحال ، وما ذاك إلا لمكروه عندك ، فهتلا كان هذا قبل أن يشتهر عند
 الناس مسيرنا ! فقالت : لا والله ! ولكنى أعرف أنكم تأتون بشراً يخطئ ويصيب
 ولا آمنه أن يسمنى ميسماً يكون على سبة فقال : إني سوف أختبره لك ، فصفر لفرسه

حتى أدلى ثم أدخل في إحليله حبة حنطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغدوا قال له عتبة: قد جئناك في أمر وقد خباننا لك خبيثا أختبرك به، فانظر ما هو؟ فقال: ثمره، في كمره. قال: إني أريد أبين من هذا، قال: حبة بر، في إحليل مهر، قال: أنظر في أمر هؤلاء النسوة، بفعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، أنهضى، حتى دنا من هند فقال لها: هـ
أنهضى غير رسخاء ولا زانية، ولتلدن ملكا اسمه معاوية، فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبت يدها من يده، وقالت: اليك عني فوالله لأحرصن أن يكون من غيرك، فتروجها أبو سفيان.

(١١)
ومنها: أن أمية بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف إلى المنافرة، فقال هاشم:
إني أنا فرك على خمسين ناقة سود الحديق نحرها بمكة، أو الحلاء عن مكة عشرين سنين، فرضى أمية وجعلا بينهما الخزعلي الكاهن ونحرا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا نخبا لدخيتنا فان أصابه تحاكما اليه، وإن لم يصبه تحاكما الي غيره، فوجدا أبا همهمة وكان معهم أطباق جمجمة، فأمسكها معه ثم أتوا الكاهن فأنخوا ببابه وكان منزله بعسفان. فقالوا: إنا قد خباننا لك خبيثا فأنبتنا عنه. قال: أحلف بالضوء والظلمة، وما بتهامة من تهمة، وما بنجد من أكمة، لقد خبانتم لي أطباق جمجمة، مع الفلندح أبي همهمة فقالوا: صدقت أحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما أشرف بيتا ونفسا، قال: والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام الماطر، وما بالجو من طائر، وما آهتدى بعلم مسافر، من منجد وغائر، لقد سبق هاشم أمية إلى المآثر، أولا منه وآخره، فأخذ هاشم

الإبل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين ؛
فيقال : إنها أول عداوة وقعت بين بني هاشم وبين بني أمية .

ومنها : أن بني كلاب وبني رباب من بني نضر خاصموا عبد المطلب في مال
قريب من الطائف فقال عبد المطلب : المال مالى فسلونى أعطكم ، قالوا : لا ،
قال : فأختاروا حاكماً ، قالوا : ربيعة بن حذار الأسدى فتراضوا به وعقلوا مائة ناقة
في الوادى وقالوا : الإبل والمال لمن حكم له ، وخرجوا وخرج مع عبد المطلب
حرب بن أمية ، فلما نزلوا بربيعة بعث اليهم بجزائر فنجرها عبد المطلب ، وأمر فصنع
جزرا وأطعم من أتاها ، ونحر الكلابيون والنضريون ووشقوا ، فقليل لربيعة فقال :
إن عبد المطلب أمرؤ من ولد خزيمة فمتى يماق يصله بنو عمه ، وأرسل اليهم أن آخبئوا
لى خبيئاً ، فقال عبد المطلب : قد خبأت كلباً اسمه سوار فى عنقه قلادة ، فى حرزة
مزادة ، وضممتها بعين جرادة ، فقالوا الآخرون : قد رضىنا ما خبأت وأرسلوا إلى
ربيعة ، فقال : خبأ ثم خبيئاً حياً ، قالوا : زد ، قال : ذو برئ أغبر ، وبطن أحمر ،
وظهر أنمر ، قالوا : قربت ، قال : سما فسّطع ، ثم هبط فلطع ، فترك الأرض بلّقع ،
قالوا : قربت فطبّق ، قال : عين جرادة ، فى حرزة مزادة ، فى عنق سوار ذى القلادة
قالوا : زه زه ! أصبت فاحكم لأشدنا طعانا ، وأوسعنا مكانا ، قال عبد المطلب :
أحكم لأولانا بالخيرات ، وأبعدنا عن السوءات ، وأكرمنا أمهات ؛ فقال ربيعة :
والغسق والشفق ، والخلق المتفق ، ما لبني كلاب وبني رباب من حق ، فانصرف
يا عبد المطلب على الصواب ، ولك فصل الخطاب ؛ فوهب عبد المطلب المال
لحرب بن أمية .

وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى في السيرة النبوية جملة تقف عليها في المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في السفر الرابع عشر من كتاب الأصل .

الزُّجَر

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في زجر الطير : إن العلماء بهذا الفن قالوا :
إذا خرجت من منزلك تطلب حاجةً ، أو تخطب امرأةً ، فنعب غرابٌ عن يمينك وعن يسارك أو سنج أو برح فامض فإنك مُدركٌ حاجتك إن شاء الله تعالى ، فإن نعب أمامك أو فوقك فأرجع ففيها تأخير .

وإن خرجت تريد خصومةً فنعب فوق رأسك فامض فإنك مُدركٌ حاجتك إن شاء الله تعالى .

فإن خرجت تطلب دابةً فنعب عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع فامض لحاجتك ، فإن نعب أمامك فأرجع .

وإن خرجت تطلب مالاً ضلّ عنك أو سُرق ، فنعب غرابٌ على شجرة يابسة فلا تطلبه فقد آستهلك وقد يأتيك بعضه ، فإن نعب على جدار جديد أو شجرة خضراء فإنك تصيب مالك إن شاء الله تعالى .

فإن خرجت تريد الضالّ فنعب من وراءك فأرجع فليس لك في ذلك خيرة ، وإن نعب عن يسارك فإني خائف على نفسك إلا أن يشاء الله .

فإن خرجت تريد الصيد فنعب من فوقك فأرجع ، فإن نعب أمامك فامض فإنك تدرك خيرا .

وإن خرجت تطلب سلطاناً في طلب مال أو حاجة فنعب عن يمينك ثم طار
ثم نعب أدركت منه طلبتك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد شراء شيء فنعب عن يمينك فإنه صالح ، وإن نعب عن يسارك
فلا خير فيه .

وإن خرجت من منزلك فرأيت غراباً يمسح منقاره على الأرض فإنك تصيب
أو تأتيك هدية من مكان بعيد .

وإن خرجت تطلب حاجة فنعب عن يمينك ثم قطع الطريق إلى يسارك فنعب
فإنك تدرك حاجتك عجلاً إن شاء الله تعالى ، فإن نعب فوق رأسك فارجع فإني
أخاف عليك بعض أعدائك .

وإن خرجت تريد سلطاناً فنعب غراب وهو مستقبل الشرق فامكث يومك ذلك
فإني أخاف عليك .

فإن خرجت فرأيت غراباً ينفخ ريشه ، فإنه يأتيك خير عاجل .

وإن خرجت تريد أرضاً بعيدة فرأيت غراباً ينفخ فامض لحاجتك ، فإنك تدرك
أملك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت تريد السلطان فوقع غراباً على شيء فنعب ثلاث مرات فامض
لحاجتك ، فهو خير عاجل وتيسير للحوائج إن شاء الله تعالى .

وإن خرجت فرأيت غراباً ناشراً جناحيه يريد الطيران فامض ، فإن نعب فارجع
يومك .

وإن خرجت تريد خصومة فنعب من فوقك فامض ، وإن نعب فأجابه الآخر
فهو جيد صالح .

- وإن خرجت تريد خصومةً فنعب من فوقك أو شحج فامض ، فإنك تلقى في يومك ذلك ما تريد إن شاء الله تعالى .
- وإن خرج جماعةٌ وفيهم رجل شريف فشحج غرابٌ^(١) على رأس الشريف ، ثم أتوا ملكاً فإنهم يصيبون خيراً إن شاء الله تعالى .
- وإن خرج يطلب حاجةً إلى سلطان فواجهه غراب فليمكث يومه ذلك ولا يَمْضُ .
في تلك الحاجة ، وإن نعب عن يمينه فتنقطع الطريق ثم وقع فهو يُدرك حاجته .
- وإن خرج يريد السلطان أو بعث إليه وهو لا يدرى فرأى غراباً يطير قليلاً ثم يقع فيلقط من الأرض شيئاً فليمض فإنه يصيب سلطاناً ويلى قوماً ، وإن رأى غراباً يبحث في الأرض فإن بعض أهله يموت سريعاً ، وإن رآه ينقر في الأرض فذلك ملك .
- وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم وقع ثلاث مرات وهو ساكت لا ينبعب ، فذلك غم يصيبه إلا أن يدفع الله عز وجل عنه .
- وإن خرج فرآه ينتفض ثم ينبعب ثم يطير فذلك سلطان يناله ويتزوج ، والعلم عند الله .
- وإن خرج فرأى غراباً يطير ثم يقع فذاك خير وسرور يأتيه .
- وإن خرج فرأى غراباً يطير نحو عين الشمس فذاك هم يصيبه شديد .
- وإن خرج فلقى بقراً فليرجع فإن لقي من البغال شيئاً لم يركب فليرجع والمركوبة صالحة لا بأس بها .
- وإن خرج يعود مريضاً فنهق حمار عن يمينه أو عن يساره فالمريض صالح ، وإن نهق خلفه فقد آشتد بالمريض مرضه وأنا خائف عليه .

(١) في الأصلين الفتوغرافيين : « سنح » بالحاء المهملة . وفي النسخة الراجية : « شنج » وما أثبتناه هو الأنسب بالمقام . وشحج الغراب : غلظ صوته .

وإن خرج يريد حاجة فاستقبله غلام يبكي وهو متلطح بعذرة وهو ذاهب والغلام راجع فليمض فإن حاجته تقضى ، وإن استقبله غلام يعدو ويتلهف فإن حاجته تعسر وتطول .

وإن خرج في حاجته فرأى ورشانا يطير، يرتفع ويهبط فليمض فإن ذلك أنجح لحاجته، وإن رآه يطير مستعليا فيرجع، وإن رأى حمامة مسرولة تطير من فوق رأسه وتدور فإن حاجته مقضية بعد بطة ومطل، وإن رأى حمامة هابطة واقعة تقع وتطير فإن ذلك خير صالح وسرور إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فاستقبلته جنازة وجماعة فيرجع يومه ذلك، ولا يعود لحاجته فإنها غير مقضية، فإن كانت الجنازة قد جاوزته مدبرة فليذهب لحاجته، فإن ذلك صالح . وإن رأى نسوة إلى المقابر وهن مقبلات نحوه فليعد حتى يضمن عنه فإنه أنجح لحاجته، وإن رآهن مدبرات فليمض في حاجته فإنها مقضية .

وإن خرج من داره فرأى في أرضها نملا كثيرا وفي حائطها فليمض لحاجته فذلك خير وسرور يناله . فإن رأى ذبابا كثيرا مجتمعاً على حائط وهو يسمع لمن ديبا فذلك مرض يصيبه في بدنه أو يصيب بعض أهله . ومن رأى ذرا كثيرا وقردانا فذلك فرح ورزق عاجل يناله إن شاء الله تعالى . ومن رأى دجاجتين يقتتلان بنقر بعضهما فذلك يدل على أنه يقع بينه وبين امرأته كلام وغضب .

وإن خرج من منزله فرأى ورشانيين يقتتلان في جو السماء رافعين وهابطين فيأتيه ما يسر به، وإن رأى كلبة والكلاب تطوف حولها ويتبع بعضها بعضا : فإن كان عليه دين قضاه الله عنه، وإن كانت له حاجة مهمة قضيت في وجهه ذلك، وإن أراد شيئا يسره الله له، وإن أراد سفرا تهيأ له ورجع سالما .

وإن خرج فرأى على رجل قربة ثم آنشقت فليرجع الى منزله ويتعوذ بالله من شر ذلك اليوم فإنه مكروه جدًا .

وإن خرج فرأى رجلاً وهو يريد أن يملأ قربة فليمض في حاجته فإنه فرح وسرور وخير يناله عاجلاً إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى حماراً أو بغلاً عليه راوية مملوءة فشأنه غير صالح وهو مكروه ، وإن كان صاحب الراوية يريد أن يملأها فليمض لحاجته مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فرأى جملاً عليه حطب أو بعض منافع الناس فهو من علامات النجاح في الخصومة والظفر العاجل إن شاء الله تعالى ، فإن رآه غير محمول عليه وعليه صاحبه فإن ذلك خير يأتيه وينعى اليه بعض أدله من مكان بعيد . قال : وأرجو أن يدفع الله ، فإن رآه مُنَاخَا يَرْغُو فإن ذلك خير يأتيه ويُخبر عن شيء مما يحب من تزويج أو غنيمة وهو صالح .

وإن خرج فرأى بعيراً قد شرد ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من عدوه وفرح قريب إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى بعيراً قد شرد فاجتمع عليه الناس فإن ذلك يدل على ظفركه بعدوه وانتقامه منه فليحمد الله على ما رأى ويشكره .

ومن خرج من منزله فرأى قرداً يتقلب والناس حوله فليمض لحاجته فإنها مقضية .

وإن خرج فرأى القرد يلعب والناس مجتمعون عليه وقد صار لعبه الى أن يتقلب ظهراً لبطن في الأرض فليرجع من وجهه ذلك فليس بموفق وهو مكروه .

وإن خرج من منزله فرأى غلماناً يلعبون بالأكرة ويتسابقون فليمض في وجهه ذلك فإنه يصيب رفعةً وشرفاً وتمكناً من الساطان ويصيب مالا عظيماً .

وإن خرج فرآهم يلاعبون بالصوالجة فهو رفعة ويدلّ على مال ردىء حرام يصيبه من سلطان، ويركب أمراً عظيماً من عمله فليتنق الله .

وإن رأى جوارى يلاعبن بالطرق كأنهنّ يزفن عروساً فهو خير ووسرور ودخول فى أمرٍ شريف وأنه يربح ربها عظيماً، وهو خير الزجر .

وإن خرج فرأى عصفورين يلتطآن الحبّ فهو صالح، وإن رآهما يتسافدان فهو خير يناله فى يومه، وإن رآهما مدبرين فليمنض لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فتعلق بثوبه شىء فليرجع، فإنى أكره له أن يذهب فى حاجته تلك .

وإن خرج فرأى حدأة تسفد حدأة وهى تصيح فهو نجاح فليمنض لحاجته .

وإن خرج فعثر فلا يذهبن فى تلك الحاجة وليؤخرها .

ومن الزجر ما مخرجه مخرج الكهانة .

فمن ذلك ما حكى أن أُمّية بن أبى الصّامت الثّقفى، بينما هو يشرب مع إخوان له فى قصر عيّان بالطائف إذ سقط غرابٌ على شُرْفَةِ القصر فنعب نعبه فقال أُمّية :

بفك الكُشْكُت أى التراب فقال له أصحابه : ما يقول؟ قال يقول : إنك إذا شربت الكأس التى بيدك متّ ، ثم نعب نعبه أخرى ، فقال أُمّية كما قالته الأولى فقال

أصحابه : ما يقول؟ قال : يزعم أنه يقع على هذه المزبلة فى أسفل القصر فيستثير عظام

فيبتاعه فيشـجى به فيموت ، فوقع الغرابُ على المزبلة فأثار العظم وأبتلعه فشجى فمات ، فأنكر أُمّية ووضع الكأس من يده وتغيّر لونه فقال أصحابه : ما أكثر ما سمعنا

مثل هذا وكان باطلاً ، وألحوا عليه حتى شرب الكأس فقال فأغمى عليه ثم أفاق فقال : لا برىء فأعذر ، ولا قوى فأنتصر ، ثم خرجت نفسه .

وزعموا أن رجلاً من كعب خرج فى جماعة ومعه سقاء من لبن فسار صدر يومه

فعطش فأناخ ليشرب ، فإذا غراب ينعب فأثار راحلته ، ثم سار فلما أظهر أناخ

- (١) ليشرب، فنعب الغراب وتمزغ في التراب فضرب الرجل السقاء بسيفه فاذا فيه أسود ضخم فقتله، ثم سار فاذا غراب وقع على سدره، فصاح به فوقع على سلمة، فصاح به فوقع على صخرة، فانتهى إليها فأثار كثرًا، فلما رجع إلى أبيه قال له : إيه ما صنعت ؟ قال : سرت صدر يومى، ثم أنخت لأشرب فنعب الغراب، قال أثره وإلا فلست بابنى، قال : أثره، ثم أنخت لأشرب فنعب الغراب وتمزغ في التراب، قال : أضرب السقاء وإلا فلست بابنى، قال : فعلت، فاذا أسود ضخم، قال : ثم مه ! قال : ثم رأيت غرابا على سدره، قال : أطره وإلا فلست بابنى، قال : فعلت فوقع على سلمة، قال : أطره وإلا فلست بابنى، قال : فعلت فوقع على صخرة، قال : أخذ يا بنى ! فأحذاه ومن الزجر : ما يروى أن كسرى أبرويز بعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا ومصورا وقال للزاجر : أنظر ما ترى في طريقك وعنده، وقال للمصور : ائتني بصورته، فلما عاد إليه أعطاه المصور صورته صلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته، وقال للزاجر : ما رأيت ؟ فقال : لم أر ما أزجره حتى الآن وأرى أمره يعلو عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك .
- وقيل : إن كثيرا تعشق امرأة من خزاعة يقال لها : أم الحويرث، فشذب بها فكرهت أن يفضحها كما فضح عزة فقالت له : إنك رجل فقير لا مال لك فابتغ ما لا ، ثم تعال فاخطبني كما يخطب الكرام قال : فاحلفنى لى ووثق أنك لا تتزوجين حتى أقدم عليك فحلفت ووثقت له ، فمدح عبد الرحمن بن [ابريق] الأزدي وخرج إليه ، فلقى طباء سوانح ، ولقى غرابا يفحص التراب بوجهه ، فتطير من ذلك حتى قدم على حى من لُهب فقال : أيكم يزجر ؟ قالوا : كلنا ، فمن تريد ؟ قال : أعلمكم بذلك ،

قالوا : ذلك الشيخ المنحني الصُّلب ، فأتاه فقص عليه القصّة فكره ذلك له وقال :
قد ماتت أو تزوجت رجلا من بنى عمّها ، فقال كثير :

تيممتُ لهُباً أبتغى العِلمَ عندهم * وقد رُدَّ علمُ العائفين^(١) الى لُهبٍ
تيممتُ شيخاً منهمُ ذا بَحالة^(٢) * بصيرا بزجر الطير مُنحني الصُّلبِ
فقلتُ له ماذا ترى فى سوانح * وصوتِ غرابٍ يفحص الوجه بالتربِ
فقال جرى الطير السنيح بيدها * ونادى غراب^(٣) بالفراق وبالسابِ
فإلا تكن ماتت فقد حال دونها * سواك خليل باطن من بنى كعبِ

قال : ثم مدح الرجل الأزدي فأصاب منه خيرا ، ثم قدم عليها فوجدها قد تزوجت
رجلا من بنى عمّها فأخذه الهلاس^(٤) فكشّح جنباه بالنار ، فلما أندمل من علته ووضع
يده على ظهره فاذا هو برقتين فقال : ما هذا؟ قالوا : أخذك الهلاس وزعم الأطباء
أنه لا علاج لك إلا بالكشّح بالنار فكشّحت بها ، فانشأ يقول :

عفا الله عن أم الحويرث ذنبها * علام تعينى وتكفى دوائيا
ولو آذنونى قبل أن يرقوا بها * لقلت لهم أم الحويرث دائيا

وحكى أن صاحب الروم بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له :
أنظر أين تراه جالسا ، ومن الى جانبه ، وأنظر ما بين كتفيه حتى الخاتم والشامة ، فقدم
ورسول الله صلى الله عليه وسلم على تشيز واضعا قدميه فى الماء ، وعن يمينه على عليه
السلام ، فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : ” تحوّل فانظر ما أمرت به “ فنظر

(١) كذا فى الأغاني وبلوغ الأرب ، وفى الأصول : « العائفين » . وهو تحريف .

(٢) البجالة : الشرف والسيادة .

(٣) كذا فى بلوغ الأرب للألوسى . وفى الأصل والأغاني : * وقال غراب جد منهمر السكب *

(٤) الهلاس : الدقة والضمور ومرض السل .

ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر، فقال : ليعلون أمره وليملكن ما تحت قدمي وقال :
بالنشر : العلو، وبالماء الحياة .

ومن الزجر : ما روى عن أبي ذؤيب المذلي قال : إنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحى خيفةً عليه فبت ليلة ثابتة النجوم طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها ولا يطأع نورها حتى اذا قرب السحر غفوت فنهتفلى هاتف يقول :
خَطْبُ أَجَلْ أَنَاخَ بِالْإِسْلَامِ * بَيْنَ التَّخِيلِ وَمَعْقِدِ الْآطَامِ
قُبُضَ النَّبِيِّ مُحَمَّدَ فَعَيُونَنَا * تَذَرِي الدَّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومي فزعاً ، فنظرت الى السماء فلم أر إلا سعد الذابح ، فتفاءلت به ذبحاً يقع في العرب ، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات أودو ميت من علته ، فركبت ناقتي وسرت حتى أصبحت ، فطابت شيئاً أزجره ، فعن لي شيهم^(١) قد قبض على صل وهو يتأوى عليه والشيهم يقضمه حتى أكله ، فزجرت ذلك [وقلت : شيهم] شيء هم ، وتلقى الصل أنفثال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أقولت أكل الشيهم إياه : غلبة القائم على الأمر ، فحثت ناقتي حتى اذا كنت بالعلية زجرت الطير فأخبرني بوفاته . ونعب غراب سانحا بمثل ذلك فتعوذت من شر ما عن لي في طريق ، ثم قدمت المدينة ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج أهلوا جميعاً بالإحرام ، فقلت : مه ! قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بخئت المسجد فأصبته خالياً فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبته بابه مرتجاً وقد خلا به أهله ، فقلت : أين الناس ؟ فقيل : في سقيفة بني ساعدة صاروا الى الأنصار بخئت السقيفة فوجدت أبا بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وأبا عبيدة ، وسالمًا ،

(١) الشيهم : ذكر القنفذ . (٢) كذا في بلوغ الأرب (ج ٣ ص ٢٢١) . وفي الأصل :

قد أرم . (٣) الزيادة عن بلوغ الأرب .

وجماعة من قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة ، ومعهم شعراؤهم ، وأمامهم
 حسان بن ثابت ، وكعب في مإ منهم ، فأويت إلى الأنصار فتكلموا فأكثروا ، وتكلم
 أبو بكر لله من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع الفصل ! والله لتكلم بكلام
 لم يسمعه سامعٌ إلا أنقاد له ومال إليه ، وتكلم بعده عمر رضي الله عنه بكلام دون
 كلامه ، ومد يده فبايعه ، ورجع أبو بكر رضي الله عنه ورجعت معه ، فشهدت
 الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه . قال : ولقد بايع الناس
 من أبي بكر رجلا حل قدامها ولم يركب دناها ، وأنصرف أبو ذؤيب إلى بادية
 وثبت على إسلامه .

ومنه : ما روى عن مصعب بن عبد الله الزبيري أنه حدث عن رجل قال :
 شردت لنا إبلى فأتيت حليسا الأسدى فسألتُه عنها ، فقال ابنت له : خطي ، نخطت
 ونظرت ثم أنقبضت وقامت منصرفة ، فنظر حليس في خطها فضحك وقال :
 أتدري لم قامت ؟ قلت لا ، قال : رأيت أنك تجدي إبلك وأنتك تتزوجها فاستحييت
 فقامت ، فخرجت فأصببت إبلى ثم تزوجتها بعد .

الفأل والطيرة

حكى أنه لما ولد لسعيد بن العاص عنبسة قال سعيد لابنه يحيى : أى شئ
 تُحمله ؟ قال : دجاجة بفراريحها ، وإنما أراد احتقاره بذلك لأن أمه كانت أمة ،
 فقال سعيد : إن صدق الطير ليكونن أكثركم ولداً ، فكان كذلك .

لما طلب عامر بن إسماعيل مروان بن محمد أعترضه بالفيوم قوم من العرب
 فسأل رجلاً : ما اسمك ؟ فقال : منصور بن سعد ، وأنا من سعد العشيرة ، فتبسم
 تفاؤلاً به وتيمناً ، وأستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة .

ومن الطَّيْرَةِ ما حكى عن بعضهم قال : حضرتُ الموقِفَ مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصاح به رجلٌ من خلفه : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، فقال رجل من خلفه : دعاه بأسم ميت ، مات والله أمير المؤمنين ، ولا يقف هذا الموقف أبداً ، فالتفت إليه فاذا هو اللّهُيُّ ، فقتل عمر قبل الحول .

وحكى أن عمر رضى الله عنه ، خرج الى حَرَّةٍ واقِم ، فاقى رجلاً من جُهينة ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : شهاب ، قال : آبن من ؟ قال : آبن بجمرة ، قال : ومن أنت ؟ قال : من الحُرقة ، قال : ثم ممن ؟ قال : من بنى ضرام ، قال : وأين منزلك ؟ قال : ببحرّة ليلي ، قال : وأين تريد ؟ قال : لظى ! وهو موضع ، فقال عمر : أدرك أهلك ، فما أراك تُدركهم إلا وقد احترقوا . قال : فأدركهم ، وقد أحاطت بهم النار .

وقال المدائني : وقع الطاعونُ بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هارباً منه فقتل قريةً من الصعيد يقال لها : سُكْرٌ ، فقدم عليه حين نزلها رسولُ لعبد الملك ، فقال له عبد العزيز : ما اسمك ؟ قال طالب بن مُدْرِك ! فقال : أوه ! ما أراى راجعاً الى الفُسْطَاط أبداً ، ومات في تلك القرية

وقيل : بينا مروان بن محمد في إيوان له يُنفذُ الأمور ، فانصدعت زُجاجةُ الإيوان ، فوقعَت الشمسُ منها على منكب مروان وكان هناك عياف فقال : صدعُ الزُّجاجِ أمرٌ منكراً على أمير المؤمنين ، ثم قام فاتّبعه ثوبان مولى مروان . فقال له : ويحك !

(١) كذا في أحد الأصلين الفتوغرافيين ومعجم ياقوت في إحدى روايته والأغاني (ج ١ ص ٣٦٠) طبع دار الكتب المصرية . وفي رواية أخرى لياقوت وتاريخ الإسلام للذهبي والنجوم الزاهرة والكندي أنه نزل الى حلوان قرب مصر ومات بها . وفي الأصل الآخر الفتوغرافي : «شكر» بالشين المعجمة وهو تحريف .

ما قلت ؟ قال . قلت : صَدْعُ الزجاج صدع السلطان ، ستذهب الشمس بملك مروان ، بقوم من الترك أو خراسان : ذلك عندي واضح البرهان . قال : فما ورد لذلك شهران حتى ورد خبر أبي مسلم .

وقال إبراهيم بن المهدي : أرسل إلى محمد الأمين في ليلة مُقَمَّرَةٍ من ليالى الصيف فقال : يا عمي ! إن الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت فصر إلى فياني اليك مشتاق بخيئتة وقد بسط له على سطح ، وعنده سايمان بن جعفر ، وعليه كساء رُوذباري ، وقلنسوة طويلة ، وجواريه بين يديه ، وضعف جاريته عنده . فقال لها : غنيني فقدم سررت بعمومتي ، فاندفعت تغنيه :

هُم قتلوه كي يكونوا مكانه * كما فعالت يوما بكسرى مراربه

بنى هاشم كيف التواصل بيننا * وعند أخيه سيفه ونجائبه

هكذا غنته ، وإنما هو :

* وعند علي سيفه ونجائبه *

فغضب وتطير ، وقال : ما قصصتك ؟ ويحك ! غنيني ما يسرني ، فغنت :

هذا مقام مطرد * هدمت منازل ودوره

فازداد تطيرا ، ثم قال : ويحك ! أنتهى وغنى غير هذا ، فغنت :

كليب لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضرج بالدم

فقال لها : قومي الى لعنة الله ، فوثبت ، وكان بين يديه قدح بلور وكان لحبه

إياه يسميه محمدا باسمه ، فأصابه طرف ذيلها فسقط على بعض الصواني فانكسر ،

فأقبل على وقال : أرى والله يا عم أن هذا آخر أمرنا ، فقلت : كلا ! بل يبقيك الله

يا أمير المؤمنين ويسرك . قال : ودجلة والله هادئة ما فيها صوت مجداف ، ولا أحد

يتحرك ، فسمعت هاتفا يهتف : (قضى الأمر الذى فيه تستفتيان) قال فقال لى :

سمعت يا عم؟ فقلت: وما هو؟ وقد والله سمعته، فاذا الصوت قد عاد، فقال: أنصرف
ببتك الله بخير فبحال ألا تكون الآن قد سمعت ما سمعت، فانصرفت وكان آخر العهد به.

(٤٢)

وشبيه بهذا ما حكى عن علوية المغنى قال: كنت مع المأمون لما خرج الى
الشام، فدخلنا دمشق فطفنا فيها، وجعل يطوف على قصور بني أمية، ويتتبع
آثارهم، فدخلنا صحنًا من صحنهم، مفروشًا بالرخام الأخضر، وفيه بركة ماء فيها سمك،
وأمامها بستان، فاستحسن ذلك وعزم على الصبوح ودعا بالطعام والشراب، وأقبل
على فقال: غنى ونشطنى، فكان الله تعالى أنسانى الغناء كله إلا هذا الصوت من
شعر عبد الله بن قيس الرقيات:

لو كان حولى بنو أمية لم * تنطق رجالاً أراهم نطقوا

من كل قرم محض ضرائبه * عن منكبيه القميص ينخرق

قال: فنظر الى مغضبًا، وقال: عايك وعلى بنى أمية لعنة الله، ويلك! أقلت
لك سرنى أو سؤنى؟ ألم يكن لك وقت تذكر فيه بنى أمية إلا هذا الوقت
تعرض بى؟ فتجلدت عليه وعلمت أنى قد أخطأت، فقلت: أتلومنى على أن أذكر
بنى أمية! هذا مولاكم زرياب عندهم يركب فى مائى غلام مملوك له، ويملك
ثلثمائة ألف دينار [وهبوها له سوى الخيل والضياع والتزيق^(١)] : وأنا عندكم أموت
جوعا، فقال: أو لم يكن لك شىء تذكرنى به نفسك غير هذا؟ فقلت: هكذا
حضرنى حين ذكرتهم، فقال: أعرض وتنبه على إرادتى وغنى فأنسانى الله كل شىء
أحسنه إلا هذا الصوت:

الحين ساق الى دمشق وما * كانت دمشق لأهلنا بلدا

قادتك نفسك فاستقدت لها * وأرتك أمر غواية رشدا

٢٠

(١) الزيادة عن الأغاني.

فرماني بالقدح فأخطأني وانكسر القدح ، وقال : قم الى لعنة الله وحرّ سقر !
فركب ، وكانت تلك الحال آخر عهدى به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل .

ومثل ذلك ما حكى في قِثْلَةِ المتوكل ، وذلك أنه جلس يوم الأربعاء لأيام خلون
من شوال سنة تسع وأربعين ومائتين ، وقال للفتح بن خاقان : أحب أن نصطحب ،
فأحضر المغنين وفيهم أحمد بن أبي العلاء فقال له : غنّ ، فغنّى :

يا عاذلّي من الملام دعاني * إن البليّة فوق ما تصفان
زعمت بُثينة أن فرقتنا غدا * لا مرحبا بغدٍ فقد أبكاني

فتطير المتوكل منه ، وقال : أحمد ، كيف وقع لك أن تغنى بهذا الشعر ! قال :
فشغل قلبُ ابن أبي العلاء لما أنكر عليه ، ثم ذهب ليغنّي غيره ، فغنّاه ثانية ، فقال
المتوكل : نسأل الله خير هذا اليوم ، وصرف المغنين وقام لصلاة الظهر ، فلما فرغ
قال له الفتح : يا سيدي أتمّ يومك ، فدعا بالشراب وقال : أين ابن أبي العلاء ؟
فأحضر فقال له : غنّ ، فاغمى عليه فأعاد البيتين فاغمّ المتوكل غاية الغمّ ، وقُتل
في الليلة الآتية من ذلك اليوم .

قال القاضي أبو علي الجويني : حضرتُ بين يدي سيف الدولة أبي الحسن
صدّقة بن منصور بن دُبَيْس ، وابنه أبو المكارم محمد اذ ذاك مريض مرضه الذي
مات فيه ، وقد أتى بديوان أبي نصر بن نباته فتصفّحه فوقع بيده : وقال يعزّي
سيف الدولة أبا الحسن ويرثي ابنه أبا المكارم محمداً ، فأخذتُ المجلد وأطبقته فعماد
فتصفّحه فخرج ذلك ، ومن القصيدة التي عنها قوله :

فإنّ بيمًا فارقين حُفَيرةً * تركنا عليها ناظر الجود داميا
تضمّنها أيدي فتى ثكلت به * غداة ثوى أمالنا والأمانيا
ولما عدمنا الصبر بعد محمد * أتينا أباه نستفيد التعازيا

وحكى أن أبا الشَّمَقْمَق شَخَص مع خالد بن يزيد بن مَزِيد وقد تَقَلَّد المَوْصِل ،
فلما أراد الدخول إليها أَدَقَّ لَوَاؤَهُ في أَوَّلِ دَرَبِ مِنْهَا ، فَتَطَيَّرَ مِنْ ذَلِكَ وَعَظُمَ عَلَيْهِ ،
فَقَالَ أَبُو الشَّمَقْمَق :

مَا كَانَ مَنَدَقُ اللِّوَاءِ لِرِيْبَةٍ * تُخْشَى وَلَا أَمْرٍ يَكُونُ مَبْدَلًا
لَكِنَّ هَذَا الرِّيحَ ضَعْفٌ مَتْنَهُ * صَغُرَ الْوَلَايَةُ فَاسْتَقَلَّ الْمَوْصِلَا ٥

فَسُرِّيَ عَنْ خَالِدٍ . وَكَتَبَ صَاحِبُ الْبَرِيدِ بِذَلِكَ إِلَى الْمَأْمُونِ ، فَزَادَهُ دِيَارَ رِبْعَةٍ
وَكُتِبَ إِلَيْهِ : هَذَا التَّضْعِيفُ الْمَوْصِلَ مِثْنَ رَمْحٍ . فَأَعْطَى خَالِدٌ أبا الشَّمَقْمَقَ عَشْرَةَ
آلَافٍ دِرْهَمٍ .

وَقِيلَ : لَمَّا تَوَجَّهَ الْمُسْتَرَشِدُ لِلِقَاءِ السُّلْطَانِ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مَلِكِشَاهِ
السُّلْجُوقِيِّ ، وَقَعَ عَلَى الشَّمْسِيَّةِ الَّتِي تُرْفَعُ عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ مِنَ الْجَوَارِحِ وَأَلَحَّ ، كَلِمًا نُفِّرَ ١٠
عَادَ ، فَتَفَاعَلَ النَّاسُ لَهُ بِذَلِكَ وَسُرَّ هَوْبُهُ ، فَقَالَ إِنْسَانٌ يُعْرَفُ بِمَلِكْدَارٍ : هَذَا جَارِحٌ
وَمُنْقَبِضُ الْكَفِّ وَلَيْسَ فِيهِ بُشْرَى بَلْ ضِدُّهَا ، وَأَقْبَلَ السُّلْطَانُ فِي جَيْشِهِ فَكَانَتْ
الْكِسْرَةُ وَقُبِضَ عَلَى الْمُسْتَرَشِدِ وَقُتِلَ مِنْ بَعْدِ .

خَرَجَ بَعْضُ مَلُوكِ الْفُرْسِ إِلَى الصَّيْدِ ، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ آسَتْ قَبْلَهُ أَعُورٌ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ
وَحَبْسِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ وَتَصَيَّدَ صَيْدًا كَبِيرًا ، فَلَمَّا عَادَ آسَدَعَى الْأَعُورَ وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ ، ١٥
فَقَالَ الْأَعُورُ : لَا حَاجَةَ لِي فِي صِلَتِكَ ، وَلَكِنْ أَيْدُنِي لِي فِي الْكَلَامِ ، فَقَالَ : تَكَلِّمْ ! قَالَ :
لَقِيتَنِي فَضَرَبْتَنِي وَحَبَسْتَنِي ، وَلَقِيتَكَ فَصَدَّتْ وَسَلِمْتَ فَأَيْنَا أَشَامُ ؟ فَضَحِكَ وَخَلَاهُ .

الفراصة والذكاء

يَقُولُونَ : عَظُمَ الْجَبِينُ يَدَلُّ عَلَى الْبَلَاءِ ، وَعَرَضُهُ يَدَلُّ عَلَى قِلَّةِ الْعَقْلِ ، وَصِغَرُهُ عَلَى
لُطْفِ الْحَرَكَةِ ، وَالْحَاجِبَانِ إِذَا اتَّصَلَا عَلَى آسْتِقَامَةٍ دَلَّا عَلَى تَخْنِيثٍ وَأَسْتِرْخَاءٍ ، وَإِذَا ٢٠

ترتجوا نحو الصُّدغين دَلًّا على طَنْزٍ^(١) وأستهزاء، والعين إذا كانت صغيرة الموق دَلَّت على سوء دِخْلَةٍ وخُبْث شمائل، وإذا وقع الحاحب على العين دَلَّ على الحسد، والعين المتوسطة في حجمها دليل فطنة وحسن خُلق ومروءة، والناثئة على اختلاط عقل، والطائرة على حِدَّة، والتي يطول تحديقها على قحَّة وحمق، والتي تكسر طرفها على خَفَّة وطيش، والشَّعر على الأذن يدل على جودة السمع، والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان.

وحكى أن أبا موسى الأشعري وجه السائب بن الأقرع في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى مَهْرَجَا نَقْدَق^(٢) ففتحتها ودخل دار الهرمزان بعد أن جمع السبي والغنائم، ورأى في بعض مجالس الدار تصاوير فيها مثال ظبي وهو مشير بإحدى يديه إلى الأرض، فقال السائب: لأمرٍ ما صُور هذا الظبي هكذا، إن له لشأنا، فأمر بحفر الموضع الذي الإشارة إليه فأفضى إلى موضع فيه حوض من رخام، فيه سَفَطُ جوهر فأخذه السائب وخرج به إلى عمر رضي الله عنه.

وقيل: كان المعتضد يوما جالسا في بيت يُبنى له وهو يشاهد الصُّنَّاع فرأى في جماتهم عبدا أسود منكر الخلق، شديد المرح، يصعد على السلالم مرقاتين مرقاتين ويحمل ضعُف ما يحمل غيره، فأنكر أمره، وأحضره وسأله عن سبب ذلك، فلجلج فقال لوزيره: قد نَحَمْتُ في هذا تخميناً ما أحسبه باطلا، إنا أن يكون معه دنائير قد ظفربها من غير وجهها، أو ليصا يتستّر بالعمل، ثم قال: على بالأسود فأحضره وضربه، وحلف إن لم يصدق له ليضربن عنقه، فقال الأسود: ولي الأمان يا أمير المؤمنين، قال: نعم! إلا ما كان من حد، فظن أنه قد أتمنه، فقال: كنت أعمل في أتون الآجر، منذ سنين فأنا منذ شهور جالس إذ مرت بي رجل في وسطه

(١) الطنز: السخرية. (٢) كورة ذات مدن وقرى عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همدان.

- كيس فتبعته وهو لا يعرف مكانى، فحلّ الهميان وأخرج منه ديناراً فتألمته فإذا كله دنائير، فكشفته وسددت فاه وأخذت الهميان وحملتة على كتفى وطرحته فى التنور وطينت عليه، فلما كان بعد أيام أخرجت عظامه وطرحتها فى دجلة، والدنائير معى تقوى قلبى، قال : فأرسل المعتضد من أحضر الدنائير، وإذا على الكيس : لفلان بن فلان، فنادى فى المدينة، فحضرت امرأته وقالت : هذا زوجى وقد ترك طفلاً صغيراً، خرج فى وقت كذا ومعه كيس فيه ألف دينار، فغاب الى الآن، فسلم الدنائير إليها وأمرها أن تعتد، وضرب عنق الأسود وأمر أن يوضع فى الأتون .
- وقيل : جالس المنصور فى إحدى قباب المدينة فرأى رجلاً ملهوفاً مهموماً يحول فى الطرقات، فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنه خرج فى تجارة فأفاد مالا ورجع الى منزله به، فدفعه الى امرأته، فذكرت المرأة أن المال سرق ولم ير نقباً ولا تسليقاً، فقال له المنصور : منذ كم تزوجتها ؟ قال : منذ سنة، قال : فبكراً أو ثيباً ؟ قال : ثيباً، قال : فلها ولد من سواك ؟ قال : لا، قال : شابة أم مسنة ؟ قال : شابة، فدعا المنصور بقارورة طيب، وقال : تطيب بهذا، فهو يذهب همك، فأخذها وأنقلب الى أهله، ثم قال المنصور لأربعة من ثقاته : أقعدوا على أبواب المدينة، فمن مرّ بكم وعليه شئ من هذا الطيب فأتوني به، وأشمهم من ذلك الطيب، ومضى الرجل بالطيب، فدفعه الى امرأته وقال : وهبه لى أمير المؤمنين، فلما شمته بعثت به الى رجل كانت تحبه وقد كانت دفعت اليه المال فتطيب به، ومرّ مجتازاً ببعض الأبواب، فأخذ وأتى به الى المنصور، فقال له : من أين آستفدت هذا الطيب ؟ فلجلج لسانه، فسلمه الى صاحب شرطته وقال : إن أحضر الدنائير وإلا فاضربه ألف سوط، فما هو إلا أن جرد وهدد، فأحضر الدنائير على حالتها فأعلم المنصور بذلك، فدعا صاحب الدنائير وقال : أرأيتك إن رددت عليك متاعك بعينه أتحكمنى فى امرأتك ؟ قال : نعم ! قال : خذ دنائيرك وقد طلقت امرأتك وخبره الخبر.

ودخل شريك بن عبد الله القاضي على المهدي فأراد أن يتخذه فقال للخادم: ائت القاضي بعود، فذهب بجاء بالعود الذي يلتهى به، فوضعه في حجر شريك، فقال شريك: ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: عود أخذه صاحب العسس البارحة فأحببنا أن يكون كسره على يد القاضي، فقال شريك: جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين، ثم ضرب به الأرض فكسره ثم أفاضوا في حديث آخر حتى نسي الأمر، ثم قال المهدي لشريك: ما تقول فيمن أمر وكيلا له أن يأتي بشيء بجاء بغيره فتلف ذلك الشيء؟ فقال: يضمّن يا أمير المؤمنين، فقال للخادم: آضمن ما تلف.

الباب الرابع

من القسم الثاني من الفن الثاني

في الكنايات والتعريض

والكنايات لها مواضع، فأحسنها العُدُول عن الكلام القبيح إلى ما يدل على معناه في لفظ أبهى منه. ومن ذلك أن يُعْظَم الرجل فلا يُدعى باسمه ويُكنى بكنيته، أو يكنى باسم ابنه صيانة لاسمه، وقد ورد في ذلك كثير من آي القرآن فمنها قوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ أي كنيّا. وقد كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه: بأبي تراب، وقال البحرى:

يتشاعفن^(١) بالغرير المسمى * من تصاب دون الجليل المكنى

(١) كذا في ديوان البحرى طبع الأستانة سنة ١٣٠٠ هـ (ص ٢٣١ ج ١) وفي الأصول:

يتشاعفن بالصغر المسمى * موضعات وبالكبير المكنى

وهذا يدل على أن المراد بالكنية التبجيل ، وقول ابن الرومي :

بكت شجوها الدنيا فلما تدينّت ^(١) * مكانك منها استبشرت وتثنت
وكان ضيلا شخصها فتطاوت * وكانت تسمى ذلة فتكنت

وقال أبو صخر الهذلي :

أبى القلب إلا حبه عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمرو

- ومن عادة العرب وشأنهم ، استعمال الكنايات في الأشياء التي يستحيا من ذكرها ، قصدا لتعفف باللسان ، كما يتعفف بسائر الجوارح ، قال الله عز وجل تأديبا لعباده : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ﴾ فقرة البصر بصفة الفرج ، وفي القرآن كنايات عدل بها عن التصريح تنزيها عن اللفظ المستهجن ، كقوله تعالى : ﴿ نِسَاءُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ وقال أبو عبيد : هو كناية ، شبه النساء بالحَرْث ، وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا اجْلُودْهُمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ ، قيل : هو كناية عن الفروج ، وفي موضع آخر : ﴿ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ أَحَلَّ لَكُمْ لَيْسَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ قال المفسرون : هذا تنبيه بأكل الطعام على عاقبة ما يصير إليه ، وهو الحَدَث ، لأن من أكل الطعام فلا بد أن يحدث . ثم قال : ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ﴾ وهذا من ألطف الكناية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ فالغائط : المطمئن من الأرض ، وكانوا يأتونه لحاجتهم ويستترون به عن الأماكن المرتفعة . ومن لم ير الوضوء من لمس النساء جعل الملامسة هاهنا كناية عن الفعل .

٢٠

(١) هذان البيتان لم يردا في ديوانه المطبوع في الأستانة والأجزاء المطبوعة منه في مصر ولا في النسخة

الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية .

ومن الكنايات في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو وإن كان قد ورد في الأمثال أشبه بالكناية — منها قوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم وخضراء الدمن" يريد بها المرأة الحسناء في المنبت السوء، وتفسير ذلك: أن الريح تجمع الدمن، وهو البعر في البقعة من الأرض فاذا أصابه المطر نبت نبتاً غصّاً يهترئ وتحتته الدمن الحبيث، يقول: فلا تتكحوا هذه المرأة الحسناء لجمالها، ومنبتها خبيث كالدمن، فإن أعراق السوء تنزع أولادها. وقال زفر بن الحارث:

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى * وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقوله صلى الله عليه وسلم: "حجى الوطيس" قاله لما جال المسلمون يوم حنين، والوطيس: حفيرة تحتفر في الأرض شبيهة بالتنور. وقال الحسن: لبث أيوب عليه السلام على المذبة سبع سنين، وما على الأرض يومئذ خلق أكرم على الله منه، فما سأل الله العافية إلا تعريضا في قوله: ﴿إِنِّي مَسْنِي الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ والعرب تكني عن الفضلة المستقدرة بالألفاظ كلها كنايات، منها: الرجيع والنجوى والبراز والغائط والعذرة والحش، فبعض هذه الألفاظ يراد بها نفس الحديث، وبعضها يراد بها المواضع التي يأتي إليها الحديث، وكذلك استعملوا في إتيان النساء: الجامعة، والمواقعة، والمباضعة، والمباشرة، والملازمة، والمماسية، والخلوة، والإفضاء، والغشيان، والتغشى، وكل هذه الألفاظ مذكورة في القرآن.

وحكى: أن رجلا من بنى العنبر كان أسيرا في بكر بن وائل، وعزموا على غزو قومه، فسألهم رسولا إلى قومه، فقالوا: لا ترسل إلا بحضرتنا لئلا تذرهم، وجرى بعبد أسود، فقال له: أتعقل؟ قال: نعم إني لعاقل، قال: ما أراك عاقلا! ثم أشار بيده إلى الليل، فقال: ما هذا؟ قال: الليل! قال: أراك عاقلا. ثم ملاء كفيه من الرمل فقال: كم هذا؟ قال: لا أدري وإنه لكثير، قال: أيما أكثر،

النجوم أم النيران؟ قال : كلٌّ كثير ، فقال : أبلغ قومي التحية ، وقل لهم : ليكرموا فلانا -
يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بكر - فإن قومه لى مكرمون وقل لهم : إن العرّنج قد
أدبى ، وشكّت النساء ، وأمرهم أن يُعروا ناقتى الحمراء ، فقد أطلوا ركوبها ، وأن
يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلت معكم حيسًا ، وأسألوا عن خبرى أنحى الحارث ؛
فلما أدّى العبد الرسالة اليهم قالوا : قد جُنّ الأعور ، والله ما نعرف له ناقة حمراء ،
ولا جملا أصهب ، ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة ، فقال :
قد أنذركم ، أما قوله : قد أدبى العرّنج ، فإنه يريد : أن الرجال قد آستلأموا ولبسوا
السلح ، وقوله : وشكّت النساء ، أى آتخذن الشكاء للسفر ، وقوله : الناقة الحمراء ،
أى أرتحلوا عن الدحناء ، وأركبوا الصّمان وهو الجملى الأصهب ، وقوله : بآية ما أكلت
معكم حيسًا ، أى أخلاطا من الناس قد غزّوكم ، لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقط ،
فآمتلوا ما قال ، وعرفوا الحن كلامه .

وحكى أبو الفرج الأصفهاني بسنده الى مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن
عُمير قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة ، فأرسل الى عشرة أنا أحدهم من
وجوه أهل الكوفة ، فسمرنا عنده . ثم قال : ليحدثنى كلّ رجل منكم أحدوثة .
وأبدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله الأمير ، أحدث الحق أم حديث
الباطل ؟ قال : بل حديث الحق ، قلت : إن امرأ القيس آلى ألية
ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين ، بفعل يخطب النساء فاذا
سألن عن هذا ، قلن أربعة عشر ، فبينا هو يسير فى جوف الليل اذا هو برجل يحمل
آبنة له صغيرة ، كأنها البدر لمتّه ، فأعجبته فسألها : يا جارية ! ما ثمانية وأربعة واثنان ؟
فقلت : أما ثمانية فأطبأ الكلبة ، وأما أربعة فأخلف الناقة ، وأما اثنان

(١) فى الأغاني : « يا أبا عمر » .

فثديا المرأة؛ فخطبها الى أبيها ، فزوجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن
 ثلاث خصال ، بفعل لها ذلك ، على أن يسوق اليها مائة من الإبل ،
 وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ، ففعل ذلك ، ثم إنه بعث عبدا له
 الى المرأة ، وأهدى لها نحيّا من سمن ، ونحيّا من عسل ، وحلة من قصب ، فنزل العبد
 على بعض المياه ، فنشر الحلة فلبسها فتعلقت بسمرة فانشقت ، وفتح النحيين فأطعم أهل
 الماء منهما فنقصا ، ثم قدم على حى المرأة وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها ،
 ودفع اليها هديتها ، فقالت له : أعلم مولاك أن أبى ذهب يقرب بييدا ، ويبعد قريبا ،
 وأن أمى ذهبت تشق النفس نفسين ، وأن أخى ذهب يراعى الشمس ، وأن سماءكم
 أنشقت ، وأن وعاءيكم نضبا ، فقدم الغلام على مولاه فأخبره ، فقال : أما قولها : أن
 أبى ذهب يقرب بعيدا ويبعد قريبا : فإن أباهما ذهب يحالف قوما على قومه ، وأما
 قولها : ذهبت أمى تشق النفس نفسين : فإن أمها ذهبت تقبل امرأة نفساء ، وأما
 قولها : ذهب أخى يراعى الشمس : فإن أخاها فى سرج له يرعاه ، فهو ينتظر وجوب
 الشمس ليروح به ، وقولها : أن سماءكم أنشقت : فإن البرد الذى بعثت به انشق ،
 وأما قولها : أن وعاءيكم نضبا : فإن النحيين نقصا ، فأصدقنى ، فقال : يا مولاي !
 إني نزلت بماء من مياه العرب ، فسألوني عن نسبي ، فأخبرتهم أنى ابن عمك ، ونشرت
 الحلة فلبستها وتجلت بها ، فتعلقت بسمرة فانشقت ، وفتحت النحيين فأطعمت منهما
 أهل الماء . فقال : أولى لك ، ثم ساق مائة من الإبل ، وخرج ومعه الغلام ليسقى
 الإبل ، فعجز ، فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام فى البئر ، وخرج حتى أتى المرأة
 بالإبل فأخبرهم أنه زوجها ، فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى
 أزوجى هو أم لا ؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ،
 فأكل ما أطعموه ، قالت : أسقوه لبنا حازرا (وهو الحامض) فسقوه فشرب ،

- فقلت : أفرشوا له عند الفَرثِ والدم ، ففرشوا له ؛ فنام . فلما أصبحت أرسلت إليه : أريد أن أسألك عن ثلاث ، قال : سلى عما بدا لك ، فقلت : لم تختلج شفتاك ؟ قال : من تقبيل إياك ! قالت : لم تختلج نخذك ؟ قال : لتوركي إياك ! قالت : فلم يختلج كشحاك ؟ قال : لالتزامي إياك ! قالت : عليكم العبد ! فشدوا أيديكم به ؛ ففعلوا . قال : ومررت قوم فاستخرجوا أمراً القيس من البئر ، فرجع الى حيه وآستاق مائةً من الابل وأقبل الى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجك ! فقلت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا ؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ؛ فلما أتوه بذلك ، قال : وأين الكبد والسَّنام والمُلْجاء^(١) ؟ فأبى أن يأكل ، فقلت : أسقوه لبنا حازرا ، فأثنى به ، فأبى أن يشربه وقال : أين الصَّريف^(٢) والرَّثِيئة^(٣) ؟ فقلت : أفرشوا له عند الفَرثِ والدم ، ففرشوا له ؛ فأبى أن ينام وقال : أفرشوا لي فوق التاعة الحمراء وأضربوا عليها خباء ، ثم أرسلت اليه : هلم شريطتى عليك فى المسائل الثلاث ، فأرسل اليها : سلني عما شئت ، فقلت : لم تختلج شفتاك ؟ قال : لشرب المشعشات ؛ قالت : فلم يختلج كشحاك ؟ قال : للبس الحبرات ؛ قالت : فلم يختلج نخذك ؟ قال : لركض المطهَّمات ؛ قالت : هذا زوجى لعمرى ! فعليكم به ، وأقتلوا العبد فقتلوه ، ودخل أمرؤ القيس بالجارية ؛ قال ابن هُبيرة : حسبكم ! فلا خير فى الحديث فى سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن يأتينا أحداً بأعجب منه ، فقمنا فانصرفنا وأمر لي بجائزة .

- وقيل : بعث بشامة بن الأعور العنبري الى أهله بثلاثين شاةً ونحى صغير فيه سمن ، فسرق الرسول شاة ، وأخذ من رأس النجى شيئا ، فقال لهم الرسول : ألكم

(٤٦)

(١) المُلْجاء : لحم فى الصلب من الكاهل الى العجز من البعير .

(٢) الصَّريف : اللبن ساعة الحلب .

(٣) الرَّثِيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو ليخثر .

حاجة أخبره بها؟ فقالت امرأته : أخبره أن الشهر محاق ، وأن جدينا الذي كان يطالعنا وجدناه مرثوما ، فارتجع منه الشاة والسمن .

وقيل : أسرت طي غلاما ، فقدم أبوه ليفديه ، فأشتطوا عليه . فقال أبوه : لا والذي جعل الفرقدين يُمسيان ويصبحان على جبل طي ! ما عندي غير ما بذلته ، ثم أنصرف وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خير فهمه كأنه قال : الزم الفرقدين على جبل طي ، ففهم الأب تعريضه وطرده إبلا لهم من ليلته ونجا .

ومن التخلص المتوصل إليه بالحكاية ما روى عن عدى بن حاتم بن عبد الله الطائي ، أنه قال يوما في حق الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ألا تعجبون لهذا؟ أشعر بركا يولى مثل هذا المصر ، والله ما يحسن أن يقضى في تمرتين . فبلغ ذلك الوليد فقال على المنبر : أنشد الله رجلا ستماني أشعر بركا إلا قام ، فتمام عدى بن حاتم فقال : أيها الأمير ، إن الذي يقوم فيقول : أنا ستميتك أشعر بركا لجرى ، فقال له : أجلس يا أبا طريف ! فقد برأك الله منها ، فجلس وهو يقول : ما برأني الله منها .

وقيل : كان شريح عند زياد بن أبيه وهو مريض ، فلما خرج من عنده أرسل إليه مسروق رسولا وقال : كيف تركت الأمير؟ فقال : تركته يأمر وينهى ، قال مسروق : إنه صاحب تعريض ، فارجع إليه وأسأله ما يأمر وينهى ، قال : يأمر بالوصية وينهى عن النوح .

خطب رجل إلى قوم فجاءوا إلى الشعبي يسألونه عنه ، وكان به عارفا ، فقال : هو والله ما علمت نافذ الطعنة ، ركين الجلسة ، فزوجه ، فاذا هو خياط فأتوه فقالوا : غررتنا فقال : ما فعلت وإنه لكما وصفت .

(١) أشعر بركا ، لأنه كان أشعر الصدر .

(٢) كذا في العقد الفريد . وفي الأصول : « عرص » ولعلها : « عو يص » .

وخطب باقلانيّ الى قوم وذكر أن الشعبيّ يعرفه فسألوه عنه فقال : إنه
لعظيم الرماد، كثير الغاشية .

قيل : أخذ العسس رجلين فقال لهما : من أنتم؟ فقال أحدهما :
أنا ابن الذي لا ينزل الدهر قدّره * وإن نزلت يوما فسوف تعود
تري الناس أفواجا إلى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود
وقال الآخر :

أنا ابن من تخضع الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها
تأتيه بالذل وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها
فطنوهم من أولاد الأكابر ، فلما أصبح سأل عنهما ، فاذا الأول ابن طبّاخ
والثاني ابن حجام .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أى الطعام أحب اليك ؟
قال : الزبد والكجاء . فقال : ما هما بأحب الطعام اليه ، ولكنه يحب الحصب
للسلمين .

وقال لقمان لابنه : كُلْ أطيب الطعام ، ونَمْ على أوطأ الفرش . كُنْ عن إكثار
الصيام وإطالة القيام .

ومن جيد التورية وغريبها مع توتحي الصدق في موطن الخوف : قول أبي بكر
الصادق رضى الله عنه ، وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رديفه عام
الهجرة ، فقبل له : من هذا يا أبا بكر؟ فقال : رجل يهدينى السبيل .

ورُفِعَ الى عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة وصيةً لرجل بمال أمر أن يُتَّخَذَ به
حصون . فقال : اشترُوا به خيلا للسبيل ، أما سمعتم قول النخعيّ .

ولقد علمت على تجنبي الردى * أن الحصون الخيل لا مدر القرى

قيل كان البراء بن قبيصة صاحب شراب ، فدخل على الوليد بن عبد الملك ، وبوجهه أثر ، فقال : ما هذا ؟ قال فرس لي أشقر ، ركبته فكجا بي ، فقال : لوركبت الأثمب لَمَا كجا بك ، يريد الماء .

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن الزبير : ما ثابت من الأسماء ! ليس باسم رجل ولا امرأة . قال : يا أمير المؤمنين لا ذنب لي لو كان اسمي إلى لسميت نفسي زينب ، يُعرضُ به ، فانه كان يعشق زينب بنت عبد الرحمن بن هشام فخطبها ، فقالت : لا أوسخ نفسي بِأبي الذَّبان^(١) .

قال نُمَيْري لفقعسي : إني أريد إتيانك فأجد على بابك نُحراء ، فقال له الفقعسي : اطرَح عليه ترابا وادخل ، أراد النُمَيْري قول الشاعر :

يَنَامُ الْفَقْعَسِيُّ وَمَا يُصَلِّي * وَيَخْرُا فَوْقَ قَارِعَةِ الطَّرِيقِ

وأراد الفقعسي قول الآخر :

وَلَوْ وَطِئْتُ نِسَاءَ بَنِي نَمِيرٍ * عَلَى ثُرْبٍ لَخَبِئْتُ التَّرَابَا

قال عبد الله بن الزبير لامرأة عبد الله بن حازم السلمى : أخرجى المال الذى وضعته تحت آستك ، فقالت : ما ظننت أن أحدا يلى شيئا من أمور المسلمين يتكلم بهذا ! فقال بعض من حضر : أما ترون الخلع الخفى الذى أشارت إليه ؟ فلما أخذ المجاج أم عبد الرحمن بن الأشعث تجنب ما عيب على ابن الزبير ، فكنى عن المعنى فقال لها : عمدت إلى مال الله فوضعتَه تحت ذيلك .

ماتت للهدلى أم ولدٍ فأمير المنصور الربيع بآن يعزىه ويقول له : إن أمير المؤمنين يوجه اليك بجمارية نفيسة لها أدبٌ وظرفٌ تُسليكَ عنها ، وأمر لك بفرس

(١) كنية كان يكنى بها عبد الملك بن مروان لبخره .

وكُسوةٍ وصلاةٍ ؛ فلم يزل الهذلي يتوقعها ونسيها المنصور ، ثم حج ومعه الهذلي فقال له وهو بالمدينة : أحب أن أطوف الليلة في المدينة ، وأطلب من يطوف بي ، فقال : أنا لها يا أمير المؤمنين ؛ فطاف به حتى وصل الى بيت عاتكة فقال : يا أمير المؤمنين ! وهذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص :

* يا بيت عاتكة الذي أتعزل *

٥

فأنكر المنصور ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه ؛ فلما رجع أمر القصيدة على خاطره فاذا فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذاق الحديث يقول مالا يفعل

فتذكر الموعد وأنجزه واعتذر اليه .

١٠ اجتمع الشعراء بباب أمير من أمراء العرب ، فمتر رجل بباز فقال رجل من بني تميم لآخر من بني نمير : هذا البازي ! فقال النميري : إنه يصيد القطا ؛ عرض الأول بقول جرير :

أنا البازي المطل على نمير * أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد الآخر قول الطرمح :

١٥ تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلك طرق المكارم ضلت

قال عمر بن هبيرة الفزاري لأيوب بن ظبيان النميري وهو يسايره : غص من بغلتك ! فقال : إنها مكتوبة ، أراد ابن هبيرة قول جرير :

فغص الطرف إنك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد النميري قول ابن دارة :

٢٠ لا تأمنن فزارياً خلوت به * على قلوبك واكتبها بأسيار

وقيل : كان العزيز بن المعز العبيديّ أحد الخلفاء بمصر يلعب بالجمّام ، فتسابق هو وخادم له فسبق طائر الخادم طائر الخليفة ، فبعث الى وزيره ابن كلّس اليهوديّ يستعلمه عن ذلك فاستحيا أن يقول : إن طائر الخليفة سبق ، فكتب إليه :

يا بن الذي طاعته عصمة * وحبّه مفترض واجب
طائر السابق لكانه * جاء وفي خدمته حاجب

جاءت امرأة الى عمر رضى الله عنه فقالت : أشكو اليك زوجي ، خير أهل الأرض إلا رجلا سبقه لعمل ، أو عمل مثل عمله ، يقوم الليل حتى يصبح ، ويصوم النهار حتى يمسي ، ثم أخذها الحياء فقامت : أقلني يا أمير المؤمنين ، فقال : جزاك الله خيرا ! فقد أحسنت الشاء ، فلما ولت قال كعب بن سور^(١) : يا أمير المؤمنين لقد أبلغت اليك في الشكوى ، فإنها كنت بذلك عن عدم المباذعة .

الباب الخامس

من القسم الثاني من الفن الثاني

في الألفاز والأحاجي

قالوا : وأشتقاق الألفاز من أَلْفَزَ اليربوعُ وَلَغَزَ ، إذا حفر لنفسه مستقيا ، ثم أخذ يَمْنَةً ويسرة ليورى بذلك ويعمى على طالبه . ولَلْغَزُ أسماءٌ ، فمنها : المعاياة ، والعويص ، والرمز ، والمحاجة ، وأبيات المعاني ، والملاحن ، والمرموس ، والتأويل ، والكناية ، والتعريض ، والإشارة ، والتوجيه ، والمعنى ، والممثل ، ومعنى الجميع واحد ،

(١) كذا في أحد الأصولين الفتوغرافيين والقاموس والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي . وفي باقي

- وآختلافها بحسب اختلاف وجوه اعتباراته ، فانك إذا اعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعاينك ، أى يُظهر إعياءك وهو التعب ، سميته : معاياة ؛ وإذا اعتبرته من حيث صعوبة فهمه وأعتياص استخراجه ، سميته عويصا ؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه قد عمل على وجوه وأبواب ، سميته : لُغْزًا وفعلك له : إلغازا ؛ وإذا اعتبرته من حيث إن واضعه لم يفصح عنه قلت : رمز ، وقريب منه الإشارة ؛ وإذا اعتبرته من حيث إن غيرك حاجاك أى استخرج مقدار عقلك ، سميته : محاجة ؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه استخرج كثرة معانيه سميته : أبيات المعانى ؛ وإذا اعتبرته من حيث إن قائله قد يوهبك شيئا ويريد غيره ، سميته : لحنا وسميت فعلك : الملاحن ؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه ستر عنك ورُمس فهو : المرموس ، والرمس : القبر ؛ وإذا اعتبرته من أن معناه يؤول اليك ، سميته : مؤولا ، وسميت فعلك : تأويلا ؛ وإذا اعتبرته من حيث إن صاحبه لم يصرح بغرضه ، سميته : تعريضا وكناية ؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه ذو وجوه ، سميته : الموجه ، وسميت فعلك : التوجيه ؛ وإذا اعتبرته من حيث إنه مغطى عليك ، سميته : مَعْمَى .

قال الحكيم أمين الدولة المعروف بابن التلميذ في الميزان :^(١)

- ١٥ ما واحد مختلف الأسماء * يعدل في الأرض وفي السماء
يحكم بالقسط بلا رياء * أعمى يرى الرشاد كل رائي
أخرس لا من علة وداء * يُغنى عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو أمتراء * بالرفع والخفض عن النداء
* يفصح إن علّق في الهواء *



٢٠ (١) في أحد الأصول : « أمير » . وهو تحريف . واسمه : « أبو الحسن بن صاعد هبة الله الطيب » راجع الإعجاز في فنون الألفاظ للخطيرى .

قوله : مختلف الأسماء يعنى ميزان الشمس والأصطرلاب ، وسائر آلات الرصد ؛ وهو معنى قوله : يحكم فى السماء . وميزان الكلام النحو . وميزان الشعر : العروض . وميزان المعانى : المنطق . وهذه الميزان^(١) ، والذراع والمكيال .
وقال آخر فيه :

ما تقولون ؟ : فيما نزل من السماء ، وعُلّق فى الهواء ، له عينٌ عمياء ، وكفٌ شلاء ،
ليس له إن عدل ثواب ، ولا عليه إن جار عقاب ، خُلِقَ من ثلاثة أجناس ، تضعضعه
الأنفاس ، جسمه عارٍ من غير لباس ، أخرس اللسان ، فى أذنه حُرْصان ، مكرّر الذكر
فى القرآن ، ينطوى اذا نام كالصلّ ، وفعله المستقبل معتلّ ، وله فى الآخرة أكبر محلّ .

وقال أبو نصر الكاتب فى الخاتم :

ومنكوج إذا ملكته كف * وليس يكون فى هذا مرأى
له عينٌ تخلّلها ضياءٌ * فإن كُحِلَتْ فبالميل^(٢) العماء
يظلّ طليعةً للوصل هونا * ولجاني بزورته آحتماءُ
وقد أوضّخته وأبنتُ عنه * ففسّره فقد برح الخفاءُ

أراد بقوله : تخلّلها ضياءٌ أى أنها مفتوحة ، وكلّها بالإصبع ؛ وقد يبعث المحبوب بخاتمه
علامةً للزيارة أو رهنا عليها ، وهو أمانٌ للجاني .

وقال ابن الرومى فى فتيلة السراج :

ما حيّة فى رأسها دُرّة * تسبح فى بحر قليل المدى
إن غيّبت كان العمى حاضرا * وإن بدت لاح طريق الهدى

(١) كذا فى الأصول ، وهو غير ظاهر المعنى .

(٢) كذا فى أحد الأصول وفى كتاب الإعجاز فى فنون الألفاظ . وفى باقى الأصول : « فللبيل » .

وقال السرى الرفاء فى شبكة الصياد :

وكثيرة الأحداق إلا أنها * عمياء ما لم تنغمس فى ماء
واذا هى انغمست أفادت ربها * ما لا يُنال بأعين البصراء

وقال آخر فى النوم :

وحاملٍ يحملنى * وماله شخصٌ يرى
إذا حصلتُ فوقه * وهو لذيذُ المتطى
سريتُ لأدرى أفى * أرضٍ سريتُ أم سما

وقال أبو العلاء المعرى فى ركابى السرج :

خليلانِ نيطا فى جوانبِ مجالسٍ * جداراه قدامُ له ووراءُ
متى يضعُ الرّجلينِ ماشٍ عليهما * يزلُ عنه فى وشكٍ حفاً وحفاً

قوله : خليلان لتشابههما ، والمجلس : السرج ، وجداراه : قربوسه ورادفته ،
والحفا مقصور : وجعُ الرجل ، وممدود : من مشى الرجل حافيا بغير نعل .

وقال أبو القاسم عبد الصمد بن بابك فى القفل ^(١) :

مُجامعٌ يعقدُ عقْد الكابه * إن رامه غيرك جرّ نكبه
ينام كالأمرد لا كالقحبه * حتى إذا شكَّ القمْدُ جنبه
وعالج الحذبة بعد الحذبة * وأنحلَّ بالحقنة لا بالشربة
ألقى جنينا نتجتْهُ العزبة * ثم إذا عاد إليه أشبه
بعض حروفِ المعجمِ المنكبة * يُغض وهو صادق المحبة
يعتقد السّلم وينوى حربه * وهو على ذاك طويل الصّحبة

(١) كذا فى أحد الأصلين وكتاب الإعجاز فى فنون الألفاظ وريّة الدهر ووفيات الأعيان

شَبَّهَ بالمجامع : لدخول الفَرَّاش في بطنه ، وقوله : يعقد عقد الكلبة : في عُسر المفارقة ، وإن فتحه غيرك جرت نكبة عليك لسرقة ما [أقفلت عليه^(١)] ، ينام كالأمرد لأنجابه . والقُمْدُ : الذكر وهو المفتاح ، والحنين : الفَرَّاش ، وإذا عاد إليه أشبه حرف الكاف . وقال في اسم سعيد :

يَسم عن أقول اسمه حَيَّ * ثم بثاني حروفه يسـي
ثم بحرفين لو بدا بهما * أسدى يدا صورة اسمها تُنـي
أربعة نصفها بكلماتها * في العَد لم تنتقص ولم تُربى
هذا وفيه اسمُ يومٍ اتَّفقت * مفاخرُ العِجم فيه والعُرب
فأعمل الفكر في تأمله * واركب به كلَّ مَرَكبٍ صعب

شَبَّهَ السين بالثغر ، وثانيه العين وهي تسبي القلوب ، والحرفان ؛ يد وهو أربعة في العدد وستة في الصورة ، وإذا أخذت السين والعين فهي أربعة وهي جملة العدد ، وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة والملبوس .

وقال ابن أبي البغُل^(٢) الكاتب في القلم :

أصمَّ عن المنادى لا يجيبُ * به تنجو وتشعل الخطوبُ
ضئيل الجسم أعلم ليس تخفى * عليه غيوبُ ما تُخفى القلوبُ
تراه راجلاً لا رُوحَ فيه * ويُحييه وينطقه الزكوبُ
يبين لسانه ما كان^(٣) سوداً * مفارقة ويُخرسه المشيبُ

(١) التصحيح عن كتاب الإعجاز في فنون الألفاظ . وفي الأصل : « ما فيه » .

(٢) هو أحمد بن محمد بن يحيى ، كان أميراً على فارس لبني العباس سنة ٣٠٠ هـ ؛ شاعر مشهور .

(٣) أنظر صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي ص ٤٠ طبع ليدن) .

(٣) كذا في كتاب الإعجاز . وفي الأصل : « ما كن سودا * معارفه » وهو تحريف .

يَقَسِّمُ فِي الْوَرَى بؤسَى وَنُعْمَى * وَيَحْكُمُ وَالْقَضَاءُ لَهُ مُجِيبُ
عَجِبَتْ لِسُطُورَةٍ فِيهِ وَضَعُفُ * وَكَلَّ أُمُورَهُ عَجَبٌ عَجِيبُ
أَرَادَ بِقَوْلِهِ «أَعْلَمُ» مَشْقُوقَ الشَّفَةِ .

وَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعْرِيُّ فِي الْمَلْحِ :

وَبَيْضَاءُ مِنْ سِرِّ الْمَلَّاحِ مَلَكْتُهَا * فَلَمَّا قَضَتْ إِرْبَى حَبُوتُهَا صَحْبَى
فَبَاتُوا بِهَا مُسْتَمْتَعِينَ وَلَمْ تَزَلْ * تَحْتَمُّمٌ بَعْدَ الطَّعَامِ عَلَى الشُّرْبِ
قَوْلُهُ : سِرِّ أَيْ خَالِصَةٍ ، وَالْمَلَّاحِ جَمْعُ مَلْحٍ ، وَالْإِرْبِ : الْحَاجَةُ .

وَقَالَ آخَرُ فِي عُودَى الْغَنَاءِ وَالْبُخُورِ :

وَمَا شَيْئَانِ اسْمَهُمَا سَوَاءٌ * وَأَصْلُهُمَا مَعًا عِنْدَ أَنْتَسَابِ
إِذَا حَضَرَكَ بَتْ قَرِيرِ عَيْنِ * بَلَا طَعْمٍ يَلْدُ وَلَا شَرَابِ
وَمَا إِنْ يَوْجَدَانِ النِّفْعَ إِلَّا * بِضَرْبٍ أَوْ ضَرْبٍ مِنْ عَذَابِ
مَعْنَى اسْمَهُمَا سَوَاءٌ ظَاهِرٌ ، وَأَصْلُهُمَا خَشَبٌ ، وَالضَّرْبُ الْأَوَّلُ : ضَرْبُ الْعُودِ ،
وَالثَّانِي : مِنَ الْعَذَابِ وَهُوَ الْإِحْرَاقُ . .

وَقَالَ آخَرُ فِي الْحَرْبِ :

مَا ذَاتَ شَوْكٍ لَهَا جَنَاحِ * يَخْتَطِفُ النَّاسَ عَنْ قَرِيبِ
وَهِيَ عَقِيمٌ تَرَى بَنِيهَا * مَا بَيْنَ مُرْدٍ وَبَيْنَ شَيْبِ
يَأْكُلُ بَعْضُ الْبَنِينَ بَعْضًا * طُلُوعَ شَمْسٍ إِلَى غُرُوبِ
تَصْحِيفُهَا الدَّاءُ غَيْرَ شَكِ * قَدْ يُجَسِّمُ الدَّاءُ بِالطَّبِيبِ
وَالدَّاءُ مَعْكُوسُهُ مَكَانِ * يَصْلِحُ لِلطَّائِرِ النُّجِيبِ
يَعْرِفُهَا مَنْ يَكُونُ طَبًّا * بِالشَّعْرِ وَالنَّحْوِ وَالْغَرِيبِ

هذا لغز معمى فى الحرب ، وشوكها : السلاح ، وجناحها : جانبها ، وعقيم :
لأنها لا تلد ، وبنوها : رجالها ، وأكلهم : قتلهم ، وتصحيفها : الحرب ،
وعكسه : برج .

وقال آخر فى الثدى :

وما أخوان مشتبهان جدًّا * كما أشبه الغرابة والغراب
يضمّهما على مرّ الليالى * وما اجتمعوا ولا افترقا إهاب
لذلك وذا دموع هاملات * ولكن كلّ دمعهما شراب
يصونهما عن الأبصار دين * ويضرب دون نيلهما حجاب
هما ثديا المرأة ، ويضمّهما إهاب وهو الجلد .

وقال آخر فى الفخ :

وما ميت كفتته ودفتته * فقام الى حى صحيح فأوثقه

وقال آخر وهو لغز :

حلف الحبيب على لا سميّه * فكنيته ولطفت خوف تفاضيه
ظبي اذا ما زارنى حلّ أسمه * قلبى وذلك من عجيب عجائبه
ويكون إن رَحِمْتَهُ ونَحَرْتَهُ * وقلبتّه ما تشتهى من صاحبه
ويكون إن صحفّت مبدأه الذى * أصبحت تهواه لعين مراقبه
وتراه بعد الحزم إن ميّزت فى التصحيف مقلوبا أشدّ معايبه
وحروفها فالنصف منها جذرها * وحساب ذلك غير متعب حاسبه
فاطلبه سادس سادس ثانيه ثا * نيّه وثالثه كذلك لطلبه
وتمامه من بعد مثل حروفه * فى البيت صحّ أسم الحبيب لقالبه

هو لغز في فرحة ، والترخيم : حذف الآخر ، والحرم : حذف الاوّل ؛ فاذا رخم
ونحرم وقلب بقي : حر ، واذا قلبت الفاء قافا بقي : قرحة لعين المراقب ، واذا صحفته
مقلوبا ، وجزمت آخره صار : هجر ، والنصف من حروفه آثان ، وهما جذر جميع
حروفه ، وقوله : فأطلبه سادس سادس : يعنى البيت السادس .

٥

وقال آخر في سلمى :

سَلْ ماهرًا بالقريض والأدب * ما أَسَمَ فتاةً قعيدةَ الذَّنَبِ
قد صرّح الشعر بأسمها فمتى * فكُتِّتَ فيها ظفرتَ بالعجب
الآسم سلمى ، وهو ظاهر في أول البيت .

وقال آخر في الكُرة :

١٠

ومضروبة تحيا إذا ما ضربتها * وإن تُرُكت من شدة الضرب ماتت

وقال أبو عبد الله بن المغلّس في السراج :

وداع الى نفسه في الظلام * وما سمعتُ أذنهُ صوتهُ
إذا هو بيّض وجه الطريقِ سَوْد في وقته يبتّه

وقال آخر في الصّدَى :

١٥

وساكنٍ يسكن في الفلاة * ليس من الوحش ولا النبات
ولا من الجن ولا الحيات * ولا الخيام الشعر والأبيات
ولا بذى جسم ولا حياة * كَلّا ولا يدرك بالصفات
بلى له صوت من الأصوات * يُسمع في الأحيان والأوقات

وقال ابن المغلّس في النخلة :

٢٠

وقائمة أبدا لا تنام * وما قعدت قطّ مذ قامت
تعيش إذا غسلوا رجلها * وإن حلقوا رأسها ماتت

وقال آخر :

مايقول سيدنا الشيخ : فى شىء نزل من السماء ، وركض فى الهواء ، وخيم
فى البیداء ، نطق على نفسه فأفصح ، وتكلم فبين وأوضح ، أفقر وأغنى ، وأمات وأحيا ،
له شوارق من غير غضب ، ورقصات على غير طرب ، يسبق الفرس السريع ، ويسبقه
الطفل الرضيع ، مختلف الألوان ، يوجد فى كل زمان ، ما أكثر لغاته ، وأعم فى البشر
ذكر صفاته ! وهو خفيف ثقیل ، كثير قليل ، كبير صغير ، طويل قصير ، غال رخيص ،
قوى ضعيف ، سريع بطىء ، بارد حار ، نافع ضار ، أبيض أسود أزرق ، قريب
بعيد ، قديم جديد ، متحرك ساكن ، ظاهر باطن ، يتجسر ويتكسر ، ويتعوج
ويتدور ، سلطانه فى الشمال وبه يذل ، وضعفه فى الجنوب وبه يعز ، نحيل يخفى
جثة الفيل فى طيه وعطفه ، ويتخال جفن العين الرمدة برفقه ولطفه ، يمشی على
الحديق فلا يؤلمها ، ويطأ القلوب فلا يكلمها ، على أنه يقطع الطريق ، ويخيف
الفريق ، كم أهلك من قوم وما أراق ولا سفك ! يحمل ألف قطار ، ويعجز عن حمل
دينار ، وهو ليل نهارى ، عربى عجمى ، برى بحرى ، سهلى جبلى ، رومى نوبى ،
هندى حبشى صينى ، جاهلى إسلامى ، كان مع آدم فى الجنة ، وصحب نوحا فى السفينة ،
وتوسط النار مع إبراهيم ، كم له مع موسى من خبر ! ولموسى فيه من آية وأثر ! حمل
المسيح على غير ظهر ، وما سار فى بر ولا بحر ، أخرجته النبى صلى الله عليه وسلم من
جسده ، وفترقه على صحابته ، اسم هذا إذا نطق به كان بعض أسم أحد خلفاء
بنى العباس السبعة وهو ١٤٣١

وقال آخر :

ما شىء وجهه قمر ، وقلبه حجر ، إن علته ضاع ، وإن أدخلته السوق أبى أن
يباع ، وإن فككته دعا لك ، وإن ركبت نصفه دالك ، وربما كثر أموالك ، وإن

حذفت آخره، وشددت ثانيه، أورتك الألم عند الفجر، والضجر عند العصر؟ هو
الدملج الفضة .



ومما يتصل بهذا الباب مسائل العويص

هـ فمن ذلك — أمرأتان آلتقتا برجلين قالتا لهما: مرحبا بابنينا وزوجينا وأبني زوجينا؛
وذلك أن كل واحد منهما تزوج بأم الآخر، فهما أبناهما وزوجاهما وابنا زوجيهما.
رجلان كل واحد منهما عم الآخر وأبن أخيه؛ وذلك : أن كل واحد من
أبويهما تزوج بأم الآخر، ففرزق كل واحد منهما ولدا، فكل من الولدين عم الآخر
وآبن أخيه .

١٠ رجلان كل واحد منهما خال الآخر وآبن أخته ؛ وذلك : أن كل واحد من
أبويهما تزوج بأبنة الآخر، ففرزق كل واحد منهما ولدا، فكل من ولديهما خال الآخر
وآبن أخته .

رجل وأمرأتان هو خال إحداهما وهي خالته ، وعم الأخرى وهي عمته ؛
وذلك : أن جدته أم أبيه تزوجت بأخيه لأمه ، وأخته لأبيه تزوجت بأب أمه ،
فولدتا بنتين فبنت أخته خالته وهو خالها ، وبنت جدته عمته وهو عمها ، وهذا أصل
١٥ الأبيات المنظومة في ذلك :

ولى خالة وأنا خالها * ولى عمّة وأنا عمّها

٢٠ رجلان كل واحد منهما آبن خال الآخر وآبن عمته ؛ وذلك : أن كل واحد
من أبويهما تزوج بأخت الآخر، ففرزق كل منهما ولدا، فكل من ولديهما آبن خال
الآخر وآبن عمته .

رجلان كل واحد منهما عم والد الآخر ؛ وذلك : أن كل واحد من أبويهما تزوج بأم أب الآخر، فكل من أولادهما عم أب الآخر

رجلان كل واحد منهما عم أم الآخر ؛ وذلك : أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة أب الآخر، فكل من أولادهما عم أم الآخر .

٥. رجلان كل واحد منهما خال أم الآخر، وذلك : أن كل واحد من أبويهما تزوج بابنة بنت الآخر، فكل من أولادهما خال أم الآخر .

رجلان أحدهما عم الآخر والآخر خاله ؛ وذلك : أن رجلين تزوج أحدهما امرأة وتزوج الآخر ابنة أبها ، فولد لكل منهما ولد فأبن الأب عم أبن الابن ، وأبن الابن من أم امرأة الأب ؛ هو أخوها وخال أبها .

١٠. رجلان أحدهما عم الآخر وخاله ، والآخر أبن أخيه وأبن أخته ؛ ذلك : أن رجلاً له أخ لأب وأخت لأم فزوج أخاه لأبيه بأخته لأمه فأولدها ولدا فهما كذلك .

القسم الثالث من الفن الثاني

في المدح، والهجو، والمجون، والنكاهات، والملح، والخر، والمعاقرة،
والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب
وفيه خمسة أبواب

الباب الأول

من هذا القسم

في المدح ، وفيه ثلاثة عشر فصلا

- ١٠ حفيقة المدح وما قيل فيه ، ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام ، ما قيل في الإعطاء قبل السؤال ، ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام ، ما قيل في وفور العقل ، ما قيل في الصدق ، ما قيل في الوفاء والمحافظة ، ما قيل في التواضع ، ما قيل في القناعة والنزاهة ، ما قيل في الشكر والثناء ، ما قيل في الوعد والإنجاز ، ما قيل في الشفاعة ، ما قيل في الاعتذار والاستعطاف .

- ١٥ فأما حتمية المدح ، فقد عبر عنها الحمدوني في "غاية الاختصار والإيجاز" بقوله حقيقة المدح : وصف الموصوف بأخلاق يُحمد صاحبها عليها ، ويكون نعتاً حميداً . قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ إِفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ وقال عز وجل : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وروى

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم آهتديتم». وقد أئولوا الخبر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا رأيتم المدّاحين فأحثوا في وجوههم التراب» قال العُتبيّ : هو المدح الباطل والكذب . وأما مدح الرجل بما هو فيه فلا بأس به ، ومما يعضد هذا أن العباس بن عبد المطلب وكعب ابن زهير ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم مدحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد أنه حثا في وجه أحد منهم ترابا . وقيل في حثو التراب معنيان : أحدهما التغايط في الرد عليه ، والثاني يقال له : بفيك التراب .

وللشعراء عادة في تجاوز قدر المدح فوق ما يستحقّه حتى إن ذلك أفضى بكثير منهم إلى الكفر والخروج عن الحدّ أعادنا الله من ذلك . وقال أنو شروان :
 من أثنى عليك بما لم توله فغير بعيد أن يذمك بما لم تجنّه . وقال وهب بن منبه :
 من مدحك بما ليس فيك فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك .

وأشدد عمر بن الخطاب رضي الله عنه قول زهير بن أبي سلمى في هيرم بن سنان :
 دع ذا وعدّ القول في هيرم * خير الكهول وسيد الحضر
 لو كنت من شيء سوى بشر * كنت المنور ليلة القدر
 ولأنت أوصل من سمعت به * لنوائل الأرحام والصهر
 ولنعم حشو الدرع أنت اذا * دُعيت نزال ولجّ في الدُعر
 فقال عمر رضي الله عنه : ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما حضر أبا بكر الصديق رضي الله عنه الوفاة قالت عائشة رضي الله عنها وهو يغمض :

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه * ثمّال اليتامى عصمة للأرامل

(١) في ديوان زهير : «خير البداة» أي خير أهل البدو . (٢) في ديوانه : «ليلة البدر» .

فنظر اليها وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال آخر :

ولو كنت أرضاً كنت ميثاء سهلة * ولو كنت ليلاً كنت صاحبة البدر
ولو كنت ماءً كنت ماء غمامة * ولو كنت يوماً كنت تعريسة الفجر

وقال محمد بن هاني :

أغير الذي قد خط في اللوح أبتغي * مديحا له إني إذا لعنود
وما يستوى وحى من الله منزل * وقافية في الغابرين شروود

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمُتَمِّم بن نُؤيرة : صف لي أخاك فإني أراك
تمدحه ^(١) فقال : كان يركب الجمل الثقال في الليلة الباردة ، يرتبى لأهله بين المزادتين
المضرجتين ، عليه الشملة الفلوت ، يقود الفرس الحرون ثم يصبح ضاحكا .

وسأل عبد الله بن عباس صَعْصَعَةَ بن صُوحان العبدي عن إخوته فقال :
أما زيد فكما قال أخو غني ^(٢) :

فتى لا يبالي أن يكون بوجهه * إذا نال خالان الكرام شحوب

ثم قال : كان والله يابن عباس ، عظيم المروءة ، شريف الأبوة ، جليل القدر ،
بعيد الشر ^(٣) ، كَمِيش العروة ، زين الندوة ، سليم جوانح الصدر ، قليل وساوس الفكر ،

(١) هذه عبارة الأغاني ج ١ ص ٦٩ غير أنه ورد فيها لفظة الحرون محرفة الى الجزور ويصح
محرفة الى يصيح . وعبارة الأصل : « كان أخى يحبس المزاد بين الصوحين في الليلة القرة معتقلا للريح الخطل
عليه الشملة القلوب يقود الفرس الحرون فيصبح ضاحكا مستبشرا . الخطل : الطويل المضطرب .
والقلوب : التي لا تنظم على الرجل لقصرها » . والتعريف فيها واضح فلا محل هنا لذكر الصوحين وهما
جانبا الوادي ولأنه يحبس المزاد بينهما ، وكذلك القلوب محرفة عن الفلوت وهو من الكساء ، لا يضم طرفاه
من صغره أو ضيقه فهو يتفالت عنه كل ساعة ، والرجل محرفة عن الرجل .

(٢) كذا في الأصلين الفتوغرافيين . وفي النسخة الراغية : « أخو عبس » .

(٣) في أحد الأصلين : « بعيد الأشر » .

ذا كَرَّا لله تعالى طَرَفِي النَّهَارِ وَزَلْفًا مِنَ اللَّيْلِ ! الْجُوعُ وَالشَّبَعُ عِنْدَهُ سَيَّانٌ ، لَا مَنَافِسَ فِي الدُّنْيَا ، وَلَا غَافِلٌ عَنِ الْآخِرَةِ ؛ يَطِيلُ السَّكُوتُ ، وَيَدِيمُ الْفِكْرُ ، وَيَكْثُرُ الْإِعْتِبَارُ ، وَيَقُولُ الْحَقُّ ، وَيُلْهَجُ الصَّدَقُ ؛ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ غَيْرُ رَبِّهِ ، وَلَا يَهْمُهُ غَيْرُ نَفْسِهِ . فَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ : مَا ظَنُّكَ بِرَجُلٍ سَبَقَهُ عَضْوُ مِنْهُ إِلَى الْجَنَّةِ ؟ رَحِمَ اللَّهُ زَيْدًا ! فَأَيْنَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ سَيِّدًا شَجَاعًا ، شَيْخًا مُطَاعًا ، خَيْرَهُ وَسَاعَ ، وَشَرَهُ دِفَاعًا ؛ أَيْنَ النَّحِيزَةُ ، أَحْوَذَى الْغَرِيزَةِ ، لَا يُنْهِنُهُ مُنْهِنُهُ عَمَّا أَرَادَ ، وَلَا يَرْكَبُ إِلَّا مَا أَعْتَادَ ؛ سَيِّمَ الْعَدَى ، فَيَاضَ النَّدَى ؛ صَعِبَ الْمَقَادَةُ ، جَزَلَ الرَّفَادَةُ ؛ أَخُو الْإِخْوَانِ ، وَفِي فُتْيَانٍ ؛ ثُمَّ أَنْشَدَ شَعْرَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرَكَ مَقَالًا لِقَائِلٍ * بُمَلْتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَهَا فَصَالًا^(١)

قَضَى فُشْفَى مَا فِي النَّفُوسِ فَلَمْ يَدَعْ * لَذَى إِرْبَةٍ فِي الْقَوْلِ جَدًّا وَلَا هَزْلًا

وَدَخَلَ ضَرَّارُ بْنُ ضَمْرَةَ الْكِنَانِيَّ عَلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالَ لَهُ : صَفِّ لِي عَلِيًّا ، فَقَالَ لَهُ : أَوْ تَعْفِينِي ؟ فَقَالَ : لَا أَعْفِيكَ ، قَالَ : أَمَا إِذَا لَا بَدَّ ، فَإِنَّهُ كَانَ بَعِيدَ الْمَدَى ، شَدِيدَ الْقُوَى ؛ يَقُولُ فَصَالًا ، وَيَحْكُمُ عَدْلًا ؛ يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ ، وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِ ؛ يَسْتَوْحِشُ مِنَ الدُّنْيَا وَزَهْرَتِهَا ، وَيَأْنَسُ بِاللَّيْلِ وَظُلُمَتِهِ ؛ كَانَ وَاللَّهُ غَزِيرَ الْعَبْرَةِ ، طَوِيلَ الْفِكْرَةِ ؛ يَقْلُبُ كَفِّهِ ، وَيُنَاطِبُ نَفْسَهُ ؛ يَعِجِبُهُ مِنَ اللَّبَاسِ مَا قَصُرَ ، وَمِنَ الطَّعَامِ مَا خَشُنَ ؛ كَانَ وَاللَّهُ [فِينَا] كَأَحَدِنَا ، يَدْنِينَا إِذَا أَتَيْنَاهُ ، وَيَجِيبُنَا إِذَا سَأَلْنَاهُ ؛ وَكَانَ مَعَ تَقَرُّبِهِ إِلَيْنَا وَقُرْبِهِ مِنَّا لَا نَكَلِّمُهُ هَيْبَةً لَهُ ، [وَلَا نَبْتَدِئُهُ لِعَظَمَتِهِ] ، فَإِنْ تَبَسَّمَ فَعِنَ مِثْلُ لَوْلَاءٍ مَنْظُومٍ ؛ يُعَظِّمُ أَهْلَ الدِّينِ ، وَيُحِبُّ الْمَسَاكِينَ ؛ لَا يَطْمَعُ الْقَوِيُّ فِي بَاطِلِهِ ، وَلَا يَبْأَسُ الضَّعِيفُ مِنْ عَدْلِهِ .

(١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ١ ص ٢١٤) وَعَيُونُ الْأَخْبَارِ طَبَعَ دَارُ الْكُتُبِ الْمَصْرِيَّةِ (ج ٢ ص ١٧٠) .

وَفِي الْأَصْلِ : « الْقَوْمُ » . (٢) الزِّيَادَةُ عَنِ الْأَمَالِيِّ طَبَعَ دَارُ الْكُتُبِ (ج ٢ ص ١٤٧) .

(٣) وَقَدْ وَرَدَ هَذَا الْوَصْفُ لِسَيِّدِنَا عَلِيِّ فِي الْأَمَالِيِّ بِزِيَادَةِ عَمَّا هُنَا فَلْيَرَأِ .

وذكر عمرو بن معد يكرب بن سلم فقال : بارك الله على حنّ بن سليم ، ما أصدق
في الهيجاء لقاءها ! وأثبت في النوازل بلاءها ! وأجزل في النائبات عطاءها ! والله لقد
قاتلتهم فما أجبتهم ، وهاجيتهم فما أخصمتهم ، وسألتهم فما أبخلتهم .

وقال بعض العرب : فلان حنّف الأقران غداة النزال ، وربيع الضيفان عشيّة

النزول .

٥

وقال آخر : فلان آيئت إذا غدا ، وبدر إذا بدا ، ونجم إذا هدى ، وسم إذا أوردى .
ودخل النابغة على النعمان بن المنذر بن أمريّ القيس بن عمرو بن عدى اللخمي
فخياه بتحية الملوكة ، ثم قال : أيفاحرك ذو فائش وأنت سائس العرب ، وغرة الحسب ،
واللات ، لأمسك أيمن من يومه ، واعبدك أكرم من قومه ، ولقفاك أحسن من
وجهه ، وليسارك أجود من يمينه ، ولظنك أصدق من يقينه ، ولوعدك أثاج من
رفده ، ونخالك أشرف من جدّه ، وانفّشك^(١) أمتع من جنّده ، وليومك أزهر من
دهره ، وانفترك أبسط من شبره ، ثم قال :

أخلاقُ مجدك جَلَّتْ ما لها خطر * في البأس والجود بين الحلم والخفِر^(٢)

متّوج بالمعالي فوق مفرقه * وفي الوغى ضيغم في صورة القمر

(٥٢)

إذا دجا الخطب جلاه بصارمه * كما يُجلى زمانُ المحل بالمطر

١٥

فتهل وجه النعمان سروراً ، ثم أمر أن يُحشى فوه دراً ، وكُسي أثواب الرضا ، وكانت
جباباً أطواقها الذهب بقصب الزمرد . ثم قال النعمان : هكذا فليمدح الملوكة .

وذو فائش : هو سلامة بن يزيد بن سلامة من ولد يَحْصَب بن مالك وكان النابغة

(١) يقال : إبل أو غنم نفش : ترعى ليلاً بلا راع . وفي الأصول : « لنفسك » وهو تحريف .

(٢) الخفر بالتحريك : شدة الحياء . والذي في كتاب (التوضيح والبيان في شعر نابغة بني ذبيان) :

٢٠

مُتَّصِلًا بِهِ قَبْلَ اتِّصَالِهِ بِالنَّعْمَانِ ، وَلَهُ فِيهِ مَدَائِحُ كَثِيرَةٌ فَاقْتَصَصَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ النَّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا حُكِيَ أَنَّهُ دَخَلَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى الْحَارِثِ الْجَحْفَنِيِّ فَقَالَ : أَنَعِمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الْمَلِكُ ! السَّمَاءُ غَطَاؤُكَ ، وَالْأَرْضُ وَطَاؤُكَ ، وَوَالِدِي وَوَلَدِي فِدَاؤُكَ ، أَتَى يَنَافِسُكَ ابْنُ الْمُنْذَرِ ! فَوَاللَّهِ لَقَدْ ذَاكَ أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِهِ ، وَلَأَقْمَكَ خَيْرَ مِنْ أَبِيهِ ، وَلِظَلِّكَ خَيْرَ مِنْ شَخْصِهِ ، وَلِصَّمَّتِكَ أَبْلَغَ مِنْ كَلَامِهِ ، وَلِشِمَالِكَ خَيْرَ مِنْ يَمِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

قَدْ ذَاكَ أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِهِ * وَأَقْمَكَ خَيْرٌ مِنَ الْمُنْذَرِ

وَيُسْرَى يَدَيْكَ إِذَا أُعْسِرَتْ * كَيْمَنِي يَدِيهِ فَلَا تَمْتَرِ

أَخَذَ الْمَعْنَى الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ فَقَالَ :

بَابِي أَنْتَ مِنْ غَزَالٍ غَرِيرٍ * بِذِّ حَسَنَ الْوَجْوهِ حَسَنُ قَفَاكَ

وَنَظَرَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ يَمْدَحُ زُبَيْدَةَ بِنَةَ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ أُمِّ الْأَمِينِ :

أَزْبَيْدَةَ بِنَةَ جَعْفَرٍ * طَوْبَى لِرَازِكِ الْمُثَابِ

تَعْطِينَ مِنْ رَجْلِيكَ مَا * تَعْطَى الْأَكْفُفَ مِنَ الرَّغَابِ

فَلَمَّا أُنْشِدَ ذَلِكَ تَبَادَرُ الْعَبِيدُ لِيُوقِعُوا بِهِ ، فَقَالَتْ زُبَيْدَةُ : كَفُّوا عَنْهُ فَلَمْ يَرِدْ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَنْ أَرَادَ خَيْرًا فَأَخْطَأَ خَيْرَ مَنْ أَرَادَ شَرًّا فَأَصَابَ ، إِنَّهُ سَمِعَ النَّاسَ يَقُولُونَ : قَفَاكَ أَحْسَنَ مِنْ وَجْهِ غَيْرِكَ ، وَشِمَالُكَ أُنْدَى مِنْ يَمِينِ سَوَاكَ ، فَقَدَّرَ أَنَّ هَذَا مِثْلَ ذَاكَ ، أَعْطَوْهُ مَا أَمَّلَ ، وَعَرَّفُوهُ مَا جَهِلَ . وَمِثْلُهُ : مَدَحَ شَاعِرٌ أَمِيرًا فَقَالَ :

أَنْتَ الْهَامُ ابْنُ الْهَمِّ * مِ الْوَاسِعِ ابْنُ الْوَاسِعَةِ

فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَيْنَ عَرَفْتَهَا ؟ قَالَ : قَدْ جَرَّبْتُهَا ، فَقَالَ : أَسْوَأُ مِنْ شَعْرِكَ مَا أَتَيْتَ

بِهِ مِنْ عَذْرِكَ !

قال دخل خالد بن عبد الله القسري على عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانته فأنت قد زيتها ، ومن يكن شرفته فقد شرفتها ، وأنت كما قال الشاعر :

وإذا الدرزان حسن وجوه * كان للدهر حسن وجهك زينا

فقال عمر بن عبد العزيز : أُعْطِيَ صاحبكم مَقُولاً ، ولم يُعْطِ معقولاً . ولما دخل عبد الله المأمون بغداد تلقاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين ، بارك الله لنا في مَقْدَمِكَ ، وزادك في نعمتك ، وشكرك على رِعِيَّتِكَ ، تقدّمت من قبلك ، وأتعبت من بعدك ، وأياست أن نعاين مثلك ، أقا فيمن مضى فلا نعرفه ، وأقا فيمن بقى فلا نرجوه ، فنحن جميعاً ندعوك ، ونثني عليك ، خِصِّبْ لنا جنابك ، وعذِّبْ شرابك ، وحَسُنْتَ نُصْرَتَكَ ، وكَرُمْتَ مَقْدَرَتَكَ ، جبرتَ الفقير ، وفككتَ الأسير ، فأنت — يا أمير المؤمنين — كما قال الشاعر :

ما زلت في البذل للنوال وإط * لاق لعان بجرمه غلق

حتى تمنى البراء أنهم * عندك أمسوا في القَدِّ والحَلَقِ

وقال رجل للحسن بن سهل : لقد صرت لا أَسْتَكْثِرُ كثيرَكَ ، وإن قليلَكَ أَكْثَرُ من كثير غيركَ . وقال الرشيد لبعض الشعراء : هل أحدثت فينا شيئاً ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، المديح كله دون قدرك ، والشعر فيك فوق قدرى ، ولكنى أَسْتَحْسِنُ قول العتّابي :

ماذا عسى مَادِحٌ يُثْنِي عليك وقد * ناداك في الوحي تَقْدِيسٌ وتَطْهِيرُ

فَتَ الْمَادِحِ إِلَّا أَنْ أَلْسِنَا * مستنطقات بما تخفى الضمائرُ

وقال رجل في خالد بن صفوان : قريع المنطق ، جزل الألفاظ ، عربيّ اللسان ، قليل الحركات ، حسن الإشارات ، حلو الشائل ، كثير الطلاوة صموتا قؤولا ؛ ^(١) يهنا الحرب ، ويداوى الدبر ، ^(٢) ويقل المحز ، ويطبق المفصل ؛ لم يكن بالزمر في مروءته ، ولا بالهذر في منطقته ، متبوعا غير تابع ؛ كأنه علم في رأسه نار .

وقيل لبعض الخلفاء : إن شبيب بن شيبه يستعمل الكلام ليستعد به ؛ فلو أمرت به أن يصعد المنبر فجأة لأفتضح ، قال : فأمر من أخذ بيده فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إن لأمر المؤمنين أشباها أربعة ، فمنها : الأسد الخادر ، والبحر الزاخر ، والقمر الباهر ، والربيع الناضر ؛ فأما الأسد الخادر ، فأشبهه منه صولته ومضاءه ؛ وأما البحر الزاخر ، فأشبهه منه جوده وعطاءه ؛ وأما القمر الباهر ، فأشبهه منه نوره وضياءه ؛ وأما الربيع الناضر ، فأشبهه منه حسنه وبهائه ، ثم نزل .

وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلم بحاجتك ؛ فقال : يبيك الله تعالى يا أمير المؤمنين ، قال : تكلم بحاجتك ؛ فإنك لا تقدر على مثل هذا المقام في كل حين ؛ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أستقصر أجلك ، ولا أخاف بخلك ، ولا أغتني مالك ؛ وإن عطائك لشرف ، وإن سؤالك لزين ، وما بأمرئ بذل إليك وجهه نقص ولا شين ؛ فأحسن جائزته وأكرمه .

(١) يهنا الحرب ، الهنا : القطران أى أنه لا يتكلم إلا فيما يجب الكلام ، مثل الطال الرقيق الذى يضع الهنا . وضع الحرب .

(٢) يقل المحز ويطبق المفصل أى يقل الكلام ويصيب المعاني ، شبه بالجزار الرقيق يقل جز الخم ويصيب مفاصله . وهذه أمثال تضرب في البلاغة . راجع عيون الأخبار طبع دار الكتب (ج ٢ ص ١٦٩ والعقد الفريد طبع بولاق (ج ١ ص ٢١٤) .

وقال محمد بن مالك القرطبي من رسالة : ما رأيتُ وجهها أسمح ، ولا حلما أرجح ،
ولا سجيّة أسجح ، ولا بشرا أبدى ، ولا كفاً أندى ، ولا غمرة أجمل ، ولا فضيلة أكل ،
ولا خلُقاً أصفى ، ولا وعداً أوفى ، ولا ثوباً أطهر ، ولا سمتاً أوفر ، ولا أصلاً أطيب ،
ولا رأياً أصوب ، ولا لفظاً أعذب ، ولا عرساً أنقى ، ولا بناءً أبقى ، مما خص الله به
ثالث القمرين ، وسراج الخافقين ، وعماد الثقلين ، المعتصم بالله .
٥

وقال بعض الكتاب : إن من النعمة على المثني عليك ألا يخاف الإفراط ،
ولا يأمن التقصير ، ولا يحذر أن تاحقه نقيصة الكذب ، ولا ينتهى به المدح الى
غاية إلا وجد في فضلك عونا على تجاوزها ، ومن سعادة جدك أن الداعي لك
لا يعدم كثرة المشايعين له ، والمؤمنين معه .

وقال آخر : إني فيما أتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر
الزاهر الذى لا يخفى على كل ناظر ، وأيقنت أنى حيث آتتهى بى القول الى العجز
مقصر عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ، ووكلت الإخبار عنك
الى علم الناس بك .

وقال أبو عبدالله محمد بن الحياط من رقعة طويلة في المظفر قال في أولها : حجب
الله عن الحاجب المظفر أعين النائبات ، وقبض دونه أيدي الحاديات ، فإنه مذ كان
أنور من الشمس ضياءً ، وأكمل من البدر بهاءً ، وأندى من الغيث كفاً ، وأحمى من
الليث أنفاً ، وأسنى من البحر بناً ، وأمضى من النصل لساناً ، وأنجبه المنصور بخرى
على سنده ، وأدبه فأخذ بسنده ، وكانت الرياسة عليه موقوفة ، والسياسة اليه مصروفة ،
قصرت الأوهام عن كنه فضله ، وعجزت الأقلام عن وصف مثله ، غير أن الفضائل
لا بد من نشرها ، والمكارم لا عذر في ترك شكرها .
٢٠

فهذه نبذة كافية مما ورد في المنشور فلنذكر ما ورد من المنظوم في ذلك .

(١)

قال أبو هلال العسكري : سمعتُ أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول :

أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر :

ألم تر أن الله أعطاك سورة * ترى كلَّ ملكٍ دونها يتذبذبُ

بأنك شمس والملوك كواكب * إذا طلعت لم يبدُ منها كوكبُ

وهو مأخوذ من قول بعض شعراء كندة يمدح عمرو بن هند :

تكاد تميد الأرض بالناس أن رأوا * لعمرو بن هند غضبة وهو عاتبُ

هو الشمس وافت يوم سعدٍ أفضلتُ * على كلِّ ضوء والملوك كواكبُ

وقال نصيب :

هو البدر والناس الكواكب حوله * وهل يشبه البدر المضيء كواكبُ

وقالوا : أبدع بيت قيل في المديح قول النابغة :

فإنك كالليل الذي هو مدركي * وإن خلت أن المنتأى عنك واسعُ

وقوله : "أخلاقُ مجدك" — الأبيات وقد تقدمت — وقد تداول الناس معنى قول

النابغة :

* فإنك كالليل الذي هو مدركي *

فقال الفرزدق :

فلو حملتني الريحُ ثم طلبتني * لكنتُ كشيءٍ أدركته مقادرهُ

وقول النابغة أبلغ ، لأن الليل أعم من الريح ، والريح يُمتنع منها بأشياء ، والليل

لا يمتنع منه بشيء . وأخذ سلم الخاسر قول الفرزدق فقال :

(١) كذا في الأصول . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري نسخة خطية محفوظة بدار الكتب

المصرية تحت رقم (١٨٧٤ أدب) : « سعد » .

(١)
فأنت كالدهر مبتوتا حبائله * والدهر لا ملجأ منه ولا هرب
ولو ملكت عنان الريح أصرفه * في كل ناحية ما فاتك الطلب

وقالوا : أجود شيء قيل في الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدمين والمحدثين

قول أبي العتاهية يمدح الرشيد بن المهدي وولده :

(٢)
بنو المصطفى هارون حول سريره * نخير قيام حوله وقعود
تقلب الحاظ المهابة بينهم * عيون ظباء في قلوب أسود
وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول أبي الطمحان القيني^(٣) :

(٤)
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
نجوم سماء كلما أنقض كوكب * بدا كوكب تأوى إليه كواكبه
وما زال منهم حيث كان مسود^(٥) * تسير المنايا حيث سارت كتابه

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها بجير بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، وكان
أسيرا في يده ، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جرناصيته ، وأول القصيدة :

إذا قيل أى الناس خير قبيلة * وأصبر يوما لا توارى كواكبه
فإن بنى لأم بن عمرو أرومة * علت فوق صعب لا تُنال مراتبه

أضاءت لهم أحسابهم الأبيات .

(١) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . وفي الأصول : « مبتوتا » .

(٢) في ديوان المعاني : « بين » .

(٣) كذا في الأصول والأغاني والكامل للبرد وديوان المعاني . وقد ذكرت هذه الأبيات في الشعر
والشعراء لابن قتيبة في ترجمة لقيط بن زرارة حيث قال : « وبعض الرواة ينحل هذا الشعر أبا الطمحان
القيني وليس كذلك إنما هو للقيط » .

(٤) الجزع (بفتح الجيم وسكون الزاي) : الخرز اليماني والصيني ، وهو الذي فيه بياض وسواد .

(٥) كذا في أحد الأصول والأغاني وشرح القاموس . وفي باقي الأصول والمشتبه في أسماء الرجال
للذهبي « بجير » بفتح الباء وبالحاء المهملة .

ومثله قول ابن أبي السَّمُط :

فَتَى لَا يَبَالِي الْمَدْبُحُونَ بَنُورِهِ * إِلَى بَابِهِ أَلَا تَضِيءُ الْكُوكُوبُ
لَهُ حَاجِبٌ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ يَشِينُهُ * وَلَيْسَ لَهُ عَنْ طَالِبِ الْعُرْفِ حَاجِبٌ

٥٤

ومثله قول الحُطَيْثَةُ :

نَمْشَى عَلَى ضَوْءِ أَحْسَابِ أَضْأَانِ لَنَا * كَمَا أَضَاءَتْ نَجُومُ اللَّيْلِ لِلْسَّارَى

ومثله قول الآخر :

وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْمَدْبُحِينَ أَعْتَشَوْا بِهَا * صَدَعْنَ الدَّجَى حَتَّى يَرَى اللَّيْلُ يَنْجَلِي

وقال عيسى بن أوس يمدح الجُنَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :

إِلَى مُسْتَنِيرِ الْوَجْهِ طَالِ بِسْ-وُدِّ * تَقَاصَرَ عَنْهُ الشَّاهِقُ الْمَتَاطُولُ
مَدَحْتُكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ * وَمَنْ مَدَحَ الْأَقْوَامَ حَقًّا وَبَاطِلًا
يَعِيشُ النَّدَى مَا دُمْتَ حَيًّا فَإِنْ تَمَتَّ * فَلَيْسَ لِحَيٍّ بَعْدَ مَوْتِكَ طَائِلُ
وَمَا لِأَمْرِي عِنْدِي مَخِيلَةٌ نَعْمَةً * سِوَاكَ وَقَدْ جَادَتْ عَلَى مَخَائِلِ

١٠

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فَتَى لَوْ يُنَادِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا * أَوْ الْقَمَرَ السَّارَى لَأَلْقَى الْمَقَالِدَا

وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم .

١٥

ومثله في الغلو قول طَرِيحِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ :

لَوْ قَلَّتْ لِلْسَّيْلِ دَعَى طَرِيقِكَ وَالِدِ * مَوْجٌ عَلَيْهِ كَالْهَضْبِ يَعْتَلِجُ
لَأَرْتَدَّ أَوْ سَاخٌ أَوْ لَكَانَ لَهُ * فِي جَانِبِ الْأَرْضِ عَنْكَ مَنْعَرَجٌ

(١) كذا في الأصول وديوان المعاني . وفي كتاب الشعر والشعراء : « في سائر الأرض » .

ومن الغلو قول أبي تمام في المعتصم بالله :

يُمْنُ أَبِي إِسْحَاقَ طَالَتْ يَدُ الْعَلَا * وَقَامَتْ قَنَاةُ الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهُ^(١)
هو البحر من أي النواحي أتيته * فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
تَعَوَّدَ بَسَطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ * أَرَادَ أَنْقَبَاضًا لَمْ تُطْعَمْهُ أُنَامِلُهُ^(٢)
ولو لم يكن في كفه غير نفسه * لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سَائِلُهُ

وقال العسكري :

وكيف يَلِيْتُ الْجَارُ مِنْكَ عَلَى صَدِّي * وَكَفُّكَ بِحَرْجَةِ الْجُودِ سَاحِلُهُ^(٣)
وقال أبو هلال العسكري يرفعه الى الأصمعيّ قال : سمعت أعرابياً يقول :
إنكم معاشر أهل الحضرة تخطئون المعنى ، إنَّ أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول :
كأنه الأسد ، ويصف المرأة بالحسن فيقول : كأنها الشمس ، ولم لا تجعلون
هذه الأشياء بهم أسبه ؟ ثم قال : والله لأنشدك شعرا يكون لك إماما ،
ثم أنشدني :

إذا سألت الوري عن كُلِّ مَكْرَمَةٍ * لم تُلِفْ نِسْبَتَهَا إِلَّا إِلَى الْهَوْلِ
فَتَى جَوَادُ أَعَارَ النَّيْلَ نَائِلُهُ * فَالنَّيْلُ يَشْكُرُ مِنْهُ كَثْرَةُ النَّيْلِ
وَالْمَوْتُ يَرْهَبُ أَنْ يَلْقَى مَنِيَّتَهُ * فِي شِدَّةٍ عِنْدَ لَفِّ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ
لَوْ عَارِضَ الشَّمْسِ أَلْفَى الشَّمْسَ مَظْلَمَةً * أَوْ زَا حَمَّ الضَّمِّ أَلْجَاهَا إِلَى الْمَيْلِ
أَوْ بَارَزَ اللَّيْلَ غَطَّتْهُ قَوَادِمُهُ * دُونَ الْخَوَافِ كَمَثَلِ اللَّيْلِ فِي اللَّيْلِ
أَمْضَى مِنَ النِّجْمِ إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ * وَعِنْدَ أَعْدَائِهِ أَجْرَى مِنَ السَّيْلِ

(١) في ديوانه طبع مصر : « قناة الملك » .

(٢) كذا في الأصول وديوان المعاني . وفي ديوانه : « ثناها لقبض الخ » .

(٣) في ديوان المعاني : « لجة البحر » .

ومثله قول الآخر :

عَلَّمَ الْغَيْثَ الْبُذْيَ حَتَّى إِذَا * مَا حَكَاهُ عَلَّمَ الْبَاسَ الْأَسَدُ
فَلَهُ الْغَيْثُ مَقَرٌّ بِالْبُذْيِ * وَلَهُ اللَّيْثُ مَقَرٌّ بِالْجَلَدِ

وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ :

أَذْكُرُ حَاجَتِي أُمٍّ قَدْ كَفَانِي * حَيَاؤُكَ^(١) ، إِنْ شِمَيْتَ الْحَيَاءُ
كَرِيمٍ لَا يَغْيِرُهُ صَبَاحٌ^(٢) * عَنْ الْخُلُقِ الْكَرِيمِ وَلَا مَسَاءُ
وَأَرْضُكَ أَرْضٌ مَكْرَمَةٌ بَنَاهَا * بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءُ^(٣)

ونحوه قوله :

لِكُلِّ قَبِيلَةٍ شَرَفٌ وَعِزٌّ * وَأَنْتَ الرَّأْسُ تَقْدُمُ كُلَّ هَادٍ

وقال ابن الرومي :

قَوْمٌ يَحْتَلُونَ مِنْ مَجْدٍ وَمِنْ شَرَفٍ * وَمِنْ غَنَاءٍ مَحَلَّ الْبَيْضِ وَالْيَلْبِ
حَلَّوْا مَحَاهِمَهُمَا مِنْ كُلِّ جُمُوحَةٍ * نَفَعَا وَدَفَعَا وَإِطْلَالَا عَلَى الرَّتَبِ
قَوْمٌ هُمُ الرَّأْسُ إِذْ حَسَادُهُمْ ذَنْبٌ * وَمَنْ يَمَثُلُ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالذَنْبِ

وقال أبو هلال العسكري :

فَأَبْشُرْ فَإِنَّكَ رَأْسٌ وَالْعَلَا جَسَدٌ * وَالْمَجْدُ وَجْهٌ وَأَنْتَ السَّمْعُ وَالْبَصْرُ
لَوْلَاكَ لَمْ تَكْ لِلْأَيَّامِ مَنْقَبَةٌ * تَسْمُو إِلَيْهَا وَلَا لِلدَّهْرِ مَفْتَخَرُ

- (١) كذا في الأصاين وأكثر الكتب المطبوعة . وفي النسخة الراجية : « حباؤك ... الحباء » .
(٢) في شرح ديوان الحماسة طبع مدينة بن شعراء النصرانية : « خليل ... » * « ... عن الخلق الجميل ... » .
(٣) في شرح الديوان المتقدم : « وأرضك كل مكرمة ... الخ » .
(٤) كذا في الأصول وديوان ابن الرومي . وفي ديوان المعاني لأبي هلال العسكري : « نفعا ورفعا » .

وقال علي بن جبلة :

لولا أبو دأف لم تحي عارفة * ولم ينؤ نوء مأمول بآمال
يا بن الأكارم من عدنان قد علموا * وتالد المجد بين العم والحال
وناقل الناس من عديم إلى جدّة * وصارف الدهر من حال إلى حال
أنت الذي تنزل الأيام منزلها * وتمسك الأرض عن خسف وزلزال
وما مدت مدى طرف إلى أحد * إلا قضيت بآمال وآجال
تزور سخطا فتمسى البيض راضية * وتستهل فتبكي أوجه المال

وقالوا : أمدح بيت قائله العرب قول زهير :

تراه إذا ما جئته متمللا * كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وعاب بعضهم هذا البيت وقال : جعل الممدوح يفرح بعرض يناله ، وليس هذا
صفة كبير الهمة . والجليد قول أبي نوفل عمرو بن محمد الثقفي :

وإن فرحت بما يُنيلك إنه * لبما ينيلك من نداه أفرح
ما زال يبطي ناطقا أو ساكنا * حتى ظننت أبا عقيل يمزح

ومثله قول أبي تمام :

أسألك نصير لا تسأله فإنه * أحسن إلى الإرفاد منك إلى الرّفد

وقالوا أمدح بيت قائله العرب قول الحطيئة :

متى تأته تعشوا إلى ضوء ناره * تجد خير نار عندها خير موقد

وقال القاسم بن حنبل :

من البيض الوجوه بني سنان * لو أنك تستضيء بهم أضاءوا
لهم شمس النهار إذا استقلت * ونور لا يغيبه العماء

هم حلُّوا من الشرف المعلى * ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
فلو أن السماء دنت لمجد * ومكرمة دنت لهم السماء

وقالوا أيضا أمدح بيت قيل قول الأول :

قوم سنان أبوهم حين تنسبهم * طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
أو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بعزهم أو مجدهم قعدوا
محسدون على ما كان من نعم * لا ينزع الله عنهم ماله حسدوا

وقالوا : أمدح بيت قاله محدث ، قول مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة :

بنو مطير يوم اللقاء كأنهم * أسود لها في غيل خفان أشبل^(١)
هم المانعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل
باليئل في الإسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية أول
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دعوا * أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

وقال العسكري : وأنشد بعض أهل الأدب قول ابن أبي طاهر وقال : لو أستعمل

الإنصاف لكان هذا أحسن مدح قاله متقدّم ومتأخّر، وهو :

إذا أبو أحمد جادت لنا يده * لم يُحمّد الأجودان البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار غرته * تضائل النيران الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو جدّ عزّمته * تأخر الماضيان السيف والقدر
من لم يكن حذرًا من حدّ صولته * لم يدر ما المزعجان الخوف والحذر
حلّوا إذا أنت لم تبعث مرارته * فإن أمرت فحلّوا عنده الصبر
سهل الحلائق إلا أنه خشن * لين المهزّة إلا أنه حجير

لَا حَيَّةٌ ذَكَرْتُ فِي مِثْلِ صَوَاتِهِ * إِنَّ صَالِ يَوْمًا وَلَا الصَّصَامَةَ الذِّكْرُ
إِذَا الرِّجَالُ طَغَتْ آرَائِهِمْ وَعَمُّوا * بِالْأَمْرِ رُدَّ إِلَيْهِ الرَّأْيُ وَالنَّظَرُ
الْجُودُ مِنْهُ عَيَانٌ لَا آرْتِيَابَ بِهِ * إِذَا جُودَ كُلُّ جَوَادٍ عِنْدَهُ خَبَرُ

وقال : ومن المديح القليل النظير قول علي بن محمد الأفوه :

أَوْفَوْا مِنَ الْمَجْدِ وَالْعِلْيَاءِ فِي قَلِيلٍ * شَمَّ قَوَاعِدُهُنَّ الْبَاسُ وَالْجُودُ
سَبَطَ اللَّقَاءَ إِذَا شِمْتَ مَخَالِيَهُمْ * بُسِّلَ اللَّقَاءَ إِذَا صِيدَ الصَّنَادِيدُ
مُحْسَدُونَ وَمَنْ يَعْلَقَ بِجَبَلِهِمْ * مِنَ الْبَرِيَّةِ يُصْبِحُ وَهُوَ مُحْسُودُ

وقالوا : أمدح بيت قاله محدث قول علي بن حبله في أبي دلف :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ * ^(١) بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمَحْتَضَرَةٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ * وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

وهي من القصائد المشهورة، وأولها :

زَادَ وَرَدَ الْغَيِّ عَنْ صَدْرِهِ * وَأَرَعَوَى وَاللَّهُوُ مِنْ وَطَرِهِ

جاء منها في مدحه :

يَا دَوَاءَ الْأَرْضِ إِنْ فَسَدَتْ * وَمُجِيرَ الْيَسْرِ مِنْ عُسْرِهِ

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ * بَيْنَ بَادِيَةٍ إِلَى حَضِرِهِ

مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ * يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مَفْتَحِ خَرِهِ

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دَلْفٍ *

قال العسكري : ومن المديح البارعة قول بشار :

أَلَا أَيُّهَا الطَّالِبُ الْمُبْتَغِي * نَجُومَ السَّمَاءِ بِسَعْيِ أُمِّ

(١) كذا في الأصول : وفي ديوان المعاني : « مبداه » .

سمعت بمكرمة ابن العلاء * فانشأت تطلبها لست ثم
إذا عرّض لهم في صدره * لها بالعطاء وضرب البهم
فقل للخليفة إن جئته * نصيحا ولا خير في المتهم
إذا أيقظتك^(١) جسام الأمور * فنبّه لها عمرا ثم نم
فتى لا يبيت على دمنة * ولا يشرب الماء إلا بدم
يحب العطاء وسفك الدماء * فيغدو على نعم أو نقم

قال ومن المديح القليل النظير : قول أمانة بنت الجلاح الكلبيّة :

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته * بكلّ معدي وكلّ يمانى
وفى بهم جودا وحلمًا وسؤددا * وبأسا فهذا الأسود بن قنان
فتى كالفتاة البكر يسفر وجهه * كأن تلالى وجهه القمران
أغرأ^(٢) أبرأ بنى زار ويعرب * وأوثقهم عقدا بقول لسان
وأوفاهم عهدا وأطولهم يدا * وأعلاهم فعلا بكلّ مكان
وأضر بهم بالسيف من دون جاريه * وأطعنهم من دونه بسنان
كأن العطايا والمنايا بكفه * سبحان مقررناي مؤلفان

ومن المديح البارع قول أبي تمام :

رأيت لعيّاش خلائق لم تكن * لتكمل إلا فى اللباب المهذب
له كرم لو كان فى الماء لم يغض * وفى البرق ما شام أمرؤ برق خلّيب
أخو عزيمات بذله بذل محسن * الينا والكن عذره عذر مذبذب

(١) كذا فى الأصول وديوان المعاني . وفى كتاب الشعر والشعراء : * إذا أيقظتك حروب العدا *

وفى الأغاني : * إذا دهمت عظام الأمور *

(٢) فى أحد الأصلين «أغرأ» .

يهولك أن تلقاه في صدر محفل^(١) * وفي نحر أعداء وفي قلب موكب
وما ضيق أقطار البلاد أضافني * اليك ولكن مذهبي فيك مذهبي
وهذي ثياب المدح فأجرر ذيولها^(٢) * عليك وهذا مركب الحمد فأركب
وقد أحسن التنوخي في قوله :

وفتية من حمير حمير الظبا * بيض العطايا حين يسود الأمل
شموس مجيد في سموات علا * وأسد موت بين غابات أسل
وقالت الخنساء في أخيها صخر :

طويل النجاد رفيع العما : د ساد عشيرته أمردا
إذا القوم مدتوا بأيديهم * إلى المجد مد إليه يدا
فقال الذي فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مضعدا
فكلفه القوم ما عاظم * وإن كان أصغرهم مولدا
تري الحمد يهوى إلى بيته * يرى أفضل الكسب أن يُحمدا
وقال آخر :

ومضعد هضبات المجد يطلها * كأنه لسكون الجأش منهدر
ما زال يسبق حتى قال حاسده * له طريق إلى العلياء مختصر

وقال إبراهيم بن العباس :

تليج السنون بيوتهم وترى لها * عن بيت جارهم أزورار مناكب

(١) في ديوانه : يهولك أن تلقاه صدرا لمحفل * ونحرا لأعداء وقلبا لموكب

(٢) كذا في ديوانه وديوان المعاني . وفي الأصول : « وهذي بنات المدح الخ » وهو تحريف .

وتراهم بسـيوفهم وشـفارهم * مستشرفين لراغب^(١) أو راهب
حامين أو قارين حيث لقيتهم * نهب العفاة ونزهة للراغب

وقال أيضا :

إذا السنة الشهباء مدت سماءها * مدت سماء دونها فتجلت
وعادت بك الريح العقيم لدى القرى * لقاحا فدرت عن نذاك وطلت

وقال ابن الرومي :

كأن مواهبه في المحو * ل آرائه عند ضيق الحيل
فلو كان غيثا اعم البلاد * ولو كان سيفا لكان الأجل
ولو كان يعطى على قدره * لأغنى النفوس وأفنى الأمل

وقال أبو الحسن بن أبي البغل البغدادي يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تقدم

ذكر بعضها لابن أبي طاهر :

إذا أبو قاسم^(٢) جادت لنا يده * لم يُحمد الأجودان البحر والمطر
وإن أضاءت لنا أنوار غمرته * تضاءل النيران الشمس والقمر
وإن بدا رأيه أوجد عزمته * تأخر الماضيان السيف والقدر
ينال بالظن ما كان اليقين به * والشاهدان عليه العين والأثر
كأنه وزمام الدهر في يده * يدرى عواقب ما يأتي وما يذر

وقال ذو الرمة :

يطيب تراب الأرض أن ينزلوا بها * وتختال أن تعلو عليها المنابر

(١) كذا في الأصول . وفي الأغاني ج ٩ ص ٣٣ طبع بولاق : « نهزة » أى فرصة « يقال :

هو نهزة المختلس أى صيد لكل أحد » .

(٢) الذى تقدم : « إذا أبو أحمد » .

وما زلت تسمو للعالي وتجتني * جنى المجد مذ شئت عليك المآزر
الى أن بلغت الأربعين فألقيت * اليك جماهير الأمور الأكابر
فأحكمتها لا أنت في الحكم عاجز * ولا أنت فيها عن هدى الحق جائز^(١)
وقال الشريف الرضي :

يا مخرس الدهر عن مقالته * كل زمان عليك متهم
شخصك في وجه كل داجية * ضحى وفي كل مجهل علم

وقال أبو الحسن السلامي :

إذا زرتك لم تلق من دون بابي * حجابا ولم تدخل عليه بشافعي
كفاء الفرات الجمل أعرض وردده * لكل أناس فهو سهل الشرائع
تراه إذا ما جئته متهللا * تهلل أبكار الغيوث الهوامع^(٢)

وقال محمد بن الحسين الأرمدي :

من القوم لما استغرب المجد غيرهم * من الناس أمسوا فيه فوق الغرائب^(٣)
إذا سالموا كانوا صدور مراتب * وإن حاربوا كانوا قلوب مواكب
جواد متى ما رامت الرياح شأوه * كبت دون مرمى خطوه المتقارب
وبحر ندى لو زاره البحر حدثت * عجائبه عن فعله بالعجائب

وقال الأصمعي : كنت بالبادية فرأيت امرأة على قبر تبكي وتقول :

فمن للسؤال ومن للنوال * ومن للمقال ومن للخطب
ومن للحياة ومن للحكمة * إذا ما الحكمة جثوا للركب

(١) كذا في النسخة الراغية . وفي الأصلين الفتوغرافيين : « حائر » .

(٢) في النسخة الراغية : « الأمدى » .

(٣) في النسخة الراغية : « منه » .

إذا قيل مات أبو مالك * فتي المكرمات قريع العرب
 [فقد مات عز بن آدم * وقد ظهر النكد بعد الطرب ^(١)]
 قال : فقلتُ إليها ، وسألْتُها عنه ، فقالت : فديتُك ! هذا أبو مالك الجحّام ، ختن
 أبي منصور الحائك . [قلت : عليك لعنة الله ^(١)] فما ظننتُ إلا أنه من سادات العرب .

وقال العباد الأصفهاني :

حييون يُخفون إحسانهم * ويعتذرون كأن قد أساءوا
 إذا ظلم الدهر أعدوا عليه * وإن أظلم الحطب يوماً أضاءوا
 بمثلكم قد أقتر الرجال * فمثلكم لم تلده النساء
 وللناس من حسن أيامكم * بدولتكم كل يوم هناء

وقال أيضا :

فلأطوين على أغر محجل * عرض الفلاة الى أغر محجب
 ليث الوغى غوث الوري غيث الندى * بدر الندى نعم وصدر الموكب
 وإذا استوى في دسسته مالت له * أعناق كل متوج ومُعصب
 وميت رأفته حقود عداته * وتجل هيبته عقود المحتبى
 إن الممالك ما تزال برأيه * في صائب ويجوده في صيب
 يحبوك معتذرا اليك فيآله * من محسن تعرفه نجلة مذنب
 يزهي بأصيل في العلاء مخيم * شرفا وفرج بالكرام مطنب

وقال أحمد بن محمد النامي :

له سورة في البشر تُقرأ في العلا * وثبتت في صحيف العطاء وتكتب
 إذا ما على أمطرتك سماءه * رأيت العلا أنوائها تتحلب

(١) الزيادة عن أمالي القالي ج ١ ص ٦٣

وأزهر يبيض الندى منه في الرضا * وتجر أطراف القناحين يغضب
أمير الندى ما للندى عنك مذهب * ولا عنك يوما للراغب مرغب

وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي :

سيد شادت علاه له * في العلا آباؤه النجب
وله بيت تمت له * فوق مجرى الأنجم الطنب
حسبه بالمصطفى شرفاً * وعلى حين ينتسب
رتبة في العرش شامخة * قصرت عن مثلها الرتب

(٥٧)

وقال ابن نباتة السعدي :

يرى الشمس أمًا والكواكب إخوة * وينظر من بدر السماء الى ترب
غيت عن الآمال حين رأيته * وأصبح من بين الورى كلهم حسبي
فلم أطلب المعروف من غير كفه * وهل تطلب الأمطار إلا من السحب

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكي :

لو نيل بالمجد في العلياء منزلة * لنال بالمجد أعنان السموات
يرمى الخطوب برأي يستضاء به * اذا دجا الرأي من أهل البصيريات
فليس يلقاه إلا عند عارفة * أو واقفا في صدور السمهرات

وقال أبو طالب المأموني :

قد وجدنا خطا الكلام فساخا * فجعلنا النسيب فيك أمتداحا
وأفضنا ما في الصدور فقاض الـ * مدح قبل النسيب فيك أنفسا
وعمدنا الى علاك فصغنا * لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا في أوجه الشعر من به * ض مساعيك بالندى أوضاحا

كم كسير جبرته وفقير * مستميع رددته مستاحا
وأمان خرس بسطت لها في ال * بقول حتى أعدتهن فصاحا
وبلاد جواح روضتها بال * معزم حتى أنسيتها الجماحا
شهرت منك آل سامان عضبا * يُنجم السمي غربه إنجاحا
لا يذوق الإغفاء إلا رجاء * أن يرى طيف مستميع رواحا

وقال أحمد بن محمد النامي :

أمير العلا إن العوالي كواسب * علاءك في الدنيا وفي جنة الخلد
يمر عليك الحول سيفك في الطلا * وطرفك ما بين الشكيمة واللبد
ويمضي عليك الدهر فعلك للعلا * وقولك للتقوى وكنمك للرفد

وقال أيضا :

ففي قسم الأيام بين سيوفه * وبين طريفات المكارم والتلد
فسود يوما بالعجاج وبالردى * وبيض يوما بالفضائل والمجد^(١)

وقال الصاحب بن عباد :

أيها الآملون حطوا سريعا * برفيع العباد وارى الزناد
فهو إن جاد ذم حاتم طيء * وهو إن قال فل قس إياد
وإذا ما آرتني فأين زياد * من علاه وأين آل زياد

وقال أبو طالب المأموني من قصيدة :

فتي ملئت بردتاه علا * ونبلا وفضلا ومجدا وخيرا
إذا ضمته الدست ألفتته * سحابة مطيرا وبدرًا منيرا

(١) كذا في يتيمة الدهر (ج ١ ص ١٦٨) . وفي الأصول : « والحمد » .

وإن أبرزته ونغى خلته * حساما بتورا وليثا هصورا
 (١)
 فطورا مفيدا وطورا مبيدا * وطورا مجيرا وطورا مبيرا
 ترى في ذراه لسان المنى * طويلا وباع الليالي قصيرا
 تضم الأسرة منه ذكاء * وتحمل منه المذاكي ثيرا

وقال أبو الطيب المتنبي :

يمشي الكرام على آثار غيرهم * وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع
 من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شيء ولا يضع

وقال أبو المعالي محمد بن مسعود الأصفهاني شاعر الخريدة :

قد حل في مدرج العلواء مرتبة * مطامح الشهب عن غاياتها تقف
 أغرى بوصف معاليه الوري شغفا * لكنه والمعالي فرق ما وصفوا
 إن ناصبته العدا فالدهر معتذر * أو أنكروا فضله فالمجد معترف

وقال السلامي شاعر اليتيمة :

يزور نائلك العافي وصارمك الـ * عاصي فتحويه ما أيد وأعناق
 في كل يوم لبيت المجد منك غنى * وثروة وليت المال إملاق
 كم خضت من لجة للنفع زاحرة * ماء المنون بها - حاشاك - دفاق

وقال المتنبي :

(٢)
 أنت الجواد بلا من ولا كدر * ولا مطال ولا وعد ولا مذل

(١) كذا في يتيمة الدهر . وفي الأصول : « وطورا أميرا » والمبير : المهلك .

(٢) كذا في الأصلين و يتيمة الدهر وديوانه . وفي النسخة الراغبية : « ملل » وهو تحريف .

والمذل : الفترة والضجر والقلق .

وقال أبو الفرج البغاء :

لا غيثُ نعامٍ في الورى خَلَبَ الـ * برق ولا وِرْدُ جوده وشَلُ
جاد الى أن لم يُبقِ نائله * مالا ولم يَبْقَ للورى أملُ

وقال محمد بن الحسن الحاتمي شاعر اليتيمة :

وَمَنْ عَوَّدَتْهُ الْمَكْرَمَاتُ شِمَائِلًا * فليس له عنها - ولو شاء - ناقلُ
وإن راسل الأعداء فالجردُ رُسُلُهُ ^(١) * اليهم وأطراف العوالى الرسائلُ
عُظِمَتْ فهذا الدهرُ دونك همّةً * وجُدَّتَ فهذا القطرُ عندك باخلُ

وقال مؤيد الدين الطغرائي :

لو دبَّ رأيك في كعوبِ قنًا * ما مَسَّهَا طَنَبٌ ولا خَطْلُ ^(٢)
أو كان ضوءك للغزاة لم * يَحْجُبُ ضياءَ جبينها الطَّفَلُ
أو كان لطفك في الحياة لما * طافت بها الأسقام والعللُ
أنت الذي لولا علاه عَفَّتْ * طُرُقُ الهدى وأستبهم السُّبُلُ
في كلِّ شِعْبٍ من رويته * شُعْبٌ ومن آرائه شُعْلُ
يرتد عنه جفنٌ حاسده * فكأنه بالنار يكتحلُ
وجهه كيوم الصحو مبتسمٌ * ويدُّ كليل الدَّجَنِ تنهملُ
مَسَحَتْ على الأنواء راحته * فأنساق منها العارض الهطلُ
إن ضنَّ غيثٌ أو خبا قمرٌ * بجبينه ويمينه البدلُ ^(٣)

(١) كذا في أحد الأصلين و يديمة الدهر . وفي الأصل الآخر والنسخة الراجية : « فالجود »

وهو تحريف .

(٢) الطنب : العوج .

(٣) كذا في النسخة الراجية وأحد الأصلين . وفي الأصل الآخر : « ولا خلل » .

وقال ابن الرومي :

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجوت نجوم
فيها معالم للهدى ومصالح * تجلوا الدجى والأخريات زجوم

وقال أبو الطيب المتنبي :

قوم بلوغ الغلام عندهم * طعن نحر الحكمة لا الحلم
كأنما يولد الندى معهم * لا صغر عاذر ولا هرم
إذا تولوا عداوة كشفوا * وإن تولوا صنعة كتموا
تظن من فقدك اعتدادهم * أنهم أنعموا وما علموا
إن برقوا فالحثوف حاضرة * أو نطقوا فالصواب والحكم
أوشهدوا الحرب لاقا أخذوا * من مهج الدارين ما أحتكموا
أوركبوا الخيل غير مسرجة * فإن أنفأ ذهم لها حزم
تشرق أعراضهم وأوجههم * كأنها في نفوسهم شيم
أعيدكم من صروف دهركم * فإنه في الكرام ميم

وقال أيضا :

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا * وأيامه فيما يريد قيام
وكل أناس يبتغون إمامهم * وأنت لأهل المكرمات إمام

وقال أيضا :

هم المحسنون الكرم في حومة الوغى * وأحسن منه كرم في المكارم
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم

(١) كذا في ديوان المتنبي و يتيمة الدهر للعلاني . والمعنى : أنهم لا يعتدون بصنيعهم وانعامهم
كأنهم لم يعلموا بذلك . وفي الاصول : « تظن من كثرة إعتذارهم ... الخ » .

وقال المشوق الشامي شاعر اليتيمة :

يروح الى كسبِ الثناء ويغتندي * اذا كان همَّ الناس كسبَ الدراهم
وإن جلس الأقوام عن واجبِ الندى * وحقَّ العطايا كان أولَ قائم
يزيد آبتها كما جاء قاصد^(١) * كأنَّ به شوقاً إلى كلِّ قادم

وقال السلامي شاعرها :

تُشبهه المداح في البأس والندى * بمن لو رآه كان أصغرَ خادم
ففي جيشه خمسون ألفاً كعنتر * وأمضى وفي خزانة ألف حاتم

وقال أبو طالب المأموني من قصيدة :

يُعَمِّمُ بالهندي حين يسأله * أسودَ الوغى بالضرب فوق العائم
فلا مُلكَ إلا ما أقيمت عروشُه * ولا غيثَ إلا ما أفضت لشائم
ولا تاجَ إلا ما توليت عقده * على جبهة الملك المكنى بقاسم
فرأيتك نجمٌ في دُجى الليل ثاقب^(٢) * وعزمك عَضْبٌ في طلي كلِّ ناجم

وقال المشوق الشامي :

ما زال يبنى كعبةً للعلا * ويجعل الجود لها ركناً
حتى أتى الناس فطافوا بها * وقبلوا راحتَه اليمنى

وقال المأموني من قصيدة :

همام يُبكي المشرفيّة ساخطا * ويضحك أبكار الأمانى راضيا
ولو أنَّ بحرا يستطيع ترقياً * إليه لأم البحرُ جدواه راجيا

(١) كذا في النسخة الراغبة و يتيمة الدهر . وفي الأصلين الفتوغرافيين : « كلما زار قاصدا » .

وفي اليتيمة أن هذه الأبيات من شعر عبد المحسن بن محمد الصوري .

(٢) في يتيمة الدهر : « الخطب » .

ذكر ما قيل في الأفتخار ^{جزوب} معين التارح لأهل التارح

قالوا : أنخر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم ^(١) * حسبت الناس كلهم غضابا

قال : دخل رجل من بني سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن

الرجل؟ قال : من الذين قال لهم الشاعر :

إذا غضبت عليك بنو تميم * البيت .

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل :

يزيد بنو سعدٍ على عدد الحصى * وأثقل من وزن الجبال حلومها

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

ثياب بني عوفٍ طهارى نقيه * وأوجههم عند المشاهد غرآن ^(٢)

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

فلا وأبيك ما ظلمت قريع * بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم * ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

قال : آجلس ، لا جلست ، والله لقد خفت أن تفخر على ! .

وقالوا : أنخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :

ترى الناس ما سرنا يسرون خلفنا * وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

(١) في ديوان المعاني : « إذا غضبت على » .

(٢) في لسان العرب مادة « غر » : « بيض المسافر ... » في إحدى روايته .

وقال عمرو بن كلثوم وهو أباح ما قاله جاهلي في الافتخار :

ونحن الحاكمون إذا أطعنا * ونحن العارمون إذا عصينا^(١)
ونحن التاركون لما سخطنا * ونحن الآخذون لما رضىنا

وقال إبراهيم بن العباس :

إما ترى أمام القوم متبعاً * فقد أرى من وراء الخيل أتبع
يوماً أبيع فلا أرى على نشب * وأستبيع فلا أبقى ولا أدع
لا تسألى القوم عن حتى صبحتهم * ماذا صنعت وماذا أهله صنعوا

وقالوا : من أحسن ما مدح به الرجل نفسه قول أعشى ربيعة :

وما أنا في نفسي ولا في عشيرتي * بمهتضم حتى ولا قارع سني
ولا مسلم مولاى عند جناية * ولا خائف مولاى من شر ما أجنى
وإن فؤادى بين جنبي عالم * بما أبصرت عيني وما سمعت أذنى
وفضلى في الشعر واللّب أنى * أقول على عليم وأعلم ما أعنى
فأصبحت إذ فضلت مروان وأبنه * على الناس قد فضلت خير أب وأبن

وقال أبو هفان :

لعمري لئن بيعت في دار غريبة * ثيابي إذ ضاقت على الماك
فما أنا إلا السيف يأكل جفنه * له حلية من نفسه وهو عاطل

قال أبو هلال العسكري : ولا أعرف في الافتخار أحسن مما أنشده أبو

تمام وهو :

فقل لزهير إن شتمت سراتنا * فلسنا بشتامين للشتم

(١) كذا في جمهرة العرب . والعارم : صاحب العرام وهو الشدة والقوة والشراسة . وفي النسخة

الراغية وشرح المعلقات : « العازمون » بالزاي المعجمة . وفي باقي الأصول : « المائفون » .

وَلَكِنَّا نَأْبَى الظَّالِمَ^(١) وَنَقْتَضِي * بَكْلَ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مَصْمَمٌ
وَتَجْهَلُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا * وَنَشْتُمُّ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلِّمِ

ومن الافتخار قول السموئل بن عاديا من كلمته التي أوقها :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عِرْضُهُ * فكلَّ رداء يرتديه جميلٌ
وإن هو لم يحجل على النفس ضيمها * فليس إلى حسن الثناء سبيلٌ
وقائلة ما بال أسرة عاديا * تُنادي وفيها قلةٌ وحولٌ
تعيّرنا أنا قليلٌ عديدا * فقلت لها إن الكرام قليلٌ
وما قل من كانت بقاياهم مثلنا * شبابٌ تسمى للعلا وكهولٌ
وما ضرنا أنا قليلٌ وجارنا * عزيز وجار الأكرمين ذليلٌ
وأنا أناس لا نرى القتل سبةً^(٢) * إذا ما رآته عامرٌ وسلولٌ
يقرب حب الموت آجاننا لنا * وتكرهه آجالهم فتطولُ
وما مات منا سيدٌ حتف أنفه * ولا طلّ منا حيث كان قتيلٌ
تسيل على حدّ الطباة نفوسنا * وليست على غير الطباة تسيلُ^(٣)
صفونا فلم نكدر وأخلص سِرنا * إناثٌ أطابت حملنا وخولُ
علونا إلى خير الظهور وحطنا * لوقت إلى خير البطون نزولُ
فنحن كماء المزن ما في نصابنا * ككهام ولا فينا يعدّ بنخيلُ
وننكر إن شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقولُ
إذا سيد منا خلا قام سيد * قوول لما قال الكرام فعولُ

(١) الظلام : الظلم .

(٢) رواية الأماي : « وانا لقوم ما نرى ... » .

(٣) رواية الأماي : « السبوف » .

وما أُنحِدتُ ناراً لنا دونَ طارقٍ * ولا ذَمَّنا في النازلين نزيلُ
وأَيَّامُنَا مشهورة في عَدُونَا * لها غُرُرٌ معلومة وحُجُولُ
وأَسِيفُنَا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ * بها من قِرَاعِ الدراعين فُلُولُ
مَعُودَةٌ أَلَا تُسَلِّ نِصَالُهَا * فَتُعَمِّدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ
سَلَى إِنْ جَهِلَتِ النَّاسَ عَنَا وَعَنَهُمْ * وَلَيْسَ سَوَاءَ عَالَمٌ وَجَهْلُولُ
فَإِنْ بَنَى الدِّيَانَ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ * تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

٥

وقال أبو هلال العسكري من قصيدة :

وما ضاع مثلي حيث حلت ركابُهُ * بلى حيث ضاع المجد مثلي ضائعُ
ومِثْلِي مَخْضُوعٌ لَهُ غَيْرُ أَنَّهُ * إِذَا كَانَ مَجْهُولَ الْفَضَائِلِ خَاضِعُ
ومِثْلِي مَتَّبَعٌ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ * فَإِنْ يَنْقَلِبُ وَجْهَ الزَّمَانِ فَتَابِعُ

١٠

وقال عبد الله بن المعتز :

سَأَلْتُكَ يَا اللَّهُ هَلْ تُعَلِّمَانِي ^(١) * وَلَا تَكْتُمَانِ شَيْئًا فَعِنْدَكَ خُفْرِي
أَأَرْفَعُ نِيرَانِ الْقَرَى لِعُقَاتِهَا * وَأَصْبِرُ يَوْمَ الرُّوعِ فِي ثَغْرِ الثَّغْرِ
وَأُسْأَلُ نَيْلًا لَا يُجَادُ بِمِثْلِهِ * فَيَفْتَحُهُ بَشْرِي وَيَخْتَمُهُ عُذْرِي

ومن الاختصار قول بعض الشعراء، ويروى لحسان بن ثابت من قصيدة أوقها :

١٥

أَنْسِيْمُ رِيحِكِ أَمْ خِيَارُ الْعَبْرِ * يَا هَذِهِ أَمْ رِيحُ مَسِكَ أَذْفَرِ
قَوْلِي لَطِيفُكَ أَنْ يَصَدَّ عَنْ الْحَشَى * سَطَوَاتِ نِيرَانِ الْأَسَى ثُمَّ آهَجْرِي
وَأَنْهَى رُمَاتِكَ أَنْ يُصْبَنَ مَقَاتِلِي * فَيُنَالَ قَوْمَكَ سَطَوَةٌ مِنْ مَعْشَرِي
إِنَّا مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ جِيَادُهُمْ * طَلَعَتْ عَلَى عَادِ بَرِيحِ صَرْصَرِي

(١) في ديوان المعاني : « ما » .

٢٠

وَسَلَبْنِ تَاجِي مُلْكٍ قِصَرَ بِالقَنَا * وَأَجْتَزْنِ بَابَ الدَّرْبِ لِابْنِ الْأَصْفَرِ
 كَمْ قَدْ وَلَدْنَا مِنْ كَرِيمٍ مَاجِدٍ * دَامِيَ الْأُظَافِرِ أَوْ رُبَيْعِ الْمُطَرِّ
 خُلِقْتُ أَنَا مِلهُ لِقَائِمٍ مُرْهَفٍ * وَلِبَذَلِ مَكْرُمَةٍ وَذِرْوَةِ مَنَبَرٍ
 يَلْقَى الرِّمَاحَ بِوَجْهِهِ وَبِصَدْرِهِ * وَيُقِيمُ هَامَتَهُ مَقَامَ الْمَغْفَرِ
 وَيَقُولُ لِلطَّرْفِ أَصْطَبِرْ لِشَبَابِ القَنَا * فَهَدَمْتَ رَكْنَ الْمَجْدِ إِنْ لَمْ تَصْبِرْ
 وَإِذَا تَأَمَّلَ شَخْصَ ضَيْفٍ مُقْبِلٍ * مُتَسَرِّبِلٍ سِرْبَالِ ثَوْبٍ أَغْبَرِ
 أَوْ مَا إِلَى الْكُومَاءِ هَذَا طَارِقٌ * نَحْرَتْنِي الْأَعْدَاءُ إِنْ لَمْ تُنْحَرِي

ذكر ما قيل في الجود والكرم وأخبار الكرام

- حقيقة الجود بذل المال، قال الله عز وجل : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 ١٠ " إِنْ اللَّهُ آسَتْخَلَصَ هَذَا الدِّينَ لِنَفْسِهِ وَلَا يَصْلَحَ لِدِينِكُمْ إِلَّا السَّخَاءُ وَحَسَنُ الْخُلُقِ
 أَلَا فَرِيزُوا دِينَكُمْ بِهِمَا " وقال صلى الله عليه وسلم : " تَجَاوَزُوا عَنْ ذَنْبِ السَّيْخِي " فَإِنَّ اللَّهَ
 عَزَّ وَجَلَّ آخِذٌ بِيَدِهِ كُلَّمَا عَثَرَ وَفَاتَحَ لَهُ كُلَّمَا أَفْتَقَرَ " وقال صلى الله عليه وسلم : " الْجُودُ
 ١٥ مِنْ جُودِ اللَّهِ تَعَالَى بِجُودِ اللَّهِ يَجِدُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ " . " أَلَا إِنْ السَّخَاءُ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ أَغْصَانُهَا
 مُتَدَلِّيةٌ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ تَعَلَّقَ بِغَصْنٍ مِنْهَا أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ " . " أَلَا إِنْ السَّخَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ
 وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ " . وقال علي بن عبد الله بن عباس : سَادَةُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا
 الْأَسْخِيَاءُ . وقال بعض الحكماء : الْجَوَادُ مِنْ جَادَ بِمَالِهِ وَصَانَ نَفْسَهُ عَنْ مَالٍ غَيْرِهِ .
 وَقِيلَ لِعَمْرُو بْنِ عَبِيدٍ : مَا الْكِرْمُ ؟ فَقَالَ : أَنْ تَكُونَ بِمَالِكَ مُتَبَرِّعًا ، وَعَنْ مَالٍ غَيْرِكَ
 ٢٠ مُتَوَرِّعًا . وَيُقَالُ : مَرَاتِبُ السَّخَاءِ ثَلَاثَةٌ : سَخَاءٌ وَجُودٌ وَإِثَارٌ ، فَالسَّخَاءُ إِعْطَاءُ

الأقل وإمساك الأكثر؛ والجود إعطاء الأكثر وإمساك الأقل؛ والإيثار إعطاء الكل من غير إمساك لشيء؛ وهو أشرف درجات الكرم، وبه استحقوا ثناء الله عز وجل عليهم في قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ . ومن كلام يُنسب إلى جعفر بن محمد: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: تعجيله، وتصغيره، وسنّره . الجودُ زكاةُ السعادة، والإيثار على النفس موجب لاسم الكرم، وقال: لا يستحي من بذل القليل فإن الحرمان أقل منه . قال بعض الشعراء:

أعط القليل ولا يمنعك قلته * فكل ما سد فقراً فهو محمود



وقال علي بن الحسين: الكريم يتهج بفضلته، واللئيم يفتخر بماله .

وقال الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما: أيها الناس من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه . وقيل ليزيد بن معاوية: ما الجود؟ قال: أن تُعطى المال من لا تعرف، فإنه لا يصير إليه حتى يتخطى من تعرف .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه: لو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمى بها، فهو الكريم عز وجل . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أناكم كريم قوم فأكرموا" . وقيل لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت في بذل المال، قال: إن الله عز وجل قد عودني بعادة أن يتفضل عليّ، وعودته أن أتفضل على عباده، وأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني . وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلبي: إنك متلاف، قال: منع الموجود، سوء ظن بالمعبود . قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ . وقال أكرم بن صيفي حكيم

(١) كذا في هامش أحد الأصولين الفنوغرافيين وكتب عليه كلمة « صواب » . وفي سائر الأصول والعقد الفريد (ج ١ ص ٨٤) : « منع الجود » .

العرب : ذَلَّلُوا أَخْلَاقَكُمْ لِلطَّالِبِ ، وَقُودُهَا إِلَى الْحَامِدِ ، وَعَلَّمُوهَا الْمَكَارِمَ ،
وَلَا تَقِيمُوا عَلَى خَلْقٍ تَذُمُونَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ ، وَصِلُوا مَنْ رَغِبَ إِلَيْكُمْ ، وَتَحَلَّوْا بِالْجُودِ يَكْسِبُكُمْ^(١)
الْحُبَّةُ ، وَلَا تَعْتَقِدُوا الْبَخْلَ لَتَعَجِلُوا الْفَقْرَ . أَخَذَهُ شَاعِرٌ فَقَالَ :

أَمِنْ خَوْفِ فَقْرٍ تَعَجَّلْتَهُ * وَأُخِّرْتَ إِنْفَاقَ مَا تَجْمَعُ
فَصَرْتَ الْفَقِيرَ وَأَنْتَ الْغَنَى * وَمَا كُنْتَ تَعْدُو الَّذِي تَصْنَعُ

وَكُتِبَ رَجُلٌ مِنَ الْبَخْلَاءِ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَسْخِيَاءِ بِأَمْرِهِ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى نَفْسِهِ وَيُخَوِّفُهُ
الْفَقْرَ ، فَأَجَابَهُ : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً
مِنْهُ وَفَضْلًا ﴾ وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَتْرِكَ أَمْرًا قَدْ وَقَعَ لِأَمْرِ لَعَلَّهُ لَا يَقَعُ .

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِي يَقُولُ عَلَى الْمُنْبَرِ : مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا فَلْيَنْفِقْ مِنْهُ
سِرًّا وَجَهْرًا حَتَّى يَكُونَ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ ، فَإِنَّمَا يَتْرَكَ مَا يَتْرَكَ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ :
إِمَّا لِمُصْلِحٍ فَلَا يَنْقَلِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ ، وَإِمَّا لِمُفْسِدٍ فَلَا يَبْقَى لَهُ شَيْءٌ . أَخَذَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ
هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

أَسْعَدَ بِمَالِكَ فِي الْحَيَاةِ فَإِنَّمَا * يَبْقَى خِلَافُكَ مُصْلِحٌ أَوْ مُفْسِدٌ
فَإِذَا جُمِعَتْ لِمُفْسِدٍ لَمْ يُغْنِهِ * وَأَخُو الصَّالِحِ قَلِيلٌ لَهُ يَتَزَيَّدُ

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَكَ فِي مَالِكَ شَرِيكَانِ : الْحَدَّثَانِ ، وَالْوَارِثُ ، فَإِنْ
أَسْتَطَعْتَ أَلَّا تَكُونَ أَبْخَسَ الشُّرَكَاءِ حِطًّا فَأَفْعَلْ . وَقَالَ بُزْرَجِيهِمُ الْفَارِسِيُّ : إِذَا
أَقْبَلَتْ عَلَيْكَ الدُّنْيَا فَأَنْفِقْ مِنْهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَفْنَى ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَلَيْكَ فَأَنْفِقْ مِنْهَا ،
فَإِنَّهَا لَا تَبْقَى . أَخَذَ الشَّاعِرُ هَذَا الْمَعْنَى فَقَالَ :

(١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ فِي الْأَصُولِ : « وَلَا تَقِيمُوا » .

(٢) كَذَا فِي النُّسخَةِ الرَّاغِبِيَّةِ . فِي الْأَصْلَيْنِ الْفَتْوَاغَرَايِينِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « يَلْبَسُكُمْ » .

(٣) فِي أَحَدِ الْأَصْلَيْنِ وَالْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَالنُّسخَةِ الرَّاغِبِيَّةِ : « لَا تَبْقَى » .

لا تَجَلَنَّ بُدْنِيَا وَهِيَ مَقْبِلَةٌ * فليس ينقصها التبذير والسرف
وإن تولت فأحرى أن تجودَ بها * فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف

وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة ، فإنهم أهل حسن ظن بالله ؛
ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرر بخلهم ، ومذمة الناس لهم ، وإطباق
القلوب على بغضهم إلا سوء ظنهم برهم في الخلف ، لكان عظيمًا . أخذه محمود
الوراق فقال :

من ظن بالله خيرا جاد مبتدئا * والبخل من سوء ظن المرء بالله

وقيل لأبي عقيل البايغ العراقي : كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب
الحاجة إليه ؟ قال : رأيت رغبته في الإنعام فوق رغبته في الشكر ، وحاجته الى
قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحبها . ١٠

وقال زياد : كفى بالبخيل عارا أن اسمه لم يقع في حمد قط ، وكفى بالجوذ
مجدا أن اسمه لم يقع في ذم قط .

وقال أسماء بن خارجة : ما أحب أن أردد أحدا عن حاجة طأبها ، لأنه لا يخلو
أن يكون كريما فأصون له عريضه ، أو لئما فأصون عريض منه .

وقال إبراهيم بن المهدي : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان
لا يحف بيده قلم ، ولا يستريح قلبه ، ولا تسكن حركته في طلب حوائج الرجال ،
وإدخال المرافق على الضعفاء : أخبرني عن الحالة التي خففت عنك النصب ،
وهونت عليك التعب في القيام بحوائج الناس ، ما هي ؟ قال : قد والله سمعت
تغريد الطير بالأشجار ، في فروع الأشجار ، وسمعت خفق أوتار العيودان وترجيع
أصوات القيان ، فما طربت من صوت قط ، طربي من ثناء حسن ، بلسان حسن ، ٢٠

على رجل قد أحسن ، ومن شُكر حزن لمنعم حزن ، ومن شفاعة محتسب ، اطالب شاكر ،
قال إبراهيم : فقلت ، لله أبوك ! لئلا حشيت كرما .

وكان طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى من أجود قریش في زمانه ، فقالت
له امرأته : ما رأيت قوما ألام من إخوانك ! فقال لها : لمه ؟ وأنى قلت ذلك ؟
فقالت : أراهم إذا أيسرت أتوك ، وإذا أعسرت تركوك ، قال : هذا والله من
كرمهم ، يأتوننا في حال القوة عليهم ، ويتركوننا في حال العجز عنهم .

وحكى أن رجلا شيخا أتى سعيد بن سالم ، وكلمه في حاجة وماشاه ، فوضع الشيخ
زُجَّ عَصَاد التي يتوكأ عليها ، على رجل سعيد حتى أدماها ، فما تأوه لذلك ، وما نهاه ،
فلما فارقه ، قيل له : كيف صبرت على هذا منه ؟ فقال : خفت أن يعلم جنائته ،
فينقطع عن ذكر حاجته .

ذكر من انتهى اليهم الجود في الجاهلية

وذكر شيء من أخبارهم

(١١)

والذى انتهى اليهم الجود في الجاهلية : حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي ، وهريم
ابن سنان المبري ، وكعب بن مامة الإيادي ، وضرب المثل بحاتم وكعب ، والمشهور
حاتم . وكعب هذا : هو الذى جاد بنفسه ، وآثر رفيقة بالماء في المفازة ، ولم يشهر
له خبر غير هذا . وأما حاتم فأخباره مشهورة

منها : أنه كان إذا اشتد البرد ، أمر غلامه يسارا ، فأوقد نارا في يفاع من

الأرض ، لينظر إليها من ضلّ عن الطريق [ليلا] ، وفي ذلك يقول :

أوقد فإن الليل ليْلٌ قَرٌّ * والريح يا واقِد رِيحٌ صَرٌّ

عسى يرى نارك من يَمَرٌّ * إن جلبت ضيفا فانت حرٌّ

قالوا : ولم يك حاتم يمسك غير سلاحه وفرسه ، ثم جاد بفرسه في سنة أزمة .
 قالت النوار امرأة حاتم : أصابتنا سنة أقشعرت لها الأرض ، وأغربت أفق السماء ،
 وضئت المراضع عن أولادها ، لا تبض بقطرة ، وأيقنا بالهلاك ، فوالله ، إني لنفي أيلة
 صبرة^(١) ، بعيدة ما بين الطرفين ، إذ تضاعى صبيتنا جوعا : عبد الله ، وعدى ، وسفانة ،
 فقام حاتم الى الصبيين ، وقمت الى الصبية ، فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل ،
 وأقبل يعلاني ، فعرفت ما يريد ، فتناومت ، فلما تهورت النجوم ، إذابشيء قد رفع كسر
 البيت ، فقلت : من هذا ؟ فوالى ، ثم عاد آخر الليل ، فقال من هذا ؟ فقالت : جارتك
 فلانة ، أتيتك من عند صبية يتعاونون عواء الذئاب ، فما وجدت معولا إلا عليك
 أبا عدى ، فقال : أعجلهم ، فقد أشبعك الله وإياهم ، فاقبلت المرأة تحمل اثنين ،
 ويمشي بجانبها أربعة كأنها نعامه حولها رثالها ، فقام الى فرسه ، فوجأ لبته بمدية^(٢) ،
 نفخر ، ثم كشط عن جلده ، ودفع المدية الى المرأة ، وقال : شأنك ، فأجتمعا على اللحم
 نسيوى ونأكل ثم جعل [يمشي في الحى] يأتهم بيتا بيتا ، فيقول : هبوا ، عليكم
 بالنار ، وآلتفع بثوبه ناحية ينظر اليها ، لا والله إن ذاق منه مضغة ، وإنه لأحوج اليه
 منا ! فأصبحنا وما في الأرض إلا عظم أو حافر .

وقيل : كان مبدأ الأمر لحاتم في الجود ، أنه لما ترعرع ، جعل يخرج طعامه
 فإن وجد من يأكله معه أكله ، وإن لم يجد طرحه ، فلما رأى أبوه أنه يهلك
 طعامه ، قال له : ألحق بالإبل ، نخرج إليها ، فوهب له جارية وفرسا وفلورها .

(١) ليلة صبرة أى شديدة البرد .

(٢) تضاعى الصبيان : تضوروا من الجوع .

(٣) تهورت النجوم : أدبرت .

(٤) وجأ لبته أى ضربه في منخره .

(٥) الزيادة عن العقد الفريد .

٥

١٠

١٥

٢٠

- وقيل : بل هلك أبو حاتم وهو صغير ، وهذه القصة كانت مع جده سعد بن الحشرج ، فلما أتى حاتم الإبل طفق يبتغي الناس فلا يجدهم ، ويأتي الطريق فلا يجد عليه أحدا ، فيبينا هو كذلك ، إذ بصر بركب على الطريق فأتاهم ، فقالوا : يا قتي ، هل من قرى ؟ فقال : تسألونني عن القرى وقد ترون الإبل ! وكان الذي بصرهم : عبيد ابن الأبرص وبشر بن أبي خازم والتبغة الذبياني وكانوا يريدون النعمان ، فنجح لهم ثلاثة من الإبل ، فقال عبيد : إنما أردنا اللبن ، وكانت تكفيننا بكرة إن كنت لا بد متكلفا لنا شيئا ، فقال حاتم : قد عرفت ، ولكن رأيت وجوها مختلفة وألوانا متفرقة ، فظننت أن البلدان غير واحدة ، فأردت أن يذكر كل واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه ، فقالوا أشعارا امتدحوه بها وذكروا فضله ، فقال حاتم : أردت أن أحسن اليكم ، فصار لكم الفضل على ، وإني أعاهد الله أن أضرب عراقيب إبل عن آخرها أو تقوموا إليها فتقتسموها ، ففعلوا ، فأصاب كل واحد تسعة وثلاثين بعيرا ، ووضوا على سفرهم إلى النعمان ، وإن أبا حاتم أو جده سمع بما فعل ، فقال : أين الإبل ؟ فقال : يا أبت طوقتك بها طوق الحمامة مجدا وكرما ، لا يزال الرجل يحمل بيت شعر أثنى به علينا عوضا من إبلك ، فلما سمع أبوه ذلك ، قال : أبايلي فعلت ذلك ؟ قال : نعم ، قال : والله لا أسألك أبدا ، فخرج أبوه بأهله ، وترك حاتما ومعه جاريته وفرسه وفلأوها . قال : فبينما حاتم يوما نائم إذ آتبه وحوله نحو مائتي بعير تجول ويحطم بعضها بعضا ، فساقها إلى قومه ، فقالوا : يا حاتم ، أبقى على نفسك فقد رزقت مالا ، ولا تعودن إلى ما كنت فيه من الإسراف ، قال : فإنها نهى^(١) بينكم ، فأنهبت . ثم أقبل ركب من بني أسد ومن قيس يريدون النعمان ، فلقوا حاتما فقالوا له : إنا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا ، وقد

(١) النهي : اسم للنهوب .

أرسلوا اليك برسالة، قال : وما هي ؟ فأنشده الأسدَيون شعرا لعبيد، وأنشده القيسيون شعرا للنابعة، ثم قالوا : إنا لنستحي أن نسألك شيئا وإن لنا حاجة، قال : وما هي ؟ قالوا : صاحب لنا راجل، فقال حاتم : خذوا فرسي هذه، فاحملوا عليها صاحبكم، فأخذوها، وربطت الجارية فلوها بثوبها، فأفلت فأتبعته الجارية لترده، فقال حاتم : ما لحقكم من شيء فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

وأما هريم بن سنان ، فمن أخباره : أنه آلى على نفسه أنه لا يسلم عليه زهير إلا أعطاه فقل مال هريم، وكان زهير يمتز بالنادي وفيه هريم فيقول : أنعموا صباحا ما خلا هريما، وخير القوم تركت .

قالوا : وكان عبد الله بن جدهان، حين كبر، أخذت بنو تميم على يده، ومنعوه أن يعطى شيئا من ماله، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال له : آدن مني، فإذا دنا منه لطمه، ثم قال : أذهب فاطلب لطمتك أو ترضى، فترضيه بنو تميم من ماله، وفيه يقول الشاعر :

والذي إن أشار نحوك لطمًا * تبع اللطم نائل وعطاء

ومن أخبار الكرام : ما حكى أن خالد بن عبد الله القسري أمير العراق كان يكثر الجلوس ثم يدعو بالبدر ويقول : إنما هذه الأموال ودائع لا بد من تفرقتها، فقال : ذلك مرة، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله من خراسان، فقام فقال : أيها الأمير إن الودائع تُجمع لا تُفترق، فقال : ويحك ! إنها ودائع المكارم، وأيدينا وكلاؤها، فإذا أتانا المُلِق فأغنيناه، والظمان فأرويناه، فقد أدينا فيها الأمانة .

(١) كذا في الأغاني وهو الأنسب . وفي الأصول : « اللبيون » .

ومرّ يزيد بن المهلب بأعرابية في هروبه من سجن عمر بن عبد العزيز وهو يريد البصرة، فقدّمت له عتزا فقبلها، ثم قال لابنه معاوية: ما معك من النفقة؟ قال ثمانمائة دينار، قال: أدفعها إليّ! فقال له أبه: إنك تريد الرجال، ولا تكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهى بعد لا تعرفك، فقال: إن كانت ترضى باليسير، فاني لا أَرْضى إلا بالكثير، وإن كنت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي، أدفعها اليها، فدفعها اليها.

قال الأحنف: كثرت على الديّات بالبصرة، لما قُتِل مسعود، فلم أجدها في حاضرة تميم، فخرجت نحو يبرين، فسألت: مَنْ المقصودُ هناك؟ فأرسلت إلى قبة، فاذا شيخ جالس يفنئها، مؤتزر بشملة، مُحْتَبٍ بجبل، فسلمت عليه، وأنتسبت له، فقال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: توفّي، قال: فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها؟ قلت: مات، قال: فأخبرني في حاضرتمكم بعدهما؟ قال: فذكرت الديّات التي لزمنا للأزد وربيعة، قال: أفهم، فإذا راع قد أراح عليه بألف بعير، فقال: خذها، ثم أراح عليه آخر بمثلها، فقال: خذها، قلت: لا أحتاج اليها، فانصرفت بالألف، ووالله ما أدرى من هو إلى الساعة.

١٥

وروى عن معن بن زائدة، قال: لما هربت من المنصور، خرجت من باب حرب، بعد أن أقمت في الشمس أياما، وخففتُ لحيتي وعارضى، ولبست جبة صوف غليظة، وركبت جملا، وخرجت عليه لأمضى إلى البادية، قال: فتبعني

(١) باب حرب: أحد أبواب بغداد (وينسب لحرب بن عبد الملك) أحد قواد أبي جعفر المنصور، وعنده مقبرة ضمت كثيرا من أعلام المسلمين منهم: الامام الجليل أحمد بن حنبل وبشر الحافي رضي عنهما. راجع باقوت.

٢٠

(٢) كذا في أحد الأصلين والنسخة الراغية: وفي الأصل الآخر: «عريضة».

أسود متقلد سيفاً ، حتى إذا غبت عن الحرس ، قبض على خطام الجمل فأناخه ،
وقبض علىّ ، فقلت : ما شأنك ؟ فقال : أنت بغية أمير المؤمنين ، فقلت له : ومن
أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ؟ فقال معن بن زائدة ، فقلت : يا هذا آتق الله ! وأين أنا
من معن ؟ فقال : دع هذا عنك ، فأنا والله أعرف بك ، فقلت له : فإن كانت
القصّة كما تقول فهذا جوهر حملته معي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ،
نخذه ولا تسفك دمي ، فقال : هاته ، فأخرجته إليه ، فنظر إليه ساعة ، وقال :
صدقت في قيمته ، لست قابله حتى أسألك عن شيء ، فإن صدقتني أطلقتك ،
فقلت : قل ، فقال : إن الناس قد وصفوك بالجوّد ، فأخبرني هل وهبت قط مالاً
كله ؟ قلت : لا ، قال : فنصفه ؟ قلت : لا ، قال : فثلثه ؟ قلت : لا ، حتى بلغ
العشر فاستحييت وقلت : إني أظن قد فعلت هذا ، فقال : ما ذاك بعظيم ، أنا والله
راجل ، ورزقي على أبي جعفر كل شهر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته ألف
دينار ، وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ، لجودك المأثور بين الناس ، ولتعلم أن في الدنيا
من هو أجود منك ، ولا تعجبك نفسك ، ولتحقّر بعد هذا كلّ شيء تفعله ولا تتوقف
عن مكرمة ، ثم رمى بالعقد إلىّ : وخلى خطام الجمل وانصرف ، فقلت : يا هذا
قد والله فضحتني ! ولسفك دمي أهون عليّ مما فعلت ، نخذ ما دفعته إليك ، فإني عنه
في غنى ، فضحك ، ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامى هذا ، فوالله لا أخذه ،
ولا أخذ لمعروف ثمناً أبداً ، ومضى . فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت ، وبذلت لمن
جاءني به ما شاء ، فما عرفت له خبراً ، وكأنّ الأرض ابتلعتة . وكان سبب غضب
المنصور على معن بن زائدة أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمر بن هبيرة وأبلى

فلما سمع العباس الأبيات غضب ، وقال : والله لأجهدن في حتفه . قال : فمتر أبو العتاهية بإسحاق بن العباس ، وقال له إسحاق : أنشدني شيئاً من شعرك فأنشده

ألا أيها الطالب المستغيث * بمن لا يُفِيد ولا يَرِفِدُ

ألا تسأل الله من فضله * فإن عطاياه لا تتفد

إذا جئت أفضلهم للسؤا * ل رد وأحشاؤه ترعد

كأنك من خشية للسؤا * ل في عينه الحية الأسود

ففسر إلى الله من لؤمهم * فإني أرى الناس قد أصلدوا

وإني أرى الناس قد أبرقوا * بلؤم الفعّال وقد أرعدوا

ثم مضى ، فقل لإسحاق : إن هذا الشعر له في أبيك ، فقال إسحاق : أولى له ، لم عرض نفسه وأحوج أبا العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقدرته ! .

وقد أورد أبو الفرج الأصفهاني خبر هذه الأبيات ، فقال : امتدح ربيعة الرقيّ العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بقصيدة لم يسبق إليها حسناً ، وهي طويلة يقول فيها :

لو قيل للعباس يا بن محمد * قل لا وأنت مخلّد ما قالها

ما إن أعدّ من المكارم خصلة * إلا وجدتك عمها أو خالها

وإذا الملوك تسأرت في بلدة * كانوا كوابكها وكنّت هلالها

إن المكارم لم تزل معقولة * حتى حالت براحتك عقالها

قال : فبعث إليه دينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين ، كاد أن يُجنّ غضباً ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن تردّ إليّ الرقعة ، من حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة ، وأمر من كتب

مدحتك مدحة السيف المحلى * لتجري في الكرام كما جريت^(١)
فهبها مدحة ذهب ضياعا * كذبت عليك فيها وأقترت
فأنت المرء ليس له وفاء * كأني إذ مدحتك قد زينت

ثم دفعها الى الرسول وقال : ضعها في الموضع الذي أخذتها منه . ففعل ، فلما كان
من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات غضب ، وقام من وقته ،
فركب إلى الرشيد ، وكان أثيرا عنده يبجله ويقدمه ، وكان قد هم أن يخطب اليه
أبنته ، فرأى الرشيد الكراهة في وجهه ، فقال ما شأنك ؟ قال : هجاني ربعة الرقي ،
فأحضره الرشيد ، وقال له : يا ماض كذا وكذا من أمه ! أتتهجو عمي ، وآثر خلق الله
عندي ! لقد هممت أن أضرب عنقك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد أمتدحتته
بقصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الثناء ،
وأكثر الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها فعل ، فلما سمع
الرشيد ذلك ، سكن غضبه ، وأحب أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس بإحضارها
فتلكأ عليه ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين ، إلا أمرت بإحضارها ،
فأحضرت ، فإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها وأعجب بها ، وقال :
والله ما قال أحد من الشعراء في أحد من الخلفاء مثلها ! ولقد صدق ربعة فبر ،
ثم قال للعباس : كم أثبتة عليها ؟ فسكت العباس ، وتغير لونه ، وجرض بريقه ، فقال^(٢)
ربعة : أثابني عنها يا أمير المؤمنين دينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة
عليه ، فقال : بحياتي يا رقي كم أثابك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصول : « لتجري في الكرام فاجريت » .

(٢) كذا في الأغاني والأصانين . وجرض بريقه أى ابتلعه بجهد على هم وحزن . وفي النسخة الراجية :

« وغص بريقه » .

ذكر ما قيل في الإعطاء قبل السؤال

قال سعيد بن العاصي : قبح الله المعروف ، اذا لم يكن ابتداءً من غير مسألة ،
 فالمعروف عوضٌ من مسألة الرجل ، اذا بذل وجهه ، فقلبه خائف ، وفرائضه تُرعد ،
 وجبينه يرشح ، لا يدرى أيرجع بنجح الطالب ، أم بسوء المتقلب ، قد بات ليلته
 يتململ على فراشه ، يعاقب بين شقيه ، مرة هكذا ، ومرة هكذا ، مَنْ لحاجته ؟
 نخطرتُ بباله أنا وغيرى ، فثَّلل أرجاهم في نفسه ، وأقربهم من حاجته ، ثم عزم
 على ، وترك غيرى ، قد انتقع لونه ، وذهب دم وجهه . فلو خرجتُ له مما أملك
 لم أكافئه ، وهو على أمنٍ منى عليه ، اللهم فإن كانت الدنيا لها عندى حظ فلا تجعل
 لى حظاً فى الآخرة .

وقال أكرم بن صيفي : كل سؤال وإن قل أكثر من كل نوال وإن جل .
 وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه لأصحابه : من كانت له إلى منكم حاجة
 فليرفعها فى كتاب ، لأصون وجوهكم عن المسألة .
 وقال عبد العزيز بن مروان : ما تأملنى رجل قط إلا سألته عن حاجته ،
 ثم كنت من ورائها .

وقال حبيب :

عطاؤك لا يفنى ويستغرق المنى * وتبقى وجوه الراغبين بمائها

وقال أيضاً :

ما ماء كفك إن جادت وإن بخلت * من ماء وجهى إذا أفنيتُه عوض

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٨٨) وهو الأنسب . وفى الأصول : « فالمعروف » .

وقالوا : مَنْ بَذَلَ إِلَيْكَ وَجْهَهُ فَقَدْ وَقَاكَ حَقٌّ نِعْمَتِكَ .

وقال معاوية لَصُعَصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ : مَا الْجُودُ؟ فَقَالَ : التَّبَرُّعُ بِالْمَالِ ،
والعطاء قبل السؤال .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

كَرِيمٌ عَلَى الْعِلَالِ جَزْلٌ عَطَاؤُهُ * يُنِيلُ وَإِنْ لَمْ يُعْتَمَدْ لِنَوَالِ
وَمَا الْجُودُ مَنْ يُعْطَى إِذَا مَا سَأَلْتَهُ * وَلَكِنْ مَنْ يُعْطَى بِغَيْرِ سَأَالِ

وقال حبيب الطائي :

لَنْ جَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ كَرِيمٍ ^(١) * إِنْ لَفَى اللَّؤْمُ أَمْضَى مِنْكَ فِي الْكَرِيمِ ^(٢)
أَنْسَى أَبْتَسَأُكُمْ وَالْأَلْوَانُ كَاسِفَةٌ * تَبَسَّمَ الصَّبْحُ فِي دَاخِ مِنْ الظُّلَمِ ^(٣)
رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِهِ فِي صَحِيفَتِهِ ^(٤) * رَدَّ الصَّقَالِ صَفَاءَ الصَّارِمِ الْخَذِيمِ ^(٥)
وَمَا أَبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ * حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِهِ أَمْ حَقَنْتَ دِمِي

ذكر ما قيل في الشجاعة والصبر والإقدام

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”الشجاعة غريزة يضعها الله
فيمن شاء من عباده إن الله يحب الشجاع ولو على قتل حية“ .

وقالوا : حَدَّ الشَّجَاعَةُ سَعَةَ الصَّدْرِ بِالْإِقْدَامِ عَلَى الْأُمُورِ الْمُتَلَفَةِ .

(١) في ديوان أبي تمام : « من حسن » . وفي العقد الفريد : « من نعم » .

(٢) في ديوان أبي تمام : « أحظى » .

(٣) في ديوان أبي تمام : « أمسى » .

(٤) كذا في ديوان أبي تمام والعقد الفريد وفي الأصول : « صفيحته » .

(٥) الخدم : السيف القاطع .

والطعنُ يَغْتَصِبُ الجِيَادَ شَبَاتَهَا ^(١) * والضربُ يقدح في التريك وقودا ^(٢)
وعلى النفوس من الحِمَامِ طلائعُ * والخوف يَنْشُدُ صَبْرَهَا المفقودا
وقد استحال البرُّ بحرًا والضحا ^(٣) * ليلا ومنخرق الفضاء حديدا
وأجل ما عند الفوارس حُمًّا * في طاعة الهرب الجياد القودا
حتى إذا ما فارق الرأي الهوى * وغدا اليقين على الظنون شهيدا
لم يُغْنِ غير أبي شجاع والعلا * عنه تُساجي النصر والتأييدا
وقال أيضا وروى للبحترى ^(٤) :

مِنْ كُلِّ مَتَّيْعِ الْأَخْلَاقِ مَبْتَسِم * للخطب إن ضاقت الأخلاق والحيل
يسعى به البرق إلا أنه فَرَسٌ * في صورة الموت إلا أنه رجل
يلقى الرماح بصدرٍ منه ليس له * ظَهْرٌ وهادي جوادٍ ما له كَفَلُ
وقال البحتري :

معشر أمسكت حلومهمُ الأُر * ض وَكادت لولاهمُ أن تميدا ^(٥)
فإذا الجَدْبُ جاء كانوا غيوثا * وإذا النقع ثار ثاروا أسودا ^(٦)
وكانَ الإله قال لهم في الـ ^(٧) * يحرب كونوا حجارة أو حديدا

١٥

(١) في أحد الأصلين : « شباتها »

(٢) كذا في يتيمة الدهر . والتر يك جمع للتر يكة وهي بيضة الحديد . وفي الأصول : « التليل » وهو العنق .

(٣) كذا في الأصلين و يتيمة الدهر . ولم يوجد هذا البيت في باقي الأصول .

(٤) نسبت هذه الأبيات في يتيمة الدهر لأبي الفرج البيهقي . ولم توجد في ديوان البحتري طبع

الأسنانة ولا في ترجمته في الأغاني .

٢٠

(٥) في ديوان البحتري : « وكادت من عزهم ... الخ » .

(٦) رواية الديوان : « فإذا المحل جاء ، جاءوا سيولا ... الخ » .

(٧) رواية الديوان : « ... قال لنا ... الخ » .

وقال مُسْلِمٌ :

لو أَنَّ قوماً يَخْلُقُونَ مَنِيَّةً * من بأسهم كانوا بنى جبريلاً
قوم إذا حمى الوطيسُ لديهم^(١) * جعلوا الجماجمَ للسيوفِ مَقِيلًا

وقال آخر :

عِقْبَانُ رَوْعٍ والسروجُ وكورها * وليوثُ حربٍ والقنبا آجامُ
وبدورتهم والشوائكُ في الوغى * هالأتهم^(٢) والسابريّ غَمَامُ
جادوا بممنوع التلادِ وجؤدوا * ضرباً تُخَدُّ به الطُّلا والهَامُ
وتجاورت أسيافهم وجيادهم * فالأرضُ تُمَطِّرُ والسماءُ تُغَامُ

وقال آخر :

قوم شرابُ سيوفهم ورماحهم * في كلِّ معتركٍ دمُ الأشرافِ
رجعتُ إليهم خيلهم بمعاشر * كلُّ لكلِّ جسيمٍ أمرٍ كافٍ
يتحننونَ إلى لقاءِ عدوهم * كتحننَ الألافُ للألافِ
ويباشرونَ ظُبا السيوفِ بأنفُسِ * أمضى وأقطع من ظُبا الأسيافِ

وقال ابنُ حيوس :

إن تُردَّ خبرُ حالهم عن قريبٍ * فأتتهم يومَ نائلٍ أو نزالٍ^(٣)
تَلْقَى بيضَ الوجوه سودَ مَثارِ السِّتْرِ^(٤) خَضَرَ الأَكْثافِ حُمْرَ النِّصَالِ

(١) رواية ديوان مسلم بن الوليد طبع مصر ص ٩١ : « قوم اذاحمى الهجير من الوغى ... الخ » .

(٢) السابريّ : الدروع السابرية المنسوبة الى سابور .

(٣) رواية ديوان ابن حيوس (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩١ أدب) :

« ... علم حالهم عن يقين * فالفهم في مكارم أو قتال » .

(٤) في ديوانه : « ... بيض الاعراض ... الخ » .

وقال عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مُصْعَب : إن يُقْتَلُ فقد ذُلَّ أخوه وأبوه وعمه ، إنا والله لا نموت حتفًا^(١) ولكن قَعَصًا بأطراف الرماح ، وموتًا تحت ظلال السيوف .

وقال السموءل بن عاديا :

وما مات منا سيد في فراشه^(٢) * ولا طُلَّ منا حيث كان قتيلُ
تسيل على حدّ الطُّبَاة نفوسُنا * وليست على غير الطُّبَاة تسيلُ

وقال آخر :

وإنا لتستحلي المنايا نفوسُنا * وتترك أخرى مُرَّةً ما نذوقها

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين ، وقد قيل له : أتقاتل أهل الشام بالغداة ، وتظهر بالعشي في إزار ورداء ؟ : أبا الموت تخوفوني ! فوالله ما أبالي ، أسقطت على الموت ، أم سقط الموت علي . وقال لأبنة الحسن : لا تدعون أحدا إلى المبارزة ، وإن دعيت إليها فأجب ، فإن الداعي إليها باغ ، وللباغى مصرع .
وقال رضي الله عنه : بقية السيف أنمي عددا [وأطيب ولدا]^(٣) يريد أن السيف إذا أسرع في أهل بيت كثير عددهم ونمي [ولدهم] .

وقال ابن عباس رضي الله عنه : عُمِّمَت النساء أن تأتي بمثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لَعَهْدِي به يوم صفين ، وعلى رأسه عمامة بيضاء ، وهو يقف على

(١) في عيون الأخبار طبع دار الكتب (ص ٢٤٠) من المجلد الثاني : « إنا والله ما نموت حبجا ولا نموت الا قتلا قعصا ... الخ » والخبج : أن يأكل البعير لحاء العرّج فيرم بطنه سمنا وربما قتله ذلك . وفي لسان العرب بعد أن ذكر كلام ابن الزبير : « يعرض بيني مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم في ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة » وقعصه . (من باب قطع) : قتله مكانه .

(٢) الرواية المشهورة : « وما مات منا سيد حتف أنفه » .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٣٨) .

شِرْذِمَةٌ شِرْذِمَةٌ مِنَ النَّاسِ ، يَحْضُرُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ ، حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى ^(١) ، وَأَنَا فِي كَيْفٍ
 مِنَ النَّاسِ ، وَفِي أَغِيلَمَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، تَجَلَّبَبُوا
 السَّكِينَةَ ، وَأَكَلُوا اللَّامَةَ ^(٢) ، وَأَقْلَقُوا السِّيُوفَ فِي الْأَغْمَادِ ، وَكَافَحُوا بِالْأُظْبَانِ ، وَصَلَوْا السِّيُوفَ
 بِالْخُطَا ، فَإِنَّكُمْ بَعَيْنَ اللَّهِ ، وَمَعَ آبِنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَاوَدُوا الْكِرَّ ،
 وَاسْتَحْيَوْا مِنَ الْفَرِّ ، فَإِنَّهُ عَارٍ فِي الْأَعْقَابِ ، وَنَارٍ فِي الْحِسَابِ ، وَطَيَّبُوا عَلَى الْحَيَاةِ
 أَنْفُسًا ، وَسَيَرُوا إِلَى الْمَوْتِ سِيرًا سَجَّحًا ^(٣) ، وَدُونَكُمْ هَذَا الرِّوَاقُ الْأَعْظَمُ ، فَاصْبِرُوا ، فَإِنَّ
 الشَّيْطَانَ رَاكِبَ صَعْدَتِهِ ^(٤) ، قَدَّمُوا لِلْوُثْبَةِ رِجَالًا ، وَأَخْرَوْا لِلنَّكَوْصِ أُخْرَى ، فَصَمَدًا
 صَمَدًا ، حَتَّى يَبْلُغَ الْحَقُّ أَجَلَهُ ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ ، وَلَنْ يَتْرَكَ أَعْمَالَكُمْ ، ثُمَّ صَدَرَ عَنَّا ، وَهُوَ يَقْرَأُ :
 ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ .
 وَكَانَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ يَتَمَثَّلُ يَوْمَ صَفِّينَ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ :

أَبْتُ لِي شَيْمَتِي وَأَبْنَى بِلَائِي * وَأَخَذَى الْحَمْدَ بِالثَّمَنِ الرَّبِيِّ—ج
 وَإِقْدَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي * وَضَرْبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ
 وَقَوْلِي كُلَّمَا جَشَّاتُ لِنَفْسِي ^(٥) * مَكَانِكَ تُجْدِي أَوْ تَسْتَرْحِي
 لِأُدْفِعَ عَنْ مَآثِرِ صَالِحَاتٍ * وَأَحِمِّي بَعْدُ عَنْ عَرِضٍ صَحِيحٍ

٢٠ (١) وردت هذه الخطبة في نهج البلاغة لسيدنا علي رضي الله عنه ضبع يروت مع بعض الاختلاف :
 بزيادة أو تغيير في بعض الكلمات .

(٢) اللامة : الدرع ، وإكلها أن يزداد عليها البيضة والسواعد .

(٣) السجج بضمين : اللين السهل .

(٤) كذا في الأصول . وفي نهج البلاغة : « فان الشيطان كامن في كبره » .

٢٠ (٥) الرواية المشهورة : « وقولي كلما جشأت وجاشت » كما في العقد الفريد وعيون الأخبار المجلد

وقال قَطَرِيُّ بن الفُجَاءَةِ أمير الخوارج :
(١)

وقولي كلما جشأت لنفسي * من الأبطال ويحك لا تُراعي
(٢)
فإنك لو سألت بقاء يوم * على الأجل الذي لك لم تطاع
فصبرا في مجال الموت صبرا * فما نيل الخلود بمستطاع
سبيل الموت غاية كل حي * وداعيه لأهل الأرض داعي

وقال عبد الله بن رواحة الأنصاري :

يا نفس إن لم تُقتلي تموتي * إن تسلمي اليوم فلا تفوتي
أو تُبتلي فطالما عوفيت * هذي حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت * إن تفعل فعلهما هديت
* وإن توليت فقد شقيت *

يريد بقوله :

* إن تفعل فعلهما هديت *

فعل زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما ، وكانا قتلا في ذلك
اليوم بمؤتة .

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، يخرج كل يوم بصفين حتى يقف
بين الصفين وينشد :

من أي يومى من الموت أفر * أيوم لا يُقدر أم يوم يُدر
فيوم لا يُقدر لا أرهبه * ثم من المقدور لا ينجو الحذر

(١) روى هذا المصراع في حماسة أبي تمام وتذكرة الصفدى هكذا :

أقول لها وقد طارت شعاعا * من الأبطال ... الخ

(٢) في العقد الفريد : « ... حياة ... * سوى الأجل ... الخ » .

ومثله قول جرير من قصيدة أولها :

* هاج^(١) الفراق لقلبك المهتاج *

منها :

قل للجبان إذا تأخر سرجه * ما أنت من شرك المنية ناج

وقالت امرأة من عبد القيس :

أبوا أن يفروا والقنا في نحورهم * ولم يتغوا من خشية الموت سلماً
ولو أنهم فرّوا لكانوا أعزّة * ولكن رأوا صبراً على الموت أكرماً

وقال حبيب بن أوس الطائي :

فأثبت في مستنقع الموت رجله * وقال لها من تحت أنمصك الحشر
وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه * عليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر
غدا غدوة والحمد نسج ردايه * فلم ينصرف إلا وأكفانه الأجر
تردى ثياب الموت حمراً فما أتى^(٢) * لها الليل إلا وهى من سندس خضر

وقال :

قوم إذا لبسوا الحديد حسبتهم * لم يحسبوا أن المنية تخلق^(٣)
أنظر بحيث ترى السيوف لوامعاً * أبداً وفوق رؤوسهم تتألق

وقال البغواء :

يسعى الى الموت والقنا قصده * وخيله بالراءوس تنتعل
كأنه واثق بأن له * عمراً مقبلاً وما له أجل

(١) رواية الشعراء لابن قتيبة : « هاج الهوى بفؤادك ... الخ » .

(٢) كذا في الأصول وفي ديوان أبي تمام : « فادجى » .

(٣) في العقد الفريد وديوان أبي تمام : « بله اذا ... الخ » .

وقال كعب بن مالك :

نَصَلُ السُّيُوفَ إِذَا قَصَّرْنَ بِخَطُونَا * قُدِّمًا وَنَلْحَقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقِ

ومثله لبعض بني قيس بن ثعلبة :

لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَا * مَنْ فَارَسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا

إِذَا الْكِمَاةُ تَنَحَّوْا أَنْ يُصِيبَهُمْ * حَدُّ الطَّبَاةِ وَصَلَانَا بِأَيْدِينَا

ومثله قول الآخر :

إِذَا قَصُرْتُ أَسْيَافُنَا كَانَ وَصْلُهَا * خُطَانَا إِلَى أَعْدَائِنَا فَتَقَارِبُ^(١)

ومثله قول ودّك بن ثُمَيْل المازني :

مَقَادِيمُ وَصَّالُونَ فِي الرَّوْعِ خَطَوَهُمْ * بِكُلِّ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِي

إِذَا اسْتَنْجَدُوا لَمْ يَسْأَلُوا مَنْ دَعَاهُمْ * لِأَيَّةِ حَرْبٍ أَمْ بِأَيِّ مَكَانٍ

وقال أبو تمام في سعة الخطو :

خَطُوتُ تَرَى الصَّارِمَ الْهِنْدِيَّ مُتَّصِرًا * بِهِ مِنْ الْمَازَنِ الْخَطِيَّ مُتَّصِفًا^(٢)

وقال آخر :

كَأَنَّ سَيْوْفَهُ صَيَّغَتْ عَقُودًا * تَجُولُ عَلَى التَّرَائِبِ وَالنَّحُورِ

وَسُمَّرَ رِمَاحُهُ جُعِلَتْ هُمُومًا * فَمَا يَخْطُرُنَ إِلَّا فِي ضَمِيرِ

وأجود ما قاله محدث في الصبر قول ابن الرومي :

أَرَى الصَّبْرَ مَحْمُودًا وَفِيهِ مَذَاهِبٌ^(٣) * فَكَيْفَ إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ عَنْهُ مَذْهَبٌ

هَنَّاكَ يَحَقُّ الصَّبْرُ وَالصَّبْرُ وَاجِبٌ * وَمَا كَانَ مِنْهُ كَالضَّرُورَةِ أَوْجِبُ

(١) في تذكرة الصندي : « فتضارب » بالضاد المعجمة .

(٢) رواية ديوان أبي تمام : « خطوا ... » فيه من المازن الخ .

(٣) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري وديوان ابن الرومي . وفي الأصول : « عنه » .

فشَدَّ امرؤ بالصبر كذاً فإنه * له عصمة أسبابها لا تقضبُ
هو المهرب المنجى لمن أهدت به * مكاره دهر ليس عنهن مهربُ^(١)
لبوس جمال جنة من شماتة * شفاء أسي يُثنى به ويثوبُ
فيا عجباً للشئ هذى خالاه * وتارك ما فيه من الحظ أعجبُ
وقد يتظن الناس أن أساهم * وصبرهم فيهم طباع مركبُ
فإنهما ليسا كشيء مصرفٍ * يصرفه ذو نكبة حين ينكبُ
فإن شاء أن يأسى أطاع له الأسى * وإن شاء صبرا جاءه الصبر يجابُ
وليسا كما ظنوهما بل كلاهما * لكل لبیب مستطاع مسببُ
يصرفه المختار من فتارة * يراد فيأتي، أو يزداد فيذهبُ
إذا أحتج محتج على النفس لم تكد * على قدر يمْنى لها نتعب^(٢)
وساعدتها الصبر الجميل فأقبلت * إليها له طوعاً جنائب تجنبُ
وإن هو منّاها الأباطيل لم تزل * تقاتل بالعتب القضاء وتغلبُ
فتضحى جزواً إن أصابت مصيبة * وتمسى هلوفاً إن تعذر مطابُ
فلا يعذر التارك الصبر نفسه * بأن قيل إن الصبر لا يتكسبُ

ذكر ما قيل في وفور العقل

قال الله تعالى : (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)
قال المفسرون : عبر عن العقل بالقلب ، لأنه محله وسكنه ، وقال تعالى : (وَلَيْدٌ كَرَّ

(١) كذا في ديوان المعاني والأصول . وفي ديوان ابن الرومي : « منهن » .

(٢) كذا في ديوان ابن الرومي . وفي الأصول وديوان المعاني : « ... لم يكد » على قدر ما يمني

أُولُو الْأَلْبَابِ)، وقال تعالى : (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) . وقال تعالى : (هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”أول ما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب“ .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”إن الله تعالى قسم العقل على ثلاثة أقسام فمن كن فيه كل عقله ومن لم يكن فيه جزء منها فلا عقل له“ ، قيل : يا رسول الله ، ما أجزاء العقل ؟ قال : ”حسن المعرفة بالله وحسن الطاعة لله وحسن الصبر على أمر الله“ . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ”ما آكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ويرده عن ردى وما تم إيمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله“ .

وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لتيم الدارى : ما السؤدد فيكم ؟ قال : العقل ، قال : صدقت ، سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك ، فقال كما قلت ، ثم قال : ”سألت جبريل ما السؤدد فقال العقل“ .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله ، بأى شيء يتفاضل الناس في الدنيا ؟ قال : ”بالعقل“ قلت : وفي الآخرة ؟ قال : ”بالعقل“ قلت : أليس إنما يُجزون بأعمالهم ! فقال : ”يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله تعالى من العقل ، فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يُجزون“ .

وعن سعيد بن المسيب : أن عمر وأبى بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ، من أعلم الناس ؟ قال : ”العاقل“ قالوا :

فمن أعبد الناس؟ قال : «العاقل» قالوا : فمن أفضل الناس؟ قال : «العاقل»
قالوا : أليس العاقل من تمت^(١) مروءته ، وظهّرت فصاحته ، وجادت كفه ،
وعظمت منزلته؟ فقال عليه الصلاة والسلام : وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ . إن العاقل هو التقي وإن كان في الدنيا خسيسا
دنيا .

وورد في الأثر : «أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقل والدين والحياء
فاختار العقل ، فقليل للدين والحياء ارتفعوا ، قالوا : لا ، قال : أفعصيتما أمر ربكما؟ قالوا :
ما عصينا أمر ربنا وإيّانا أمرنا أن نتبع العقل حيث كان» .

وقال لقمان لابنه : إن غاية الشرف والسؤدد في الدنيا والآخرة حسنُ العقل ،
لأن العبد إذا حسن عقله غطى ذلك عيوبه ، وأصلح مساوئيه ، ورضى عنه خالقه ،
وكفى بالمرء عقلا أن يسلم الناس من شره .

وقيل : مكتوب في حكمة آل داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالما
بأهل زمانه ، مالكا للسان ، مقبلا على شأنه .

وقال بعض الحكماء : كل شيء يعزّ إذا قل ، والعقل كلما كان أكثر كان أعزّ
وأغلى ، ولو بيع لما اشتراه إلا العاقل لمعرفته بفضله ، وأقول شرف العقل أنه
لا يشتري بالمال .

قال أبو عطاء السندی :

فإن العقل ليس له إذا ما * تذكرت الفضائل من كفاء

(١) كذا في تذكرة الصفدى والإحياء للغزالي . وفي الأصول : «طهرت» .

وقالوا : العلم قائد ، والعقل سائق ، والنفس بينهما ترون ^(١) ، فإذا كان قائدٌ بلا سائق هلك ، وإن كان سائق بلا قائد أخذت يميناً وشمالاً ، فإذا اجتمعما ^(٢) أجابت طوعاً أو كرهاً .

ذكر ما قيل في حد العقل وماهيته وما وصف به

وقد اختلف الحكماء في حد العقل ، فقيل : حده الوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلاً . وقيل : النظر في العواقب . وقال المتكلمون : هو آسم لعلوم إذا حصلت الإنسان صحَّ تكليفه . وقيل : العقل من له رقيب على شهواته . وقيل : هو من عقل نفسه عن المحارم . وقال عمرو بن العاص : أن يعرف خير الخيرين ، وشر الشرين .

قال أبو هلال : ومن العجب أن العرب تمثلت في جميع الخصال ، بأقوام جعلوهم أعلاماً فيها ، فضربوا بها المثل إذا أرادوا المبالغة ، فقالوا : أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم ، وأجود من حاتم ومن كعب بن مامة ، وأشجع من بسطام ، وأبين من سحبان ، وأرمى من ابن تقي ، وأعلم من دغفل ، ولم يقولوا : أعقل من فلان ، فلعلهم لم يستكملوا عقل أحد ، على حسب ما قال الأعرابي ، وقد قيل له : حد لنا العقل ، فقال : كيف أحده ولم أره كاملاً في أحد قط ؟ ! .

وقيل لحكيم : ما جماع العقل ؟ فقال : ما رأيت مجتمعا في أحد فأصقه ، وما لا يوجد كاملاً فلا حد له .

وقالوا : لكل شيء غاية وحد ، والعقل لا غاية له ولا حد ، ولكن الناس

يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار في الرائحة والطيب .

وآختلفوا في ماهية العقل ، كما آختلفوا في حده ، فقال بعضهم : هو نور وضعه الله تعالى طبعاً وغريزةً في القلب ، كالنور في العين وهو البصر ، فالعقل نورٌ في القلب ، والبصر نورٌ في العين ، وهو ينقص ويزيد ، ويذهب ويعود ، وكما يدرك بالبصر شواهد الأمور ، كذلك يدرك بالعقل كثيرٌ من المحجوب والمستور ، وعمى القلب كعمى البصر ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ليس الأعمى من عمى بصره ولكن من عميت بصيرته " .

وقال عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة المعروف بالعتبي : العقل عقلان : عقلٌ تفرد الله تعالى بصنعه ، وهو الأصل ، وعقلٌ يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع ، فإذا آجتمعا قوى كل واحدٍ منهما صاحبه ، تقوية النار في الظلمة للبصر .

نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال — و يروى لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه — :

رأيتُ العقلَ عقابين * فمطبوعٌ ومسموعٌ
ولا ينفع مسموعٌ * إذا لم يك مطبوعٌ
كما لا تنفع الشمسُ * وضوءُ العين ممنوعٌ

وأكثرُ الناس على أنَّ العقلَ في القلب ، ودليله قوله عز وجل : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " العقل في القلب يفرق به بين الحق والباطل " .

وقال بعضهم : هو في الدماغ ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه .

وأما ما وُصف به ، فـقيل : العقلُ وزير رشيد ، وظهير سعيد ؛ من عصاه
أرداه ، ومن أطاعه أنجاه .

وقال سَعِيد بن جُبَيْر : لم تر عيناى أَجَل من فَضيل عقلٍ يتردَّى به الرجلُ ، إن
أنكسر جَبَره ، وإن تصدَّع أنعشَه ، وإن ذلَّ أعزَّه ، وإن أعوجَّ أقامه ، وإن عثر
أقاله ، وإن أفترق أغناه ، وإن عَرى كساه ، وإن غوى أرشده ، وإن خاف أَمَنه ،
وإن حزن أفرحه . وإن تكلم صدَّقه ، وإن أقام بين أظهر قومٍ أغتبطوا به ، وإن
غاب عنهم أسفوا عليه ، وإن بسط يده قالوا : جوادٌ ، وإن قبضها قالوا : مقتصدٌ ،
وإن أشار قالوا : عالمٌ ، وإن صام قالوا : مجتهدٌ ، وإن أفطر قالوا : معذورٌ . قال
بعض الشعراء :

يَعْدُّ رَفِيعَ القومِ من كان عاقلا * وإن لم يكن في قومه بحسبٍ
وإن حلَّ أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقلٌ في بلدةٍ بغيرِ
وقال بعض الحكماء : إذا غلبَ العقلُ الهوى ، صرفَ المساوى الى المحاسن ،
بجعلِ البلادةِ حلما ، والحدةِ ذكاءً ، والمكرَ فطنةً ، والهدرَ بلاغةً ، والعيَّ صمتًا ، والعتوبةَ
أدبا ، والجُبْنَ حذرا ، والإسرافَ جودا .

وقيل : لو صوِّرَ العقلُ لأضاء معه الليلُ ، ولو صوِّرَ الجهلُ لأظلم معه النهارُ .
قال المتنبي :

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرفٍ من الإنسان
وقد نَدبَ الى صحبة العقلاء .

قال الزَّهْرِيُّ : إذا أنكرتَ عقلك ، فاقدحْه بعاقِلٍ . وقال ابنُ زُرارةَ : جالسِ
العقلاءَ أعداءَ كانوا أم أصدقاءَ ، فإنَّ العقلَ يقع على العقل . قال بعض الشعراء :
عدوك ذو العقلِ أبقي عليك * وأبقى من الوامقِ الأحمقِ

وقال آخر :

لله دُرُّ العقل من راشِدٍ * وصاحب في اليسر والعسير
وحاكم يقضى على غائب * قضية الشاهد للأمر
وإنَّ شيئاً بعضُ أحواله * أن يفصل الخير من الشر
له قوَى قد خصه ربه * بخالص التقديس والطهر

٥

وقال آخر :

إذا لم يكن للمرء عقل فإنه * وإن كان ذا قدر على الناس — هين
وإن كان ذا عقل أجل لعقله * وأفضل عقل من يتبين

وقال آخر :

العقل حلةٌ خفيّةٌ من تسربلها * كانت له نسبا^(١) يغني عن النسب
والعقل أفضل ما في الناس كلهم * بالعقل ينجو الفتى من حومة العطب

١٠

وقال ابن دريد :^(٢)

وأفضل قسم الله للمرء عقله * فليس من الخيرات شيء يقاربه
فزين الفتى في الناس صحة عقله * وإن كان محظورا عليه ماسبه
ويزري به في الناس قلة عقله * وإن كرمته أعراقه ومناسبه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله * فقد كملت أخلاقه ومآربه

١٥

(١) لذا في أحد الأصول الفتوغرافيين . وفي الأصل الآخر : « ... نسبا يغني عن النسب » .

وفي الراغية : « ... نسبا يغني عن النسب » .

(٢) كذا في الأصول . وفي أدب الدنيا والدين لأبي الحسن البصري ص : طبع بولاق : أن هذه

الآبيات من شعر إبراهيم بن حسان ، مع اختلاف يسير في بعض كلماتها .

٢٠

وقال آخر :

ما وهب الله لأمرئ هبة * أشرف من عقله ومن أدبه
 هما جمال الفتى فإن عُدِمَا * فإن فسد الحياة أنفع به

وقال آخر :

ولم أرَ مثل الفقر أوضع للفتى * ولم أرَ مثل المال أرفع للنذل
 ولم أرَ من عُدِمَ أضرَّ على الفتى * إذا عاش بين الناس من عُدِمَ العقل

ذكر ما قيل في الصدق

قال الله عز وجل مبشرا للصادقين : ﴿ هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تحروا الصدق فإن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة ، وإن المرء ليتحرى الصدق حتى يكتب صديقا " .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، ما عمل أهل الجنة ؟ قال : " الصدق إذا صدق العبد برًا وإذا برًا آمن وإذا آمن دخل الجنة " . قال : يا رسول الله ، ما عمل أهل النار ؟ قال : " الكذب إذا كذب العبد بخرًا وإذا بخر كفرًا وإذا كفر دخل النار " .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بم يعرف المؤمن ؟ قال : " بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه " . ومن كلام علي

(١) في الإحياء للغزالي : « ... وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً » .

رضى الله عنه : [علامة] ^(١) الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرّك ، على الكذب حيث ينفعك .

وقال بعض الحكماء : الصدق أزين حلية ، والمعروف أربح تجارة ، والشكر أدوم نعمة . وقال بعضهم : رأيت أرسطاطاليس في المنام ، فقلت : أى الكلام أحسن ؟ فقال : ما صدق قائله ، قلت : ثمّ ما ذا ؟ قال : ما آستحسنه سامعه ، قلت : ثمّ ما ذا ؟ قال : كل كلام جاوز هذا فهو ونهيق الحمار بمنزلة .

وقال الأحنف لأبنه : يا بني ، يكفيك من شرف الصدق ، أن الصادق يُقبل قوله في عدوه ، ومن دناءة الكذب أن الكاذب لا يُقبل قوله في صديقه ولا عدوه ؛ لكل شيء حلية ، وحلية المنطق الصدق . الصدق يدل على اعتدال وزن العقل .

قال عامر بن الظرب العدواني في وصيته : إني وجدت صدق الحديث طرفاً من الغيب فأصدقوا . من لزم الصدق وعوّده لسانه ، فلا يكاد يتكلم بشيء يظنه ، إلا جاء على ظنه .

وقالوا : ما السيف الصارم في كف الشجاع بأعز من الصدق .

وقيل : مرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بعجوز تبيع اللبن [في سوق الليل] ^(١) ، فقال لها : يا عجوز ، لا تَغْشَى المسلمين ، ولا تشوبى لبنك بالماء ، قالت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ ثم مرّ بها بعد ذلك ، فقال : يا عجوز ، ألم أعهد إليك ألا تشوبى لبنك بالماء ؟ فقالت : والله ما فعلت يا أمير المؤمنين ، فتكلّمت بنت لها من داخل الحباء ، فقالت : يا أمّاه ، أغشّا وحنثاً جمعت على نفسك ! فسمعها عمر

(١) زيادة عن تذكرة الصفدى يقتضيا السياق .

فأعجبته ، فقال لولده : أيكم يتزوجها ؟ فلعل الله أن يخرج منها نسمة طيبة ، فقال
أبوه عاصم : أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين ، فزوجها منه ، فأولدها أم عاصم ، تزوجها
عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر بن عبد العزيز .

وَرُويَ أَنَّ بِلَالَ لَمْ يَكْذِبْ مِنْذَ اسْمِهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ يَحْسُدُهُ [فَأَرَادَ أَنْ
يُعْتَبَهُ] ^(١) ، فَقَالَ : الْيَوْمَ أَكْذَبَهُ ، فَسَايَرَهُ فَقَالَ لَهُ : يَا بِلَالُ مَا سَنُ فَرَسُكَ ؟ قَالَ : عَظْمٌ ،
قَالَ : فَمَا جَرِيهِ ؟ قَالَ : يُحْضِرُ مَا اسْتَطَاعَ ، قَالَ : فَأَيْنَ تَنْزِلُ ؟ قَالَ : حَيْثُ أَضْعَ
قَدَمِي ، قَالَ : أَأَنْ مِنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : آبَنُ أَبِي وَأُمِّي ، قَالَ : فَكَمْ أَتَى عَلَيْكَ ؟ قَالَ :
لَيَالٍ وَأَيَّامٌ ، اللَّهُ أَعْلَمُ بَعْدُهَا ، قَالَ : هِيَاتِ ، أَعَيْتُ فَيْكَ حَيْلَتِي ، مَا أَتَعْنَتْ ^(٢) بَعْدَ
الْيَوْمِ أَبَدًا .

(VI)

١٠ ذكر ما قيل في الوفاء والمحافظة والأمانة

قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ . وقال تعالى :
﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ
إِلَى أَهْلِهَا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ .

وروي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه :

١٥ «عليك بصدق الحديث ووفاء العهد وحفظ الأمانة فإنها وصية الأنبياء» .

كان أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ، ختن رسول الله ^(٣)
صلى الله عليه وسلم على أبنته زينب تاجرا تضاربه قريش بأموالهم ، فخرج إلى الشام

(١) زيادة عن تذكرة الصفدي تناسب المقام .

(٢) كذا في تذكرة الصفدي . وفي الأصول : « ما أتعب ... » وهو تحريف .

(٣) الختن : الصهر أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ .

سنة الهجرة، فلما قدم عرض له المسلمون فأسروه، وأخذوا ما معه، وقدموا به
المدينة ليلاً، فلما وصلوا الفجر، قامت زينب على باب المسجد، فقالت :
يا رسول الله، قد أجرتُ أبا العاص وما معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
"قد أجرنا من أجرت" ودفع إليه ما أخذوه منه، وعرض عليه الإسلام، فأبى، وخرج
إلى مكة، ودعا قريشاً، فأطعمهم، ثم دفع إليهم أموالهم، ثم قال : هل وقيت ؟
قالوا : نعم، قد أديت الأمانة ووفيت، قال : أشهدوا جميعاً أني أشهد أن لا إله
إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وما معنى أن أسلم إلا أن تقولوا : أخذ أموالنا، ثم
هاجر، فأقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على النكاح، وتوفي في سنة اثنتي عشرة .

وقيل لما قوى أمر بني العباس وظهر قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن يحيى
كاتبه : إنا نجد في الكتب، أن هذا الأمر زائل عنا لا محالة، وسيظهر اليك هؤلاء
القوم، يعني ولد العباس، فصر إليهم، فإني لأرجو أن تتمكن منهم، فتتفعلنى فى مخافى
وفى كثير من أمورى، فقال : وكيف لى بعلم الناس جميعاً أن هذا عن رأيك، وكلهم
يقول : إني غدرت بك، وصرت إلى عدوك ؟ وأنشد :

أسـرّ وفاءً ثم أظهر غـدرَةً * فمن لى بعـذرٍ يوسع الناس ظاهـرَهُ

ثم قال :

واوُمُّ ظاهـرٌ لا شكَّ فيه * للأئـمه وعـذرى بالمـغيـبِ

فلما سمع مروان ذلك، علم أنه لا يفعل، ثم قال له عبد الحميد : إن الذى
أمرتنى به، لأنفع الأمرين لك وأقبحهما بى، ولك على الصبر معك، إلى أن
يفتح الله عليك، أو أقتل معك .

والعرب تضرب المثل فى الوفاء بالسموئل بن عادىاء الأزدي، وقيل : إنه من
ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان من خبره، أن أمراً القيس بن حُجر أودعه

أدراعا مائة، فأتاه الحارث بن ظالم، ويقال الحارث بن أبي شمر الغساني، ليأخذها منه، فتحصن منه السموعل، فأخذ أبنا له غلاما وناداه : إما أن أسلمت إلى الأدرع، وإما أن قتلتُ ابنك، فأبى أن يسلمها، فقتل ابنه بالسيف، ففنى ذلك يقول :

وَفَيْتُ بِأَدْرُعِ الْكِندِيِّ إِنْى * إِذَا مَا الْقَوْمُ قَدْ غَدَرُوا وَفَيْتُ^(١)
وَأَوْصَى عَادِيَا يَوْمَا بَأَلَا * تُهْدَمُ يَا سَمُوعِلُ مَا بَنَيْتُ

وفيه يقول الأعشى :

كُنْ كَالسَمُوعِلِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ * فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَارِ
الْأَبْلَقِ الثُّرْدِ مِنْ تَيْمَاءٍ مَنَزِلُهُ * حِصْنِ حَصِينٍ وَجَارٍ غَيْرِ غَدَارِ^(٢)
قَدْ سَامَهُ خُطَّتَى خَسِيفٍ فَقَالَ لَهُ * قُلْ مَا بَدَا لَكَ إِنْى سَامِعٌ حَارِ
فَقَالَ ثُكُلٌ وَغَدَرٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا * فَأَخْتَرْتُ مَا فِيهِمَا حِظًّا لِمُخْتَارِ^(٣)
فَشَكَكَ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ * اقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنْى مَانِعٌ جَارِ

ومن وفاء العرب ما فعله هانىء بن مسعود الشيباني، حتى جرّ ذلك يوم ذى قارب، وكان من خبره : أن النعمان بن المنذر لما خاف كسرى، وعلم أنه لا منجى منه ولا ملجأ، رأى أن يضع يده فى يده، فأودع ماله وأهله عند هانىء، ثم أتى كسرى فقتله، وأرسل إلى هانىء يطالبه بوديعة النعمان، وقال له : إن النعمان كان عاملي، فأبعث إلى بوديعة، وإلا بعثت إليك بجنود تقتل المقاتلة وتُسبي الذرية، فبعث إليه هانىء : إن الذى بلغك باطل، وإن يكن الأمر كما قيل، فأنا أحد رجلين : إما رجل

(١) فى الكامل المبرد ص ٣٤١ طبع ليبرزج : « اذا عاهدت أقواما ... الخ » . وفى المحاسن والأضداد لمجاhez والمحاسن والمساوى للبيهقى : « اذا ما خان أقوم ... الخ » . وفى تذكرة الصفدى : « اذا ما ذم أقوام ... الخ » .

(٢) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة : « خيرد ... الخ » .

(٣) كذا فى الشعر والشعراء . وفى جميع الأصول : « فكتر ... الخ » .

استودع أمانة، فهو حقيق أن يردّها على من استودعه إياها، ولن يسلم الحزأمانته؛
أو رجل مكذوب عليه، وليس ينبغي للملك أن يأخذه بقول عدوّ؛ فبعث كسرى إليه
الجنود، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، وبعث معه الكتيبة الشهباء^(١)
والأساورة، فلما آلتقوا، قام هانىء بن مسعود، وحرّض قومه على القتال، وجرى
بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، وسند كرها إن شاء الله في وقائع العرب،
فانتصر هانىء وأنهزمت الفُرس، وكانت وقعة مشهورة .

(٧٢)

قيل : وكان مرداس في سجن عبيد الله بن زياد بن أبيه ، فقال له السّجان :
أنا أحبّ أن أوليك حسنة ، فإن أذنتُ لك في الانصراف الى دارك أفدّج عليّ ؟
قال : نعم ، فكان يفعل ذلك به ، فلما كان ذات يوم ، قتل بعضُ الخوارج صاحب
شرطة ابن زياد ، فأمر أن يقتل من في السجن من الخوارج ، وكان مرداس
إذ ذاك خارجا ، فقال له أهله : آتق الله في نفسك ، فإنك مقتول إن رجعت ،
فقال : ما كنت لألقى الله غادرا ، وهذا جبار ، ولا آمن أن يقتل السّجان ، فرجع
وقال للسّجان : قد بلغنى ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا ، فبادرت لئلا
يلحقك منه مكروه ، فقال له السّجان : خذ أىّ طريق شئت ، فأنج بنفسك .

خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب الى بعض جبايين الشام ، وإذا
بامرأة جالسة عند قبر تبكى ، فجاء سليمان ينظر اليها ، فقال لها يزيد ، وقد عجب
سليمان من حسنها : يا أمة الله ، هل لك في أمير المؤمنين ؟ فنظرت إليهما ، ثم نظرت
الى القبر ، وقالت :

(١) الأساورة جمع اسوار بالضم والكسر : وهو قائد الفرس . وفي تذكرة الصفدى : «ومعه كتيبة الشهباء والدوسر» . والدوسر : كتيبة النعمان .

فإن تسألاني عن هواي فإنه * بحوماء هذا القبر يا فتيان
وإني لأستحييه والترُّب بيننا * كما كنت أستحييه وهو يراني

ومن أحسن الوفاء ما حكى عن نائلة بنت الفرافصة زوج عثمان بن عفان رضى
الله عنه : أن معاوية خطبها فردته ، وقالت : ما يُعجب الرجال مني ؟ قالوا : ثناياك ،
فكسرت ثناياها ، وبعثت بها الى معاوية ، فكان ذلك مما رغب قريشا في نكاح نساء
كلب . وأمراة هذبة لما قُتل زوجها قَطَعَت أنفها وشفَتَيها ، وكانت جميلة
الوجه ، لثلا يُرغَب فيها .

وحيث ذكرنا الوفاء والمحافظة فلنذكر بيعة خليفة ويمين ، ذكرها بعض أهل
الأدب في تصنيفه ، وهى : تُبَايع عبد الله الإمام أمير المؤمنين ، بيعة طوع وإيثار ، ورضا
وإختيار ، وأعتقاد وإضمار ، وإعلان وإسرار ، وإخلاص من طويتك ، وصدق من
نيتك ، وأنشراح من صدرك ، وصحة من عزيمتك ، طائما غير مُكره ، ومنقادا غير مُجبر ،
مقرا بفضلها ، مُدعنا بحقها ، ومعتزفا ببركتها ، ومُعتدّا بحسن عائدتها ، وعالميا بما فيها ،
وفى توكيدها من صلاح الكافة ، واجتماع كلمة الخاصة والعامة ، ولم الشَّعْث ، وأمن
العواقب ، وسكون الدهماء ، وعِزُّ الأولياء ، وقَمْعُ الأعداء ، على أن فلانا عبد الله
وخليفته المفترض عليك طاعته ، الواجبة على الأمة إمامته وولايته ، اللازم لهم القيام
بحقه والوفاء بعهده ، لا تُشْك فيه ، ولا ترتاب به ، ولا تُداهن من أمره ، ولا تميل
[الى غيره] ، ولحكك ولى أوليائه ، وعدو أعدائه ، من خاص وعام ، وقريب وبعيد ،
وحاضر وغائب ، متمسك في بيعته بوفاء العهد ، وذمة العقد ، سريرتك مثل علانيتك ،
وضميرك فيه وفَّق ظاهرِك ، على أن إعطاءك هذه البيعة من نفسك ، وتوكيدك إيادها
في عنقك ، لفلان أمير المؤمنين ، على سلامة من قلبك ، وأستقامة من عزمك ،

(١) التكلة من تذكرة الصفدى .

وَأَسْتَمِرَّارٌ مِنْ هَوَاكَ وَرَأْيِكَ ، عَلَى أَلَّا نَتَأَوَّلَ عَلَيْهِ فِيهَا ، وَلَا تَسْعَى فِي نَقْضِ شَيْءٍ مِنْهَا ، وَلَا تَقْعُدَ عَنْ نَصْرَةٍ لَهُ فِي الرِّخَاءِ وَالشَّدَّةِ ، وَلَا تَدْعَ النَّصْحَ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ رَاهِنَةٍ وَحَادِثَةٍ ، حَتَّى تَلْقَى اللَّهَ مُوَفِّيًا بِهَا ، مُؤَدِّيًا لِلْأَمَانَةِ فِيهَا ، إِذْ كَانَ الَّذِينَ يَبَايِعُونَ وُلاَةَ الْأَمْرِ وَخُلَفَاءَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ الَّتِي طَوَّقَتْهَا عُنُقُكَ ، وَبَسَطْتَ لَهَا يَدَكَ ، وَأَعْطَيْتَ مَا شُرْطَ عَلَيْكَ فِيهَا : مِنْ وَفَاءٍ وَنُصْحٍ وَمُؤَاوَاةٍ وَمُشَايَعَةٍ ، وَطَاعَةٍ وَمُوَافَقَةٍ ، وَاجْتِهَادٍ وَمُبَالَغَةٍ ، عَهْدَ اللَّهِ إِنْ عَهْدَهُ كَانَ مَسْئُولًا . وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَعَلَى مَنْ أَخَذَ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ مُؤَكَّدَاتٍ مُوَثِّقَةٍ ، وَمُحْكَمَاتٍ عَهْدِهِ ، وَعَلَى أَنْ تُمْسِكَ بِهَا فَلَا تُبَدِّلَ ، وَتُسْتَقِيمَ فَلَا تُمِيلَ . وَإِنْ نَكَثَتْ هَذِهِ الْبَيْعَةُ ، وَبَدَّلَتْ شَرْطًا مِنْ شُرُوطِهَا ، أَوْ عَقَبَتْ رِسْمًا مِنْ رُسُومِهَا ، أَوْ غَيَّرَتْ حَكْمًا مِنْ أَحْكَامِهَا ، مَعْلَنًا أَوْ مَسْرُومًا ، مُحْتَالًا أَوْ مُتَأَوَّلًا ، أَوْ زُغَّتَ عَنِ السَّبِيلِ الَّتِي يَسْلُكُهَا ^(٢) مِنْ لَا يَخْفِرُ الْأَمَانَةَ ، وَلَا يَسْتَحِلُّ الْغَدْرَ وَالْحَيَاةَ ، وَلَا يَسْتَجِيزُ حُلَّ الْعُقُودِ وَ[خَتَرَ] ^(٣) الْعَهْدَ ، فَكُلُّ مَا تَمْلِكُهُ مِنْ عَيْنٍ أَوْ وَرَقٍ ، أَوْ آتِيَةٍ أَوْ عَقَارٍ ، أَوْ سَائِمَةٍ أَوْ زَرْعٍ أَوْ ضَرْعٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صَنُوفِ الْأَمْلاكِ الْمَعْتَقَدَةِ ، وَالْأَمْوَالِ الْمَذْخَرَةِ ، صَدَقَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ ، يَحْرَمُ عَلَيْكَ أَنْ تَرْجِعَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَالِكَ بِحِيلَةٍ مِنَ الْحِيلِ عَلَى وَجْهِ ^(٤) مِنَ الْوُجُودِ ، أَوْ سَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ ، أَوْ مَخْرَجٍ مِنْ مَخَارِجِ الْإِيمَانِ ، فَكُلُّ مَا تَفِيدُهُ عَمْرَكَ مِنْ مَالٍ يَقِلُّ خَطَرُهُ أَوْ يَجَلُّ فَتَلُكُ سَبِيلَهُ إِلَى أَنْ تُتَوَفَّاكَ [مَنِيتِكَ] ، أَوْ يَأْتِيَكَ

(١) كَذَا فِي تَذَكُّرَةِ الصَّفَدِيِّ . وَفِي الْأَصُولِ : « مِنْ وَكَّدَاتٍ » .

(٢) كَذَا فِي تَذَكُّرَةِ الصَّفَدِيِّ . وَفِي الْأَصُولِ : « مَنْ لَا يَخْفِرُ الْأَمَانَةَ » وَهُوَ خَطَأٌ .

(٣) زِيَادَةٌ عَنْ تَذَكُّرَةِ الصَّفَدِيِّ .

(٤) الْكَلَامُ الَّذِي يَبْتَدِئُ بِهَذَا الْمَرْبِعِ يَنْتَهِي فِي صَحِيفَةِ ٢٥٠ بِمَرْبِعٍ مِثْلِهِ هُوَ سَاقِطٌ بِالْأَصْلِ الْفَتْوَعَرَاغِي

وَيَقَعُ فِي صَحِيفَتِي (٧٣ وَ ٧٤) وَقَدْ نَقَلْنَاهُ مِنَ النُّسخَةِ الرَّاعِيَّةِ وَالْأَصْلِ الْفَتْوَعَرَاغِي الْآخِرِ .

أجلك ، وكل مملوك لك اليوم من ذكر أو أنثى أو تملكه الى آخر أيامك ، أحرار سائبون لوجه الله تعالى ، ونساؤك يوم يلزمك الحنث ^(١) ومن تتزوج بعدهن مدة بقائك طوالق ثلاثا ، طلاق الحرج والسنة لا مثنوية فيها ولا رجعة ، وعليك المشى الى بيت الله الحرام ، ثلاثين حجة حافيا راجلا ، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها ، ولا يقبل الله صرفا ولا عدلا ، وخذلك يوم تحتاج اليه ، وبرأك من حوله وقوته ، وأهلك الى حولك وقوتك ، والله عز وجل بذلك شهيد . وكفى بالله شهيدا ، والله على ما نقول وكيل .

ذكر ما قيل في التواضع

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وقال قتادة في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ قال : هم المتواضعون . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض تواضعا .

وقال أنس بن مالك : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويتبع الجنائز ويحيب دعوة المملوك ويركب الحمار ، ولقد رأيت يوم حنين على حمار خطامه ليف . وقال صلى الله عليه وسلم : "إن العفو لا يزيد العبد إلا عزّا فاعفوا عزمكم الله وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماء فتصدقوا يزدكم الله " . وقال عروة بن الزبير : التواضع أحد مصايد الشرف ، وفي لفظ : التواضع سلم الشرف . وقال جعفر بن محمد :

(١) كذا في تذكرة الصفدى . وفي الأصول : « ما تتزوج » .

(٢) كذا في الأصول . وفي تذكرة الصفدى : « قال عمرو بن الزبير ... الخ » . وفي المعارف

رأس الخير التواضع ، فقليل له : وما التواضع ؟ فقال : أن ترضى من المجلس بدون شرفك ، وأن تُسَلِّمَ على من لَقِيت ، وأن تترك المِرَاءَ وإن كنت مُحِقًّا . وقد روى عن علي رضي الله تعالى عنه ولم يذكر المِرَاءَ فيه ، وزاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمرة القناعة الراحة ، وثمره التواضع المحبة . وقيل : التواضع نعمة لا يقطن لها الحاسد . وقيل : التواضع كالوهداة يجتمع فيها قَطرُها وقطر غيرها . وقال عبد الله بن المعتز : متواضع العلماء أكثرهم علما ، كما أن المكان المنخفض أكثر الأماكن ماءً .

وكان يحيى بن خالد يقول : لست أرى أحدا تواضع في إمارة إلا وهو في نفسه أكبر مما نال من سلطانه .

ومن التواضع المأثور ما روى : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ ويدهُ على المُعَلَّى بن الجارود ، فلقيته امرأة من قريش ، فقالت له : يا عمر ، فوقف لها ، فقالت له : كما نعرفك مرةً عُمرًا ثم صرتَ بعدَ عُمرٍ عُمرَ ثم صرتَ بعدَ عمرٍ أميرَ المؤمنين ، فاتق الله يا ابنَ الخطَّاب ، وأنظر في أمور الناس ، فإنه من خاف الوعيد ، قرب عليه البعيد ، ومن خاف الموت خشى الفوت ، فقال لها المُعَلَّى : إِيهًا ! إِلَيْكَ يا أمةَ الله لقد أبكيت أمير المؤمنين ! فقال له عمر : أتدرى من هذه ؟ ويحك ! هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه ، فعمرُ أخرى أن يسمع قولها ويقتدى به .

وقال عدى بن أرطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المشية ؛ قال : ذلك أبعد من الكبر وأسرع إلى الحاجة .

وقال عمر رضي الله عنه — وقد قيل له مثل هذا — : هو أنجح للحاجة وأبعد من الكبر ، أما سمعت قوله عز وجل : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ .

وقد مدح الشعراء أهل التواضع ، فمن ذلك قول أبي تمام حبيب :

مُتَبَدِّلٌ فِي الْقَوْمِ وَهُوَ مُبْجَلٌ * مُتَوَاضِعٌ فِي الْحَيِّ وَهُوَ مُعْظَمٌ

وقال آخر :

متواضع والنَّبلُ يحرس قدره * وأخو النباهة بالنباهة ينبلُ

وقال البحترى :

دَنَوْتُ تَوَاضِعًا وَعَلَوْتُ مَجْدًا * فشاناك أنحدارُ وارتِفاعُ
كذلك الشمسُ تبعد أن تُسامى * ويدنو الضوء منها والشُعاعُ

وقال أبو محمد التيمى :

تواضع لما زاده الله رِفْعَةً * وكلُّ رفيع قدره متواضعُ

وقال آخر :

دَنَوْتُ تَوَاضِعًا وَعَلَوْتُ قَدْرًا * ففبك تواضعٌ وعُلُوٌّ شانِ

ذكر ما قيل فى القناعة والنزاهة

١٠

جاء فى تفسير قوله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ أن المراد بالحياة الطيبة : القناعة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ” القناعة مألٌ لا ينفدُ “ . وقال عليه السلام : ” ما عال من اقتصد “ .

ومن كلام على رضى الله عنه : كفى بالقناعة مُلكاً ، وبحسن الخلق نعيماً .

١٥

وقال جعفر بن محمد : ثمرة القناعة الراحة .

وقال على بن موسى : القناعة تجمع الى صيانة النفس وعن القدرة ، طَرَحَ مَوْنُ
الاستكثار والتعبُّد لأهل الدنيا ، ولا يسلكُ طريقَ القناعة إلا رجلان : إما متقلِّلٌ
يريد أجر الآخرة ، أو كريمٌ يتنزه عن آثام الدنيا .

(١) كذا فى تذكرة الصفدى وهو الأنسب بالمقام : وفى الأصول : « ولا ملك » .

(٢) فى تذكرة الصفدى : « عن لثام » .

(١) وقال : الراضى القانع يعيش آمناً مطمئناً مستريحاً مريحاً ، والشَّيرُ [الحريص] لا يعيش إلاَّ تعباً نصَباً في خوف وأذى .

وقال بعض الحكماء : عزَّ النزاهة أحبُّ الىَّ من فرح الفائدة ، والصبر على العسرة أحبُّ الىَّ من آحتمالِ المِنَّة . وقال أبو ذؤيب الهذلي :
والنفسُ راغبةٌ إذا رَغِبَتْهَا * وإذا تُرِّدُ الى قليلٍ تَقْنَعُ
وقال سالم بن وابصة :^(٢)

غِنَى النفسِ ما يكفيكِ في سَدِّ فَاغَةٍ * فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً
وقال أبو هلال العسكري :

أَلَا إِنَّ الْقِنَاعَةَ خَيْرُ مَالٍ * لِدَى كَرِيمٍ يروح بغيرِ مَالٍ
وإن يصبر فإن الصبرِ أولى * بمن عثرت به نوبُ الليالى
تَجَمَّلُ إن بليت بسوءِ حالٍ * فإن من التَّجَمُّلِ حسنَ حالٍ

ذكر ما قيل في الشكر والثناء

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ فالشكر مما يوجب الزيادة .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : لا يُزهدك في المعروف من لا يشكرك عليه ، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه ، وقد يدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر ، والله يحبُّ الْمُحْسِنِينَ .

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

(٢) كذا في شرح القاموس وتهذيب التهذيب وتذكرة الصفدى . وفي الأصول : « وامضة » وهو

ومما تعزوه الفرس الى إسفنديار : الشكر أفضل من النعمة ، لأنه يبقى وتلك تفتنى .

وقال موسى بن جعفر : المعروف لا يفكك إلا المكافأة أو الشكر . وقال : قلة الشكر تزهّد في أصطناع المعروف .

وقيل : إذا قصرت يدك عن المكافأة فليطّل لسانك بالشكر . وقيل : للشكر ثلاث منازل : ضمير القلب ، ونشر اللسان ، ومكافأة اليد . قال الشاعر :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجّب

وقال يحيى بن زياد الحارثي بن كعب :

حلفت بربّ العيس تهوى برّكها * الى حرّم ما عنه للناس معدّل
لما يبلغ الإنعام في النفع غاية * على المرء ألا مبلغ الشكر أفضل
ولا بلغت أيدي المنيّين بسطة * من الطّول إلا بسطة الشكر أطول
ولا ثقلت في الوزن أعباء منّة * على المرء إلا منّة الشكر أثقل
فمن شكر المعروف يوما فقد أتى * أخا العرف من حسن المكافاة من عل

وقال رجل من غطفان :

الشكر أفضل ما حاولت ملتَمِسًا * به الزيادة عند الله والناس

وقال أبو نُخَيْلَة^(١) :

شكرتُك إن الشكر حبْلٌ من التّقى * وما كلّ من أوليته نعمة يقضى
ونبهت لي ذِكْرِي وما كان خاملاً * وليكن بعض الذّكر أنبه من بعض

(١) كذا في الأغاني طبع بولاق (ج ١٨ ص ١٤٠) والقاموس . وفي الأصول : «أبو بجيلة»

بالياء والجيم ، وهو تحريف .

وقال آخر :

سأشكرُ عَمَرًا ما تراختَ مِنِّي * أيا دى لم تُمننْ وإن هى جَلَّتْ
فَتَّى غَيْرُ مَحْجُوبِ الْغِنَى عَنْ صَدِيقِهِ * وَلَا مُظْهِرُ الشُّكْوَى إِذَا النُّعْلُ زَلَّتْ^(١)
رَأَى خَلَّتِي مِنْ حَيْثُ يَخْفَى مَكَانُهَا * فَكَانَتْ قَدْ عَيْنِيهِ حَتَّى تَجَلَّتْ

وقال أبو تمام :

كَمْ نِعْمَةٍ مِنْكَ تَسْرِبُ لَهَا * كَأَنَّهَا طُرَّةٌ بُرْدٍ قَشِيبِ
مِنَ اللَّوَاتِي إِنْ وَنَى شَاكِرٌ * قَامَتْ لِمُسْدِيهَا مَقَامَ الْخَطِيبِ

وقال أبو عيينة^(٢) بن محمد بن أبي عيينة المَهَلَّبِي :

يَا ذَا الْيَمِينِ قَدْ أَوْلَيْتَنِي مَنًّا * تَتَرَى هِيَ الْغَايَةُ الْقُصْوَى مِنَ الْمَنِّ
وَلَسْتُ أَسْطِيعُ مِنْ شُكْرِ أَحْيَاءٍ بِهِ * إِلَّا أَسْتَطَاعَةَ ذِي جِسْمٍ وَذِي بَدَنِ
لَوْ كُنْتُ أَعْرِفُ فَوْقَ الشُّكْرِ مَنَزَلَةً * أَوْفَى مِنَ الشُّكْرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الثَّمَنِ
أَخْلَصْتُهَا لَكَ مِنْ قَلْبِي مُهَذَّبَةً * حَدِّثُوا عَلَى مِثْلِ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ
قَالُوا : وَأَجُودَ مَا قِيلَ فِي عِظَمِ النِّعْمَةِ وَقُصُورِ الشُّكْرِ مِنْ قَدِيمِ الشُّعْرِ، قَوْلُ طَرِيحٍ

ابن إسماعيل :

سَعَيْتُ أَبْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا صَنَعْتَ لِي * فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرٌ
لَأَنَّكَ تَوَلَّيْتَنِي الْجَمِيلَ بَدَاهَةً * وَأَنْتَ لَمَّا اسْتَكْثَرْتُ مِنْ ذَاكَ حَاقِرٌ
فَأَرْجِعْ مَغْبُوطًا وَتَرْجِعْ بَالَتِي * لَهَا أَوَّلٌ فِي الْمَكْرَمَاتِ وَآخِرٌ

وقال دُعَيْل :

هَجَرْتُكَ لَا عَنْ جَفْوَةٍ وَمَلَالَةٍ * وَلَا لِيَقْلَى أَبْطَأَتْ عَنْكَ أَبَا بَكْرٍ

(١) في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري : * فتى غير مفراح إذا الخير مسه *

(٢) كذا في الشعر والشعراء لابن قتيبة واللائح (ج ٥ ص ٩) طبع بولاق . وفي الاصول : « عتبة » .

ولكنني لما أتيتك راغباً * فأفرطت في برّي عجزت عن الشكر
فمَلَأَن ^(١) لا آتيك إلا تعذراً * أزورك في الشهرين يوماً وفي الشهر
فإن زدت في برّي تزايدت جفوة * فلا نلتقي حتى القيامة والحشر
وقال البحرى :

هاتيك أخلاق إسماعيل في تعب * من العلاء والعلاء منهم في تعب
أدأبت شكرى فأمسى منك في نصيب ^(٢) * أقصر ^(٣) فمالي في جدواك من أرب
لا أقبل الدهر نيلاً لا يقوم له * شكرى ولو كان يسديه إلى أبي
لما سألتك وافانى نذاك على * أضعاف شكرى فلم أظفر ولم أخب ^(٤)
وقال أيضا :

إني هجرتك إذ هجرتك وحثّة * لا العود يذهبها ولا الإبداء
أنجالتني بندي يدك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتني بالحدود حتى إنني * متخوف ألا يكون لقاء
صلة غدت للناس وهي قاطعة * عجباً وبرّ راح وهو جفاء
ليواصلنك ركب شعير سائر * يرويه فيك لحسنه الأعداء
حتى ييم لك الشئاء مخالداً * أبدا كما تمت لك ^(٥) النعماء
فتظل تحسدك الملوك الصيدي * وتظل تحسدني بك الشعراء

٧٥

(١) فلآن، أى فمن الآن .

(٢) في ديوان البحرى (ج ٢ ص ٦٤) طبع الاستانة : « أتعبت »

(٣) في ديوان البحرى : « فاذهب ... الخ » .

(٤) في ديوان البحرى : « ... ظنى فلم أخفق ... الخ » .

(٥) في ديوان البحرى : « لى » .

وقال الحسن بن هانئ :

قد قلت للعباس معتذراً * من ضَعِفْ شكريه ومعترياً
أنت أمرؤ جَلَلْتَنِي نِعَمًا * أوهت قُوى شكري فقد ضَعُفَا
لا تُسَيِّدَنَّ إِلَيَّ عَارِفَةً * حتَّى أقومَ بِشُكْرِ ما سَلَفَا

وقال الحسين بن الضحاك للوائح من أبيات :

إذا كنتُ من جدِّواك في كلِّ نعمةٍ * فلا كنتُ إن لم أفنِ عُمرى بِشُكْرِكا

وقال البحتري :

إذا أنا لم أشكر لنُعماك جَاهِدًا * فلانلتُ نِعْمَى بعدها تُوجبُ الشُّكرا

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

إني لساكرُ أُمِّسِهِ وولِيهِ * في يومه ومُؤَمِّلُ فِيهِ غَدَا^(٢)

وقال آخر :

وكيف أنساك لا نُعماك واحدةً * عندي ولا بالذي أوليت من قَدَم

وقال عبد الأعلى بن حماد : دخلتُ على المتوكل ، فقال لي : قد هممنا أن نصِلَكَ ،

فدافعت الأمور ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه

قال : من لم يشكر للهمةً ، لم يشكر للنعمة ، وأنشدته قول الباهلي :

لأشكرَكَ معروفاً هممتَ به * إنَّ اهتِمامَكَ بالمعروفِ معروفٌ

ولا ألومكَ إن لم يُمِضْه قَدَرٌ * فالشئُ بالقَدَرِ المحتومِ مصروفٌ

(١) كذا في ديوان المعاني ، وفي الأصل : « من عظم ... » وهو غير المناسب .

(٢) في الأصول : « عنه » .

وقال ابن الرومي :

كم من يدٍ بيضاء قد أسديتها * تثني إليك عنان كلِّ ودادٍ
شكر الإله صنائعاً أوليتها * سلاكت مع الأرواح في الأجساد

وقال آخر :

وأحسن ما قال أمرؤفك مدحةً * تلاقت عليها منّة وقبول
وشكر كأن الشمس تُعنى بنشره * ففي كل أرضٍ مُخبرٌ ورسول

ومن كلام الحسن بن وهب : من شكر لك على درجة رفعته اليها ، أو ثروة أفدته إياها ، فإن شكرى لك على مهجة أحييتها ، وحشاشة أبقيتها ، ورمق أمسكته وقمت بين التلّف وبينه ، ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌ ينتهى إليه ، ومدى يوقف عليه ، وغاية من الشكر يسمو اليها الطرف ، خلا هذه النعمة التي فاتت الوصف ، وطالت الشكر ، وتجاوزت كلَّ قدر ، وأتت من وراء كل غاية ، وردت عنّا كيد العدو ، وأرغمت أنف الحسود ، نالجا منها الى ظل ظليل ، وكنيف كريم ، فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جهد المجهود !

وقال الشريف الرضى :

ألبستني نِعَمًا على نعيم * ورفعت لى علما على علم
وعلوت بى حتى مشيت على * بسط من الأعناق والقمم
فلا شكرنّ نذاك ما شكرت * خضر الرياض صنائع الدّيم
فالحمد يبقى ذكركلّ فتى * ويبين قدر مواقع الكرم
والشكر مهر للصنعة إن * طابت مهوور عقائل النعم

وقال أبو الحسن الكاتب المغربي :

سأشكر نعماك التي أنبسطت بها * يدي ولساني فهو بالمجد ينطق

وأُثْنِي بِمَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ صَنِيعَةٍ * وَمِنْ مِنَّةٍ تَغْدُو عَلَى وَتَطْرُقُ
وَكُلَّ أَمْرٍ يَرْجُو نَدَاكَ مُوَفَّقٌ * وَكُلَّ أَمْرٍ يُثْنِي عَلَيْكَ مُصَدِّقٌ

وقال ابن رشيق القيرواني :

خُذْ ثَنَاءً عَلَيْكَ غِبَّ الْأَيْدَى * كَثَنَاءِ الرَّبِّ عَلَى الْأَمْطَارِ
سَقَطَ الشُّكْرُ وَهُوَ مُوجِبٌ نِعْمًا * لَكِ سُقُوطُ الْأَنْوَاءِ بِالْأُتْمَارِ

ومن الْمُتَنَعِّمِينَ مَنْ رَأَى أَنَّ الشُّكْرَ بِإِظْهَارِ النِّعْمَةِ أَبْلَغُ مِنْهُ بِاللِّسَانِ ،
وعاقب على ذلك بِالْحَرَمَانِ .

فمن ذلك ما رواه أبو هلال العسكري بسنده إلى القنبي^(١) قال : أراد جعفر بن
يحيى حاجة كان طريقه إليها على باب الْأَصْمَعِيِّ ، فدفع إلى خادم له كيسا فيه ألف
دينار وقال : إني سأَنْزِلُ في رَجْعَتِي إلى الْأَصْمَعِيِّ ، ثم سيحدثني ويضحكني ، فاذا
ضَحِكْتُ ، فضع الكيس بين يديه ، فلما رجع ودخل إليه ، رأى حَبًّا مَكْسُورَ^(٢)
الرَّاسِ ، وَجَرَّةً مَكْسُورَةَ الْعُنُقِ ، وَقِصْعَةً مَشْعَبَةً ، وَجَفْنَةً أَعْشَارًا ، ورآه على مُصَلًّى
بِالْ ، وعليه بَرَنْكَانٌ أَجْرُدٌ^(٣) ، فغمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه ، فلم يدع
الْأَصْمَعِيُّ شَيْئًا تَمَّا يُضْحِكُ الثَّكْلَانِ والغضبان إلا أوردته عليه فلم يتبسّم ، ثم خرج ؛
فقال لرجل يسايره : من آسَترَعي الذُّبْ ظَلَمَ ، ومن زَرَعَ سَبْخَةً حَصَدَ الْفَقْرَ ،
إني والله لما علمت أن هذا يَكْتُمُ المعروف بالفعل ، ما حَفَلْتُ بنشره له باللسان ،

(١) كذا في الأصل . وفي ديوان المعاني لأبي دلال العسكري : « أخبرنا أبو جعفر بن القنبي عن

القنبي قال : أراد جعفر بن يحيى ... الخ » .

(٢) الحب : الجرة الضخمة .

(٣) البرنكان على وزن زعفران : ضرب من الأكسية ويقال له أيضا بركان .

وأين يقع مديح اللسان من آثار العيان ! إن اللسان قد يكذب والحال لا تكذب،
ولله در نصيب حيث يقول :

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقايبُ

ثم قال : أعلمت أن ناووس أبرويز، أمدح لأبرويز، من [شعر] ^(٢) زهير لآل سنان !

وقالت الحكماء : لسان الحال أصدق من لسان الشكوى . وقد أجاد ابن

(٧٦)

الرومي في هذا المعنى فقال :

حالي تبوح بما أوليت من حسنٍ * فكل ما تدعيه غير مردود ^(٣)

كل هجاء وقتلي لا يحل لكم * فما يداويكم مني سوى الجود

وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ذكر ما قيل في الوعد والإنجاز

١٠

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "وعد المؤمن كأخذ باليد" . وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : الوعد مرض في الجود، والإنجاز دواؤه . ومن كلامه : المسئول حُرَّحتي يَعِد، ومستترق بالوعد حتى يُنجز . وقال الزهري : تحقيق على من أזהر بالوعد أن يُثمر بالفعل ^(٤) .

١٥

وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال : سألت الفضل بن سهل حاجة، فقال : أشرفك اليوم بالوعد، وأحبوك غدا بالإنجاز، فإني سمعتُ يحيى بن خالد يقول :

(١) الناووس والناوس : مقبرة النضاري معرب ، ويطلق على الحجر المنقور يجعل فيه جثة الميت .

(٢) التكمة عن ديوان المعاني لأبي هلال العسكري .

(٣) في ديوان ابن الرومي : * حالي تصيح بما أوليت معلنة *

(٤) في العقد الفريد : « على من أورد بوعد ... الخ » .

٢٠

المواعيد شبكة من شباك الكرام، يصيدون بها محامد الأحرار؛ ولو كان المعطى لا يعد لأرتفعت مفاخر إنجاز الوعد، ونقص فضل صدق المقال .

وقال الأبرش الكلبي لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، لا تصنع إلى معروف حتى تعدني ، فإنه لم يأتني منك سيب على غير وعد إلا هان عليّ قدره ، وقل مني شكره ؛ فقال له هشام : لئن قلت ذلك لقد قال سيد أهلك أبو مسلم الخولاني : أنجع المعروف في القلوب وأبرده على الأجداد معروف منتظر بوعده لا يكدر بالمطل . وكان يحيى بن خالد لا يقضى حاجة إلا بوعده .

وقالت أعرابية لرجل : مالك تُعطى ولا تعد ؟ فقال : مالك والوعد ؟ قالت ينفسح به البصر ، وينشر فيه الأمل ، وتطيب بذكره النفس ، ويرى به العيش ، وترى أنت به المدح بالوفاء .

قيل : كلم منصور بن زياد يحيى بن خالد في حاجة لرجل فقال : عده غنى قضاءها ، قال : وما يدعوك أعزك الله إلى العدة مع وجود القدرة ؟ فقال يحيى : هذا قول من لا يعرف موضع الصنائع من القلوب ؛ إن الحاجة إن لم تتقدمها بوعده ينتظر به نجحها ، لم تتجاذب الأنفس بسرورها ، ولم تتلذذ بتأملها ؛ وإن الوعد تطعم ، والإنجاز طعام ، وليس من فاجأه طعام ، كمن وجد رائحته ، وتمطق له وتطعمه ، ثم طعمه ؛ فدع الحاجة تختمر بالوعد ، ليكون لها عند المصطنع إليه حسن موقع ، ولطف محل .

وقال عيسى بن ماهان : إني أحب أن أهب بلا وعد ، وأحب أن أعده ، لأخرج من جملة المخلفين ، وأدخل في عدد الوافين ، ويؤثر عني كرم المنجزين ؛ فإن من سبق فعله وعده ووصف بكرم فرد ، وسقط عنه جميع ما ذكرت .

قال : ذكر العباسُ المأمونَ فقال : إنه ألقحَ معروفه عندى بالوعد ، ونتجَه بالنَّجَح ،
وأرضعه بالزيادة ، وشبَّهه بالتعهد ، وهرَّمه باستتمامه من ^(١) جهاته ، وهناه بترك
الآمتنان به .

وشكا رجلٌ جعفرَ بنَ يحيى لأبيه : أنه وعده وعدا ومطله به ، فوقع : يا بني ، أتم
معائل الأحرار ومظان المطالب ومعادن الشكوى ، فكونوا سواءً في الأقوال
والأفعال ، فإن الحرَّ يدخر وعدَ الحر ويعتقده وينفقه قبل ملكته ، فإن أخفق
أمله كان سببا لدمه وأتاهمه وسوء ظنه ، حتى يوارى قبْح ذلك حُسن يقينه ، فأنجز
الوعد ، وإلا فأقصر القول ، فإنه أعذر ، والسلام .

قال : كلَّم المأمون في الحسين بن الضحاك الخليع أن يردَّ عليه رزقه ، فقال :
أليس هو القائل في الأمين :

فلا فَرِح المأمونُ بالملك بعده * ولا زال في الدنيا طريداً مشرداً

فما زالوا يتلطفون معه في القول ، إلى أن أذن له أن ينشده فأنشده :

أين لي فإني قد ظممتُ الى الوعدِ * متى تُنجز الوعد المؤكَّد بالعهدِ ^(٢)

أعيدك من صدِّ الملوك وقد ترى * تقطع أنفاسي عليك من الوجدِ ^(٣)

فما لي شفيعٌ عند حسنك غيره * ولا سببٌ إلا التمسك بالودِّ ^(٤)

أيخجلُ فردُّ الحُسن فردَّ صفاته * على وقد أفردته بهوى فرد

رأى الله عبد الله خير عباده * فمأكَّه والله أعلم بالعباد

(١) هناء : طلاه بالهاء ، وهو القطران .

(٢) رواية الأغاني طبع بولاق (ج ٦ ص ١٨٠) : « أجرني ... الخ » .

(٣) في الأغاني : « من خلف الملوك وقد بدا » .

(٤) كذا في الأغاني . وفي الأصلين : « بهوى وحدي » .

فقال له المأمون : هذه بتلك ، وقد عفونا عنك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فأتبع عفوك إحسانك ، فأمر برد أرزاقه عليه ، وكانت في كل شهر خمسمائة دينار . فقال المأمون : لولا أني نويتُ عفوا عنه ، وجعلت ذلك وعدا له من قبل ، ما فعلته . وإنما ذكر الوعد في تشبيهه بذكره .

وقال بعض ملوك العجم : البخل بعد الوعد ، يُضَعِفُ قبحه على البخل قبله ، فما قولك في أمر ، البخل أحسن منه ؟

وقال بعض الشعراء :

ولى منك مَوْعِدٌ طَلَبْتُ نَجَاحَهُ * وَأَنْتَ امْرُؤٌ لَا تُخْلَفُ الدَّهْرَ مَوْعِدًا
وَعَوْدَتِي أَلَا تَزَالُ تُظِلُّنِي * يَدُ مَنْكَ قَدْ قَدَّمَتْ مِنْ قَبْلِهَا يَدًا
فَلَوْ أَنَّ مَجْدًا أَوْ نَدَى أَوْ فَضِيلَةً * تَخَلَّدَ شَيْئًا كُنْتَ أَنْتَ الْمَخْلَدًا

وقال بشار :

وَعَدَ الْكَرِيمُ يَحُثُّ نَائِلَهُ * كَالْغَيْثِ يَسْبِقُ رَعْدُهُ مَطَرَهُ

وقال ابن الرومي :

يَتَخَطَّى الْعِدَاتِ عَمْدًا إِلَى الْبَدْءِ * لِ كَسَحِ الْحَيَا بِلا إِيْمَاضِ

ذكر ما قيل في الشفاعة

قال الله عز وجل : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلتُ لك جاها فهل نصرت به مظلوما أو قمت به ظالما أو أعنت به مكروبا " . وقال صلى الله عليه وسلم : " أفضل الصدقة أن تعين

(١) وقال : ” الخلق عيال الله فأحبهم اليه أنفعهم لعياله “ .
وقال : ” الشفيع جناح الطالب “ .

وقيل : قصد ابن السّمك الواعظ رجلا في حاجة لرجل سأل الشفاعة فيها ،
فقال ابن السّمك : إني أتيتك في حاجة ، وإن الطالب والمطلوب اليه عزيزان إن
قضيت الحاجة ، وذليلان إن لم تُقَضَّ ، فاختر لنفسك عزّ البذل على ذلّ المنع ،
وأختر لي عزّ النّجح على ذلّ الردّ ، ففضي حاجته .

قال أبو تمام :

وإذا أمرؤ أسدى اليك صنعة * من جاهه فكانها من ماله

وقال رجل لبعض الملوك : إن الناس يتوسّلون اليك بغيرك ، يسألون معروفك
ويشكرون غيرك ، وأنا أتوسّل اليك بك ، ليكون شكرى لك لا لغيرك . قال بعض
الشعراء :

إذا أنت لم تعطفك إلا شفاعتُ * فلا خير في ودّ يكون بشافع

ذكر ما قيل في الاعتذار والاستعطاف

رأيت جماعة من أهل الأدب قد أحقوا الاعتذار والاستعطاف بالمدح ،
كالحمدوني في تذكّره ، وغيره ، فلذلك أضفته اليه ، وجعلته من فصوله . قال الله
عز وجل : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ .
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” من اعتذر اليه أخوه
المسلم فلم يقبل لم يرد على الحوض “ .

(١) في الجامع الصغير : « الخلق كلهم » ... الى الله ... الخ .

وقال عليّ رضي الله عنه : أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ . وقال :
العفو زكاة الظّفر . وقال : إذا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلْ عَفْوَكَ عَنْهُ شُكْرَ الْمَقْدَرَةِ
عَلَيْهِ .

وقال الحسن بن عليّ رضي الله عنهما : لَا تُعَاجِلِ الذَّنْبَ بِالْعُقُوبَةِ ، وَاجْعَلْ
بَيْنَهُمَا لِلْإِعْتِذَارِ طَرِيقًا . وقال : أَوْسَعُ مَا يَكُونُ الْكَرَمُ بِالْمَغْفِرَةِ ، إِذَا ضَاقَتْ بِالذَّنْبِ
الْمَعْدَرَةُ .

وقال جعفر بن محمد الصادق : شَفِيعُ الْمَذْنِبِ إِقْرَارُهُ ، وَتُوبَةُ الْمَجْرَمِ الْإِعْتِذَارُ .
وقالوا : مَا أَذْنِبُ مِنْ أَعْتَذَرُ ، وَلَا أَسِيءُ مِنْ أَسْتَغْفِرُ .

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال : يَا بُنَيَّ لَا يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، كَانَتْ
مِنْ كَانَ ، فِي أَيِّ جَرَمٍ كَانَ ، صَادِقًا كَانَ أَوْ كَاذِبًا ، إِلَّا قَبِلَتْ عَذْرَهُ ، فَكُفَّاكَ
بِالْإِعْتِذَارِ بِرَأْسِ صَدِيقِكَ ، وَذَلًّا مِنْ عَدُوِّكَ .

قال بعض الشعراء :

فَإِنْ كُنْتَ تَرْجُو فِي الْعُقُوبَةِ رَاحَةً * فَلَا تَرْهَدَنَّ عِنْدَ التَّجَاوُزِ فِي الْأَجْرِ
وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري : الْإِعْتِذَارُ ذِلَّةٌ ، وَلَا بَدْءٌ
مِنْهُ ، لِأَنَّ الْإِصْرَارَ عَلَى الذَّنْبِ ، فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَالِقِكَ هَاكِيَّةٌ ، وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ
صَدِيقِكَ فُرْقَةٌ ، وَعِنْدَ سَائِرِ النَّاسِ مِثْلَابَةٌ وَهُجْنَةٌ ، فَعَلَيْكَ بِهِ إِذَا وَقَعْتَ الذَّنْبَ
وَقَارَفْتَ الْحَرَمَ ، وَلَا تَسْتَنَكِفْ مِنْ خُضُوعِكَ وَتَذَلُّكَ فِيهِ ، فَرَبِّمَا أَسْتَشِيرُ الْعِزُّ مِنْ
تَحْتَ الذِّلَّةِ ، وَأَجْتُنِي الشَّرْفَ مِنَ الشَّجَرَةِ النَّذْلَةِ ، وَرَبِّ مَحْبُوبٍ فِي مَكْرُوهٍ ، وَالْمَجْدُ شَهْدٌ
يُجْتَنَى مِنْ حَنْظَلٍ .

قال : وَمِمَّا خُصَّ بِهِ الْإِعْتِذَارُ أَنَّ الْحَقَّ لَا يَثْبُتُ لِباطِلِهِ ، وَالْحَقِيقَةُ لَا تَقُومُ
مَعَ تَخْيِيلِهِ وَتَمْوِيهِهِ ، وَأَنْ رَدَّهُ لَا يَسْعُ مَعَ الْكَذْبِ اللَّائِخِ فِي صَفْحَاتِهِ .

وقالوا : لا عذر في رد الاعتذار ، والمعتذر من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خصلة لا يشركه فيها غيره .

(١١)

قال بعضهم : كنت بحضرة عبيد الله بن سليمان ، فوردت عليه رقعة من جعفر ابن ثوابه ، نسختها : قد فتحت للمظلوم بابك ، ورفعت عنه حجابك ، فأنا أحاكم الأيام الى عدلك ، وأشكو صروفها الى عطفك ، وأستجير من لؤم غلبتها بكرم قدرتك وحسن ملكتك . فإنها تؤخرني اذا قدمت ، وتحرمني اذا قسمت ، فإن أعطت أعطت يسيرا ، وإن آرتجعت آرتجعت كثيرا ، ولم أشكها الى أحد قبلك ، ولا أعددت للإنصاف منها إلا فضلك ، ولى مع ذمام المسألة لك ، وحق الظلامة اليك ، حق تأميلك ، وقدم صدق في طاعتك . والذي يملأ من النصفه يدي ، ويفرغ الحق علي ، حتى تكون لي محسنا وأكون بك الى الأيام مقتربا ، أن تخاطني بنحواص خدمك الذين نقلتهم من حال الفراغ الى الشغل ، ومن الخمول الى النباهة والذكور . فإن رأيت أن تعديني فقد استعديت اليك . وتنصرتني فقد عدت بك ، وتوسع لي كنفك فقد أويت اليه ، وتسحني بإحسانك فقد عولت عليه ، وتستعمل يدي ولساني فيما يصلحان له من خدمتك ، فقد درست كتب أسلافك وهم القدوة في البيسان ، وأستضأت بآرائهم ، وأقتفيت آثارهم آقتناء جعلني بين وحشي الكلام وأنيسه ، ووقفني منه على جادة متوسطة ، يرجع اليها العالى ، ويسمو نحوها المقصر التالى ، فعلت إن شاء الله . فجعل عبيد الله يرددها ويستحسنها ، ثم قال : هذا أحق بديوان الرسائل .

(١) وردت هذه الرقعة في معجم الأدباء ليقوت (ج ٢ ص ١٧٤) لجعفر بن محمد بن خالد بن ثوابه ،

وهي تختلف يسيرا في بعض كلماتها عما في الاصول ، وقد أثبتنا منها هنا ما يناسب المقام مع تصويب كلمة « ثوابه » بالثاء المثناة التي وردت في الاصول : « ثوابه » بالثاء محذوفة .

ومن الاستعطاف : ما حكى أن محمد بن الحنفية ، جرى بينه وبين أخيه الحسين كلام آفترقا بسببه متغاضبين ، فلما وصل محمد الى منزله ، كتب الى الحسين رقعة فيها :
بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن لك شرفا لا أبلغه ، وفضلا لا أدركه ، أبونا على ،
لا أفضلك فيه ولا تفضلني ، وأمي امرأة من بني حنيفة ، وأنت فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان ملء الأرض نساء مثل أمي ما وفين بأقك .
فاذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك وتعال لترضاني ، وإياك أن أسبقتك
الى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني ، والسلام . فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء
الى محمد وترضاه .

وقيل : وقع جعفر بن يحيى في رقعة معتمر : قد تقدمت طاعتك ونصيحتك .
فإن نبت منك هفوة فلن تغلب سيئة حسنتين .

وقال شاعر :

إرض للسائل الخضوع وللقا * رف ذنباً مذلة الاعتذار

قال أبو هلال العسكري : لم يرو عن أحد قبل النابغة الذبياني في الاعتذار شعراً ،
فمن أجود ما روى له فيه ، قوله حين سعى به المنخل اليشكري الى النعمان ، وزعم أنه
غشى المتجردة حظية النعمان ، وذلك حين وصفها النابغة في شعره فقال :

واذا لمست لمست أختم^(١) جاثماً * متحيراً^(٢) بكائه ملء اليد
واذا طعنت طعنت في مستهدف * رابى المجسة بالعبير مقروميد
واذا نزعت نزعت من مستحصف * نزع الحزور بالرشاء المحصد

(١) كذا في اللسان في إحدى روايته مادة «ختم» . وفي الاصول وديوان النابغة الذبياني طبع باريس
واللسان في روايته الاخرى مادة «جثم» : «أجثم» .

(٢) كذا في الاصلين الفنوغرافيين واللسان في إحدى روايته مادة «حير» وديوان المعاني
لابي هلال العسكري . وفي النسخة الراغية وديوان النابغة المتقدم واللسان في روايته الاخرى مادة
«خثم» : «متحزاً» .

فقال المنخل للنعمان : هذا وصف من ذاقها ، فوقر ذلك في نفس النعمان ، ثم وفد عليه رهط من بني سعد بن زيد مناة من بني قريع ، فأبلغوه أن النابغة ما يزال يذكرها ويصف منها ، فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة ، فعرفه بذلك عصام حاجب النعمان ، وهو الذي قيل فيه :

* نفس عصام سودت عصاما *

٥

فانطلق النابغة الى آل غسان وكانوا قتلوا المنذر والد النعمان ، فزادهم لحاق النابغة بهم حشمة ، ثم اتصلت بالنعمان كثرة مدائح النابغة لهم ، فحسدهم عليه وأقمنه وراسله في المصير اليه ، فأتاه وجعل يعتذر مما قرف به ومن مدحه لآل غسان ، فقال :

١٠ حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * وليس وراء الله للراء مذهب
لئن كنت قد بلغت عني جناية^(٢) * لمبلغك الواشي أغش وأكذب
ولست بمستبيح أخا لا تلؤه * على شعث أي الرجال المهذب
فإن أك مظلوما فعبد ظلمته * وإن تك ذا عتبي فمثلك يعتب

يقول : مثلك يعفو ويحسن وإن كان عاتبا ، وفي كرمك ما يفعل ذلك ، ولك العتبي^(٣) والرجوع الى ما تحب . ومنه قوله أيضا للنعمان :

١٥ أتاني أبيت الأعر أنك لم تني * وتلك التي تستك منها المسامع
مقالة أن قد قلت سوف أناله * وذلك من تلقاء مثلك رائع
فبت كائي ساورتني ضئيلة * من الرقيش في أنيابها السم نافع
لكلفتني ذنب امرئ وتركته * كذي العر يكوى غيره وهو رافع

(١) كذا في ديوان المعاني . وقرف : اتهم . وفي الأصل : « مما قذف به » .

٢٠

(٢) في ديوان النابغة وديوان المعاني : « خيانة » .

(٣) كذا في الاصول . ولعلها أولك ... الخ .

الى أن قال :

فإن كنت لا ذوالضغن عني مكذب * ولا حافى على البراءة نافع
ولا أنا مأمون بشيء أقوله * وأنت بأمر لا محالة واقع
فإنك كالليل الذى هو مدركى * وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقال أيضا :

أنبت أن أبا قابوس أوعدنى * ولا قرار على زار من الأسد
مهلاً فداء لك الأقوام كلهم * وما أثمر من ما ومن ولد
لا تقذفتى بركن لا كفاء به * وإن تأففك الأعداء بالرفد^(١)
ما قلت من سيء مما أتيت به * إذا فلا رفعت سوطى الى يدي
قال : نفلع عليه النعمان خلع الرضا، وكن حبرات خضرا مطرفة بالجوهر^(٢).

قال العسكرى : ولم يسلك أحد طريقته فأحسن فيها كإحسان البحترى ، فمن
آعتذاراته قوله فى قصيدته التى أولها :

* لوت بالسلام بنانا خضيبا *

قال منها :

فدينك من أى خطب عرى * ونائية أو شكت أن تتوبا
وإن كان رأيك قد حال فى * وأوليتنى بعد بشر قطوبا

(١) تأففوه : مكفوه ، أى لا ترمى منك بركن لا مثل له وإن اجتمع حولك الأعداء متأذين متألين
على . والرفد : جمع رفدة بكسر الراء .

(٢) قد تقدم فى صفحة (١٧٢) من هذا الجزء : « وكسى أثواب الرضا وكانت جبابا أطواقها الذهب
بقصب الزمرد » .

(٣) كذا فى ديوان البحترى طبع الاستانة (ج ١ ص ٥٨) والنسخة الراغبية . وفى أحد الاصلين
الفتوغرافيين وديوان المعانى لابن هلال العسكرى : « قد جال » بالجيم . وفى الاصل الآخر الفتوغرافى :
« قد خال » بالخاء المعجمة وكلاهما تحريف .

يريدني الشيء تأتي به * وأكبر قدرك أن أستريبا
وأكره أن أتمادى على * سبيل اغترار فآلق شعوبا
أكذب نفسي بأن قد سخطت^(١) * وما كنت أعهد ظني كذوبا
ولو لم تكن ساخطا لم أكن * أذم الزمان وأشكو الخطوبا
أيصبح وردى في ساحتها^(٢) * لك طرقا ومرعاى محلا جديبا
وما كان سخطك إلا الفراق * أفاض الدموع وأشجى القلوبا
ولو كنت أعرف ذنبا لما كا^(٣) * ن خالجنى الشك في أن أتوبا
سأصبر حتى ألقى رضا * لك إما بعيدا وإما قريبا
أراقب رأيك حتى يصح * وأنظر عطفك حتى يثوبا

وقوله

عذيري من الأيام رنقن مشربي * ولقيتني نحسا من الطير أشاما
والبسني سخط أمرى بت مؤهنا * أرى سخطه ليلا مع الصبح مظلما
تبليج عن بعض الرضا وأنطوى على * بقمية عتب شارفت أن تصرما
إذا قات يوما قد تجاوز حدها * تلبت في أعقابها وتاوما
وأصيد إن نازعته الطرف رده * كليلا وإن راجعته القول جمجا
شاه العدا غنى فأصبح معرضا * ووهمه الواشون حتى توهمها

(١) كذا في ديوان البحرى . وفي الأصول وديوان المعاني : « بأن قد جنيت » .

(٢) كذا في ديوان البحرى والنسخة الراجية وديوان المعاني والورد : الماء الذى يورد . وفي الأصلين

الفتوغرافيين : « ودى » وهو تحريف .

(٣) الطرق : الماء الذى خوضته الإبل وبقلت فيه .

(٤) كذا في الديوان . وفي الأصول وديوان المعاني لأب هلال العسكرى : لما « تخالجنى » .

(٥) كذا في الأصول وديوان المعاني . وفي ديوان البحرى : « أ كسبتنى » .

وقد كان سهلاً واضحاً فتوَعَّرت * رَبَاهُ وَطَلَّقَا ضاحِكَا فتَجَهَّما
 أَمَتَّخَذُ عِنْدِي الإِسَاءَةَ مُحْسِنٌ * وَمَنْتَقِمٌ مِنِّي أَمْرٌ وَكَانَ مُنْعِمًا
 وَمَكْتَسِبٌ فِي الْمَلَامَةِ مَا جَد * يَرَى الْحَمْدَ غُنًى وَالْمَلَامَةَ مَغْرَمًا
 يَخُوفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعْشَرٌ * وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتَظْلِمَا
 أَعْيذكُ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ * تَبَيَّنَ أَوْ جُرِمَ إِلَيْكَ تَقْدِمَا
 أَلَسْتُ الْمَوَالِي فِيكَ نَظْمَ قِصَائِدٍ * هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجِمَا
 أَعِدْ نَظْرًا فِيمَا تَسَخَّطْتَ هَلْ تَرَى * مَقَالًا دَنِيئًا أَوْ فَعَالًا مَذْمُومًا
 وَكَانَ رَجَائِي أَنْ أُؤْوِبَ مِمَّا كُنَا * فَصَارَ رَجَائِي أَنْ أُؤْوِبَ مُسَلِّمًا
 حَيَاءٌ فَلَمْ يَذْهَبْ بِي الْغَى مَذْهَبًا * بَعِيدًا وَلَمْ أُرْكَبْ مِنَ الْأَمْرِ مُعْظَمًا
 وَلَمْ أَعْرِفِ الذَّنْبَ الَّذِي سَوَّيْتَنِي لَهُ * فَأَقْتُلَ نَفْسِي حَسْرَةً وَتَنَدَّمَا
 وَلَوْ كَانَتْ مَا خُبَّرْتَهُ أَوْ ظَنَنْتَهُ * لَمَا كَانَ غَمْرُوا أَنْ أُلُومَ وَتَكْرُمَا
 أَذْكَرُكَ الْعَهْدَ الَّذِي لَيْسَ سَوْدَدًا * تَنَاسِيَهُ وَالْوَدَّ الصَّحِيحَ الْمُسَلِّمًا
 وَمَا حَمَلَ الرِّكَابَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا * وَأُنْجِدُ فِي أَعْلَى الْبِلَادِ وَأَتَمُّهَا
 أَقْرَبُ بِمَا لَمْ أَجْنِهْ مُتَنَصِّلًا * إِلَيْكَ عَلَى أَنِّي إِخَالُكَ أُلُومًا
 لِي الذَّنْبُ مَعْرُوفًا إِنْ كُنْتُ جَاهِلًا * بِهِ فَلَكَ الْعَتَبِي عَلَى وَأَنْعِمَا
 وَمِثْلُكَ إِنْ أَبْدَى الْفَعَالَ أَعَادَهُ * وَإِنْ صَنَعَ الْمَعْرُوفَ زَادَ وَتَمَّمَا
 وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ :

لَمْ آتْ ذَنْبًا إِنْ زَعَمْتَ بِأَنْ * أَتَيْتُ ذَنْبًا فَغَيْرُ مَعْتَمِدٍ
 قَدْ تَطَرَّفَ الْكَفُّ عَيْنَ صَاحِبِهَا * فَلَا يَرَى قَطْعَهَا مِنَ الرُّشْدِ

(١) كذا في ديوان البحرى وأحد الأصليين الفتوغرافيين وديوان المعاني . وفي الأصل الآخر والنسخة

وقال آخر :

وكنْتُ اذا ما جئْتُ أدنيتَ مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطرُ
فمن لي بالعين التي كنتَ مرّةً * الى بها في سالف الدهر تنظرُ

وقال آخر :

اغتفر زلتى لتحرز فضل الـ * عفو عني ولا يفوتك أجرى
لا تكلنى الى التوسل بالعذ * ر لعلّ ألا أقوم بعذرى

وقال بعض فضلاء الأندلس :

إني جنيتُ ولم يزل أهلُ النهي * يهبون للجائز ما يحنونه
ولقد جمعتُ من الذنوب فنونها * فاجمع من الصفح الجميل فنونه
من كان يرجو عفو من هو فوقه * فليعفُ عن ذنب الذى هو دونه

الباب الثانى

من القسم الثالث من الفن الثانى

فى الهجاء وفيه أربعة عشر فصلا

ما قيل فى الهجاء ومن يستحقّه .

ما قيل فى الحسد .

ما قيل فى السعاية والبغى .

ما قيل فى الغيبة والنميمة .

ما قيل فى البخل واللؤم وأخبار البخلاء واحتجاجهم .

ما قيل في التطفيل ويتصل به أخبار الأكلة والمؤكلة .

ما قيل في الجبن والفرار .

ما قيل في الحمق والجهل .

ما قيل في الكذب .

ما قيل في الغدر والخيانة .

ما قيل في الكبر والعجب .

ما قيل في الحرص والطمع .

ما قيل في الوعد والمطل .

ما قيل في العى والحصر .

ذكر ما قيل في الهجاء ومن يستحقه

قال الله تعالى : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَاهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ . فهذه رخصة لمن ظلم في الانتصار .

وقال حسان بن ثابت الأنصاري يرد على أبي سفيان بن الحارث :

ألا أبلغ أبا سفيان عني * مغلفة^(١) فقد برح الخفاء

هجوت مجدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفء * فشر كما خير كما الفداء

لنا في كل يوم من معد * سباب أو قتال أو هجاء

(١) يقال رسالة مغلفة : أي محمولة من بلد إلى بلد .

لساني صارم لا عيب فيه * وبحري لا تكدره الدلاء

فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

ويستحق الهجاء من آتصف بسوء الخصال، وآتسم باخلاق الأرذال والأندال،
وجعل اللؤم جلبابه وشعاره، والبخل وطاءه ودثاره. وسأذ كر جماع ما آتصفوا به من
سوء الفعال، وأسسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال .

قال بعض الحكماء : أربعة من علامات اللؤم : إفشاء السر، واعتقاد الغدر،
وغيبة الأحرار، وإساءة الجوار .

وسأل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خلقه، فتلکأ عليه وأبى أن
ينخبره، فأقسم عليه . فقال : حسود، كنود، حقود، فقال عبد الملك : ما في إبليس
شر من هذه الخلال ، فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد انتحل الشر بحذافيره،
ومرق من جميع خلال الخير، وتأنق في ذم نفسه، وتجرّد في الدلالة على لؤم طبعه،
وأفرط في إقامة الحجّة على كفره، وخرج من الخلال الموجبة رضا ربه .

قال أبو تمام :

تأنست بذيّم الفعلِ طلعتُه * تأنس المقلّة الرمداء بالظلم

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ” أربعة ^(١) من كن فيه فهو منافق
من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا أؤتمن خان “ .

وقالوا : اللئيم كذوب الوعد، خؤون العهد، قليل الرفد . وقالوا : اللئيم
اذا أستغنى بطر، واذا أفقر قنط، واذا قال أخش، واذا سئل بخل، وإن سأل

(١) ورد هذا الحديث في الجامع الصغير بصيغة مختلف عما هنا ونصها : ” أربع من كن فيه كان منافقا

خاصا ومن كانت فيه خصلة منهم كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب واذا وعد أخلف
واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر “ .

أَلَحَّ، وَإِنْ أُسِديَ إِلَيْهِ صَنِيعَ أَخْفَاهُ، وَإِنْ آسَتْكُمْ سِرّاً أَفْشَاهُ؛ فَصَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ، وَعَدُوُّهُ مِنْهُ عَلَى غَرَرٍ^(١).

وَإِنَّ لِلشَّعْرَاءِ وَالْبُلْغَاءِ فِي الدِّمِّ وَالْهَجَاءِ نِظَامًا وَنَثْرًا سَنُورِدُ مِنْهُ طَرَفًا، وَنُشْرِحُ مَا يَجْعَلُ ضَوْءَ النَّهَارِ عَلَى الْمَقُولِ فِيهِ سَدْفًا^(٢).

فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْكَاتِبِ فِي بَنِي سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ قَتَيْبَةَ :
مَحَاسِنُهُمْ مَسَاوِي السَّفَلِ ، وَمَسَاوِيهِمْ فَضَائِحُ الْأُمَمِ ؛ وَأَلْسِنَتُهُمْ مَعْقُودَةٌ بِالْعِي ،
وَأَيْدِيهِمْ مَعْقُولَةٌ بِالْبُخْلِ ، وَأَعْرَاضُهُمْ أَعْرَاضُ الدِّمِّ ؛ فَهُمْ كَمَا قِيلَ :
لَا يَكْثُرُونَ وَإِنْ طَالَتْ حَيَاتُهُمْ * وَلَا تَبِيدُ مَخَازِيهِمْ وَإِنْ بَادُوا
وَذَمُّ أَعْرَابِي قَوْمًا فَقَالَ :

هَمْ أَقَلُّ النَّاسِ ذُنُوبًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ ، وَأَكْثَرُهُمْ تَجَرُّمًا عَلَى أَصْدِقَائِهِمْ ، يَصُومُونَ
عَنِ الْمَعْرُوفِ ، وَيُفْطِرُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ .

وَذَمُّ أَعْرَابِي قَوْمًا فَقَالَ : قَوْمٌ سُلِخَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْهَجَاءِ ، وَدُبِغَتْ جُلُودُهُمْ^(٤)
بِاللَّؤْمِ ، فَلِبَاسُهُمْ فِي الدُّنْيَا الْمَلَامَةُ ، وَفِي الْآخِرَةِ النَّدَامَةُ^(٥) .

وَكَانَ عَيْسَى بْنُ فَرْخَانَ شَهِيدًا يَتِيهِ عَلَى أَبِي الْعَيْنَاءِ حَالَ وَزَارَتِهِ ، فَلَمَّا صُرِفَ عَنِ
الْوِزَارَةِ لَقِيَ أَبَا الْعَيْنَاءِ فِي بَعْضِ السُّكُكِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ سَلَامًا خَفِيفًا ، فَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءِ
لِقَائِهِ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : أَبُو مُوسَى ، فَدَنَا مِنْهُ حَتَّى أَخَذَ بَعِنَانِ بَغْلَتِهِ وَقَالَ : لَقَدْ
كُنْتُ أَفْنَعُ بِإِيْمَانِكَ دُونَ بَنَانِكَ ، وَبِلِحْظِكَ دُونَ لَفْظِكَ ؛ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا آلَتْ إِلَيْهِ
حَالُكَ ، فَلَنْ كَانَتْ أَخْطَأْتُ فِيكَ النِّعْمَةَ ، لَقَدْ أَصَابَتْ فِيكَ النِّقْمَةُ ؛ وَلَنْ كَانَتْ

(١) الغرر : التعرض للهلكة . (٢) السدف : الظلمة . (٣) في النسخة الراغبية :

« تجروا » . (٤) في العقد الفريد (ج ٢ ص ١٠٩) : « دبغت وجوههم » .

(٥) كذا في الأصول . وفي العقد الفريد : « وزادهم في الآخرة ... الخ » .

الدنيا أبدت صفحاتها بالإقبال عليك ، لقد أظهرت محاسنها بالإدبار عنك ؛ ولله المنة
إذ أغنانا عن الكذب عليك ، ونزّهنا عن قول الزور فيك ؛ فقد والله أسأت حمل
النعمة ، وما شكرت حق المنعم ؛ ثم أطلق يده من عنانه ، ورجع الى مكانه . فقيل له :
يا أبا عبد الله ! لقد بالغت في السب ، فما كان الذنب ؟ قال : سأله في حاجة
أقل من قيمته ، فردني عنها بأقبح من خلقته .

قال بعض الأعراب : نزلت بذاك الوأدى ، فإذا ثياب أحرار على أجسام عبيد ،
إقبال حظهم إدبار حظ الكرام . ألم بهذا المعنى شاعر فقال :

أرى حُللاً تُصَانُ على رجال * وأعراضاً تُذَالُ ولا تُصَانُ
يقولون الزمانُ به فسادٌ * وهم فسدوا وما فسَدَ الزمانُ

وسئل بعضُ البلغاء عن رجل فقال : هو صغير القَدْر ، قصير الشَّبر ، ضيق
الصدر ، لئيم النَّجْر ، عظيم الكِبَر ، كثير الفخر .

وذم أعرابي رجلاً فقال : هو عبد البدن ، حرُّ الثياب ، عظيم الترواق ، صغير
الأخلاق ، الدهرُ يرفعه ، ونفسه تَضَعُهُ .

وقال آخر : فلان غثٌ في دينه ، قَدِرٌ في دنياه ، رَثٌ في مُرُوءته ، سَمِجٌ في هيئته ،
منقطع الى نفسه ، راضٍ عن عقله ، بخيل بما أنعم الله عليه ، كتوم لما آتاه الله من
فضله ، حَلَّافٌ لجُوج ، إن سأل ألحف ، وإن وعد أخلف ؛ لا يُنْصَفُ الأصاغر ،
ولا يعرف حقَّ الأكابر .

(١) في العقد الفريد (ج ٢ ص ١١٠) « قال أعرابي دخلت البصرة ... الخ » .

(٢) النجر : الأصل .

(٣) في العقد الفريد : « عبد الفعال حر المقال عظيم الرواق دنيء الأخلاق الخ » .

وترجم الفتح بن عبد الله القيسي صاحب قلائد العقيان في كتابه عن أبي بكر بن
 ماجه المعروف بابن الصائغ فقال : هو رَمَدُ جَفْنِ الدِّينِ ، وَكَمَدُ نفوس المهتدين ؛
 أَشْتَهَرَ سَخْفًا وَجَنُونًا ، وَهَجَرَ مَفْرُوضًا وَمَسْنُونًا ؛ فَمَا يَتَشَرَّعُ ، وَلَا يَأْخُذُ فِي غَيْرِ الْأَضَالِيلِ
 وَلَا يَشْرَعُ ؛ نَاهِيكَ بِهِ مِنْ رَجُلٍ مَا تَطْهَرُ مِنْ جَنَابَةٍ ، وَلَا أَظْهَرَ مَخِيلَةً إِنْابَةً ؛ وَلَا آسْتَنْجِي
 مِنْ حَدَثٍ ، وَلَا أَشْجِي فُؤَادَهُ مُوَارَى فِي جَدَثٍ ؛ وَلَا أَقْرَبَ بَارِيَهُ وَمُصَوَّرَهُ ، وَلَا فَرَّ عَنْ
 تَبَارِيهِ فِي مِيدَانِ تَهْوَرِهِ ؛ الْإِسَاءَةَ إِلَيْهِ أَجْدَى مِنَ الْإِحْسَانِ ، وَالْبَهِيمَةَ أَهْدَى عِنْدَهُ
 مِنَ الْإِنْسَانِ ؛ نَظَرَ فِي تِلْكَ التَّعَالِيمِ ، وَفَكَّرَ فِي أَجْرَامِ الْأَفْلَاكِ وَحُدُودِ الْأَقَالِيمِ ، وَرَفَضَ
 كِتَابَ اللَّهِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ ؛ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ثَانِي عَطْفِهِ ، وَأَرَادَ إِبْطَالَ مَا لَا يَأْتِيهِ
 الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ؛ وَاقْتَصَرَ عَلَى الْهَيْئَةِ ، وَأَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ
 تَبَارُكٌ وَتَعَالَى فِئَةٌ ؛ وَحَكَّمَ لِلْكَوَاكِبِ بِالتَّيْدِيرِ ، وَاجْتَرَمَ عَلَى اللَّهِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ ؛
 وَاجْتَرَأَ عِنْدَ سَمَاعِ النَّهْيِ وَالْإِعَادِ ، وَأَسْتَهْزَأَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ
 الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ ؛ فَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ الزَّمَانَ دَوْرٌ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ نَبَاتٌ لَهُ نُورٌ ،
 حِمَامُهُ تَمَامُهُ ، وَآخْتِلَافُهُ فِطَامُهُ ؛ قَدْ مَحَى الْإِيمَانَ مِنْ قَلْبِهِ فَمَا لَهُ فِيهِ رَسْمٌ ، وَنَسِيَ
 الرَّحْمَنَ لِسَانُهُ فَمَا يَمُرُّ لَهُ عَلَيْهِ أَسْمٌ ؛ وَأَنْتَمَتْ نَفْسُهُ لِلضَّلَالِ وَأَنْتَسَبَتْ ، وَنَفَتْ يَوْمًا
 تُجْزَى فِيهِ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ؛ فَقَصَرَ عَمْرَهُ عَلَى طَرْبٍ وَلَهْوٍ ، وَأَسْتَشْعَرَ كُلَّ كِبَرٍ
 وَزَهْوٍ ؛ وَهُوَ يَعْكُفُ عَلَى سَمَاعِ التَّلَاحِينَ ، وَيَقِفُ عَلَيْهَا كُلَّ حِينٍ ؛ يَعْلَنُ بِذَلِكَ
 الْأَعْتِقَادَ ، وَلَا يُؤْمِنُ بِشَيْءٍ قَادِنًا إِلَى اللَّهِ فِي أَسْلَسٍ مَقَادٍ ؛ مَعَ مَنَشَأٍ وَخِيمٍ ، وَلَوْ لَمْ أُصِلْ
 وَخِيمٌ ؛ وَصُورَةٌ شَوَّهَهَا اللَّهُ وَقَبَحَهَا ، وَطَلَعَةٌ لَوْ رَأَاهَا كَلْبٌ لَنَبَحَهَا ؛ وَقَذَارَةٌ يُوْبَى

(١) كَذَا فِي قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ طَبَعَ بِوِلَاقٍ (ص ٣٠٠) وَفِي الْأَصُولِ : « وَلَا أَشْجِي ... الْخ »

بِالسِّنِّ الْمَهْمَلَةِ . (٢) فِي قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ : « وَاخْتِطَافُهُ اقْتِطَافُهُ » .

(٣) الْخِيمُ : السَّجِيَّةُ .

(٤) يُوبَى : يَكْتَرِفُهَا الْوَبَاءُ . وَفِي قَلَائِدِ الْعُقَيَّانِ : « يُؤْذَى الْبِلَادُ ... الْخ » .

البلادَ نَفْسُهَا، ووضارَةً يحكى الحدادَ دَنَسُهَا^(١)، وَفَنَدٍ لَا يَعْمُرُ إِلَّا كَنَفَهُ، وَدَلٍ لَا يُقَوِّمُ
إِلَّا الصَّفَادَ جَنَفَهُ^(٢).

وكتب أحمد بن يوسف : أما بعد، فإنى لا أعرف للمعروف طريقاً أوعر من
طريقه إليك؛ لأنه يحصل منك بين حسب دنىء، ولسان بذىء، وجهل قد ملك
عليك طباعك؛ فالمعروف لديك ضائع^(٣)، والشكر عندك مهجور^(٤)، وإنما غايتك فى المعروف
أن تُحَرِّزَهُ، وفى وليه أن تَكْفُرَهُ.

* *

ومما قيل فى الهجاء من النظم

فمن ذلك قول جرير وهو أهجى بيت قالته العرب :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ * فَلَا كَعْبًا بَلَّغْتَ وَلَا كَلَابًا
وَلَوْ وُضِعَتْ فِقَاحُ بَنِي نُمَيْرٍ * عَلَى خَبَثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابَا

وقال عبد الملك بن مروان يوماً لجلسائه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم
شعرٌ ودُّوا أنهم أفتدوا منه بأموالهم، وشعرٌ لم يسرَّهم به حُمر النعم؟ فقال أسماء بن
خارجة : نحن يا أمير المؤمنين؛ قال : وما قيل فيكم؟ قال : قول الحارث بن ظالم :
وما قومي بشعلة بن سعد * ولا بفزارة الشعرِ الرقابا^(٥)

فوالله يا أمير المؤمنين ! إنى لألبسُ العِمامة الصفيقة فيخيل إلى أن شعر قفاى قد
بدا منها؛ وقول قيس بن الخطيم :

هَمَمْنَا بِالْإِقَامَةِ يَوْمَ سِرْنَا * مَسِيرَ حَذِيفَةَ الْخَيْرِ بْنِ بَدْرِ

(١) الحداد : ثياب سود تلبس فى المآتم . (٢) الجنف : الميل . (٣) فى الأصول :

«تحوَّره» وفى العقد الفرید (ج ٢ ص ٢٤٠) : «تحقره» وكلاهما محرف عما أثبتناه وقد رويت هذه الحكاية

فى الأمالى ج ٢ ص ١٩٢ طبع دار الكتب ببعض مخالفة عما هنا ونسبت الى محمد بن مكرم كتب بها

الى أبى العيناء . (٤) الشعر الرقاب : يريد الشعر رقابا، فلما أدخل الألف واللام نصب على

التشبيه بالضارب الرجل (راجع شرح الحماسة للبريزى طبع مدينة بن ص ٢٧٣) .

فما يسرنا أن لنا بها أو به حمر النعم . فقال هاني بن قبيصة النميري : أولئك نحن

يا أمير المؤمنين ؛ قال : ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

* فغض الطرف إنك من نمير *

والله لوددنا أننا آفنديناه بأملا كنا، وقول زياد الأعجم :

لعمرك ما رماح بني نمير * بطائشة الصدور ولا قصار

فوالله ما يسرنا به حمر النعم .

قال العسكري : وذكر أن جريرا لما قال :

والتغلبى إذا تنحج للقرى * حك أسته وتمثل الأمثالا

قال : قلت فيهم بيتا لو طعن أحدهم في آسته لم يحكها . وقالوا : مرت امرأة

بني نمير فتغامزوا إليها، فقالت : يا بني نمير، لم تعملوا بقول الله ولا بقول الشاعر،

يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ ويقول الشاعر :

* فغض الطرف إنك من نمير *

نفجلوا . وكان النميري إذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من نمير، فصار يقول :

من بني عامر بن صعصعة .

قال العسكري : ولو قيل إن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد، وهو :

ولو ترمى بلؤم بني كليب * نجوم الليل ما وضحت لِسارى

(١) ولو يرمى بلؤمهم نهار * لدنس لؤمهم وضح النهار

وما يغدو عزيز بني كليب * ليطلب حاجة إلا يجار

(١) كذا في الأصول وديوان المعاني لابي هلال العسكري . وفي النفاض طبع ليدن ص ٢٣٣ :

«ولو لبس النهار بنو كليب» .

ومثله قول الآخر :

وَلَوْ أَنَّ عَبْدَ الْقَيْسِ تَرَمَى بِلُؤْمِهَا * عَلَى اللَّيْلِ لَمْ تَبْدُ النُّجُومُ لِمَنْ يَسِيرُ

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تَبَيَّتُونَ فِي الْمَشْتَى مِلَاءً بِطُونُكُمْ * وَجَارَاتُكُمْ غَرَّتِي يَبْتَنُ نَحَائِصًا

- وهذا البيت من أبيات، ولها سبب نذكره الآن في هذا الموضع وإن كان خارجا
عن مكانه، وذلك : أن عامر بن الطفيل بن مالك وعلقمة بن علاثة تنازعا الزعامة،
فقال عامر : أنا أفضل منك، وهى لعمى ولم يمت، وعمه عامر بن مالك بن جعفر
أبن كلاب وكان قد أهرق وسقط، وقال علقمة : أنا أفضل منك، أنا عفيف وأنت
عاهر، وأنا وفى وأنت غادر، وأنا ولود وأنت عاقر، وأنا أدنى الى ربيعة، فتداعيا الى
هَرَم بن قُطبة ليحكم بينهما، فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من الإبل : مائة
يطعمها من تبعه، ومائة يُعطيها للهاكم، ومائة تُعقر إذا حكم، فأبى هرم بن قُطبة
أن يحكم بينهما مخافة الشر، وأبى أن يرتحلا، فخلا هَرَم بعلقمة وقال له : أترجو أن
ينفرك رجل من العرب على عامر فارس مُضر، أندى الناس كفا، وأشجعهم لقاء!
لَسِنَانُ رَحِ عامر أذكُر في العرب من الأحوص، وعمه مُلاعب الأسنّة، وأمه كبشة
بنت عروة الرّحال، وجدّته أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضّحّياء، وأملك من
النّخع، وكانت أمّه مهيّرة، وأم علاثة أخيدة من النّخع، ثم خلا بعامر فقال له :
أعلى علقمة تفخر ! أنت تتساوئه ! أعلى ابن عوف بن الأحوص أعفّ بنى عامر
وأيمّهم نقيبة، وأحلمهم وأسودهم، وأنت أعور عاقر مشئوم ! أما كان لك رأى يزَعُك

(١) كذا في الأغاني وديوان المعاني والقاموس والمعارف لابن قتيبة . وفي الأصول : « هرم بن

قطنة » بالنون وهو تحريف .

(٢) نفر عليه : قضى له بالغلبة عليه .

عن هذا! أ كُنْتَ تظنُّ أن أحدا من العرب يُنفرك عليه ! فلما اجتمعوا وحضر الناس للقضاء قال : أنتما كركبتي الجمل فتراجعا راضيين .

قال العسكري : والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئا فيهما ، ولو قال : أنتما كركبتي الجمل لقال كل واحد منهما : أنا اليمنى ، فكان الشرّ حاضرا — قال : وسأله عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بعد ذلك بحين : لمن كنت حاكما لو حكمت ؟ فقال : أعفني يا أمير المؤمنين ! فلو قلتها لعادت جذعة . فقال عمر : صدقت ! مثلك فليحكم — قال : فارتحلوا عن هريم لما أعياهم نحو عكاظ ، فلقبهم الأعشى منحدرا من اليمن — وكان لما أرادها قال لعلقمة : أعقد لى حبلا ، فقال : أعقد لك من بنى عامر ؟ قال : لا يغنى عني ، قال : فمن قيس ؟ قال : لا ، قال : فما أنا بزائدك ، فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض ، فقبل له : كيف تجيره من أهل السماء ؟ قال : إن مات ودَيْتُهُ — فقال الأعشى لعامر : أظهر أنكما حكمتماي ففعل — فقام الأعشى ورفع عَقِيرَتَهُ (أى صوته) فى الناس فقال :

حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ * أبلج مثل القمر الزاهر
لا يأخذ الرشوة فى حكمه * ولا يبالي خسر الخاسر
علمم ما أنت الى عامر الناقض الأوتار والواتر
واللابس الخيل بخيل اذا * ثار عجاج الكبة الثائر
إن تسد الحوص فلم تعدهم * وعامر ساد بني عامر
ساد وألفى رهطه سادة * وكابرا سادوك عن كابر

(١) كذا فى الأغاني طبع بولاق (ج ١٥ ص ٥٢) وفى الأصول : « لالست ... الخ » .

(٢) كذا فى الأصول . وفى الأغاني وديوان المعاني : « الناقص » بالصاد المهملة .

(٣) فى ديوان المعاني : « واللامس الخيل ... الخ » .

(٤) الكبة : الحملة فى الحرب ، يقال كانت لهم كبة فى الحرب أى صرخة .

قال : وشد القوم في أعراض الإبل المائة فعقروها وقالوا : نُفّر عامر، وذهبت بها الغوغاء، وجهد علقمة أن يردّها فلم يقدر على ذلك، فجعل يتهتّد الأعشى، فقال :

أتانى وعيد الحوص من آل عامر * فيا عبد عمرو لو نهيت الأحوصا
فما ذنبنا إن جاش بحر ابن عمك * وبحرك ساج لا يوارى الدّامصا^(١)
كلا أبويكم كان فرع دعامية^(٢) * ولكنهم زادوا وأصبحت ناقصا
تبيتون في المشتى ملاء بطونكم * وجاراتكم غرثى يبتن نحائصا
يراقبن من جوع خلال مخافة * نجوم العشاء العائمات الغوامصا
رمى بك في أنحرام تركك الندى^(٣) * وفضل أقواما عايك مراھصا
فعض حديد الأرض إن كنت ساخطا * بفيك وأحجار الكلاب الرواهصا

قال فبكى علقمة لما بلغه هذا الشعر، وكان بكاءه زيادة عليه في العار، والعرب
تعيّر بالبكاء، قال مهلهل^(٤) :

يُبكي علينا ولا نبكى على أحد * لنحن أغلظ أكبادا من الإبل

وقال جرير :

بكى دؤبل لا يرقى الله دمه * ألا إنما يبكى من الذل دؤبل

قال عبد الملك بن مروان لأمية^(٥) : مالك وللشاعر^(٦) إذ يقول :

إذا هتف العصفور طار فؤاده * وليث حديد الناب عند الثرائد

(١) الدعامص : جمع دعموص وهى دويبة صغيرة فى مستنقع الماء، وقيل تغوص فيه .

(٢) كذا فى شعراء النصرانية . وفى الأصول : « كان فرعا ... الخ » .

(٣) فى اللسان مادة « رهص » : « ... العلا * وفضل أقوام ... الخ » . والمراھص : الدرج

(٤) كذا فى الأصول، وفى عيون الأخبار (مجلد ثان ص ١٩٢) : أن هذا البيت من قول المخبل .

(٥) فى الأمالى طبع دار الكتب المصرية (ج ٢ ص ١٥٧) : أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

(٦) هو حنّان بن عمرو كما فى الأمالى . وقد ورد فيه هذا الخبر كما هنا مع اختلاف فى بعض الكلمات .

فقال : أصابه حُدٌّ من حدود الله فأقمتُه عليه ؛ قال : فهَلَّا دَرَأْتَهُ عَنْهُ بِالشُّهُمَاتِ ؟
قال : كان أهونَ عليَّ من أن أُعْطِلَ حَدًّا من حدود الله ؛ فقال : يا بني أُمِية ! أحسابكم
أحسابكم ، أنسابكم أنسابكم ، لا تعرضوا [ها] للفصحاء ، فإن للشعر مواسم لا يزيدُها الليل
والنهار إلا جِدَّةً ، والله ما يسرنى أَى هُجِيتَ بيت الأعشى حيث يقول : تيتوب
في المشتى الخ ولى الدنيا بخذا فيرها ، ولو أن رجلا خرج من عَرَضِ الدنيا كان قد أخذ
عوضا لقول ابن حُرثان :

على مكثريهم حقٌ من يعتريهم * وعند المقلين الساحةُ والبذلُّ^(١)

وهذا البيت لزهير .

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الحطيئة في الزَّبرقان بن بدر :

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لُبُغَيْتِها * وأَقْعُدْ فإنك أنت الطاعِمُ الكاسِي

ولهذا الشعر حكاية نذكرها في أخبار الحطيئة في البخلاء . وقيل : آتفق جماعة

من الشعراء على أن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق في جرير :

أنتم قرارة كلِّ معدِنِ سَوَّءٍ * ولكلِّ سائلة تسيل قَرَارُ^(٢)

أخذه أبو تمام فقال :

وكانت زفرة ثم أطمأنت * كذاك اكل سائلة قَرَارُ^(٣)

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير :

ما زال فينا رباط الخيل مُعَلِّمة * وفي كليب رباط اللؤم والعار

قوم إذا استنبح الأضياف كآبهم * قالوا لأهمهم بولى على النار

(١) في الأعاني طبع بولاق (ج ٩ ص ١٥٤) في ترجمة زهير وفي الأملال : (... رزق ... الخ » .

(٢) رواية نقائض جرير والفرزدق ص ٨٧٠ قصيدة رقم ٩٣ : « .. كل مدفع ... * .. وكل دافعة تسيل الخ » .

(٣) في ديوان أبي تمام طبع مصر ص ٧٠ : « وكانت لوعة ... الخ » .

قالت بنو تميم : ما نُجِينَا بشيء هو أشد علينا من هذا البيت ، وهو يتضمن وجوها شتى من الذم : جعلهم بخلاء بالقرى ، وجعل أمهم خادمتهم ، يأمرونها بكشف فرجها ، وجعلهم يخلون بالماء أن يطفئوا به النار ، وجعل نارهم من قلتها تطفأ ببولة ، وأغرى بينهم وبين المجوس ، لتعظيم المجوس النار ، وإهانتهم لها إلى غير ذلك .

٥

وقالوا : أجهى بيت قالته العرب قول الطرمح :
تميمٌ بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت طرق المكارم ضلت

وقيل : أجهى بيت قالته العرب قول الأعرابي :

اللؤمُ أكرمُ من وبرٍ ووالده * واللؤمُ أكرمُ من وبرٍ وما ولدا
قوم إذا ما جنى جانبيهم آمنوا * من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

١٠

وقال مسلم بن الوليد يهجو دعبلا الخزاعي :

أما الهجاء فدق عرَضُك دُونَهُ * والمدح عنك كما علمت جليلُ
فأذهب فأنت طليق عرَضُك إنَّهُ * عرضُ عززت به وأنت ذليلُ

وكان سبب ذلك أنه كان بخراسان عند الفضل بن سهل ، فبلغ دعبلا ما هو فيه من الحظوة عنده ، فصار إلى مرو ، وكتب إلى الفضل بن سهل :

١٥

لا تعبانُ بأبن الوليد فإنه * يرميك بعد ثلاثة بملالٍ
إن الملول إذا تقدم عهدُهُ * كانت مودته كفىء ظلال

فدفع الفضل الرقعة إلى مسلم ، فلما قرأها قال : هل عرفت لقب دعبل وهو غلام أمرد يُفسق به ؟ فقال : لا ، قال : كان يُلقب بمياس ، وكتب إليه :

مياسُ قل لي أين أنت من الورى * لا أنت معلوم ولا مجهول

٢٠

أما الهجاء الخ . ومنه أخذ إبراهيم بن العباس فقال :

فكن كيف شئت وقُلْ ما تشاء * وأبرق يمينا وأرعِدْ شَمَالَا
نجا بك لؤمك منجى الذباب * حمته مقاديره أن ينالَا

وأنشد الجاحظ :

ووثقت أنك لا تسد * ب حماك لؤمك أن تسبَا^(١)

٥

وقال آخر :

بذلة والديك كسيت عزا * وباللؤم أجترأت على الجواب

وقال آخر :

دناءة عرضك حصن منيع * يقيك إذا ساء منك الصنيع
فقل لعدوك ما تشتهى * فأنت المنيع الرفيع الوضيع

١٠

وقال أبو نؤاس :

ما كان لو لم أهجه غالب * قام له هجوى مقام الشرف
يقول قد أسرف في هجونا * وإنما ساد بذاك السرف
غالب لا تسع لتبنى العلا * بلغت مجدا بهجائى فقف
قد كنت مجهولا ولكنى * توهمت بالمجهول حتى عرفت

١٥

وقال أبو هلال العسكري :

أهنت هجائى يابن عروة فانتحى * على ملام الناس فى البعد والقرب
وقالوا أتهجو مثله فى سقوطه * فقلت لهم جربت سيفى^(٢) فى كلب

(١) كذا فى ديوان المعانى وفى الأصول : « أن تنالَا » .

(٢) فى هامش ديوان المعانى : « جردت سيفى على الخ » .

وقال ابن لَنَكْكَ :

وعُصْبِيَّةٌ لَمَّا تَوَسَّطْتُهُمْ * صارت على الأرض كالخاتم
كانهم من سوء أفهامهم * لم يخرجوا بعد إلى العالم
يضحك إبليس سروراً بهم ^(١) * لأنهم عارٌّ على آدم

وقالوا : أهجى بيت قاله محدث قول الآخر :

قُبِحَتْ مَنَاطِرُهُمْ فحين خبرتهم * حُسِنَتْ مَنَاطِرُهُمْ لقبح المخبر

وقال العسكري : ولست أعرف في الهجاء أبلغ من قول الأَوَّل :

إن يفجروا أو يغدروا * أو يخلوا لم يحفلوا
وغدوا عليك ^(٢) مرحلاً * بين كأنهم لم يفعلوا

ومن البايغ قول حسان :

أبناء حار فلن ^(٣) تلقى لهم شها * إلا التيوس على أكتافها ^(٤) الشَّعْرُ
إن نافروا ^(٥) نفروا أو كثروا كثروا * أو قامروا الزنج عن أحسابهم قُمرُوا
كأن ريحهم في الناس إن خرجوا * ريح الكلاب إذا ما مسها المطرُ

(١) كذا في الأصول وديوان المعاني . وفي يتيمة الدهر (ج ٢ ص ١٢٦) : « إذ زارهم الخ »

(٢) كذا في الراغبة وأحد الأصولين الفوتوغرافين . وفي الأصل الآخر وديوان المعاني ١٥
« مرجلين » بالجمع المعجمة .

(٣) في ديوان حسان طبع ليدن ص ٨١ : « حام » .

(٤) في النسخة الراغبة وأحد الأصولين وديوان المعاني : « على أكتافها » .

(٥) رواية الديوان :

٢٠ ان سابقوا سبقوا أو نافروا نفروا * أو كثروا أحدا من غيرهم كثروا
شبه الإمام فلا دين ولا حسب * لو قامروا الزنج عن أحسابهم قُمرُوا

وقال أيضا :

أبوك أبو سَوْءٍ وخالُك مثله * ولستَ بخيرٍ من أبيك وخالِكَ
وإنَّ أحقَّ الناسَ ألاَّ تلومَه * على اللؤم من ألفى أباه كذا

وقال آخر :

سَلِ اللهَ ذا المَنِّ من فضله * ولا تسألنَّ أباً وإِلهَهُ
فما سأل اللهَ عبدٌ له * نخاب ولو كان من باهله

وقال آخر :

ولو قيل للكلب يا باهلي * لأعول من قُبُح هذا النسب

وقال زياد : ما هُجيتُ ببيتٍ قطَّ أشدَّ على من قول الشاعر :

فكَّرُ ففَى ذاك إن فَكَّرْتَ معتبرٌ * هل نلتَ مكرُمةً إلا بتأميرِ
عاشت سُميَّةٌ ما عاشت وما علمت * أن آبنها من قريش في الجماهير

وقال إبراهيم بن العباس^(١) :

ولما رأيتُك لا فاسقاً^(٢) * تُهابُ ولا أنت بالزاهدِ
وليس عدوك بالمتَّقِ^(٣) * وليس صديقك بالحامدِ
أتيت بك السوقَ سوقَ الهوان^(٤) * فناديت هل فيك من زائدِ
على رجلٍ غادرٍ بالصدقِ * كفورٍ لنعمائه جاحدِ
فما جاءني رجلٌ واحدٌ * يزيد على درهم واحد

(١) ذكرت هذه الأبيات في العقد الفريد (ج ٢ ص ١١٠) منسوبة لأعرابي ويختلف في بعض الألفاظ عما هنا .

(٢) في العقد الفريد : « ... لا فاجرا * قويا ... الخ » .

(٣) رواية العقد الفريد : ولا أنت بالرجل المتق * ولا أنت بالرجل العابد

(٤) كذا في الأصول . وفي العقد الفريد وديوان المعاني : « ... سوق الرقيق ... الخ » .

(١)
سوى رجلٍ حان منه الشقاء * وحلت به دعوة الوالد
فبعثك منه بلا شاهد * مخافة ردك بالشاهد
وأبت الى منزلي سالما * وحل البلاء على الناقد
وقال العسكري :

٥ إن كان شكك غير متفق * فكذا خلاك غير مؤلفه
صورت من نطف قد اختلفت * فأتت خلاك وهي مختلفة
من عصبية شتى اذا اجتمعوا * شبهت داركم بهم عرفه
فورثت من ذا قبح منظره * وورثت ذاك خناه أو صلفه

٨٤

وقال الحسن بن مطران شاعر اليتيمة :

١٠ كم غصت في مدحك فكرا على * درّ نفيس غير مثقوب
ولم يغص رأيك يوما على * يرى ولا رأى لمكذوب
إن كان موعودك في الجودلى * أكذب من موعود عرقوب
فإن أخبارك في مدحتي * أكذب من ذئب ابن يعقوب

وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الحريرة :

١٥ بليت بقوم ما لهم في العلايد * ولا قدم تسمى لبذل الصنائع
إذا نظرت عيني اليهم تنجست * برؤيتهم طهرتها بالمدامع

وقال المتنبي :

إن أوحشتك المعالي * فإنها دار غربه
(٢)
أو أنستك المخازي * فإنها بك أشبه

(١) رواية العقد الفريد : ... زادني دانقا * ولم أك في ذاك بالجاهد

(٢) في ديوان المتنبي ص ٣٣ طبع مصر : * فانها لك نسبة *

(١)

وقال أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحجاج :

ولقد عهدتك تشبهي * قربى وتستدعي حضوري
وأرى الخلفا بعد الوفا * مثل الفسا بعد البخور
يا خرية العدس الصمد * يبع النى والخبز الفطير
في جوف منحلل الطيب * عة والقوى شيخ كبير
يخرأ فيخرج سُرْمه * شبرين من وجع الزحير
يا فسوة بعد العشا * بالبيض والابن الكثير
وفطائر عُجْنَتْ بِلا ال * حانج الجريش ولا الخير
يا تن رأية الطيب * يخ إذا تغير في القدور
يا عَشَّ بيض القمل فرخ في السوالف والشعور
يا بول صبيان الفطا * م ويا خراهم في المجور
يا بغض تدخين الحشا * في الصوم من تُحْم السحور
يا حرَّ قَوْلنج البطو * ن وبرد أعصاب الظهور
يا ذلة المظالم أص * بيع وهو معدوم النصير
يا سوء عاقبة التعقُّد عند تمشية الأمور
يا كلَّ شيء مُتْعِب * متعقِّد صعب عسير
يا حيرة الشيخ الأصمَّ وحسرة الحدِّث الضمير
يا قعدة في دجلة * والريح تلعب بالجسور

٥

١٠

١٥

(١) في يتيمة الدهر (٢ ص ٢١١) : « الحسن » .

(٢) كذا في يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٢١٦) . وفي الأصول : يابعض تدخين الحشا .

(٣) كذا في يتيمة الدهر وفي الأصول : « ... التفقد عند تشبيه الخ » .

٢٠

يا قرحة السِّل التي * هَدَّتْ شراسيفَ الصدورِ
يا أربعاء لا تدو * ربه محاقاتُ الشهورِ^(١)
يا هدةَ الحيطان تُن * تقض بالمعاول والمُرورِ
يا قرحة في ناظرٍ * غلظوا عليها بالذُّرورِ^(٢)
فتساخت مع ما يليه * بها في الجفون من البثورِ
يا خيبة الأمل الذي * أمسى يعُمل بالغرورِ
يا غلمة المتخذرا * ت وراء أبواب القصورِ
يا وحشة الموتى إذا * صاروا إلى ظلم القبورِ
يا ضجرة المحموم بالـ * غدوات من ماء الشعيرِ
يا شؤم إقبال الشتاء * أضرَّ بالشيخ الفقيرِ
يا دولة الحزن التي * خسفت بأيام السُرورِ^(٣)
يا ضجة الصَّخب المصدع^(٤) بالتنازع والشُّرورِ
يا عثرة القلم المرشش بين أثناء السطورِ
يا ليلة العريان غب عشيّة اليوم المطيرِ
يا نومة في شمس آ * ب على التراب بلا حصيرِ
يا بفاة المكروه في الـ * يوم العبوس القمطيرِ
يا نهشة الكلب الرضيع^(٥) * مع ونكة الليث المصورِ

(١) كذا في يتيمة الدهر . وفي الأصول : « مخافات » وهو تحريف .

(٢) الذرور : ما يذرف في العين وعلى الجرح من الأدوية .

(٣) كذا في يتيمة الدهر . وفي الأصول « يا دولة الحسن » .

(٤) كذا في يتيمة . وفي الأصول : « ... الضجر المصدع * تدع بالتنازع ... الخ .

(٥) كذا في يتيمة . وفي الأصلين : « ياهمة » . وفي النسخة الراغية : « يانهمة » .

٥

١٠

١٥

٢٠

يا عيش عاين موثق * في القيّد مغلول أسير
يا حدة الرّمْد الذي * لا يستفيق من القُطور
يا عيشة الكناس من * شَمِّ الذرائر والعبير^(١)
يا حيرة العطشان وقد * بت الظهر في وسط الهجير
من لي بأن تلقاك خي * لُ بنى كلاب بلا خفير^(٢)
وأرى بعيني لَحْمَك الشَّطْبوخ في نار السَّعير
في الأرض ما بين السبا * ع وفي السما بين النُّسور

وقال المتنبي :

يمشى بأربعة على أعقابهِ * تحت العلوج ومن وراءِ يلجم
وجفونه ما تستقر كأنها * مطروفة أوفت فيها حصير
وتراه أصغر ما تراه ناطقا * ويكون أكذب ما يكون ويقسم
وإذا أشار مكلما فكأنه * قرد يقهقه أو عجوز تلطم^(٣)
يقلّ مفارقة الأكف قدأله * حتى يكاد على يد يتعمم

معين التارح^{حزوب}
لأهل التارح

ومما يذم به الرجل أن يكون ثقيلا . فأبلغ ما قيل في ذلك قول بعضهم :

وثقيل أشد من غصص المو * ت ومن زفرة العذاب الأليم
لو عصت ربها الجحيم لما كا * ن سواه عقوبة للجحيم

(١) كذا في النسخة . وفي الأصول : « في وسط الهجير » .

(٢) كذا في النسخة . وفي الأصول : « في حر الهجير » .

(٣) كذا في ديوان المتنبي والنسخة الراجية . وفي الأصلين : « يلقى » وهو تحريف .

وأبلغ ما قيل في هذا المعنى قول بشار :

ولقد قلتُ حينَ وتَدَّ في الأرْ * ض ثَقِيلُ أَرْبَى عَلَى شَهْلَانِ
كيفَ لم تَحْمِلِ الأمانةَ أرضُ * حَمَلَتْ فَوْقَهَا أبا سَفْيانِ



ومما هجى به أهلُ الوقتِ على الإطلاق ! فمن ذلك قول أبي هلال

العسكري :

دُكِّمَ حاجةٌ أنزلتُها * بكرِيمِ قَوْمٍ أو لئِيمِ
فإذا الكَرِيمُ من اللئيمِ * أو اللئيمُ من الكَرِيمِ
سَبَّحانَ رَبِّ قَادِرٍ * قَدَّ البريَّةَ من أديمِ
فَشَرِّفُهُم ووضيْعُهُم * سَيَّانَ في سَفَهٍ ولُؤمِ
قد قلَّ خيرٌ غنيَّهم * فغنيُّهم مثلُ العَدِيمِ
وإذا آخَبرتَ حميدَهم * أَلْفَيْتَهُمِ مثلَ الذَّمِيمِ



ومما قيل في هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم : فمن ذلك

قول أبي عُيَينة يهجو خالد بن يزيد المهلبي ويمدح أباه :

أَبوكَ لَنَا غَيْثٌ نَعِيشُ بفضايهِ * وَأنتَ جَرَادٌ لَيْسَ يَبْقَى ولا يَذَرُ^(١)
لَهُ أَثَرٌ في المَكْرُماتِ يَسْرُنَا * وَأنتَ تُعَفِّي دَائِبًا ذلكَ الأَثَرُ
لَقَدْ قَنَعْتُ حَقَّانُ خَزِيًّا بِخالدٍ * فَهَلْ لَكَ فِيهِ يُخْزِيكَ اللهُ يا مُضَرَّ^(٢)

(١) في الشعر والشعراء لابن قتيبة : « ... لست تبق ولا تذر . »

(٢) في الشعر والشعراء : « لقد خزيت حطان طرا الخ » .

وله في قَيْصَة بن رَوْح ، يُفَضَّل عليه أبن عمّه داود بن يزيد بن حاتم :
 أَقِيص لست وإن جهدت ببالغ * سعى أبن عمك ذى الندى داود
 شتان بينك يا قبيص وبينه * إن المذم ليس كالمحمود
 داود محمود وأنت مذم * عجباً لذك وأنتما من عود
 ولرب عود قد يشق لمسجد * نصفاً وسائرُه لحش يهودى

وقال حسان في أبي سفيان بن الحارث :

أبوك أب حر وأمك حرة * وقد يلد الحارّان غير نجيب
 فلا تعجبن الناس منك ومنهما * فما خبت من فضة بعجيب

ذكر ما قيل في الحسد

ومما يذم به الرجل ، أن يكون حسودا . وقد أمر الله تعالى نبيه
 عليه الصلاة والسلام ، أن يتعوذ من شر الحاسد إذا حسد .

قال ابن السّمّاك :

أنزل الله تعالى سورة جعلها عُوذَةً لخلقه من صنوف الشرّ ، فلما انتهت الى
 الحسد جعله خاتمة ، إذ لم يكن بعده فى الشرّ نهاية . والحسد أول ذنب عصى الله
 تعالى به فى السماء ، وأول ذنب عصى به فى الأرض ، أما فى السماء . فحسد إبليس
 لآدم ، وأما فى الأرض فحسد قابيل لهابيل . وذهب بعض أهل التفسير فى قوله
 عز وجل إخبارا عن أهل النار : ﴿ رَبَّنَا آَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا
 تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ أن المراد بالجن إبليس ، وبالإنس قابيل ،
 وذلك أن إبليس أول من سنّ الكفر ، وقابيل أول من سنّ القتل . وأصل ذلك
 كله الحسد .

وقال عبد الله بن مسعود : لا تُعَادُوا نِعَمَ اللَّهِ . فقليل له : ومن يُعَادِي نِعَمَ اللَّهِ ؟
 قال : الذين يُحْسِدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ . يقول الله تعالى في بعض
 الكتب : « الْحَسُودُ عَدُوٌّ نِعْمَتِي ، مَتَسَخِّطٌ لِقَضَائِي ، غَيْرُ رَاضٍ بِقِسْمَتِي » .
 وقالت الحكماء : إذا أراد الله أن يُسَاطَ على عبد عدوًّا لا يرحمه سَاطٌ عليه
 حاسدا .

وكان يقال في الدعاء على الرجل : طَلَبَكَ مِنْ لَا يَقْصَرُ دُونَ الظَّفَرِ . وحسدك من
 لَا يَنَامُ دُونَ الشِّفَاءِ .^(٢)

وقالوا : ما ظنُّك بعداوة الحاسد ، وهو يرى زوال نعمتك نعمةً عليه !

قال أبو الطيب المتنبي :

سوى وجع الحساد داوٍ فإنه * إذا حلَّ في قلبٍ فليس يحولُ^(٣)
 ولا تطمعن من حاسدٍ في مودةٍ * وإن كنت تُبديها له وتُنيلُ
 وقال البيهقي :

ومن البلية أن تُداوِيَ حَمْدَ مَنْ * نِعَمُ الإلهِ عليك مِنْ أَحْقَادِهِ

وقال علي رضي الله عنه : لا راحةَ لحسود ، ولا أخَ لملول ، ولا مُحِبَّ لسيِّئِ
 الخلق .

وقال الحسن : ما رأيت ظالماً أشبهَ بمظلوم من حاسد ؛ نفس دائم ، وحزن
 لازم ، وغيرة لا تنفد . ثم قال : لله دَرُّ الحسد ما أعدله ! يقتل الحاسد قبل أن يصلَ
 إلى المحسود .

(١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣١) من تسخط الشيء : لم يرضه وتكرهه ، وفي الأصل :

« مسخط » .

(٢) كذا في عيون الأخبار (المجلد الثاني ص ١٠٦ ، ١٠٧) وفي الأصل الشقاء وهو تحريف .

(٣) كذا في ديوان المتنبي (ص ٢٧٣) . وفي الأصول : « دا » وهو تحريف .

وقال الجاحظ : من العدل المحض والإنصاف الصحيح ، أن تحطَّ عن الحاسد نصف عقابه ؛ لأن ألم جسمه قد كفاك مؤونة شطر غيظك عليه .
وقيل : الحسد أن تمني زوال نعمة غيرك ، والغبطة أن تمني مثل حال صاحبك .
وفي الحديث : " المؤمن يغبط والمنافق يحسد " .

وقال أرسطوطاليس : الحسد حسدان : محمود ومذموم ؛ فالمحمود : أن ترى عالما قشتهى أن تكون مثله ، وزاهدا قشتهى مثل فعله ؛ والمذموم أن ترى عالما وفاضلا قشتهى أن يموتا . وقيل : الحسود غضبان على القدر ، والقدر لا يعتبه .
قال منصور الفقيه :

ألا قل لمن كان لى حاسدا * أتدرى على من أسأت الأدب
أسأت على الله فى فضله * إذا أنت لم ترض ما قد وهب

وقال المتنبي :

وأظلم أهل الأرض من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب

ومن أخبار الحسدة : ما حكى أنه آجتمع ثلاثة نفر منهم ، فقال أحدهم لصاحبه : ما بلغ من حسدك ؟ قال : ما آشتهيت أن أفعل بأحد خيرا قط ؛ فقال الثانى : أنت رجل صالح ، أنا ما آشتهيت أن يفعل أحد بأحد خيرا قط ؛ فقال الثالث : ما فى الأرض أفضل منكما ، أنا ما آشتهيت أن يفعل بى أحد خيرا قط .



ومما قيل من الشعر فى تفضيل المحسود ومدحه ، وهجاء الحاسد وذمه :

قال بعض الشعراء :

إن يحسدونى فإننى غير لائهم * قبلنى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم * ومات أكثرنا غمًا بما يجد

وقال آخر :

إنَّ الغرابَ وكان يمشى مشيةً * فيما مضى من سالف الأحوال
حَسَدَ القِطَاةَ ورامَ يمشى مشيًا * فأصابه ضَرْبٌ من العُقَالِ^(١)

وقال آخر :

حَسَدُوا الفَتَى إذ لم ينالوا سَعِيَهُ * فالقومُ أعداءُ له وخصومُ
كضرائِرِ الحَسَنَاءِ قُلْنَ لوجهيها * حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهُ لَذَمِيمٌ^(٢)

وقال البُحْتَرِيُّ :

لا تحسُدوه فَضْلَ رَبَّتِهِ التي * أَعَيْتُ عَلَيْكُمْ وَأَفْعَلُوا كِفَعَالِهِ

وقال السَّيرِيُّ الرَّفَاءُ :

نالت يَدَاهُ أَقاصِيَ المَجْدِ الذي * بَسَطَ الحَسودُ إِلَيْهِ باعًا ضَيْقًا
أَعْدُوهُ هَلْ لِلسَّمَاءِ جَرِيرَةٌ * فِي أَنَّ دَنَوْتَ مِنَ الحَضِيضِ وَحَلَقًا
أَمْ هَلْ لِمَنْ مَلَأَ اليَدَيْنِ مِنَ العَلَا * ذَنْبٌ إِذَا مَا كُنْتَ مِنْهَا مُمْلِقًا

وقال أبو تمام الطائي :

وإذا أراد الله نَشْرَ فضيلةٍ * يوما أتاح لها لِسَانَ حَسودٍ^(٣)
لولا أَشْتَعَالَ النارُ فيما جاورَتْ * ما كان يُعْرِفُ طِيبُ عَرَفِ العُودِ

وقال البُحْتَرِيُّ :

ولن تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمَةٍ * إذا أنت لم تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحاسِدٍ

(١) العقال : ظلع يأخذ في قوائم الدابة .

(٢) كذا في الأصول ، وهي رواية ثعلب ، قال صاحب اللسان : وقد رد ذلك عليه ، والأصح رواية

(إنه لذميم) بالبدال المهملة .

(٣) أثبتنا فيما تقدم ص ٩٢ من هذا الجزء أن رواية الديوان : « طويت » .

وقال محمد بن مُنَازِر :

يَا أَيُّهَا الْعَائِي وَمَا بِي مِنْ * عَيْبٍ إِلَّا تَرَعَوِي وَتَزْدَحِرُ^(١)
 هَلْ لَكَ عِنْدِي وَتَرْفُطِلْبُهُ * أَمْ أَنْتِ مِمَّا أُتَيْتَ مُعْتَذِرُ
 إِنْ يَكُ قَسَمُ الْإِلَهِ فَضَّلَنِي * وَأَنْتِ صَلَدٌ مَا فِيكَ مُعْتَصِرُ
 فَالْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالشَّاءُ لَهُ * وَلِلْحَسودِ التُّرَابُ وَالْجَحَرُ
 مَاذَا الَّذِي يُجْتَنِي جَلِيسُكَ أَوْ * يَبْدُو لَهُ مِنْكَ حِينَ يُخْتَبِرُ
 اقْرَأْ لَنَا سُورَةً تُذَكِّرُنَا * فَإِنَّ خَيْرَ الْمَوَاعِظِ السُّورُ
 أَوْصِفْ لَنَا الْحُكْمَ فِي فَرَائِضِنَا * مَا تَسْتَحِقُّ الْأُنْثَى أَوْ الذَّكَرُ
 أَوْ أَرُوْفَقْمَهَا تُرَوِي الْقُلُوبَ بِهِ * جَاءَ بِهِ عَنْ نَيْنَا الْأَثَرُ^(٢)
 أَوْ مِنْ أَحَادِيثِ جَاهِلِيَّتِنَا * فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ وَمُفْتَخَرُ^(٣)
 أَوْ أَرَوْعَ فَارِسٍ لَنَا مَثَلًا * فَإِنَّ أَمْثَالَهَا لَنَا عِبَرُ
 أَوْ غَنَّ صَوْتًا تُشْجِي النُّفُوسَ بِهِ * وَذَنْبٌ مَا قَدْ أُتَيْتَ مُغْتَفَرُ
 فَإِنْ تَكُنْ قَدْ جَهِلْتَ ذَلِكَ وَذَا * فَفِيكَ لِلنَّاظِرِينَ مُعْتَبَرُ

ذكر ما قيل في السعاية والبغى والغيبة والنميمة

قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ . وقال تعالى : ﴿ثُمَّ
 بَغَى عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ . وقال تعالى : ﴿هَمَّا زِمَّاءُ بَنِي مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ عَتَلُ
 بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٣ ، وفي الأصل : « يا أيها العائِي ... * عتب ... » .

(٢) رواية العقد الفريد : « ... تحيا ... الخ » .

(٣) رواية العقد الفريد : « أومن أعاجيب ... ومعتبر » .

الآخر فلا يرفعن إلينا عورة أخيه المؤمن“ . وقال صلى الله عليه وسلم : ”لا يُرَاحُ القَتَّاتُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ“ . وفي لفظ : ”لا يدخل الجنة قتاتٌ“ . والقَتَّات : التَّمَام .

قال بعض الشعراء :

(١) فلا تسع على أحدٍ بَغْيِي * فَإِنَّ الْبَغْيَ مَصْرَعُهُ وَخِيمٌ

وقال العتابي :

بَغَيْتَ فَلَمْ تَتَّعْ إِلَّا صَرِيحًا * كَذَاكَ الْبَغْيُ مَصْرَعُ كُلِّ بَاغِي
(٢) وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخثعمي ، فقال لأصحابه : إذا شئتم فقوموا . فلما تهيأ الرجل للكلام قال له : إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسى منك ، أو تكذبني فإنه لا رأى ليكذوب ، أو تسعني إلى بأحد ، وإن شئت أقلبك ، قال : أقلني .

قال : ولما ولي عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك دِمَشْقَ ، ولم يكن في بني أُمَيَّةِ ألب منه ، مع حداثة سنّه ، قال أهل دمشق : هذا غلام شاب ، ولا علم له بالأمور ، وسيسمع منا ، فقام إليه رجل فقال : أصالح الله الأمير ، عندي نصيحة ، فقال له : ياليت شعري ما هذه النصيحة التي آبتدأتني بها من غير يدٍ سبقت مني إليك ؟ فقال : جار لي عاص متخلف عن نَعْرِهِ ، فقال له : ما آتقت الله ، ولا أكرمت أميرك ، ولا حفظت جوارك ، إن شئت نظرنا فيما تقول ، فإن كنت صادقاً لم ينفعك ذلك عندنا ، وإن كنت كاذباً عاقبناك ، وإن شئت أقلناك ، قال : أقلني ، قال : أذهب حيث شئت ، لا صحبك الله ! ثم قال : يا أهل دِمَشْقَ ، أما أعظمت ما جاء به الفاسق ! إن السّعاية أحسبُ منه سجيّةً . ولولا أنه لا ينبغى

(١) دخل في هذا البيت الكف وهو حذف السابغ الساكن . (٢) كذا في العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ، وفي الأصول : «إذا شئتم فقوموا» . (٣) كذا في تذكرة الصفدى . وفي الأصول : «في» .

للوالى أن يعاقب قبل أن يُعاتب ، كان لى فيه رأى . فلا يأتنى أحد منكم بسعاية على أحد ؛ فإن الصادق فيها فاسق ، والكاذب بهت .

وسعى رجل برجل إلى عُمَرَ بن عبد العزيز رضى الله عنه ، فقال : إن شئت نظرنا فى أمرك ، فإن كنت كاذبا فأنت من هذه الآية : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴾ وإن كنت صادقا فأنت من هذه الآية : ﴿ هَمَّازٍ مَشَاءٍ نَمِيمٍ ﴾ وإن شئت عفونا عنك ؛ قال : العفو يا أمير المؤمنين ؛ قال : على ألا تعود .

وكتب محمد بن خالد إلى ابن الزيات أن قوما صاروا إليه مُتَنَصِّحِينَ ، فذكروا أن رُسُوما للسلطان قد عَفَّتْ ودرست ، وأنه توقف عن كشفها إلى أن يعرف مَوْقِعَ رأيهِ فيها ؛ فوقع على رُفْعَتِهِ : قرأت هذه الرُقعة المذمومة ، وسُوق السُّعاة مُكْسِدٌ عندنا ، وألسنتهم تَكِلُّ فى أيادنا ؛ فاحمل الناس على قانونك ، وخذهم بما فى ديوانك ؛ فلم ترد للناحية لكشف الرسوم العافية ، ولا لِتُحْيِي الأعلام الدائرة ، وجنبني وتجنب قول جرير :

وكنْتَ إِذَا حَالَتْ بدار قومٍ * رَحَلَتْ بِخِزْيَةٍ وتركت عَارَا

قالوا : وكان الفضل بن يحيى يكره السُّعاة ، فاذا أتاه ساع قال له : إن صدقنا أبغضناك ، وإن كذبتنا عاقبناك ، وإن استقلتنا أقولناك .

وحكى صاحب العقد قال : قال العُتْبِيُّ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعِيدِ الْقَصْرِىِّ قال : نظر إلى عمرو بن عُتْبَةَ ورجل يشتم بين يدي رجلا ، فتمال لى : وَيْلَكَ ! — وما قال لى ويلىك قبلها — نَزَّ سمعك عن أستماع الخنا ، كما تَنَزَّهُ لسانك عن الكلام به ؛ فإن السامع شريك القائل ، وإنه عمَّد إلى شرِّ ما فى وعائه فأفرغه فى وعائك ؛ ولو

رَدَّتْ كَلِمَةً جَاهِلٌ فِي فِيهِ لَسَعِدَ رَأْدُهَا ، كَمَا شَقِيَ قَائِلُهَا ، وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى شَرِيكَ الْقَائِلِ ، فَقَالَ : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّخْتِ ﴾ .



وَمِمَّا قِيلَ فِي الْغَيْبَةِ وَالنَّمِيمَةِ : رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا قُلْتَ فِي الرَّجُلِ مَا فِيهِ فَقَدْ آغْبَيْتَهُ ، وَإِذَا قُلْتَ مَا لَيْسَ فِيهِ فَقَدْ بَهَّتَهُ » .

إِغْتَابَ رَجُلٌ رَجُلًا عِنْدَ قُتَيْبَةَ بْنِ مَسْلَمٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ ، وَاللَّهِ لَقَدْ تَلَمَّظْتَ بِمُضْغَةٍ طَالَمَا لَفَظَتْهَا الْكَرَامُ .

وَذُكِرَ فِي مَجْلِسِهِ رَجُلٌ ، فَنَالَ مِنْهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، أَوْحَشْتَنَا مِنْ نَفْسِكَ ، وَأَيَّاسْتَنَا مِنْ مَوَدَّتِكَ ، وَدَلَلْتَنَا عَلَى عَوْرَتِكَ .

وَأَغْتَابَ رَجُلٌ عِنْدَ بَعْضِ الْأَشْرَافِ ، فَقَالَ لَهُ : قَدْ آسْتَدَلَلْتُ عَلَى كَثْرَةِ عَيُوبِكَ بِمَا تَذْكُرُ مِنْ عَيْبِ النَّاسِ ، لِأَنَّ الطَّالِبَ لِلْعَيُوبِ إِنَّمَا يَطْلُبُهَا بِقَدَرِ مَا فِيهِ مِنْهَا ، أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

لَا تَهْتِكُنْ مِنْ مَسَاوِي النَّاسِ مَا سَتَرُوا * فِيهِتَكَ اللَّهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ
وَأَذْكُرْ مُحَاسِنَ مَا فِيهِمْ إِذَا ذُكِرُوا * وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِمَا فِيكَ

وَقَالَ أَبُو عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَذْكُرْ أَخَاكَ إِذَا غَابَ عَنْكَ بِمَا يُحِبُّ أَنْ يَذْكُرَكَ بِهِ ، وَدَعْ مِنْهُ مَا يُحِبُّ أَنْ يَدَعَ مِنْكَ .

(١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ١ ص ٢٣٧ ، وَفِي الْأُصُولِ : « عَلَيْهِ » .

(٢) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ج ٢ ص ١٤ وَعَيُونَ الْأَخْبَارِ ج ١ ص ٢٣٧ : « غَابَ رَجُلٌ رَجُلًا » .

(٣) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ وَعَيُونَ الْأَخْبَارِ : « بِمَا تَكْثُرُ » .

(٤) فِي عَيُونَ الْأَخْبَارِ (مَجْلَدُ ثَانٍ ص ١٨) : « لَا تَلْتَمِسْ ... * فَيَكْشِفُ ... الْخ » .



وقال بعض الملوك لولده وهو وليّ عهده : يا بُنَيَّ ، ليكنْ أبغضُ رعيّتك إليك أشدّهم كشفًا لمعايب الناس عندك ، فإنّ في الناس معائب وأنت أحقّ بسِتْرِها ، وإنما تحكّم فيما ظهر لك ، والله يحكّم فيما غاب عنك ، وأكره للناس ما تكرهه لنفسك ، وأسِتر العورة يسِتر الله عليك ما تُحبّ سِتْرَه ، ولا تعجلْ الى تصديق ساع ، فإن الساعي غاشٌّ وإن قال قولٌ نصّح .

وَوَشَى وَاِشَّ رجل الى الإسكندر ، فقال له : أُنْجِبْ أن نقبل منك ما قالت فيه ، على أن نقبل منه ما يقول فيك ؟ قال : لا ، قال : فَكُفَّ عن الشريكف عنك . وقال ذو الرّياستين^(١) : قَبُول النِّمِمة شرٌّ من النِّمِمة ، لأن النِّمِمة دَلالة ، والقبول إجازة ، وليس من دَلَّ على شيء كمن قَبِلَه وأجازه .

قال أبو الأسود الدؤليّ :

لَا تَقْبَلِ نِمِمةً بُلِّغَتْهَا * وَتَحْفَظَنَّ مِنَ الذّي أَنبَاكُهَا

إِنْ الذّي أَهْدَى إِلَيْكَ نِمِمةً * سَيَنْمُ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكُهَا

وقال رجل لعمر بن عبّيد : إن الأسوارى لم يزل يذكرّك ويقول : الضالّ ، فقال عمرو : يا هذا ! والله ما راعيت حقّ مجالستِه حين نقلت إلينا حديثَه ، ولا راعيت حقّ حين أبلغتني عن أخى ما أكرهه ، اعلم أن الموت يعمّنا ، والبعث يَحْشُرُنَا ، والقيامة تجمعنا ، والله يحكم بيننا [وهو خير الحاكمين] .

(١) وردت هذه العبارة في عيون الأخبار المجلد الثاني ص ٢٣ بتفاوت في بعض كلماتها مع زيادة عما هنا .

(٢) رواية العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧

إِنْ الذّي أَنبَاكَ عَنْهُ نِمِمة * سَيَدْبُ عَنْكَ بِمِثْلِهَا قَدْ حَاكُهَا

(٣) كذا في تذكرة الصفدى وإحياء العلوم للغزالي ج ٣ ص ١١٩ ، وقد ضبطه في المشتبه للذهبي بضم الهمزة نسبة الى الأساورة من تميم ، وبفتحها نسبة الى قرية بأصبهان . وفي الأصول : « الأساورى » وهو تحريف . (٤) كذا في تذكرة الصفدى وإحياء العلوم للغزالي ، وفي الأصول : « حتى » .

(٥) زيادة عن الإحياء .

١٠

١٥

٢٠

وقال معاوية للأحنف في شيء بلغه عنه ، فأنكره الأحنف : بلغني عنك الثقة ، فقال الأحنف : إن الثقة لا يُبلغ .

قال بعض الشعراء :

لعمرك ما سبَّ الأميرَ عدوهُ * وإكنا سبَّ الأميرَ المبلغُ

وقال ابن المعتز^(١) : الساعي كاذب لمن سعى إليه ، خائن لمن سعى عليه .

وقالوا : النمام شرٌّ من الساحر ، فإن النمام يُفسد في الساعة الواحدة ما لا يفسده الساحر في المدة الطويلة .

وقالوا : النميمة من الخلال الذميّة ، تدلُّ على نفس سقيمة ، وطبيعة لئيمة ، مشغوفة بهتك الأستار ، وإفشاء الأسرار .

وقال بعض الحكماء : الأشرار يتتبعون مساوى الناس ويتركون محاسنهم ، كما يتتبع الذبابُ المواضع الالئة من الجسد ، ويترك الصحيحة .

وقالوا : لم يمش ماش ، شرٌّ من واش . والساعي بالنيمة كشاهد الزور ، يهلك نفسه ، ومن سعى به ، ومن سعى إليه .

وقالوا : " حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعِهِ " . وقد لهج الشعراء بذكر النمام ، وجعلوه

من أهاجيهم . قال بعض الشعراء :

من نَمَّ في الناس لم تُؤْمَنْ عقاربُهُ * على الصديق ولم تُؤْمَنْ أفاعِيهِ

كالسَّيل بالليل لا يدرى به أحدٌ * من أين جاء ولا من أين يأتيهِ

وقال السَّيرى الرَّفَّاء :

أَنْتُمْ بِمَا أَسْتُوْدِعْتَهُ مِنْ زُجَاجَةٍ * تَرَى الشَّيْءَ فِيهَا ظَاهِرًا وَهُوَ بَاطِنٌ

(١) في تذكرة الصغدي : « قال علي كرم الله وجهه : الساعي ظالم لمن سعى به خائن لمن سعى إليه » .

وقال محمد بن شرف :

وناصبٍ نحو أفواه الورى أذناً * كالفعب يلتقط فيها كل ما سقطاً
يظل يلتقط الأخبار مجتهداً * حتى إذا ما وعها زق ما لقطاً

وقال ابن وكيع :

يُنم بسر مستترعيه لئوما * كما نم الظلام بسر نار
أنم من النصول على مشيب * ومن صافي الزجاج على عتار

وقال الحسن البصري : لا غيبة في ثلاثة : فاسقي مجاهير ، وإمام جائر ،
وصاحب بدعة [لم يدع بدعته] .^(١)

وكتب الكسائي إلى الرقاشي :

تركت المسجد الجامع * مع والترك له ريبه
[فلا نافلة تقضى * ولا تقضى لمكتوبه]^(١)
وأخبارك تأتينا * على الأعلام منصوبة
فإن زدت من الغيب * لة زدناك من الغيبة

ذكر ما قيل في البخل واللؤم

والبخل : منع الحقوق . وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ
فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَأُخْرُوعُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا أَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ
خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خَلَّتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ الْبَخْلُ وَسُوءُ الْخُلُقِ " .

وقال بعض السلف : منع الجود سوء ظن بالمعبود ، وتلا : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ .

- ٥ وروى أبو بكر الخطيب في كتاب البخلاء بإسناده عن أبي هريرة ^(١) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لما خلق الله تعالى جنة عدن قال لها تزيني فترينت ، ثم قال لها أظهري أنهارك فأظهرت عين الساسبيل وعين الكافور وعين التسليم ونهر الخمر ونهر العسل ونهر اللبن ، ثم قال لها أظهري حورك وحالك وسرك وحجالك ، ثم قال لها تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني ، فقال الله عز وجل أنت حرام على كل بخيل " .

وقال سقراط : الأغنياء البخلاء بمنزلة البغال والحمر ، تحمل الذهب والفضة ، وتعتلف التبن والشعير .

وقالوا : البخل من سوء الظن ، ونحول المهمة ، وضعف الروية ، وسوء الاختيار ، والزهد في الخيرات .

- ١٥ وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما : البخل جامع للمساوى والعيوب ، وقاطع للمودات من القلوب .

وقالوا : حد البخل . منع المسترفد مع القدرة على رفده .

(١) ورد هذا الحديث في إحياء العلوم للغزالي (ج ٣ ص ١٩١) مرويا عن ابن عباس ويختلف

عما هنا بزيادة بعض كلمات .

(١)
 وكان أبو حنيفة لا يقبل شهادة البخيل ، ويقول محتجاً لذلك : إن البخيل يحمله
 بخله على أن يأخذ فوق حقه مخافة أن يُغبن ، ومن كان هكذا لا يكون مأمونا .
 وقال بشر بن الحارث الحافي : لا غيبة لبخيل ، ولشريطي سخي أحب إلي من
 عابد بخيل .

وقالوا : البخيل لا يستحق اسم الحرية ، فإن ماله يملكه .
 ويقال : لا مال للبخيل ، وإنما هو لماله .

وقال الحسن البصري : لم أر أشقى بماله من البخيل ، لأنه في الدنيا يهتم بجمعه ،
 وفي الآخرة يحاسب على منعه ، غير آمن في الدنيا من همه ، ولا ناج في الآخرة من
 إثمه ، عيشه في الدنيا عيش الفقراء ، وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء . ودخل
 رحمه الله على عبد الله بن الأهمم يعود في مرضه ، فرآه يصعد بصره ويصوبه الى
 صندوق في بيته ، ثم آلتفت اليه ، فقال : يا أبا سعيد ، ماتقول في مائة ألف دينار
 في هذا الصندوق لم أؤد منها زكاة ولم أصل بها رحماً ؟ فقال له : ثكلتك أمك !
 ولم كنت تجمعها ؟ قال : لروعة الزمان ، وجفوة السلطان ، وتكاثر العشيرة . ثم مات
 فشاهده الحسن ، فلما فرغ من دفنه ، ضرب بيده على القبر ، ثم قال : انظروا إلى هذا ،
 أتاه شيطانه نخوفه روعة زمانه ، وجفوة سلطانه ، بما أستودعه الله إياه ، وعمره فيه ،
 انظروا اليه كيف خرج مذموماً مدحوراً ! ثم آلتفت إلى وارثه ، فقال : أيها الوارث
 لا تُخدعن كما خدع صويحبك بالأمس ، أتاك هذا المال حلالاً ، فلا يكون عليك
 وبالا ، أتاك عفوا صفوا ، ممن كان له جموعاً منوعاً ، من باطل جمعه ، ومن حق
 منعه ، قطع فيه لحج البحار ، ومفاوز القفار ، ولم تكدح لك فيه عين ولم يعرق لك

فيه جبين ؛ إن يوم القيامة يوم ذو حسرات ، وإن من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك في ميزان غيرك ، فيا لها حسرة لا تُقال ، وتوبة لا تُنال ! .

ومن أخبار البخلاء : قيل : بخلاء العرب أربعة : الحطيئة ، وحميد الأرقط ، وأبو الأسود الدؤلي ، وخالد بن مفلح ، ونقلت عنهم أمور دأت على بخلهم .

- أما الحطيئة : فقد حكى عنه : أنه مرّ به ابن الحمامة ، وهو جالس بفناء بيته ، فقال له : السلام عليكم ، فقال : قلت ما لا يُنكر ، فقال : إني خرجت من [عند] أهلي بغير زاد ، قال : ما ضمنت لأهلك قرارك ، قال : أفتأذن لي أن آتي ظل بيتك فأتفياً به ؟ قال : دونك الجبل يفيء عليك ، قال : أنا ابن الحمامة ، قال : أنصرف وكن ابن أي طائر شئت . قال : وأعرضه رجل وهو يرعى غنما ، فقال له : يا راعي الغنم ، وكان بيد الحطيئة عصاً فرفعها ، وقال : عجراً من سلم ، فقال الرجل : إنما أنا ضيف ، فقال : للأضياف أعددتها [فأنصرف عنه] . وكان الحطيئة أحد الحمقى ، أوصى عند موته أن يُحمّل على حمار ، وقال : لعلّ إن حُملت عليه لا أموت ، فإني ما رأيت كريماً مات عليه قط . وقال : لكلّ جديد لذة^(١) ، إلا جديد الموت ، فإني رأيت غير لذيذ . وقيل له : أوص ، فقال : أوصي أن مالي للذكور دون الإناث ، قالوا : فإن الله ليس يقول كذلك ، قال : لكنني أقوله . وقالوا له : قل لا إله إلا الله ، فقال : أشهد أن الشياخ أشعر غطفان .

(١) زيادة عن الأغاني ج ٢ ص ١٧١ طبع دار الكتب .

(٢) وردت هذه العبارة في الأغاني ج ٢ ص ١٩٧ برواية تختلف عما هنا .

(٣) رواية الأغاني : قال أبلغوا أهل ضائي أنه شاعر حيث يقول :

لكل جديد لذة غير أنني * رأيت جديد الموت غير لذيذ

ومن أخباره : أن الزُّبرقان^(١) بن بدر لقيَه في سفرٍ، فقال له : مَنْ أنت ؟
فقال : أنا حَسَبُ موضوع ، أنا أبو مُلَيْكَةَ ، فقال له الزُّبرقان : إني أريد وَجْهًا^(٢) ،
فَصِرْ إلى منزلي ، وكن هناك حتَّى أرجع ، فصار الحُطَيْئَةُ إلى امرأة الزُّبرقان ،
فأنزلته وأكرمته ، فحسده بنو عمِّه ، وهم بنو لَآئِي ، فقالوا للحُطَيْئَةُ : إن تحولت إلينا ،
أعطيناك مائة ناقة ، ونُشُدُّ إلى كلِّ طُنب من أطناب بيتك جُلَّةً^(٣) هَجْرِيَّةً ، وقالوا
لأمرأة الزُّبرقان : إن الزُّبرقان إنما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته ، فمَدَحَ ذلك
في نفسها ، فلمَّا أراد القوم النُّجْمَةَ تخلف الحُطَيْئَةُ ، فتغافلت عنه امرأة الزُّبرقان ،
فأحتمله القَرِيْعِيُّونَ ووفَّوا له بما قالوا ، فمَدَحَهُمْ وهجا الزُّبرقان ، فقال :

أزمنتُ يأسًا مُبِينًا من نوالِكُم * ولا يَرى طاردا للحرِّ كالِياسِ
دع المكارِمَ لا ترحلْ لُبُغِيَّتِها * وأقعد فإنك أنت الطاعِمُ الكَاسِي
مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يَعمَدُ جَوَازِيَه * لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناسِ

فاستعدى الزُّبرقانُ عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فحكَّم عمرُ حسانَ
ابن ثابت ، فقال حسان : ما هجاء وَاكِن سَلَحَ عليه ، فحبس عمرُ الحُطَيْئَةَ فقال
يستعطفه :

(١) ذكر هذا الخبر في الأغاني (ج ٢ ص ١٨٠) بتبسط عما هنا .

(٢) أى جهة ، والمراد بها العراق كما في الأغاني .

(٣) كذا في الأغاني . والجلَّة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكثر فيه . وفي الأصل :

« حلة » تحويه وهو تحريف .

(٤) رواية الأغاني : « فقال عمر لحسان : أترأه هجاء ؟ قال : نعم وسلح عليه فحبسه عمر » .

ماذا تقول لأفراخ بذي مَرِج^(١) * حمير الحواصل لا ماء ولا شَجَر^(٢)
أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعَرٍ مُظْلِمَةٍ * فَاغْفِرْ عَلَيْكَ سَلَامَ اللَّهِ يَا عَمْرُ^(٣)
مَا آثَرُوكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَهَا * لَكِنْ لِأَنْفُسِهِمْ كَانَتْ بِكَ الْآثَرُ^(٤)

فأخرجه عمر وجلس على كرسى، وأخذ بيده شفرة، وأوهم أنه يريد قطع لسانه،
فضج وقال : إني والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أبي وأمي وأمرأتي ونفسي، فتبسم
عمر ثم قال : ما الذي قلت ؟ قال : قلت لأبي وأمي :

واقدر رأيك في النساء فسؤتني * وأبأ ببنك فسأني في المجلس

وقلت لأبي خاصة :

فبئس الشيخ أنت لدى تميم * وبئس الشيخ أنت لدى المعالي

وقلت لأمي خاصة :

تَنَحَّى وَأَجْلَسِي مِنِّي بَعِيدًا * أَرَاهُ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالِمِينَ^(٥)
أَغْرَبًا إِلَّا إِذَا اسْتُدْعِيَ سِرًّا * وَكَانُوا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ^(٦)

وقلت لأمرأتي :

أَطُوفُ مَا أَطُوفُ ثُمَّ آتَى^(٧) * إِلَى بَيْتِ قَعِيدَتِهِ لَكَاع

١٥ (١) يروى « بذي أمر » . وذكر صاحب القاموس في مادة « مرخ » أن ذا مرخ بالتحريك :
واد بالحجاز . وقال ياقوت : هو واد بين فذك والوابشية كثير الشجر، وأورد هذا البيت ، ثم قال :
والرواية المشهورة « بذي أمر » . وذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان .

(٢) في الأغاني : « زغب الحواصل » .

(٣) رواية الأغاني : « لم يأثروك » .

٢٠ (٤) الأثر : جمع أثره وهي المكreme المتوارثة .

(٥) الغزبال : يريد به التمام .

(٦) الكانون : يريد به الثقيل الوخم من الناس .

(٧) الرواية المشهورة في هذا البيت : « ثم آوى » .

وقلت لنفسى :

أبت شفتاي اليوم إلا تَكَلَّمَا * بسوء فما أدرى لمن أنا قائلُهُ^(١)
أرى لي وجهها شوه الله خلقه * ففُجِّحَ من وجهه وقُبِّحَ حاملُهُ

نخلى عمر سبيله ، وأخذ عليه ألا يهجو أحدا ، وجعل له ثلاثة آلاف اشترى بها منه
أعراض المسلمين ؛ فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف :

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع * شتمًا يضر ولا مديحا ينفع^(٢)
ومنعني عرض البخيل فلم يخف * شتمى وأصبح آمنا لا يجزع

وأما حميد الأرقط : فكان هجاء للضيف ، فخاشا عليه ، فنزل به ضيف ذات
ليلة ، فقال لأمراته : نزل بك البلاء ، قومي فأعدى لنا شيئا ، ففعلت ؛ فجعل

الضيف يأكل ويقول : ما فعل الحجاج بالناس ؟ فلما فرغ قال حميد :

يجز على الأطناب من جذل بيتنا * هجف لمخزون التَّحِيَّةِ باذلُ^(٣)
يقول وقد ألقى المراسى للقرى * ابن لي ما الحجاج بالناس فاعلُ
فقلت لعمري ما لهذا أتيتنا * فكل ودع الأخبار ما أنت آكلُ
تدبر كفاه ويحدر حلقه * الى الصدر ما حازت عليه الأناملُ^(٤)

أتانا ولم يعد له سحبان وائل * بيانا وعِلْمًا بالذى هو قائلُ
فما زال عنه اللقم حتى كأنه * من العي لما أن تكلم باقلُ

(١) رواية الأغاني : « بشر » .

(٢) رواية الأغاني : « وحميتنى ... اللثيم ... ذمى ... يفزع » .

(٣) لعله : « يحل » . والهجف : الجافى الثقيل .

(٤) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٧) :

« يجهر الى الزور ما ضمت ... الخ »

ونزل به أضياف ، فأطعمهم تمرًا وهجاءهم ، وادّعى عليهم أنهم يأكلونه بنواه ، فقال :
 باتوا وجلت لنا الصهباء ^(١) حولهم * كأن أظفارهم فيها السكاكين
 فأصبحوا والنوى ^(٢) على معرّسهم * وليس كل النوى تلقى المساكين

وأما خالد بن صفوان : فكان إذا أخذ جائزته ، قال للدرهم : طالمًا سرت
 في البلاد ، أما والله لأطيلن حبسك ، ولأدينن لبثك . وقيل له : مالك لا تنفق ،
 فإن مالك عريض ؟ فقال : الدهر أعرض منه ، قيل : كأنك تؤمل أن تعيش
 الدهر كله ، قال : ولا أخاف أن أموت في أوله . ^(٣)

وأما أبو الأسود الدؤلي : فعمل دكانا عاليا يجلس عليه ، فكان ربما أكل
 عليه فلا يناله المجتاز ، فمتر به أعرابي على جمل فعرض عليه أن يأكل معه ، وظن
 أنه لا يناله ، فأناخ الأعرابي بعيره حتى وازى الدكان ، وأكل معه ، فما جلس
 بعد ذلك على الدكان . وكان يقول : لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا
 منهم . وقال لبنيه : لا تطمعوا المساكين في أموالكم ، فإنهم لا يقنعون منكم حتى
 يروكم في مثل حالهم . ووقف عليه أعرابي وهو يتغذى ، فسلم عليه ، فردّ عليه ، ثم
 أقبل على الأكل ولم يعرض عليه ، فقال الأعرابي : أما إني قد مررت بأهلك ،
 قال : كان ذلك طريقك ، قال : وهم صالحون ، قال : كذلك فارقتهم ، قال :
 وأمراؤك حُبلى ، قال : كذلك كان عهدي بها ، قال : ولدت ، قال : ما كان بدّها
 أن تلد ، قال : ولدت غلامين ، قال : كذلك كانت أمها ، قال : مات أحدهما ،
 قال : ما كانت تقوى على رضاع اثنين ، قال : ثم مات الآخر ، قال : ما كان

(١) الجلة : قفة كبيرة للتمر .

(٢) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل : « ... ملق ... ألقى ... الخ » .

(٣) في العقد الفريد : « قال : لا ، ولكن أخاف ألا أموت في أوله » .

لِيَبْقَى بَعْدَ أَخِيهِ ، قَالَ : وَمَاتَتِ الْأُمُّ ، قَالَ : جَزَعًا عَلَى وَلَدَيْهَا ، قَالَ : مَا أَطِيبَ طَعَامَكَ ! قَالَ : ذَلِكَ جَزَائِي عَلَى أَهْلِهِ ، قَالَ : أَفَّ لَكَ مَا أَلَمَّكَ ! قَالَ : مِنْ شَاءِ سَبِّ صَاحِبِهِ .

ونظير هذه الحكاية : ما حُكِيَ أَنَّ أَعْرَابِيًّا مَرَّ بِآخَرٍ ، فَقَالَ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ يَا بَنَ عَمِّ ؟ قَالَ : مِنَ الثَّنِيَّةِ ، قَالَ : فَهَلْ أَتَيْتَنَا مِنْهَا بِخَبْرٍ ؟ قَالَ : سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ ، قَالَ : كَيْفَ عَلِمْتُكَ بِبَحْيٍ ؟ قَالَ : أَحْسَنَ الْعِلْمِ ، قَالَ : هَلْ لَكَ عِلْمٌ بِكَلْبِي نَفَّاعٍ ؟ قَالَ : حَارِسُ الْحَيِّ : قَالَ : فَبِأَمِّ عُثْمَانَ ؟ قَالَ : بَنَجٍ بَنَجٍ ! وَمَنْ مِثْلُ أُمِّ عُثْمَانَ ! لَا تَدْخُلُ مِنَ الْبَابِ إِلَّا مِنْحَرَفَةً بِالثِّيَابِ الْمُعْصَفَرَاتِ ، قَالَ : فَبِعُثْمَانَ ؟ قَالَ : وَأَبِيكَ فَإِنَّهُ جَرَّوْا الْأَسَدَ وَيَا عِبْ مَعَ الصَّبِيَّانِ وَبِيَدِهِ الْكِسْرَةُ ، قَالَ : فَبِجَمْلِنَا السَّقَاءِ ؟ قَالَ : إِنْ سَنَامَهُ لَيَخْرُجَ مِنَ الْغَبِيطِ ، قَالَ : فَبِالْدَارِ ؟ قَالَ : وَأَبِيكَ ، إِنَّهَا لَخَصِيْبَةُ الْجَنَابِ ، عَامِرَةُ الْفِنَاءِ ، ثُمَّ قَامَ عَنْهُ وَقَعَدَ نَاحِيَةً يَا كُلَّ فُلَا يَدْعُوهُ ، فَتَرَى كَلْبَ فَصَّاحٍ بِهِ وَقَالَ : يَا بَنَ عَمِّ ، أَيْنَ هَذَا الْكَلْبُ مِنْ نَفَّاعٍ ؟ قَالَ : يَا أَسْفَا عَلَى نَفَّاعٍ ! مَاتَ ، قَالَ : وَمَا أَمَاتَهُ ؟ قَالَ : أَكَلَ مِنْ لَحْمِ الْجَمَلِ السَّقَاءِ ، فَغَضَّ بِعَظْمٍ مِنْهُ فَمَاتَ ، قَالَ : إِنْ لَاحَظْنَا ، أَوْ قَدْ مَاتَ الْجَمَلُ ! فَمَا أَمَاتَهُ ؟ قَالَ : عَثَرَ بِقَبْرِ أُمِّ عُثْمَانَ ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ ، قَالَ : وَيُلْمُكَ ! أَمَاتَتْ أُمُّ عُثْمَانَ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، أَمَاتَهَا الْأُسْفُ عَلَى عُثْمَانَ ، قَالَ : وَيْلَكَ ! أَمَاتَ عُثْمَانَ ؟ قَالَ : إِي وَعَهْدُ اللَّهِ ! سَقَطَتِ الدَّارُ عَلَيْهِ ، فَرَمَى الْأَعْرَابِيُّ بِطَعَامِهِ وَنَثَرَهُ وَأَقْبَلَ يَنْتَفِ لَحِيَّتَهُ وَيَقُولُ : إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ ! فَيَقُولُ الْآخَرُ : إِلَى النَّارِ . وَأَقْبَلَ يَلْتَقِطُ الطَّعَامَ وَيَأْكُلُهُ وَيَهْزَأُ بِهِ وَيَضْحَكُ ، وَيَقُولُ : لَا أَرْغَمُ اللَّهَ إِلَّا أَنْفَ اللَّئَامِ .

وَكَانَ أَحْيَحَةُ بْنُ الْجُمَلَا ح مِنَ الْبُخْلَاءِ ، وَكَانَ إِذَا هَبَّتِ الصَّبَا طَلَعَ أَطْمَةً ، يَنْظُرُ إِلَى نَاحِيَةِ هُبُوبِهَا ثُمَّ يَقُولُ : هُبِّيْ هُبُوبَكَ ، فَقَدْ أَعْدَدْتُ لَكَ ثَلَاثًا وَسِتِينَ صَاعًا مِنْ

(١) فِي الْأَصُولِ : « فَاغْتَصَّ » وَلَمْ يَرِدْ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ إِلَّا مَا أَثْبَتْنَاهُ .

نَجْوَةً، أَدْفَعْ إِلَى الْوَلِيدِ مِنْهَا خَمْسَ تَمَرَاتٍ ، فَيَرِدْ عَلَى مِنْهَا ثَلَاثًا ، أَيْ لِصَلَابَتِهَا بَعْدَ جَهْدٍ مَا يَلُوكُ مِنْهَا .

والعرب تضرب المثل في اللؤم بِمَادِرٍ ، تقول : هو أَبْجَلُ مِنْ مَادِرٍ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ بَنَى حَوْضًا وَسَقَى لِبَلَهَ ، فَلَمَّا أَصْدَرَهَا سَلَحَ فِي الْحَوْضِ ، لَثَلًا يَسْقِي غَيْرَهُ فِيهِ .

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ الْأَسَدِيُّ مَبْخَلًا جَدًّا ، فَأَصَابَهُ التَّمَوَلَجُ فَخَقَنَهُ الطَّبِيبُ بِدُهْنٍ كَثِيرٍ ، فَأَنْخَلَ مَا فِي بَطْنِهِ ، فَلَمَّا أَبْرَزَهُ قَالَ لِلْغَلَامِ : مَا تَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ أَصْبُهُ ، قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ مِيزَ الدَّهْنَ مِنْهُ وَأَسْتَصْبِحُ بِهِ .

وَقَالَ سَلَمُ بْنُ أَبِي الْمَعَاثِي : كَانَ أَبِي مَتَنَحِيًّا عَنِ الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ إِلَى جَنْبِهِ مَزْرَعَةٌ فِيهَا قِثَاءٌ ، وَكُنْتُ صَبِيًّا بَغَاءً فِي صَبْيَانِ أَقْرَانِي ، فَكَلَّمْتُ أَبِي لِيَهَبَ لِي دِرْهَمًا أَشْتَرِي لَهُمْ بِهِ قِثَاءً ، فَقَالَ لِي : أَتَعْرِفُ حَالَ الدَّرْهَمِ ؟ كَانَ فِي حَجَرٍ فِي جَبَلٍ ، فَضُرِبَ بِالْمَعَاوِلِ ، حَتَّى أَسْتُخْرِجَ ، ثُمَّ طُحِنَ ثُمَّ أُدْخِلَ الْقِدْرَ وَصُبَّ عَلَيْهِ الْمَاءُ ، وَجُمِعَ بِالزَّبَقِ ، ثُمَّ صُفِّيَ مِنْ رَقٍّ ، ثُمَّ أُدْخِلَ النَّارَ فَسُبِكَ ، ثُمَّ أُخْرِجَ فَضُرِبَ ، وَكُتِبَ فِي أَحَدِ شِقَيْهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفِي الْآخَرِ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَمَرَ بِإِدْخَالِهِ بَيْتِ مَالِهِ ، وَوَكَّلَ بِهِ عُوجَ الْقَلَانِسِ صُهَبَ السَّبَالِ ، ثُمَّ وَهَبَهُ لِحَارِيَةِ حَسَنَاءَ جَمِيلَةٍ وَأَنْتِ وَاللَّهُ أَقْبَحُ مِنْ قِرْدٍ ! أَوْ رَزَقَهُ رَجُلًا شُجَاعًا وَأَنْتِ وَاللَّهُ أَجْبَنُ مِنْ صُرْدٍ ! فَهَلْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَمْسَ الدَّرْهَمَ إِلَّا بِثَوْبٍ ! .

ومثله قول سهل بن هارون ، وقد قال له رجل : هَبْنِي مَالًا مَرِزْنَةً عَلَيْكَ فِيهِ ، قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : دِرْهَمًا وَاحِدًا ، قَالَ : يَا بَنَ أَنْحَى لَقَدْ هَوَنْتَ الدَّرْهَمَ ، وَهُوَ طَابِعٌ

(١) كَذَا فِي الْحَاسِنِ وَالْأَضْدَادِ لِلْبَاحِظِ (ص ٨٧) وَمَجْمَعُ الْأَمْثَالِ لِلْيَدَانِيِّ (ج ١ ص ٩٧) وَفِي الْأَصُولِ :

« الْأَم » .

(٢) وَرَدَتْ هَذِهِ الْحِكَايَةُ فِي كِتَابِ الْبَخْلَاءِ ص ١٦٤ طَبْعُ أَوْرَبَا بِتَوْسَعِ عَمَّا هُنَا .

الله في أرضه، والدرهم ويحك ! عُشر العشرة، والعشرة عشر المائة، والمائة عشر الألف، والألف عشر دية المسلم، ألا ترى يا بن أخي كيف انتهى الدرهم الذي هَوَّنَتْهُ؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم؟ .

وقال سليمان بن مزاحم وقد وقع بيده درهم، فجعل يقلبه، ويقول: في شق، لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي شق، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، ما ينبغي لهذا إلا أن يكون تعويذاً أو رُقِيَّةً، ويرمى به في الصندوق .

كان بعضهم إذا صار الدرهم في يده يخاطبه ويقول: بأبي وأمي أنت، كم من أرض قطعت، وكيس خرقت، وكم من خامل رفعت، ومن رفيع أحملت، لك عندي ألا تعزى ولا تضحى، ثم يلقيه في كيسه فيقول: أسكن على اسم الله في مكان لا تزول عنه، ولا تُزجج منه .

ومن البخلاء "مُزَبِّدٌ" وله حكاية نذكرها، قيل: كان بالمدينة جارية جميلة مَغْنِيَّةٌ، يقال لها: "بَصْبُصُ" وكانت الأشراف تجتمع عند مولاهما، فاجتمع يوماً عنده محمد بن عيسى الجعفرى وعبد الله بن مُصْعَب الزُّبَيْرى في جماعة من الأشراف، فتذاكروا أمر مزبد وبخله، فقالت الجارية: أنا آخذ لكم منه درهما، فقال لها مولاهما: أنت حرة إن فعلت إن لم أشتريك مئنة دينار وثوب وشئ بمائة دينار، وأجعل لك مجلساً بالعقيق أنحر فيه بدنة، فقالت: حي به! وأرفع [عنى] الغيرة حتى أفعل، فقال: أنت حرة إن منعك منه، ولأعاونته عليك إن حصلت منه الدرهم، فقال عبد الله بن مُصْعَب: أنا آتيكم به، قال عبد الله: فصلتُ الغداة في المسجد، فإذا أنا به قد أقبل، فقلت: يا أبا إسحاق، أما تُحب أن ترى

بصبص ؟ قال : بلى والله ، وأمراة طالق إن لم تكن له سنة يشتهى أن يلقاها ، فقلت له : إذا صليت العصر ، فأنتى هاهنا ، فقال : أمراة طالق إن برح من هاهنا الى العصر قال : فانصرفت في حوائجى ، فلما كان العصر جئت فوجدته فأخذت بيده وأتيهم به ، فأكل القوم وشربوا حتى صليت العتمة ، ثم تساكروا وتناوموا ، فأقبلت بصبص على مزبد ، فقالت له : يا أبا إسحاق ، كأن^(١) والله فى نفسك تشتهى أن أغنيك الساعة :

لقد حثوا الجمال ليهـ رُبوا مِنّا فلم يثلوا

فقال لها : أمراة طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى اللوح المحفوظ ، فغته إياه ، ثم قالت له : كأننى بك تشتهى أن أقوم من مجلسى فأجلس إلى جنبك فتدخل يدك فى جلبابى ؟ فقال : أمراة طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام ، وما تكسب الأنفس غداً ، قالت : فقم ، فقام وجلس إلى جانبها وغنت له ، ثم قالت : أعلم أنك تشتهى أن أغنيك :

أنا أبصرت بالليل * غلاماً حسن الدل

كغصن البان قد أصبـ * يح مسقياً من الطل

فقال لها : أمراة طالق إن لم تكونى نية مرسلة ، فغته وقبلها ، ثم قالت : يا أبا إسحاق ، هل رأيت قط أنذل من هؤلاء ؟ يدعووك ، ويخرجونى اليك ولا يشترون نقلاً ولا ریحانا ، كأننى بك وفى جيبك درهم وأنت تقول : الساعة أخرجه

(٩٤)

(١) كذا فى الأغانى : ج ١٣ ص ١١٧ . وفى الأصول : « كأنى » .

(٢) رواية الأغانى : « كأن فى نفسك تشتهى أن تقوم من مجلسك فتجلس الى جانبى » .

(٣) كذا فى الأغانى : وفى الأصول : « يدعوونى ويدعونك ... الخ » .

واعطيها إياه، وتشترى به ما تريد، فقام من جنبها وقال : ^(١)أخطأت آستك الحفرة، وأنقطع عنك الوحي ، ووثب وجلس ناحية ، فأنتبه القوم وعططوا ^(٢)عليها وعلموا أن حيلتها لم تتم ، وخرج من عندهم ولم يعد إليهم .

وقال بعضهم : بتُّ عند رجل من اهل الكوفة من الموسرين وله صبيان نيام ، فرأيت في الليل يقوم فيقلبهم من جنب الى جنب ، فلما أصبحنا سأله عن ذلك ، فقال : هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار ، فيمريهم الطعام ، ويصبحون جوعا ، فأنا أقلبهم من اليسار الى اليمين لئلا ينضم ما أكلوه سريعا .

وكان زياد بن عبد الله الحارثي واليا على المدينة ، وكان فيه بخل وجفاء ، فأهدى اليه كاتب له سلالا فيها أطعمة ، وقد تنوق ^(٤)فيها ، فوافته وقد تغدى فقال : ما هذه ؟ قالوا : غداء بعثه فلان الكاتب ، فغضب وقال : يبعث أحدهم الشيء في غير وقته ، يا خيثم بن مالك — يريد كاتب شرطته — ادع لى أهل الصفة يأكلون هذا ، فبعث خيثم الحرس يدعونهم ، فقال الرسول الذي جاء بالسال : أصالح الله الأمير ، لو أمرت بهذه السلال تفتح وينظر ما فيها ، قال : آكشفوها ، فإذا طعام حسن من دجاج وفراخ وجداء وسمك وأخيصة وحلواء ، فقال : أرفعوا هذه السلال ، وجاء أهل الصفة فأخبر بهم ، فأمر بإحضارهم وقال : يا خيثم ! أضربهم عشرة أسواط ، فإنه بلغني أنهم يفسون في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) هذا مثل يضرب لمن أراد شيئا فلم ينله .

(٢) العططة : حكاية أصوات المجان اذا قالوا : عيط عيط .

(٣) وردت هذه الحكاية في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) والأغانى (ج ١٧ ص ١٠٢)

باختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى .

(٤) تنوق : في الأمر تجوّد وبالغ فيه كتنق .

٥

١٠

٢٥

٢٠

ومن الخلفاء من يُنسب إلى البخل ، فمنهم عبد الملك بن مروان كان يلقب
برشخ الحجر ، ولبن الطير ، لبخله .

ومنهم هشام ابنه ، وكان ينظر في بيع الهدايا التي تُهدى إليه . حُكي عنه أن
أعرابياً أكل عنده فرفع اللقمة إلى فيه ، فقال له هشام : في لقمتك شعرة يا أعرابي ،
فقال : وإنك تلاحظني ملاحظة من يرى الشعرة ، والله لا أكلتُ عندك أبداً ،
ثم قام وأنصرف .

ومنهم أبو جعفر المنصور كان يلقب بأبي الدوانيق ، لُقّب بذلك لأنه لما
بنى مدينة بغداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصّناع ، فيقول لهذا : أنت نمتَ
القائلة ، ولهذا : لم تُبكر ، ولهذا : أنصرفتَ قبل أن تُكمل اليوم ، فيسقط لهذا دانقا ،
ولهذا دانقين ، فلا يكاد يعطى لأحد أجرّة كاملة ، وكان يقول : يزعمون أنّي بخيل ،
وما أنا ببخيل ، ولكن رأيتُ الناس عبيد المال ، فمنعتهم عنه ، ليكونوا عبيداً لي .
ويُحكى عنه أنه قال لطباخه : لكم ثلاثة وعليكم آثنتان ، لكم : الرؤوس والأكارع
والجلود ، وعليكم : الحبوب والتوابل . ومن حكاياته الدالة على بخله : أن صاحبه
الربيع بن يونس قال له يوماً : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء ببابك وهم كثير ، وقد
طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم ، فقال : اخرج إليهم وسلم عليهم ، وقل : لهم من
مدحنا منكم فلا يصف الأسد فإنما هو كلب من الكلاب ، ولا الحية فإنما هي
دويبة منتنة تأكل التراب ، ولا الجبل فإنه حجر أصم ، ولا البحر فإنه عطن بضّ
لحِب ، فمن ليس في شعره شيء من هذا فليدخل ، ومن كان في شعره شيء منه
فليَنصِرِف ، فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة فإنه قال : أنا له يا ربيع ، فأدخلني
عليه فأدخله ، فلما مثل بين يديه ، قال له : يا ربيع قد علمت أنه لا يجيبك غيره ،
فأنشده قصيدته التي منها :

له لحظات في حَفَافٍ سريره * إذا كَرَّها فيها عقاب ونائل
فَأَمُّ الذي أَمَّنْتَ آمِنَةً الردى * وَأُمُّ الذي خَوَّفَتْ^(٢) بالثكل ثا كل

فرفع له الست وأقبل عليه وأصغى إليه ، فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة
آلاف درهم ، وقال له : يا إبراهيم ، لا تلتفها طمعا في نيل مثاها منا ، فما كل وقت
تصل إلينا ، فقال إبراهيم : ألقاك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعاليها الجهبذ^(٣) .
ودخل المؤمل بن أميل على المهدي وكان بالرّى ، وهو إذ ذاك ولي عهد أبيه
المنصور ، فامتدحه بأبيات يقول فيها :

هو المهدي إلا أن فيه * مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما * أنارا يُشكِلان على البصير
فهذا في الضياء سراج عدل * وهذا في الظلام سراج نور
ولكن فضل الرحمن هذا * على ذا بالمنابر والسرير
وبعض الشهر يخفى ذا وهذا * منير عند نقصان الشهور^(٤)

وجاء منها :

فإن سبق الكبير فأهل سبق * له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبير * فقد خلق الصغير من الكبير

فأعطاه عشرين ألف درهم . فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور وهو
ببغداد ، فكتب الى المهدي يلومه ويقول له : إنما كان ينبغي أن تعطى الشاعر إذا

(١) في ذيل الأمل ص ٤٠ طبع دار الكتب المصرية : « عن » .

(٢) رواية ذيل الأمل : « حاولت » .

(٣) الجهبذ : كاتب رسم استخراج المال وقبضه .

(٤) في الأغاني (ج ١٩ ص ١٤٨) :

وبعض الشهر ينقص ذا وهذا * منير ... الخ » وإن كان قد ورد فيه محزفا

أقام ببابك سنة أربعة آلاف درهم ، وأمره أن يوجهه إليه ، فطلب فلم يوجد ،
وتوجه الى بغداد فكتب الى المنصور بذلك ، فأمر بإرساله فمسيك ، وقيل له : أنت
بغية أمير المؤمنين وطلبت به ، قال المؤمل : فكاد قلبي ينخلع خوفا وفرقا ، ثم أخذ بيدي
وأنطلق بي الى الربيع ، فأدخلني على المنصور ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا المؤمل
أبن أميل قد ظفر به ، فسلمت عليه فرد علي السلام ، فسكن جأشي وأطمأن قلبي
وزال روعي ، ثم قال لي : أتيت غلاما غرنا نخدعته فأنخدع ، فقلت : يا أمير المؤمنين ،
إنما أتيت ملكا جوادا كريما ، فمدحته فحملته أريحته على أن وصلني وبرني ، فأعجبه
ذلك ، ثم قال : أنشدني ما قلت فيه ، فأنشدته ، فقال : والله لقد أحسنت ، لكن
ما يساوي عشرين ألفا ، ياربيع خذ المال منه ، وأعطه منه أربعة آلاف درهم .
فلما ولى المهدي الخلافة ، قدم عليه المؤمل فأخبره بما كان بينه وبين أبيه ، فضحك
ورده عليه ما أخذ منه .

وحكى ابن حمدون في كتابه المترجم بالتذكرة : أن المنصور حج في بعض السنين

فخدا به سالم الحادي يوما بقول الشاعر :

أبلج بين حاجبيه نوره * إذا تغدى رفعت ستوره
يزينه حياؤه وخيره * ومسكه يشوبه كافوره

فطرب المنصور حتى ضرب برجله المحمل ، ثم قال : يا ربيع ، أعطه نصف
درهم ، فقال سالم : لا غير يا أمير المؤمنين ! والله لقد حدوث بهشام بن عبد الملك
فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، فقال المنصور : ما كان له أن يعطيك من بيت المال
ما ذكرت ، ياربيع وكل به من يستخرج منه هذا المال ، قال الربيع : فما زلت
أسفر بينهما حتى شرط عليه أن يحدوبه في خروجه ورجوعه بغير مؤونة . وكان سالم

(١) أسفر : أتوسط بينهما في الصلح .

هذا يُورد الإبل لثمان ولتسع ولعشر، فيحدوها فيلُهيها حدوه عن ورود الماء .
ومن طريف ما حُكي عنه : أن عبيد الله بن زياد الحارثي، كتب إليه رقعة بليغة
يستمِحه فيها، فوقَّع عليها : إن الغنى والبلاغة اذا آجتمعا لرجل أبطراه ، وإن
أمير المؤمنين مشفق عليك ، فاكتفِ بالبلاغة .

وقد ذمَّ الشعراء البخل وهجَّوا من آتصف به . فمن ذلك ، وهو أبلغ ما قاله مُحَدِّث ،
قول ابن الرومي :

[ما كنتُ أحسب أن الخبز فاكهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور]
الحابس التروث في أعفاج بَغَلَّتِه * خَوْفاً على الحبِّ من لَقَطِ العَصَافِيرِ^(٢)
وقال العسكريّ : أبلغ ما قيل في البخل قول ابن الروميّ :

يَقْتَرِ عَيْسَى عَلَى نَفْسِهِ * وَائِسْ بِبَاقٍ وَلَا خَالِدِ^(١)
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ لَتَقْتَسِرَهُ * تَنْفَسَ مِنْ مَنَخِرٍ وَاحِدِ^(٣)
[عذرناه أيام إعدامه * فإِذا عذرذى بَحَلٍّ وَاجِدِ]
رَضِيتُ لَتَشْتِيتُ أَمْوَالِهِ * يَدَى وَارِثٍ لَيْسَ بِالْحَامِدِ

وقال أبو تمام :

صَدَّقْ أَلَيْتَهُ إِنْ قَالَ مُجْتَهِداً * لَا وَالرَّغِيفِ فِذَاكَ الْبَرُّ مِنْ قَسَمِهِ^(٤)
وَإِنْ هَمَمْتَ بِهِ فَافْتِكْ بِجُبْرَتِهِ * فَإِنْ مَوَّقَعَهَا مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ
قَدْ كَانَ يُعْجِبُنِي لَوْ أَنَّ غَيْرَتَهُ * عَلَى جَرَادِقِهِ كَانَتْ عَلَى حُرْمِهِ

(١) الزيادة عن المحاسن والأضداد للجاحظ طبع ليدن ص ٩٦ ، وقد نسب البيهقي لآخر لم يسمه
ولم يوجد هذان البيتان في ديوان ابن الرومي .

(٢) العفج : ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة .

(٣) الزيادة عن ديوان ابن الرومي المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩ أدب .

(٤) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل : « لو كان » .

وقال دَعْبِل :

إِسْتَبَقُودُ أَبِي الْمُقَا * تَلْ حِينَ تَأْكُلُ مِنْ طَعَامِهِ
سَيَّانُ كَسْرُ رَغِيفِهِ * أَوْ كَسْرُ عَظِيمٍ مِنْ عِظَامِهِ
وَتَرَاهُ مِنْ خَوْفِ التَّزِيدِ * لَمْ يَلْ بِهِ يَرْوَعُ فِي مَنَامِهِ

وقال أبو هلال العسكري :

خُبْرُ الْأَمِيرِ عَشِيقُهُ * يَغْدُو عَلَيْهِ يُلَاعِبُهُ
وَإِذَا بَدَأَ بِجَلِيسِهِ * أَفْضَى إِلَيْهِ يُعَاتِبُهُ
وَتَحَوُّطُهُ حِرَاسُهُ * وَتَذُبُّ عَنْهُ كَتَائِبُهُ
فَالزُّورُ يُصَفِّعُ عِنْدَهُ * وَالضَّيْفُ يَلْتَفُّ شَارِبُهُ

وقال آخر :

فَتَى لِرَغِيفِهِ قُرْطٌ وَشَنْفٌ * وَإِكْلِيلَانِ مِنْ دُرٍّ وَشَذَرٍ
إِذَا كَسَرَ الرَغِيفُ بَكَى عَلَيْهِ * بَكَاءَ الْخِنْسَاءِ إِذَا جُفِعَتْ بِصَخْرٍ
وَدُونَ رَغِيفِهِ قَالُوعُ الثَّنَايَا * وَحَرْبٌ مِثْلُ وَقْعَةٍ يَوْمَ بَدْرٍ

وقال آخر :

إِنْ هَذَا الْفَتَى يَصُونُ رَغِيفًا * مَا إِلَيْهِ لَا كَلٌّ مِنْ سَبِيلٍ
هُوَ فِي سَفَرَتَيْنِ مِنْ أَدَمِ الطَّا * ثَفٌ فِي سَلَّتَيْنِ فِي زَنْبِيلٍ
خُتِمَتْ كُلُّ سَلَّةٍ بِرَصَاصٍ * وَسُيُورٍ قُدْدَنَ مِنْ جِلْدِ فِيلٍ
فِي جِرَابٍ فِي جَوْفِ تَابُوتِ مُوسَى * وَالْمِفَاتِيحُ عِنْدَ مِيكَائِيلِ

وقال العسكري :

قَلَّ خَيْرُ ابْنِ قَاسِمٍ * فَغِنَاهُ كَعُدْمِهِ
كَأَدٍ مِنْ خَشْيَةِ الْقَرَى * يَخْتَبِي فِي حِرِّ أُمِّهِ

جاز في اللؤم حده * كأبيه وعمه
كاد يُعديك لؤمه * لو تسميت باسمه

وقال أيضا :

لك برمة نزهتها * من أن تدنس بالدم
بيضاء يُشْرِقُ نورها * كأبدر في غسق الظلم
لو كان عِرْضُك مثلاً * كنت الممدح في الأمم
أو كان فعلك مثل قو * لك كنت تاريخ الكرم

وقال أيضا :

ضفتُ عمرا بخاءني برغيف * زادني أكله على الجوع جوعاً
ثم ولَّى يقول وهو كئيب * لهف نفسي على رغيف أضياعاً
كان خداعة الضيوف ولكن * ربما أصبح الخدوع خديعاً
كنتُ أنزلته محلاً رفيعاً * فغدا ذلك الرفيع وضياعاً
عجباً منه إذ أُبيح حماءه * كيف لم يمتنع وكان منيعاً

وقال آخر :

أرى ضيفك في الدار * وكرب الموت يغشاه^(١)
على خبزك مكثوب * « سيكر يكرهم الله »

وقال بشار :

وضيف عمرو وعمرو يسهران معاً * عمرو لبطنته والضيف للجوع

وقال آخر :

نوالك دونه نحرط القتاد * وخبزك كالثرياً في البعاد

(١) في المحاسن والأضداد : « الجوع » .

ولو أبصرت ضيفا في منام * لحزمت المنام الى التناد
أرى عمر الرغيف يطول جدا * لديك كأنه من قوم عاد
وما أهجوك أنك كفاء شعري * ولكنني هجوتك للكمساد

وقال العسكري :

قد كان لئال رباً * فصار بالبخل عبده
وصحف الصيف ضيفا * فراح يلطم خده

وقال أبو نؤاس في إسماعيل بن نوبخت ، بعد ان نصب اسماعيل في صحن داره
طارمة ، وأصطبج فيها أربعين يوما ومعه جماعة ، منهم أبو نؤاس ، فبلغت نفقته^(١)
أربعين ألف درهم ، ثم قال بعد ذلك :

خبر إسماعيل كالوش * ي إذا ما شق يرفا
عجبا من أثر الصنة * معة فيه كيف يخفى
إن رفاك هذا * أطف الأمة كفا
فإذا ألصق بالنص * ف من الجردق نصفا
أطف الصنعة حتى^(٢) * ما ترى مطعن إشفى
مثل ما جاء من التذ * ور ما غادر حرفا
وله في الماء أيضا * عمل أبداع ظرفا
مزجه العذب بماء ال * يتركي يزداد ضعفا
فهو لا يشرب منه * مثل ما يسقيك صرفا

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة ، معرب .

(٢) رواية العقد الفريد :

أحكم * ما يرى مغرز إشفى

والإشفى : مخصف الإسكاف .

وقال فيه :

على خبز إسماعيل واقيةُ البُخلِ * فقد حلَّ في دار الأمان من الأكلِ
وما خبزه إلا كعقواء مُغرب * تُصَوَّر في بُسْط الملوك وفي المثلِ
يحدِّث عنها الناسُ من غير رؤية * سوى صورة ما إن تُمرُّ ولا تُحلي
وما خبزه إلا كآوى يرى أبْنُه * ولم ير آوى في الحزون وفي السَّهلِ
وما خبزه إلا كليبُ بنِ وائلٍ^(١) * ليالى يَحْمَى عِزَّةً مَنِيَّتَ البَقْلِ
وإذ هو لا يَسْتَبُّ خَصْمانَ عنده * ولا الصوتُ مرفوعٌ بِجِدٍّ ولا هَزْلِ
فإن خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذى * أصاب كليباً لم يكن ذاك عن ذلِّ
ولكن قضاءً ليس يُسْطاعُ رده * بحيلة ذى مكرٍ ولا دهي ذى عقلِ

وقال ابن الرومى :

بخیلٌ يَصُومُ أَضْبِيافَه * وَيَخْلُ عَنْهُمْ بِأَجْرِ الصَّيَامِ
يَدُسُّ الْغَلَامَ فَيُولِيهِمْ^(٢) * هُوَ أَنَا فَيُشْتَمُّ مَوْلَى الْغَلَامِ
فَهُمْ مُفْطِرُونَ وَهُمْ صَائِمُونَ * وَمَا يُطْعَمُونَ وَهُمْ فِي أَثَامِ
فِيحْتَالُ بَخَالًا لَأَنْ يُفْطِرُوا * عَلَى رَفَثِ الْقَوْلِ دُونَ الطَّعَامِ

١٥ (١) كليب بن وائل يضرب به المثل في العزة فيقال « أعز من كليب بن وائل » وبلغ من عزه أنه كان يحضى مواقع السحاب فلا ترعى ، وإذا جلس لا يمر أحد بين يديه إجلالا له ، ولا يحتجى أحد في مجلسه غيره ، ولا تورده إبل أحد مع إبله ، ولا توقد نار مع ناره ، ولم يكن بكرى ولا تنلبي يجير رجلا أو بعيرا أو يحى أحدا إلا بأمره ، وكان هو يجير على الدهر فلا تخفر ذمته . وجاءه كل هذا السلطان بعد أن قاد القبائل النزارية لمحاربة القبائل اليمنية في عدة مواقع كان النصر فيها آخر الأمر حليفه ، فاجتمعت عليه معدة كلها بالانقياد والطاعة .

(٢) في ديوان ابن الرومى : « جفاء » .

وقال أحمد بن كُشَاجِم :

صديقٌ لنا من أبرع الناس في البخلِ * وأفضلهم فيه وليس بذي فضلٍ
دعاني كما يدعو الصديقُ صديقه * فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي
فلما جلسنا للطعام رأيتُه * يرى أنه من بعض أعضائه أكل
ويغتاظ أحيانا ويشتُم عبده * وأعلم أن الغيظ والشتَم من أجلى
فأقبلت أستل الغداء مخافةً * وألحظ عينيه رقيبٌ على فِعْلي
أمد يدي سرًّا لأسرق لُقْمَةً * فيلحظني شزراً فأعبتُ بالبقْلِ
إلى أن جنت كَفِّي لحتفى جنايةً * وذلك أن الجوعَ أَعَدَّني عقلي
فجرت يدي للخبزِ رجلَ دجاجةٍ * فجرت كما جرت يدي رجلها رجلِ
وقدَم من بعد الطعام حلاوةً * فلم أستطع فيها أمرٌ ولا أحلي
وقمتُ لو أنني كنتُ بِلْت نِيَّةً * ربحْتُ ثوابَ الصوم مع عدم الأكل

وقال آخر :

تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرسًا * يُقيمون الصلاة بلا أذانٍ



احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه

١٥

قالت الحكماء : لتكن عنايتك بحفظ ما اكتسبته كعنايتك باكتسابه .

وقال أبو الأسود الدؤلي لبنيه : لا تُجاودوا الله فإنه أكرم وأجود ، ولو شاء أن
يُغني الناس كلهم لفعل ، ولكنه علم أن قوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الفقر ،
وقوما لا يصلحهم ولا يصلح لهم إلا الغنى .

وقال رجل من تغلب : أتيت رجلا من كندة أسأله ، فقال : يا أخا بني تغلب ،
إني إن أصلك حتى أحرم من هو أقرب إلي منك ، [وإني والله لو مكنت من^(١)
داري لنقضوها طوبة طوبة] ، وإنه لم يبق من مالي وعرضي وأهلي إلا ما منعه
من الناس .

وقيل : إن لقمان الحكيم قال لابنه : يا بني ، أوصيك بأثنين إن تزال بخير
ما تمسكت بهما : درهمك لمعاشك ، ودينك لمعادك .

وقال أبو الأسود : إمساكك ما تبذل ، خير من طلبك ما يبذل غيرك ، وأنشد :
يلوموني في البخل جهلا وضلة * وللبخل خير من سؤال بخيل
ونظيره قول المتامس :

وحبس المال أيسر من بغاء^(٢) * وضرب في البلاد بغير زاد
وإصلاح القليل يزيد فيه * ولا يبق الكثير مع الفساد

وقال الجاحظ^(٤) : قلت للحزامي : يا بخيل ! قال : لا أعدمني الله هذا الاسم ، لأنه
لا يقال لي بخيل إلا وأنا ذومال ، فسلم لي المال وسمي بأى اسم شئت ، قلت :
ولا يقال لك سخي ، إلا وأنت ذومال ، فقد جمع الله لهذا الاسم المال والحمد ،
وجمع لذلك المال والذم ، فقال : بينهما فرق عجيب ، وبون بعيد ، إن في قولهم :
بخيل سببا لمكث المال في ملكي ، وفي قولهم سخي سببا لخروجه عن ملكي ، وأسم

(١) زيادة عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٣٣

(٢) رواية العقد الفريد : امساكك ما بيدك خير من طلبك ما بيد غيرك .

(٣) في الأصل : « بناء » والبغاء (بالضم والمد) : السعي والطلب .

(٤) ورد هذا الخبر في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٣) والبخلاء للجاحظ ص ٦٥ طبع ليدن بتبسط

البخل فيه حزم وذم، وأسم السخاء فيه تضييع وحمد؛ وما أقل غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه، وعيرى ظهره، وضاع عياله، وشمت به عدوه ! .

وقال محمد بن الجهم : من شأن من استغنى عنك ألا يقيم عليك، ومن احتاج إليك ألا يزول من عندك . ومن حبك لصديقك وضنك بمودته ألا تبدل له ما يغنيه عنك، وأن تلتطف له فيما يحوجه إليك . وقد قيل في مثل هذا : « أجمع كلبك يتبعك، وسمنه يأكلك » . فمن أغنى صديقه فقد أعانه على الغدر، وقطع أسباب الشكر . والمعين على الغدر شريك للغادر، كما أن المزين للفجور شريك للفاجر .

وقال أبو حنيفة : لا خير فيمن لا يصون ماله لا يصون به عرضه، ولا يصل به رحمه، ولا يستغنى به عن لئام الناس . قال عبد الله بن المعتز :

أعاذل ليس البخل منى سجيّة * ولكن وجدت الفقر شر سبيل
لموت الفتى خير من البخل للفتى * وللبخل خير من سؤال بخيل

وكان داود بن عليّ يقول : لأن يترك الرجل ماله لأعدائه خير من الحاجة في حياته لأوليائه . قال الشاعر :

مَالٌ يُخْلَفُهُ الْفَتَى * لِلشَّامِتِينَ مِنَ الْعِدَا
خَيْرٌ لَهُ مِنْ قَصْدِهِ * إِخْوَانُهُ مَسْتَرِفِدَا

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : لأن أخلف عشرة آلاف درهم أحاسب عليها أحب إلى من أن احتاج إلى الناس . وقال : كان المال فيما مضى يكره، وأما اليوم فهو يزين المؤمن . وجاءه رجل فقال له : يا أبا عبد الله، تُمسك هذه الدنانير ! فقال : آسكت، فلولاها لتمنّدلتنا هؤلاء الملوك؛ ولكن من كان في يده منها شيء فليصلحه، فإنه زمان من احتاج فيه كان أول ما يبذل دينه .

وقال المنصور لمحمد بن مروان التميمي : إنك لسيد لولا جمودُ فيك ؛ فقال :
يا أمير المؤمنين ، إني لأجمدُ في الحق ، ولا أذوب في الباطل .

وكان محمد بن الجهم يقول : من وهب من عمله فهو أحق ، ومن وهب بعد
العزل فهو مجنون ، ومن وهب من جوائز ملوكه أو ميراثه فهو مخذول ، ومن
وهب من كسبه وما استفاده بحيلة فهو المطبوع على قلبه ، المأخوذ ببصره وسمعه .

وسأل رجل زياد بن أبيه فأعطاه درهما ؛ فقال : صاحبُ العراقين أسأله
فيعطيني درهما ! فقال له زياد : من بيده خزائن السموات والأرض ربما رزق أخص
عباده عنده وأكرمهم لديه التمرة واللقمة ، وما يكبر عندي أن أصل رجلا بمائة ألف
درهم ، ولا يصغر أن أعطى سائلا رغيفا ، أن كان رب العالمين فعل ذلك .

قال الشاعر : ١٠

يأربُّ جود جرَّ فقرَ امرئ * فقام للناس مقام الذليل

فأشدُّ عرا مالِك وأستبقه * فالبخل خير من سؤال البخل

وقال الشريف بن الهبارية :

لأصونن درهمي * فهو لا شك صاني

لم يعنى ابن والدي * وصحبي حتى أعانني

١٥

وقال أيضا :

لله در دراهمي * ففهي التي أعلت مكاني

لولا الغنى عن صاحبي * لأحلتني دار الهوان

وقال آخر :

كن بما أوتيته مغتبطا * تستديم عيش القنوع المكتفي

٢٠

إِنَّ فِي نَيْلِ الْمُنَى وَشَكِّ الرَّدَى * وَاجْتِنَابِ الْقَصْدَيْنِ السَّرَفِ
كَسِرَاجٍ دُهْنُهُ قُوَّتُهُ لَهُ * فَإِذَا غَرَّقَتْهُ فِيهِ طَفَى

ومن ذلك رسالة^(١) كتبها سهل بن هارون ، وقد عيب عليه أمور من البخل ، فاعتذر عنها واحتج فقال :

- أصالح الله أمركم ، وجمع شملكم ، وعلمكم الخير ، وجعلكم من أهله . قال الأحنف
ابن قيس : يا بني تميم ، لا تسرعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع الناس إلى القتال أقلهم
حياء من الفرار . وكانوا يقولون : إذا أردت أن ترى العيوب جمّة فتأمل عيآبا ، فإنه
يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما ليس بعيب .
وقبيح أن تنهى مرشدا أو تغري بمشفيق . وما أريد بما قلت إلا هدايتكم وتقويمكم
وإصلاح فسادكم ، وإبقاء النعمة عليكم . ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم فإنا أخطأنا سبيل
حسن النية فيما بيننا وبينكم . ثم قد تعلمون أننا ما أوصيناكم إلا بما اخترناه لأنفسنا
قبلكم ، وشهرنا به في الآفاق دونكم ، ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه :
﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَأْتُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ . فما كان أحقكم في كريم حرمتنا بكم
أن ترعوا حق قصدنا بذلك اليكم على مارعيناه من واجب حقكم ، فلا العذر المبسوط
بالغتم ، ولا بواجب الحرمة قتم . ولو كان ذكر العيوب برا ونخرا لرأينا في أنفسنا عن
ذلك شغلا .

عبتموني بقولي لخادمي : أجيدي العجين فيكون^(٢) أطيب لطعمه ، وأزيد
في ريعه ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "أملكوا العجين فإنه أحد الرّيعين" .

٢٠ (١) وردت هذه الرسالة في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٥) والبخلاء للجاحظ (ص ١٠ طبع ليدن)
وفي روايتهما بعض اختلافات يسيرة عن رواية الأصل .
(٢) أملكوا : أجيّدوا بحنه حتى يأخذ بعضه بعضا .

(١) وعبتموني حين ختمت على سَلٍّ عظيم ، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة ،
ومن رطبة غريبة ، على عبدٍ نهم ، وصبي جشع ، وأمة لكعاء ، وزوجة مُضيعة ؛
وليس بين أهل الأدب ، ولا في ترتيب الحكم ، ولا في عادات القادة ، ولا في تدبير
السادة ، أن يستوى في نفيس المأكول ، وغريب المشروب ، وثمان الملبوس ، وخطير
المركوب ، التابع والمتبوع ، والسيد والمسود ؛ كما لا تستوى مواضعهم في المجالس ،
ومواقع أسمائهم في العنوانات . ومن شاء أطعم كلبه الدجاجة السمينة ، وعلف حمارة
السَّمسمِ المُقشَّر !

٩٨

وعبتموني بالختم ، وقد ختم بعض الأئمة على مدَّ سَوِيقٍ ، وختم على كيس
فارغ ، وقال : طينة خير من طينة ، فأمسكتهم عن ختم على شيء ، وعبتم على من
ختم على شيء ! .

وعبتموني أن قلت للغلام : اذا زدت في المَرَق فزد في الإنضاج ، ليجتمع مع
التأدم باللحم طيب المَرَق ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ” اذا طَبَخَ أحدكم لحماً
فليزد من الماء فمن لم يُصب لحماً أصاب مَرَقاً “ .

(٢) وعبتموني بخَصْف النعل ، وبتصدير القميص ، وحين زعمت أن المخصوفة من
النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنُّسك ، وأن الترقيع من الحزم ، والتفريط من التضييع ،
والاجتماع مع الحفظ ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يُخَصِّفُ نَعْلَهُ ، ويرقع
ثوبه ، ويلطع أصابعه ، ويقول : ” لو أهدى الى كراع لقبلت ولو دُعيت الى ذراع
لأجبت “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” من لم يَسْتَحِ من الحلال خفت مؤونته وقلَّ

(١) السَل : الجونة وهي سلية مغشاة بالآدم وتكون عند العطارين .

(٢) تصدير القميص : أن يجعل ل صدره بطانة .

(٣) رواية الجامع الصغير : ” لو أهدى الى كراع لقبلت ولو دُعيت عليه لأجبت “ .

- كبره». وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يلبس الخلق . وبعث زياد رجلا يرتاد له محدثا ، واشترط عليه أن يكون عاقلا ، فأتاه به موافقا ، فقال له : أكنت به ذا معرفة ؟ قال : لا ، ولكنني رأيته في يوم قائط ، يلبس خلقا ، ويلبس الناس جديدا ، فتفترست فيه العقل والأدب ، وقد علمت أن الخلق في موضعه مثل الجديد في موضعه . وقد جعل الله لكل شيء قدرا ، وسمي له موضعاً ، كما جعل لكل زمان حالاً ، ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسم ، وأمات بالغذاء ، وأغص بالماء ، وقتل بالدواء . وقد زعموا أن الاصلاح أحد الكاسبين ، كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين . وقد جبر الأحنف بن قيس يد عز ، وأمر مالك بن أنس بفرك البعر . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ، ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدى لك دجاجة ، قال : إن كان لا بد ، فاجعلها بيوضا .

- وعبتموني حين قلت : من لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالي . وقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية ، وأشف^(١) من الكفاية ، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء ، والى التوفير عليها من وظيفة الماء ، وجدت في الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمت أن لو كنت سلكت^(٢) الاقتصاد في أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ، ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر ، فعبتموني بذلك وشنعتموه عليّ ، وقد قال الحسن — وذكر السرف — : أما إنه ليكون في الماء والكلاء ، فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه بالكلاء .

(١) أشف : أقل .

(٢) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل والبلاء : « مكنت » .

وعبتموني أن قلت : لا يغتن أحد بطول عمره ، وتقويس ظهره ، ورقة عظمه ،
 ووهن قوته ، وأن يرى دخله أكثر من رزقه ، فيدعوه ذلك الى إخراج ماله من يده ،
 وتحويله الى ملك غيره ، أو تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعلمه
 أن يكون معمرًا وهو لا يدري ، وممدودا له في السن وهو لا يشعر ، ولعلمه أن يرزق
 الولد على اليأس ، وتحدث عليه آفات الكبر ما لا يخطر على باله ولا يدركه عقله ،
 فيسترده ممن لا يردّه ، ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه ، أضعف ما كان عن الطلب ،
 وأقبح ما كان له أن يطلب ، فعبتموني بذلك ، وقال عمرو بن العاص : « اِعْمَلْ
 لدنياك عمل من يعيش أبدا ، واعْمَلْ لآخرتك عمل من يموت غدا » .

وعبتموني بأن قلت : إن التلف والتبذير الى مال المواريث ، وأموال الملوك
 [أسرع^(١)] . وإن الحفظ الى المال المكتسب ، والغنى المحتلب ، والى ما يعرض فيه^(٢)
 لذهاب الدين ، واهتضام العرض ، ونصب البدن ، واهتمام القلب ، أسرع . ومن لم
 يحسب نفقته لم يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع المال . ومن
 لم يعرف للغنى قدره فقد أذن بالفقر ، وطاب نفسا بالذل .

وعبتموني بأن زعمت أن كسب الحلال ، مضمّن^(٣) بالإنفاق في الحلال ، وأن
 الخبيث ينزع الى الخبيث ، وأن الطيب يدعو الى الطيب ، وأن الإنفاق في الهوى
 حجاب دون الحقوق ، وأن الإنفاق في الحقوق حجاب دون الهوى ، فعبتم على هذا

(١) التكملة عن البخلاء ، للمحافظ ، وأصل الجملة فيه : « وعبتموني حين زعمت أن التبذير الى مال القهار
 ومال الميراث والى مال الالتقاط وحباء الملوك ، أسرع » .

(٢) كذا في كتاب البخلاء . وفي الأصل : « بذهاب » .

(٣) في العقد الفريد : « يضمن الإنفاق » .

القول ، وقد قال معاوية بن أبي سفيان : لم أر تبذيرا قطّ إلا والى جنبه حق مضيع ،
وقال الحسن : اذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا في أي شيء
ينفقه ، فإن الخبيث إنما ينفق في السرف . وقلت لكم بالشفقة عليكم ، وحسن
النظر مني إليكم ، وأنتم في دار الآفات ، والجوائح غير مأمونات ، فإن أحاطت بـمال
أحدكم آفة لم يرجع إلى بقيّة^(١) ، فاحذروا النقم باختلاف الأمكنة ، فإن البليّة
لا تجرى في الجميع ، وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، في العبد ،
والأمة ، والشاة ، والبعير : فترقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأس رأسين . وقال ابن
سيرين [لبعض البحريين] : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفرّقها في السفن ،
فإن عطب بعض سأم بعض ، ولولا أن السلامة أكثر ، ما حملنا أموالنا في البحر .
فقال ابن سيرين : « تحسبها خرّقاء وهي صنّاع » .

١٠

وعبتموني بأن قلت لكم عند إشفاق عليكم : إن للغنى لسكرا ، وللمال لزوة ،
فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد
أهمله ، فعبتموني بذلك ، وقد قال زيد بن جبلة : ليس أحد أقصر عقلا من غنى
أمن الفقر . وسكر الغنى أشد من سكر الخمر . وقد قال الشاعر في يحيى بن خالد
ابن برمك :

١٥

وهُوبٌ تِلَادَ الْمَالِ فَمَا يَنْوِبُهُ * مَنْوُوعٌ إِذَا مَا مَنَعَهُ كَانَ أَحْزَمًا

وعبتموني حين زعمتم أنني أقدم المال على العلم ، لأن المال به يُفاد العلم ،
وبه تقوم النفس قبل أن يُعرف فضل العلم ، فهو أصل ، والأصل أحق بالتفضيل
من الفرع ، فقلتم : كيف هذا وقد قيل لبعض الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟

(١) كذا في البخلاء . وفي الأصول : « ثقة » . وفي العقد الفريد : « إلا إلى نفسه » .

٢٠

(٢) زيادة من كتاب البخلاء .

فَقَالَ : الْعُلَمَاءُ ، قِيلَ لَهُ : فَمَا بِالْأَعْلَمَاءِ يَأْتُونَ أَبْوَابَ الْأَغْنِيَاءِ أَكْثَرُ مِمَّا يَأْتِي
الْأَغْنِيَاءَ أَبْوَابَ الْعُلَمَاءِ ؟ قَالَ : ذَلِكَ لِمَعْرِفَةِ الْعُلَمَاءِ بِفَضْلِ الْمَالِ ، وَجَهْلِ الْأَغْنِيَاءِ
بِحَقِّ الْعِلْمِ ؟ فَقُلْتُ : حَالُهُمَا هِيَ الْقَاضِيَةُ بَيْنَهُمَا ، وَكَيْفَ يَسْتَوِي شَيْءٌ حَاجَةً الْعَامَّةِ
إِلَيْهِ ، وَشَيْءٌ يَغْنَى فِيهِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ! وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ الْأَغْنِيَاءَ
بِاتِّخَاذِ الْغَنَمِ ، وَالْفُقَرَاءَ بِاتِّخَاذِ الدَّجَاجِ . وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنِّي
لَأُبْغِضُ أَهْلَ الْبَيْتِ يَنْفَقُونَ نَفَقَةَ الْأَيَّامِ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ . وَكَانَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيُّ
يَقُولُ لَوْلَدَهُ : إِذَا بَسَطَ اللَّهُ لَكَ الرِّزْقَ فَأَبْسُطْ ، وَإِذَا قَبِضَ فَاقْبِضْ .

وَعَبَّئُونِي حِينَ قُلْتُ : إِنْ فَضَلَ الْغِنَى عَنِ الْقُوَّةِ أَمَّا هُوَ كَفَضْلِ الْآلَةِ تَكُونُ
فِي الْبَيْتِ إِنْ أَحْتِيجَ إِلَيْهَا اسْتَعْمِلَتْ ، وَإِنْ اسْتُغْنِيَ عَنْهَا كَانَتْ عُدَّةً ، وَقَدْ قَالَ الْحُصَيْنُ
ابْنُ الْمُنْذَرِ : وَدِدْتُ أَنْ لِي مِثْلُ أَحَدٍ ذَهَبًا لَا أَنْتَفِعَ مِنْهُ بِشَيْءٍ ، قِيلَ لَهُ : فَمَا كُنْتَ
تَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ : لِكَثْرَةِ مَنْ كَانَ يَخْدُمُنِي عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْمَالَ مَخْدُومٌ . وَقَالَ بَعْضُ
الْحِكَمَاءِ : عَلَيْكَ بِطَلَبِ الْغِنَى ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا أَنَّهُ عِزٌّ فِي قَلْبِكَ ، وَذُلٌّ فِي قَلْبِ
عَدُوِّكَ ، لَكَانَ الْحِظُّ فِيهِ جَسِيًّا ، وَالنَّمْعُ عَظِيمًا . وَاسْمُنَا نَدَعُ سِيرَةَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَتَأْدِبَ
الْخُلَفَاءِ ، وَتَعْلِيمَ الْحِكَمَاءِ ، لِأَصْحَابِ الْهَوَى ، فَلَسْتُمْ عَلَى تَرَدُّونَ ، وَلَا رَأْيَ تَفْنَدُونَ ،
فَقَدِّمُوا النَّظَرَ قَبْلَ الْعَزْمِ ، وَأَذْكُرُوا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْرِكُوا مَا لَكُمْ . وَالسَّلَامُ .



وَمِنْ نَوَادِرِ الْبَخْلَاءِ : قَالَ رَجُلٌ لِبَعْضِ الْبَخْلَاءِ : لَمْ لَا تَدْعُونِي إِلَى طَعَامِكُمْ ؟
قَالَ : لِأَنَّكَ جَيِّدُ الْمَضْغِ سَرِيعُ الْبَلْعِ ، إِذَا أَكَلْتَ لُقْمَةً هَيَّأْتَ أُخْرَى ، قَالَ : يَا أَخِي
أَتُرِيدُ إِذَا أَكَلْتُ عَنْدَكَ أَنْ أَصِلَّ رَكْعَتَيْنِ بَيْنَ كُلِّ لُقْمَتَيْنِ ! .

(١) كَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ، وَفِي الْبَخْلَاءِ : « الْجَمْعُ » ، وَفِي الْأَصْلِ : « الْعُلَمَاءُ » .

وفال آحرُلبخيل : لِمَ لا تدعوني الى طعامك؟ قال : لأَنَّكَ تُعَلِّقُ ، وتُشَدِّقُ ، وتُحَدِّقُ . أى تحمل واحدة فى يدك ، وأخرى فى شِدْقِكَ ، وتنظر الى الأخرى بعينك .

وقال بعض البخلاء : أنا لا آكل إلا نصف الليل ، قيل له : ولم؟ قال يبردُ الماء ، وينقَمِعُ الذباب ، وآمنُ بجُفَاةِ الداخل ، وصَرَخَةُ السائل .

وطبخ بعض البخلاء قِدْرًا وجلس يأكل مع زوجته ، فقال : ما أطيب هذا الطعام ، لولا كثرة الزحام ! فقالت : وأى زحام ، وما ثمَّ إلا أنا وأنت ؟ قال : كنت أحبُّ أن أكون أنا والقدر .

وقال بعض البخلاء لعلامة : هاتِ الطعام ، وأغلقِ الباب ، فقال : يا مولاي ، ليس هذا بحَزْمٍ ، وإنما أغلِقِ الباب ، وأَقْدِمِ الطعام ، فقال له : أنت حُرُّ لوجه الله .

وعزم بعض إخوانِ أشعَبَ عليه ليا كلَّ عنده ، فقال : إننى أخاف من ثَقِيلِ يأكل معنا فينغص لذتنا ، فقال : ليس عندى إلا ما تُحِبُّ ، فمضى معه ، فبينما هما يأكلان اذا بالباب قد طُرق ، فقال أشعَبُ : ما أَرانا إلا صِرنا لما نكره ، فقال صاحب المنزل : إنه صديق لى ، وفيه عشرُ خصال ، إن كرهتَ منها واحدة لم آذن له ، فقال أشعَبُ : هاتِ ، قال : أولها ، أنه لا يأكل ولا يشرب ، فقال : التسعُ لك ودَّعه يدخل ، فقد آمنا منه ما نخافه .

ذكر ما قيل فى التطفيل

ويتصل به أخبارُ الأكلة والمؤاكلة

والتطفيل من اللؤم ، وهو التعرض الى الطعام من غير أن يدعى اليه . وسندكر
تلو هذا الفصل آداب الأكل ، والمؤاكلة ، والاقتصاد فى المطاعم ، والعفة عنها ،

وما يجري هذا المجرى ، وإن كان خارجا عنه ، وإنما الشيء يُذكر بالشيء . والعرب تقول للطفيل : الوارش ، والراشن . قيل : هو مشتق من الطفّل وهو الظلمة ، لأن الفقير من العرب كان يحضر الطعام الذى لم يدعّ إليه مستترا بالظلمة لئلا يُعرف . وقيل : سُمّي بذلك لإظلام أمره على الناس ، لا يدرى مَنْ دعاه . وقيل : بل من الطفّل لهجومه على الناس كهجوم الليل على النهار ، فيكون من الظلمة ؛ ولذلك قيل : أطفل من «ليل على نهار» . وأقل من سُمّي بهذا الاسم : طفيل العرائس ، وإليه ينسب الطفيلون . وكان يقول لأصحابه : إذا دخل أحدكم عرسا فلا يلتفت تلقت المريب ، ويتخير المجالس ، وإن كان العرس كثير الزحام فليمض ولا ينظر فى عيون الناس ، ليظنّ أهل المرأة أنه من أهل الرجل ، ويظنّ أهل الرجل أنه من أهل المرأة ، وإن كان البواب غايظا فاحشا ، فليبدأ به ، ويأمره وينهاه من غير أن يُعَفّ عليه ، ولكن بين النصيحة والإدلال .



وأشهر من نُسب إليه هذا الاسم وكثرت عنه الحكايات ، بُنّان الطفيل ، وهو عبد الله بن عثمان ، ويكنى أبا الحسن ، ولقبه بُنّان ، وأصله مروزي وأقام ببغداد ، وكان نقش خاتمه «مَا لَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ» . حكى أن رجلا سأله أن يدعو له ، فقال : اللهم ارزقه صحة الجسم وكثرة الأكل ، ودوام الشهوة ، ونقاء المعدة ، وأمتعته بضرر طحون ، ومعدة هضوم ، مع السعة والدعة ، والأمن والعافية . وقال يوصى بعض أصحابه : إذا قعدت على مائدة وكان موضعك ضيقا فقل للذى يليك : لعل ضيقت عليك فإنه يتأخر الى خلف ، ويقول : موضعي واسع ، فيتسع عليك موضع رجل . وقال له طفيل : أوصنى ، فقال : لا تصادف من الطعام شيئا فترفع يدك عنه وتقول : لعل أصادف ما هو أطيب منه ، فإن هذا عجز ووهن . قال : زدنى ، قال : إذا وجدت خبزا فيه قلة فكل الحروف ، فإن كان كثيرا فكل الأوساط ، قال : زدنى ، قال :

لا تكثر شرب الماء وأنت تأكل ، فإنه يصدك عن الأكل ، ويمنعك من أن تستوفي ؛
 قال : زدني ، قال : إذا وجدت الطعام فكل منه أكل من لم يره قط ، وتزود منه زاد
 من لا يراه أبدا ، قال : زدني ، قال : إذا وجدت الطعام فاجعله زادك الى الله تعالى ،
 وقال : إذا دعاك صديق لك فاقعد يمّنة البيت ، فإنك ترى ما تحب ، وتسودهم في كل
 شيء ، وتسبقهم الى كل خير ، وأنت أول من يغسل يده والمنديل جاف ، والماء
 واسع ، والحوان بين يديك يوضع ، والنبيذ أول القنينة ورأسها تشربه ، والنقل
 منتخب يوضع بين يديك ، وتكون أول من يتبخّر ، فإذا أردت أن تقوم لحاجة
 لم تحتاج أن تتخطاهم ، وأنت في كل سرور الى أن تتصرف . قال البديع الهمداني
 في طفيليين يشبههم ببنان :

١٠ خلفتم بنانا فيكم من أديب * من الغيظ عَصَّ عليكم بنانا
 إذا ما النهار بدا ضوؤه * غدوئهم نحاصا ورُحْمُهم بطانا

ومنها : عثمان بن دراج ، قيل له : كيف كنت تصنع إذا لم يدخلك أهل
 العرس ؟ قال : أنوح على الباب ، فيتطيرون فيدخلونني . وحكى أبو الفرج الأصفهاني :
 أن عثمان هذا كان يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطابي أحد ولد زيد بن الخطاب ،
 فقال له : ويحك ! إني أبخل بأدبك وعلمك ، وأضنّ بك عما أنت فيه من التطفيل
 ١٥ ولى وظيفة راتبه في كل يوم ، فالزمني وكن مدعوا ، أصاح لك مما تفعل ، فقال :
 يرحمك الله ، فأين لذة الحديد ، وطيب التنقل كل يوم الى مكان^(١) ! وأين نيلك^(٢)
 ووظيفتك من احتفال العرس ! وأين ألوانك من ألوان الوليمة ! قال : فأما إذ أبيت^(٢)
 ذاك فإذا ضاقت عليك المذاهب فأتني ، قال : أما هذا فنعم . قال وقال له رجل :
 ٢٠ ما هذه الصفرة التي في لونك ؟ قال : من الفترة التي بين القصعتين ، ومن خوفي

(١) كذا في الأغاني (ج ١٥ ص ٣٧ طبع بولاق) . وفي الأصل : « هويناك » .

(٢) كذا في الأغاني . وفي الأصل : « فاذا ثبت » .

في كل يوم من نفاذ الطعام قبل أن أشبع . وقيل له مرة : هل تعرف بستان فلان؟ فقال : إى والله ، وإنه للجنة الحاضرة في الدنيا ؛ قيل له : فلم لا تدخل اليه فتأكل من ثماره ، وتقبل تحت أشجاره ، وتسبح في أنهاره ؟ قال : لأن فيه كلبا لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال . وعثمان هذا الذي يقول :

لَذَّةُ التَّطْفِيلِ دُومِي * وَأَقِيمِي لَا تَرِيْمِي
أَنْتِ تَشْفِينِ غَلِيلِي * وَتَسْلَيْنِ هُمُومِي

٥

ولهم أخبار وحكايات ، منها : ما نقل عن نصر بن علي الجهضمي أنه قال : كان لي جار طفيلي إذا دعيت إلى مدعاة ركب معي وجلس حيث أجلس ، فيأكل وينصرف ، وكان نظيفا عطرا ، حسن اللباس والمركب ، وكنت لأعرف من أمره إلا الظاهر ، فاتفق لجعفر بن القاسم الهاشمي حق دعاله أشراف البصرة ووجوهها ، وهو يومئذ أمير البصرة ، فقلت في نفسي : إن تبغى هذا الرجل إلى دار الأمير لأخزيته ، فلما كان يوم الحضور جاءني الرسول فركبت ، وإذا به قد تبغى حتى دخل بدخولي ، وارتفع حيث أجلس ، فلما حضرنا الطعام ، قلت : حدثنا ^{دُرُسْتُ} حدثنا ^{دُرُسْتُ} عن أبي زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(١) « من دخل إلى دار قوم بغير إذنهم دخل سارقا وخرج مغبرا ومن دعى فلم يجب فقد عصى الله ورسوله » ، فظننت أني قد أشرفت على الرجل وقصرت من لسانه ، فأقبل علي وقال : أعيدك بالله من هذا الكلام في دار الأمير ، فإن الأشراف لا يهتملون التعريض باللؤم ، وقد حَظَرَ الدينُ التعريضَ ، وعزَّر عليه عمر رضى الله عنه ، ووليمة الأمير دعاء لأهل مصره فإنه سَلِيلُ أهل السقاية والرفادة ، والمطعمين

١٠

١٥

(١٠)

٢٠ (١) روايته في تهذيب التهذيب في ترجمة أبان بن طارق : « من دخل على غير دعوة دخل سارقا ... الخ » .

الأفضلين الذين هَشَمُوا الثَّرِيدَ ، وأبرزوا الحفان لمن غدا إليها ، ثم لا تُوزع وأنت في بيت من العلم معروف من أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف ، عن أبان ابن طارق وهو متروك الحديث ، بحكم رفعه الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والمسلمون على خلافه ، لأن حكم السارق القطع ، والمغير يعزَّر على ما يراه الإمام ، وهذان حكمان لا ينفذان على داخل دارا في مجمع فيتناول أُنَمَّا من فضل الله الذي آتى أهلها ثم لا يُحدث حدثا حتى يخرج عنها ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ” طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة “ ، حدثنا بذلك أبو عاصم النبيل عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فأين أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسناد والمتن ؟ قال نصر : فأصابتنى نَجْمَةٌ شديدة ، فلما نظر الرجل إلى ما بي أكل ونهض قبلي ، فلما خرجت وجدته واقفا على دابته الباب ، فلما رآني تبغى ، ولم يكلمني ولم أكله ، إلا أنى سمعته يتمثل :

وَمَنْ ظَنَّ مِمَّنْ يُلَاقِي الْحُرُوبَ * بِالْأَيُّ صَاب فَقَدْ ظَنَّ عَجْزًا

وقيل : مرّ طفيلٌ بسكة النخع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة ، فاقتحم عليهم ، وأخذ مجلسه مع مَنْ دُعِيَ ، فأنكره صاحب المنزل ، فقال له : لو تأنّيت أو وقفت حتى يؤذن لك أو يبعث إليك ! فقال : إنما آتخذت البيوت ليدخل إليها ، ووضعيت الموائد ليؤكل ما عليها ، وما وجهت بهديّة فأتوقع الدعوة ، والحشمة قطيعة ، وأطراحها صلة ، وقد جاء في الأثر : « صل مَنْ قطعك ، وأعط مَنْ حرمك » ، ثم أنشد :

كَلَّ يَوْمَ أَدُورُ فِي عَرَصَةِ الدَّاءِ * رَأَيْتُ الْقَتَارَ شَمَّ الذُّبَابِ
فَإِذَا مَا رَأَيْتُ آثَارَ عُرْسٍ * أَوْ دُخَانًا أَوْ دَعْوَةَ الْأَصْحَابِ

لم أعرج دون التقحُّم لا أر * هب^(١) شتما وَلَكِنَّهُ الْبَوَابُ
مُسْتَهِينَا بَمَنْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ * غَيْرَ مُسْتَأْذِنٍ وَلَا هَيَّابِ
فَتَرَانِي أَلْفٌ بِالرَّغْمِ مِنْهُمْ * كُلُّ مَا قَدَّمُوهُ آفٌ الْعُقَابِ
ووصف طفيلي نفسه فقال :

نَحْنُ قَوْمٌ إِذَا دُعِينَا أَجَبْنَا * وَمَتَى نُدَّسَ يَدْعُنَا التَّطْفِيلُ
وَنَقْبِلُ عَلَّنَا دُعِينَا فَغَبْنَا^(٢) * وَأَتَانَا فَلَمْ يَجِدْنَا الرَّسُولُ

وقال آخر :

نَحْنُ قَوْمٌ نَحِبُّ هَدَى رَسُولِ اللَّهِ هَدِيًّا بِهِ الصَّوَابُ أَصَبْنَا
فَادْعُنَا كَلَّمَا بَسَطَتْ فِئَانَا * لَوْ دُعِينَا إِلَى كُرَاعِ أَجَبْنَا

وقال آخر :

نَحْنُ قَوْمٌ إِنْ جَفَا النَّاسُ * سَوْصَلْنَا مِنْ جَفَانَا
لَا نُبَالِي صَاحِبَ الدَّاءِ * رَنَسِينَا أَمْ دَعَانَا

وقال آخر وقد أقبل إلى طعام، من غير أن يدعى إليه، فقال له صاحب الصنيع :

مَنْ دَعَاكَ ؟ فَأَنْشِدْ :

دَعَوْتُ نَفْسِي حِينَ لَمْ تَدْعُنِي * فَالْحَمْدُ لِي لَا لَكَ فِي الدَّعْوَةِ
وَكَانَ ذَا أَحْسَنَ مِنْ مَوْعِدٍ * إِخْلَافُهُ يَدْعُو إِلَى جَفْوِهِ

وقد مدح أبو رَوْحَ ظَفَرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْهَرَوِيَّ طَفِيلًا وَلَمْ يُسَبِّقْ إِلَيْهِ، فَقَالَ :

إِنَّ الطَّفِيلِيَّ لَهُ حُرْمَةٌ * زَادَتْ عَلَى حُرْمَةِ نَدْمَانِي
لِأَنَّهُ جَاءَ وَلَمْ أَدْعُهُ * مَبْتَدِئًا مِنْهُ بِإِحْسَانٍ

(١) رواية العقد الفريد : « لا أُرهب طعنا » .

(٢) كذا في العقد الفريد : وفي الأصول : « قولنا » ... الخ .

ودخل طفيليّ إلى قوم فقالوا له : ما دعوناك ! فما الذي جاء بك ؟ فقال :
إذا لم تدعوني ولم آت وقعت وحشة ، فضحكوا منه وقربوه .

وقيل : مرة طفيليّ على قوم يتغذون ، فقال : سلام عليكم معشر اللئام ، فقالوا :
لا والله بل كرام ، فثنى ركبته ونزل ، وقال : اللهم اجعلهم من الصادقين ،
وآجعلني من الكاذبين .

قال هشام أخو ذي الرمة لرجل أراد سفرا : إن لكل رُفقة كلبا يشركهم في فضلة
الزاد ، فإن أستطعت ألا تكون كلب الرفاق فافعل .

ونظر طفيليّ إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل ، فظنهم يدعون إلى صنيع ،
فتلطف حتى دخل في لفيفهم وصار كواحد منهم ، فلما بلغوا صاحب الشرطة ، أمر
بضرب أعناقهم ، فقدموا واحدا بعد واحد حتى انتهوا إلى الطفيليّ ، فلما قدم للقتل
آلفت إلى صاحب الشرطة فقال له : إني والله ما أنا منهم ، ولا أعلم بما يدينون ،
وإنما أنا طفيليّ ظننتهم يذهب بهم إلى صنيع ، فتلطفت حتى دخلت في جماتهم ،
فقال : ليس هذا مما ينبغي ، اضربوا عنقه ، فقال : أصابك الله ، إن كنت عزمت
على قتلي فأمر السيف أن يضرب بطني بالسيف ، فإنه هو الذي أوقعني في هذه
الورطة ، فضحك ، وكشف عنه فأخبر أنه طفيليّ معروف ، فخلّى سبيله .

وحكى أن المأمون أمر أن يُحمل إليه عشرة من الزنادقة سموه من أهل
البصرة ، فجمعوا ، فأبصرهم طفيليّ فقال : ما اجتمعوا إلا لصنيع ، فدخل في وسطهم
ومضى بهم الموكّلون ، حتى انتهوا إلى زورق قد أُعدّ لهم ، قال الطفيليّ : هي نُزْهة ،
فدخل معهم الزورق ، فلم يكن بأسرع من أن قيّدوا ، وقيد معهم الطفيليّ ، ثم سير بهم
إلى بغداد ، فأدخلوا على المأمون ، فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا ، ويأمر بضرب

أعناقهم ، حتى وصل إلى الطفيلي^(١) ، وقد استوفى العدة ؛ فقال للوكلين : ما هذا ؟
قالوا : والله ما ندرى ، غير أننا وجدناه مع القوم ، فحشنا به ؛ فقال له المأمون :
ما قصتك ؟ ويلك ! فقال يا أمير المؤمنين : أمرأتى طالق إن كنت أعرف من
أقاربهم شيئاً ولا مما يدينون به ، وإنما أنا رجل طفيلي^(٢) ، رأيتهم مجتمعين فظننت
صديقاً يدعوون إليه ، فضحك المأمون وقال : يؤدب ؛ وكان إبراهيم بن المهدي قائماً
على رأس المأمون فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي ذنبه^(٣) ، وأحدثك بحديث عجيب
عن نفسي ؛ قال : قل يا إبراهيم ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، خرجت من عندك يوماً
فطُفْتُ في سِكَكِ بغداد متطرباً حتى انتهيت إلى موضع كذا ، فشمت منه قُتَارُ^(٤)
أبازير قُدُور قد فاح [طيبها] ، فتاقت نفسي إليها وإلى طيب ريحها ، فوقفْتُ^(٥)
إلى خياط فقلت له : لمن هذه الدار ؟ فقال : لرجل من التجار [البزازين] ،
قلت : ما اسمه ؟ قال : فلان بن فلان ، فرميت بطرفي إلى الدار ، فإذا شبَّاك فيها
مُطَلٌّ ، وإذا كُفٌّ قد خرج من الشَّبَّاك ودِعْصَمٌ ، فشغلني حسن الكفِّ والمعصم
عن رائحة القُدُور ، فبهِتُ ساعة ، ثم أدركني ذهني ، فقلت للخياط : أهو ممن
يشربُ النبيذ ؟ قال : نعم ، وأحسب أن عنده اليوم دعوة ، وهو لا ينادم إلا تجَّاراً مثله^(٦)
مستورين ؛ فإني لكذلك إذ أقبل رجلاً نيلان راكبان من رأس الدرب ، فقال لي
الخياط : هؤلاء منادماه ؛ فقلت : ما اسماهما وما كُتَاهُما ؟ فقال : فلان وفلان ،
فحَرَكْتُ دابَّتِي وداخِلَهُمَا وقلت : جُعِلْتُ فِدَاكِ ، قد استَبَطَّا كما أبو فلان ،

(١) كذا في العقد الفريد . وفي الأصل : « هب لي أدبه » .

(٢) كذا في أحد الأصلين والعقد الفريد . وفي الأصل الآخر : « منطرفاً » .

(٣) التكلية عن العقد الفريد .

(٤) في العقد الفريد : « فبينما أنا كذلك » .

- وسايرتهما حتى بلغنا الباب ، فأجلاني وقدماني فدخلت ودخلا ، فلما رأني صاحب المنزل معهما ، لم يشك أني منهما ، فرحّب بي وأجلسني في أفضل المواضع ، فحىء يا أمير المؤمنين بمائدة عليها خبز نظيف وأتينا بتلك الألوان ، فكان طعمها أطيب من ريحها ، فقلت في نفسي : هذه الألوان قد أكلتها ، بقيت الكف [والمعصم ^(١)] ، كيف [أصل] إلى صاحبتيهما ؟ ثم رفع الطعام ، وحيء بالوضوء ، ثم صرنا إلى مجلس المنادمة ، فإذا أشكل منزل ، وجعل صاحب المنزل يلطف بي ، ويميل على بالحديث ، حتى إذا شربنا أقدا حارجت علينا جارية كأنها بدر ، نثني يا أمير المؤمنين كالخيزران ، فأقبلت وسلمت غير تحجلة ، وثبت لها وسادة فجلست عليها ، وأتى بالعود فوضع في حجرها ، فحسسته فاستبنت حذقها في جسيها ، ثم آندفعت تغنى :
- توهمها طرفي فأصبح خدّها * وفيه مكان الوهم من نظري أثر ^(٢)
تصاخفها كفى فتؤلم كنفها * فمن مس كفى في أناملها عقر
- فهيجت يا أمير المؤمنين بلابلي ، وطربت لحسن شعرها ، ثم آندفعت تغنى :
- أشرت إليها هل عرفت مودتي * فردت بطرف العين إني على العهد
فحدثت عن الإظهار عمدا لسرّها * وحادت عن الإظهار أيضا على عمد
- فصحت يا أمير المؤمنين ، وجاءني من الطرب ما لم أملك نفسي معه ، ثم آندفعت فغنت الصوت الثالث :

أليس عجيبا أن بيتا يضمّني * وإياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تشكو الهوى بجفونها * وتقطيع أكبّاد على النار تضرّم
إشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وكفّ تسلم

فحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حذيقها ومعرفتها بالغناء، وإصابتها لمعنى الشعر، فقلت : بقى عليك يا جارية ، فضربت بالعود على الأرض ، وقالت : متى كنتم تُحضرون مجالسكم البغضاء! فندمتُ على ما كان منى ، ورأيت القوم تغيروا لى ، فقلت : أما عندكم عود غير هذا ؟ قالوا : بلى ، فأتيت بعود فأصاحبت من شأنه ثم غنيت :

ما للنازل لا يُجِبُّ حَرِينَا * أَصَمَّنَ أَمْ قَدُمُ الْمَدَى فَبَايِنَا ^(١)
راحوا العَشِيَّةَ رَوْحَةً مَذْكُورَةً ^(٢) * إِنْ مُتْنِ مُتْنَا أَوْ حَيَّيْنِ حَيَيْنَا

فما استتممتها يا أمير المؤمنين ، حتى قامت الجارية ، فأكبت على رجليّ تقبلهما ، وقالت : معذرة يا سيدى ، فوالله ما سمعت أحدا يُغنى هذا الصوت غناءك ، وقام مولاهما وأهل المجلس ، ففعلوا كفعلهما ، وطرب القوم واستجشوا الشرب فشربوا ، ثم أندفعت أغنى :

أَفَى الْحَقِّ أَنْ تَمْشَى وَلَا تَذْكُرْنِي * وَقَدْ هَمَمْتُ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرِهَا الدِّمَا ^(٣)
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بُخْلَهَا وَسَمَاحَتِي * لَهَا عَسَلٌ مِنِّي وَتَبْدَلُ عَاقِبَا
فَرَدَى مُصَابَ الْقَلْبِ أَنْتِ قَتَلْتِهِ * وَلَا تَتْرُكِيهِ ذَاهِلَ الْعَقْلِ مُغْرَمَا
فَطَرِبَ الْقَوْمُ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ عَقُولِهِمْ ، فَأَمْسَكْتُ عَنْهُمْ سَاعَةً حَتَّى تَرَجَعُوا ، ثُمَّ غَنَيْتُ الثَّالِثَ :

(١) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل : « البلى » .

(٢) فى العقد الفريد : « رَوْحَةٌ مَذْكُورَةٌ » .

(٣) رواية العقد الفريد :

أَبَى اللَّهِ أَنْ تَمْشَى وَلَا تَذْكُرِيْنِي * وَقَدْ سَفَحْتُ عَيْنَايَ مِنْ ذِكْرِكَ الدِّمَا

هَذَا مُحِبُّكَ مَطْوِيًّا عَلَى كَمَدِهِ ^(١) * عَبْرَى مَدَامُعِهِ تَجْرَى عَلَى جَسَدِهِ
لَهُ يَدٌ تَسْأَلُ الرَّحْمَنَ رَاحَتَهُ * مِمَّا بِهِ وَيَدٌ أُخْرَى عَلَى كَبَدِهِ

بفعلت الجارية تصيح : هذا الغناء والله يا سيدي لا ما كنا فيه منذ اليوم ، وسكر القوم ، وكان صاحب المنزل حسن الشرب ، صحيح العقل ، فأمر غلمانَه أن يُخْرِجُوهم ويحفظوهم إلى منازلهم ، وخالوتُ معه ، فلما شربنا أقداحا ، قال : يا سيدي ، ذهب ما مضى من أيامي ضياعا ، إذ كنت لأعرفك ، فمن أنت ؟ ولم يزل يُسِّحُّ عَلَى حَتَّى أَخْبَرْتُهُ الْخَبْرَ ، فَقَامَ وَقَبَّلَ رَأْسِي وَقَالَ : وَأَنَا أَعْجَبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْأَدَبُ إِلَّا لِمِثْلِكَ ! وَإِنِّي لَجَالِسٌ مَعَ الْخِلَافَةِ وَلَا أَشْعُرُ : ثُمَّ سَأَلَنِي عَنْ قِصَّتِي ، فَأَخْبَرْتُهُ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى صَاحِبَةِ الْكَفِّ وَالْمَعْصَمِ ، فَقَالَ لِلْجَارِيَةِ : قَوْمِي فَقُولِي لِفُلَانَةٍ تَنْزِلُ ، فَلَمْ تَزَلْ تَنْزِلُ جَوَارِيَهُ وَاحِدَةً وَاحِدَةً فَأَنْظُرِي إِلَى كَفِّهَا وَمِعْصَمِهَا ، وَأَقُولُ : لَيْسَ هِيَ هَذِهِ ! حَتَّى قَالَ : وَاللَّهِ مَا بَقِيَ غَيْرُ أُخْتِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ لَا تُزَلِّتُهُمَا إِلَيْكَ ، فَعَجِبْتُ مِنْ كَرَمِهِ وَسَعَةِ صَدْرِهِ ، فَقُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، اِبْدَأْ بِالْأُخْتِ قَبْلَ الْأُمِّ فَعَسَى أَنْ تَكُونَ هِيَ ، فَبَرَزَتْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ كَفِّهَا وَمِعْصَمَهَا قُلْتُ : هِيَ هَذِهِ ، فَأَمَرَ غُلَامَانَهُ فَسَارُوا إِلَى عَشْرَةِ مَشَايِخَ مِنْ جِلَّةِ جِيرَانِهِ فَأَقْبَلُوا بِهِمْ ، وَأَمَرَ بِبَدْرَتَيْنِ فِيهِمَا عَشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ قَالَ لِلْمَشَايِخِ : هَذِهِ أُخْتِي فُلَانَةُ ، أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهَا مِنْ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ ، وَأَمَهَرْتُهَا عَنْهُ عَشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَضَرَبْتُ وَقَبِلْتُ النِّكَاحَ ، فَدَفَعْتُ إِلَيْهَا الْبَدْرَةَ ، وَفَرَّقَ الْأُخْرَى عَلَى الْمَشَايِخِ وَصَرَفَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : يَا سَيِّدِي ، أُمَهَّدُ بَعْضَ الْبُيُوتِ فِتْنَامَ فِيهِ مَعَ أَهْلِكَ ؟ فَأَحْشَمْنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ كَرَمِهِ ، فَقُلْتُ : أَحْضَرُ عَمَّارِيَّةً ^(٢) وَأَحْمِلُهَا إِلَى مَنْزِلِي ، فَفَعَلَ ، فَوَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَقَدْ أَتْبَعَهَا مِنَ الْجَهَّازِ مَا ضَاقَتْ عَنْهُ بَيْوتُنَا ، فَأَوْلَدَتْهَا

(١) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ : « حَرَى مَدَامُعِهِ » .

(٢) الْعَمَارِيَّةُ : هُوَ دَجٌّ يَجْلِسُ فِيهِ .

هذا القائم على رأس أمير المؤمنين — يشير إلى ولده — فعجب المأمون من كرم الرجل وألحقه في خاصة أهله ، وأطلق الطفيل وأجازه .

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني ، وهو الذي حاز قصبات السبق في فن الأدب على أترابه ، وفاز من البلاغة بقُدْحِها المَعْلَى في عُنفوان شبابه ، رسالةً وضعها في هذا الفن ، وصار له بها على أهله غاية المنّ ؛ مع نزاهة نفسه الأنيّة ، وارتفاعه عن المطاعم الدنيّة ؛ وإتقان وضعها تجربة لحاطره ، وضمها إلى فوائد دفاتره ، وهي :

هذا عهد عهده زارد بن لاقم ، لبالع بن هاجم ، آستفتحه بأن قال :

الحمد لله مسهل أوقات اللذات وميسرها ، وناظم أسباب الخيرات ومكثرها ، وجاعل أسواق الأفراح قائمة على ساق ، جابرة لمن ورد إليها بأنواع الإرفاد وأجناس الإرفاق ؛ أحمدته على أن أحلّنا في منازل السادات أرفع الدرجات ، وأحلّ لنا من الأطعمة الفائقة الطيبات ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تهدينا إلى المقام الرفيع ، وتخصّنا بالمحلّ الجسيم المنيع ؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام ، ومعدن الجسارة والإقدام ، الجامع بين فضيلتي الطعان والطعام ؛ صلى الله عليه وعلى آله أهل السباحة والكرم والإكرام ، صلاة تُحلّ قائلها في عُرفات الجنان في دار السلام . وبعد ، فإن صناعة التطفيل صناعةً مَهْوَبةً ، وحرفة هي عند الظرفاء محبوبَةٌ ؛ لا يلبس شعارها إلا كلُّ مقدم ، ولا يرفع خافقَ علمها إلا من عدّ في حرفته من الأعلام ؛ ولا يتلو أساطير شهادتها إلا من ارتضع أفويق الصفاقة ، ولا يهتدى لمنازل علامتها إلا من نزع عن منكبيه رداء الرقاعة والحماقة ؛ وكنْتُ والفؤد غدافي الإهاب ، والغصن ريان من ماء الشباب ؛ والقَدُّ يَمِيس في حُلّة النشاط ، والقَدَم

تَذَرُ الأرضَ ذَرَعَ الاختِباطِ ، لا يُقامُ سوقٌ وليمةٌ إلا وأنا الساعى إليها ، ولا ترفع
أعلام نارٍ مَأْدُبَةٍ إلا وكنت الواقف لديها ، أتخذ الدروب شباكا للصطياد ، وحبائل
أبلغ بها لذيد الزرداد ، قد جعلت المعطس حليف الهواء ، والقلب نزير الأهواء ،
فحيث عَـبَقَتْ روائح الأباذير من أعالي تلك القصور ، وتمندلت ^(١) تلك الشوارع
بزعفران البرم والقُدور ، ألقيت عصا المسير على الباب ، وخبئتُ بحسن أدبي
قلب البواب ، وأوسعت في وصولي ألف حيلة ، وجعلتها على ما عندي من حسن
فنونها مخيلة ، فلا دعوة إلا وكنت عليهم دعوة ، ولا وليمة ختان إلا وقد طلعت
على أرجائها مثل الجان ، ولا سِماط تأليب إلا وكنتُ إليه الساعى المنيب ، ولا تجمع
ضيافة إلا وكنت عليه أشد آفة ، ولا ملاك عُرس مشهود إلا وانتظمت في سلك
الشهود ، يحسن في قول القائل :

١٠

لو طَبِخْتَ قَدْرَ بِمَطْمُورَةٍ * مَوْقِدُهَا الشَّامُ وَأَعْلَى الثُّغُورِ

وأنت في الصين لو افيتها * يا عالم الغيب بما في القُدُورِ

١٥

واليوم قد مال القويمُ إلى الاعوجاج ، وعزَّ بازى الشيب غراب الشَّعر الدَّاج ،
وقيد الزمن أقداما ، ومنعت الشيخوخة إقداما ، وصرتُ لهما على وَضْ ، بعد أن كنت
نارا على علم ، وقد أفادتني التَّجربةُ من هذه الصناعة فنونا ، وتلت على من محاسنها متونا ،
وقد أبقيت لكل مجمع بابا ، وفَذَّأَكتُ لكل مشهد حسابا ، وقد آقتضى حسن الرأى
أن أفوض إليك أمرها ، وأودع تأمورَ قلبك وحسَّك سرَّها ، علمى بأنك الكيس
الفطن ، بل الأملعى الذَّرب المَرِن ، لو عقدت أكلة الولائم بغايٍ ولجَه ، وأحسن بتأتيه
الجميل مدخله ومخرجه ، وقد شاهدتُ من أعمالك الصالحة ، ما يقال عند ذهابي :

٢٠

(١) تمندلت : تضوَّعت وفاحت ، وأصل التمندل : التطيب بالمندل .

(٢) في الأصل : « تأنيب » .



ما أشبه الليلة بالبارحة ، وقد عَهِدْتُ إليك ، وأَسْتَخِرْتُ الله في التعويل عليك ،
فمثلك من يُخْطَبُ للمناصب ، ويتسَمَّ ذِرْوَةُ المراتب ، ودونك ما أنطق به من الوصايا ،
وأحفظ ما يسرُّه لسانُ القلم من جميل المزايا : إياك وموائد اللثام ، وأنزل بساحات
الكرام ، وأتخذ الشروع في الشوارع حرفة ، وأظهر على مشيك صَلافة وعَفَّة ، وميز
بعينك حُسْنَ المساطب ونَقَشَ الستور ، وجمال الخدم وقُعود الصدور ، وأقصد
الأبواب العالية ، والأكلة المنقوشة الحالية ، فإن دَلَّت على مَأْدبة نصبتها بعض
الأعيان ، وجمع إليها أصحابه [و] الإخوان ، فالبس من ثيابك الجميلة قشيبها ، وضوِّع
بالمندل^(١) الرطب طيبها ، وأتقن خُبْرَ صاحب الدار وأخباره ، وقف في صدر الشارع
من الحارة ، فاذا رأيت الجمع وقد تهادوا بالهوادى والأقدام ، وتهادوا فيما بينهم لذيذ
الكلام ، تقدَّم إليهم بقلب قلب الأمور ، وعلم بحسن تطاعه وتضامنه داء الجمهور ، وقل
لهم : رب الدار قد استبطأكم ، فما الذي أبطأكم ، حتى إذا قاربوا صُعود العتبة ،
ولم تبق هنالك معتبة^(٢) ، تقدَّم رافعا لهم الستور ، ومعتزا بمقدار أولئك الصدور ،
فالأضياف يعتقدون أنك غلام المضيف ، وربَّ الحِلَّة يعتقد أنك رفيق السادة
الحِلَّة ، وإن ولجت مجتمع ختان ، وقد نُصبت فيه موائد الألوان ، وزُرِفَت^(٣) الأبواب ،
وأكفهرت وجوه الحُجَّاب ، فاجعل تحت ضيبتك^(٣) المجمع ، وأخدع قلوبهم فمثلك من
يخدع ، وقل : رفيق الأستاذ ومعينه ، ورجله التي يسعى بها بل يمينه ، فحينئذ ترفع

(١) المندل : أجود العود .

(٢) زرفنت : أغلقت ، قال الشهاب الخفاجي في شفاء الغليل : وزرفنته كلمة مولدة واستشهد لذلك

بقول الشاعر :

خُدود لثمها يبرى * من الأسقام أو أمكن

فما تجنني وحارسها * بقفل الصدغ قد زرفن

وفي الأصل « زرفن » بالذال المعجمة .

(٣) الضبن : الكنف . وفي الأصول . « طنبك » .

السُّور ، وتُقدِّمُ لك أطيبُ القُدور ؛ وإن رمالك القَدَرُ على باب غفل عنه
 صاحبه ، وسها في غَلَقه حاجبه ؛ وقد مَدُّوا في أوانيه سِمَاطا ، وجعلوا لأوائل من
 يقدمه فِرَاطا ، وقد تقاربت الزبَادى ، وآمتدت الأيادى ، ورأيت السِّمَاط رَوْضَةً
 تخالفت ألوانها ، وآمتدت أفنانها ، والموائد فيما بينها أفلاكٌ تدور بصحونها ، بل
 بروج ثابتة تُشعِرُ بسكونها ، فليج على غَفْلَةٍ من الرقيب ، وأبسُط بَنانَ الأكل وكَفِّ
 لسان المجيب ؛ فإن قيل لك : أما غَلَّقَ دونك باب ؟ فقل : ما على الكرماء من حِجَاب ؛
 وإياك والإطالة على الموائد ، فإنها مصائدُ الشوارد ؛ وإياك والقَدَارَةَ عليها ، فإنها إِمَارَةٌ
 الحِرْمَانِ لديها ؛ وإن وقعت على وليمة كثيرة الطعام : قليلة الأزدحام ؛ فكبر اللقمة ولا تطل
 عَظْمَها ، ومُر الفَكَّ في سرعة أن يَفَكَّها ؛ فإنك ماتدرى ما تُحدث الليالى والأيام ، خيفة
 أن يعثرَ عليك بعض الأقوام ؛ فتكتسى حُلَّةَ النَجَل ، وتظهر على وجهك صُفْرَةٌ
 الوجَل ؛ وأجعل من آدابك ، تطلَّعك الى أثوابك ؛ ولا ترفع لمستجل وجهها وجيها ،
 وقل لمن يحادثك إياه ولا تقل إياها ؛ وجاوب بنعم ، فإنها مُعِينَةٌ على اللَّقْم ؛ وأجعل
 لكل مقام ما يناسبه من الحيلة ، ومل على أهل الولائم والمآدب مِيلَةً وأى مِيلَةً ؛
 وأسأل عمن ورث من آباءه مالا ، وقد جمعه بوعثاء السفر وعَنَاءه حراما وحلالا ؛
 أهل يعقد مقاما ، أم يبلغ من دنياه بالقصف مراما ؟ فإن قيل : فلان الفلانى رب
 هذه المثابة ، وصاحب الدعوة المجابة ؛ فكن ثالثة الاثافي لبابه ، وانتظم في سلك
 عُشرائه وأترابه ؛ وتفقد الأسواق خصوصا اللّخامين ، ومواطن الطبخ ومساطب
 المطربين ؛ وجمع القراء ومعاهد محال الوعظ ، وكل بقعة هي مظنة فرح يعود عليك
 نفعه ؛ وكن أول داخل وآخر خارج ؛ ومل إلى الزوايا ، فهى أجمل ما لهذه الحُرْفَةِ من
 المزايا ؛ ونقل ركابك في كل يوم ، فتارة في سوق اللحم وتارة في سوق الثوم ؛ وغير

الحليّة، وقصّر اللّحية، وأبرز كلّ يوم في لباس، فهو أكثر للالتباس، وجدّد البهت حتى تتخذ عصاك، وتجعله ذريعة لمن عصاك، وأتقن الفنون المحتاج إليها: من غناء ونجامة، وطبّ وكهانة^(١)، وتاريخ وأدب، وكرم أصل وحسب، وحالتى التوقيت والتنزيل، فاجعلهما دأبك، فإذا عرفوك، وحضر الجمع وكشفوك، فطرز كلّ محفل بحاسن أقوالك، وكلّ جيد كلّ مادّة بجواهر أفعالك، وأعلم أنها صنعة دثرت معالمها، وقلّ عالمها، ولو لم أر على وجهك مخايل بشيرها، وعلى أعطاف أردانك روائح نشرها، لما ألقيت إليك كتاب عهدها، ولا حملت لبيابك راية مجدها، فتلق راية هذا العهد بساعدٍ مساعد، وعضد في الولوج على الأستمطة معاضد، فوضت إليك أمر من تحلى بجواهرها المنظومة، وأيس حللها القشيبية المرقومة، وبسطت لسان قلمك في رقم عهدها، وأذنت لك أن تجريهم على سنن معهودها، وإياك أن تعهد إلا لمن ملك خصاها، وجاس خلاها، وأستجلى هلالها، وأتقن أحوالها، ولاية عامة، وكلمة مبرمة تامة، حرس الله بك معقل الأدب واللطافة، ومحام بك معالم الثقاله والكفاة.

(١٠٥)

ذكر آداب الأكل والمؤاكلة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّكُمْ لَعِنْدَهُ تَعْبُدُونَ﴾. وروى أن داود عليه السلام أمر مناديه فنادى: أيها الناس، اجتمعوا لأعلمكم التقوى، فاجتمعوا، فقام في محرابه فبكى ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أيها الناس، لا تدخلوا هاهنا إلا طيبا، ولا تخرجوا منه إلا طيبا، وأشار إلى فيه. قيل: أول آداب الأكل معرفة الحلال من الحرام، والخبيث من الطيب.

(١) في الأصل: «شهادة» وهي لا تتفق مع السياق، فربحنا ما وضعناه.

وأما الآداب في هيئة المؤاكلة وأفعالها ، فقد رُوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعاب طعاماً قط ، إن اشتهاه أكله وإلا تركه . ورُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ^(١) « لا تشموا الطعام كما تشمه البهائم من أشتهى شيئاً فليأكل ومن كرهه فليدع » . وقال أنس : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن عشر ، ودخل دارنا فحلبنا له شاة فشرب ، وأبو بكر عن يساره وأعرابي عن يمينه ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أعط أبا بكر ، فقال صلى الله عليه وسلم : « الأيمن فالأيمن » . وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

صَدَدَتِ الْكَأْسَ عَنَّا أُمُّ عَمْرٍو * وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا

ورُوي عن أنس : أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم شرب جرعة ثم قطع ، ثم سَمَى ثم شرب جرعة ثم قطع ، ثم سَمَى ثم قطع الثالثة ، ثم جرَعَ مَصّاً حتّى فرغ ، ثم حمد الله . وقد ندب إلى غسل اليد قبل الأكل فإنه ينفي النقر ، وينفي اللّهم . ومن السنّة : البداءة باسم الله ، وحمده عند الانتهاء .

رُوي عن عمر بن أبي سلمة أنه قال : مررت بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو يأكل ، فقال : ^(٢) « اجلس يا بنيّ وسَمَّ الله وكلّ بيمينك مما يليك » .

وقال بعض السلف : إذا جمع الطعام أربعة فقد كَلَّ كل شيء : إذا كان حلالاً ، وذَكَرَ اسمُ الله عليه ، وكثرت عليه الأيدي ، وحمد الله حين يُفرغ منه .

ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ^(٣) « من قال عند مَطْعَمِهِ ومَشْرَبِهِ باسم الله خير الأسماء [باسم الله] رَبِّ الأرض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب » .

(١) في الجامع الصغير : « كما تشمه السباع » .

(٢) رواية البخاري : « يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك » .

(٣) الزيادة عن المستطرف في كل فن مستظرف للإيشي (ج ٢ ص ٢١٢) .

وفي حديث عائشة رضى الله عنها ، عنه صلى الله عليه وسلم قال : ” إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله فإن نسي في أوله فليقل بسم الله في أوله وآخره “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” إذا أكل أحدكم فليأكل كل يمينه [وإذا شرب فليشرب بيمينه] فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله “ .

وَرَوَى : أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا دَعَا أَصْحَابَهُ قَامَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا فَأَصْنَعُوا بِالْفُقَرَاءِ .

ووصف شاعر قوما فقال :

جُلُوسٌ فِي مَجَالِسِهِمْ رِزَانٌ ۖ وَإِنْ ضَيْفَ أَلَمَّ بِهِمْ وَقُوفٌ

قال سهل بن حصّين : شهدت الحسن في وليمة ، فطعم ثم قام فقال : مد الله لكم في العافية ، وأوسع عليكم في الرزق ، وأستعملكم بالشكر .

وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : ” تَخَالَوْا فَإِنَّهُ نِظَافَةٌ وَالنِّظَافَةُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْجَنَّةِ “ .

وفي حديث عمر رضى الله عنه : ” عليكم بالخشبتين “ يعنى السّواك والحلّال . وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه في الطعام : يَا بُنَيَّ ، عَوِّدْ نَفْسَكَ الْأَثْرَةَ ، ومجاهدة [الهوى و] الشهوة ، وَلَا تَنْهَشْ نَهَشَ السَّبَاعِ ، وَلَا تَخْضُمْ خَضْمَ الْبَرَّادِينَ [وَلَا تُدْمِنُ الْأَكْلَ إِدْمَانِ النَّعَاجِ ، وَلَا تَلْقُمُ لَقْمَ الْجَمَالِ] ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ إِنْسَانًا ، فَلَا تَجْعَلَ نَفْسَكَ بِهَيْمَةً .

(١) التكلة عن الجامع الصغير والعقد الفريد والمستطرف .

(٢) رواية الجامع الصغير : « والنظافة تدعو الى الإيمان » .

(٣) الأثرة (بالضم) : اسم من الإيثار وهو تفضيل الانسان غيره على نفسه .

(٤) الزيادة عن العقد الفريد .

٥

١٠

١٥

٢٠

وحكى عن بعض الكتاب قال : تغذيت مع المأمون فالتفت إلى وقال : خلال قبيحة عند الجلوس على الطعام : كثرة مسح اليد ، والآنكباب على الطعام ، وكثرة أكل البقل . ومعنى ذقه هذه الحلال الثلاث : أنه إذا أكثر مسح اليد فإنما ذلك من غمسها في الطعام ، والآنكباب يدل على شدة الحرص وزيادة الشبره والنهم ، قال الشاعر :

لقد سترت منك الإخوان عمامة * دجوجية ظلماتها ليس تقلع .

وأما البقل ، فإن الحاجة إلى الباغه منه ، وفي الإكثار منه تشبه بالبهائم لانه مرعاها .

وقيل : الأكل ثلاثة : مع الفقراء بالإيثار ، ومع الإخوان بالإنساض ، ومع أبناء الدنيا بالأدب .

وقيل لبعض الحكماء : ^(١) أى الأوقات أحمد للأكل ؟ فقال : أما من قدر فإذا آتتهى ، وأما من لم يقدر فإذا وجد .

ذكر الاقتصاد فى المطاعم والعفة عنها

قال الله عز وجل : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ . وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : " من زار أخوه المسلم فقرب إليه ما تيسر غفر له وجعل فى طعامه البركة ومن قرب إليه ما تيسر فاستحق ذلك كان فى مقت من الله حتى يخرج " . وقالت عائشة رضى الله عنها : أولم النبى صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه مدين من شعير .

وقيل : كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول : اعملوا ولا تعملوا لبطونكم ، وإياكم وفضول الدنيا ، فان فضولها رجز ، هذه طير السماء تغدو وتروح ، ليس معها

من أرزاقها شيء ، لا تحرث ولا تحصد ، والله يرزقها ، فإن قلت : بطوننا أعظم من بطونها ، فهذه الوحش تغدو وتروح ، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقها .
وروى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لما دخل شهر رمضان كان يفطر ليلة عند الحسن ، وليلة عند الحسين ، وليلة عند عبد الله بن جعفر ، لا يزيد على لقمتين أو ثلاث ، ف قيل له : فقال : إنما هي أيام قلائل يأتي أمر الله وأنا نحيمص ، فقتل من ليلته .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قل طعمه صح بدنه وصفا قلبه ومن كثر طعمه سقم جسمه وقسا قلبه" . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : "ما زين الله رجلا بزيئة أفضل من عفاف بطنه" . قال حاتم :

أبيت نحيمص البطن مضطجرا الحشا * من الجوع أخشى الدم أن أتضلعا
فإنك إن أعطيت بطنك سؤله * وفرجك نالا منتهى الدم أجمعا

وقال بعضهم : رأيت مجنونا ببغداد ، وهو على باب دار فيها صنيع والناس يدخلون ، وكنت ممن دعى ، فقلت : ألا تدخل فتأكل فان الطعام كثير ؟ قال : وإن كثر فاني ممنوع منه ، فقلت : كيف والباب مفتوح ، ولا مانع من الدخول ؟ فقال : أكل طعاما لم أدع إليه ! لقد أضطرتني الى ذلك غير الجوع ، فقلت : ما هو ؟ قال : دناءة النفس وسوء الغريزة . قال شاعر :

وإني أعف عن مطاعم جمّة * إذا زين الفحشاء للنفس جوعها

وقال آخر :

وأعيرض عن مطاعم قد أراها * فأتركها وفي البطن أنطواء^(١)
فلا وأبيك ما في العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء^(٢)

(١) الطعم (بالضم) : الطعام .

(٢) كذا في شرح ديوان الحماسة طبع أوربا (ص ٥١٦) . وفي الأصول : « وفي الدنيا » .

قال الجنيد : مرّ بي الحارث بن أسد المحاسبي ، فرأيت فيه أثر الجوع ، فقلت : يا عم ، تدخل الدار وتناول شيئاً ؟ قال : نعم ، فدخل ، وقدمت إليه طعاماً حُمِلَ إلى من عُرِس ، فأخذ لقمة فلا كها ، ونَهَضَ فألقاها في الدهليز ومضى ، فالتقيت به بعد أيام ، فقلت له في ذلك ، فقال : كنت جائعاً ، وأردت أن أسرك بأكلي ، ولكن بيني وبين الله تعالى علامة ، ألا يسوغني طعاماً فيه شبهة ، فمن أين كان ذلك الطعام ؟ فأخبرته ، ثم قلت له : تدخل اليوم ؟ قال : نعم ، فقدمت إليه كسراً كانت لنا ، فأكل وقال : إذا قدمت لفقير شيئاً ، فقدم مثل هذا .

وروي أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحكمين : أكثرُوا لهم الطعام ، فوالله ما بطن قوم إلا فقدوا بعض عقولهم ، وما مضت عزيمة رجل بات بطينا ، فلما وجد معاوية ما قال صحيحاً ، قال : «البطنة تذهب الفطنة»^(١) .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا تُميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلوب تموت كالزروع اذا كثر عليه الماء»^(٢) .

ودخل عمر رضي الله عنه على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً ، فقال : ما هذا ؟ قال : قَرِمْنَا إليه ، قال : ويحك ! قَرِمْتَ الى شيء فأكلته ، كفى بالمرء شرهاً أن يأكل كل ما يشتهي .

قال ابن دريد : العرب تُعَيِّرُ [بعضها] بكثرة الأكل ، وأنشد :
لستُ بأَكَّالٍ كأكل العبد * ولا بنوَّامٍ كنوِّم الفَهْدِ^(٣)

(١) في مجمع الأمثال : «البطنة تأفن الفطنة» .

(٢) في الاحياء للغزالي : « فان القلب كالزروع يموت ... الخ » . وفي المستطرف : « فان القلب

كالزروع اذا كثر عليه الماء مات » .

(٣) الزيادة عن المستطرف .

وقال عمر رضى الله عنه : ما آجتماع عند النبي صلى الله عليه وسلم إدامان إلا أكل أحدهما وتصدق بالآخر .

وقال أبو سليمان الداراني : خير ما أكون إذا لصق بطني بظهري ، أجوع الجوعة فأخرج تزحمتي المرأة فما ألتفت إليها ، وأشبع الشبعة فأخرج فأرى عيني تطمحن .

ذكر أخبار الأكلة

قد نسب ذلك الى جماعة من الأكابرو ذوى الهمم ، فمن ذلك ما حكاه الحمدوني في تذكرته : أن معاوية بن أبي سفيان أتى بعجل مشوي ، فأكل معه دستا من الخبز السميد ، وأربع فراني^(١) ، وجديا حارًا ، وجديا باردا ، سوى الألوان ، ووضع بين يديه مائة رطل من الباقلاء الرطب ، فأتى عليه . وقيل : إنه كان يأكل كل يوم أربع أكالات آخرهن أشدهن ، ثم يقول : يا غلام ، أرفع ، فوالله ما شبع ، ولكني ملئت .

ومنهم عبيد الله بن زياد ، كان يأكل في اليوم خمس أكالات آخرها جنبنة بغل ، ويضع بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عناق^(٢) أو جدى فيأتى عليه وحده .

ومنهم الحجاج بن يوسف ، قال سلم بن قتيبة^(٣) : كنت في دار الحجاج مع ولده ، وأنا غلام ، فقالوا : جاء الأمير ، فدخل الحجاج وأمر بتنوير فنصب ، وأمر رجلا يحبز خبز الماء ودعا بسمك ، فأكل حتى أتى على ثمانين جاما من السمك بثمانين رغيفا من خبز الماء .

(١) الفراني : خبز يشوى ويروى سمنا ولبنا وسكرا .

(٢) العناق : الأنثى من أولاد المعز .

(٣) كذا في كتاب المعارف لابن قتيبة والطبري وابن الأثير . وفي الأصل : « سالم بن قتيبة » .

ومنهم سليمان بن عبد الملك، روى أنه شوى له أربعة وثمانون خروفا، فمديده إلى كل واحد منها فأكل شحم أليته ونصف بطنه مع أربعة وثمانين رغيفا، ثم أذن للناس وقدم الطعام، فأكل معهم أكل من لم يذق شيئا .

وقال الشَّمرْدَل ويكل عمرو بن العاص : قديم سليمان بن عبد الملك الطائف ، فدخل هو وعمرو بن عبد العزيز، فجاء حتى ألقي صدره إلى غصن ، ثم قال : يا شمرْدَل ، ما عندك شيء تُطعمُنِي ؟ قلت عندي جدى تغدو عليه حافل وتروح أخرى ؛ قال : عجِّل به ، فأتيته به كأنه عكَّة سمن ^(١) ، بفعل يا كل ، وهو لا يدعو عمر ، حتى بقي منه فخذ قال : يا أبا حفص هلم ، قال : إني صائم ، فأتى عليه ؛ ثم قال : يا شمرْدَل ويلك ! ما عندك شيء ؟ قلت : دجاجات ست ، كأنهن رِثْلان النعام ، فأتيته بهن فأتى عليهن ؛ ثم قال : ويلك يا شمرْدَل ! ما عندك شيء ؟ قلت : سويق كأنه قُرَاضة الذهب ، فأتيته بعس يغيب فيه الرأس ، فشربه ؛ فلما فرغ تجشأ كأنه صارخ في جب ؛ ثم قال : يا غلام ، أفرغت من غدائنا ؟ قال : نعم ، قال : ما هو ؟ قال : نيّف وثمانون قدرا ، قال : فأت بقدر قدر ، وبقناع عليه رُقَاق ، فأكل من كل قدر ثلاث لقم ، ثم مسح يده وأستلقى على فراشه ، فوضع الحوان وقعد يأكل مع الناس .

ومن المشهورين بالأكل ، هلال بن الأسعر المازني ، قال المعتمر بن سليمان : سأله عن أكله فقال : جعت مرة ومعى بعير لي فنجرتُه وأكلته إلا ما حملت منه

(١) كذا في العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥) : وفي الأصل : « جذع » .

(٢) العكَّة : زقيق صغير للسمن .

(٣) رواية العقد الفريد : « خمس دجاجات هندية » .

(٤) في العقد الفريد : « حريرة » وهي دقيق يطبخ بلبن أو دسم .

(٥) العس : القدح العظيم .

(٦) في العقد الفريد : « في حب » والحب : الخابية ، فارسي معرب .

(٧) القناع (بالكسر) : الطبق من عسب النخل يوضع فيه الطعام .

على ظهري ، فلما كان الليل راوَدْتُ أمة لي فلم أصل إليها ، فقالت : كيف تصل إلى
وبيني وبينك جمل ؟ فقلت له : كم تكفيك هذه الأكلة ؟ فقال : أربعة أيام .
وحكى أبو سعد منصور بن الحسين الآبي في كتابه المترجم بنثر الدر : أن هلالا
هذا أكل بعيرا ، وأكلت امرأته فصيلا وجامعها فلم يتمكن منها ، فقالت له : كيف
تصل إلى وبيني وبينك بعيران ! وله حكايات ذكرها الحمدوني في التذكرة ، والآبي
في نثر الدر تركناها اختصارا .

ومنهم محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ذكر الجاحظ : أنه أكل يوما
جنبي بكر شواء بعد طعام كثير .

ومن المشهورين بالهم أحمد بن أبي خالد الأحول وزير المأمون ، وكان
المأمون إذا وجهه في حاجة أمره أن يتغذى ويمضي ، فرُفِعَ إلى المأمون في المظالم :
إن رأى أمير المؤمنين أن يجري على آبن أبي خالد بدلا ، فإن فيه كلبية ، إلا أن
الكلب يحرس المنزل بكسرة ، وآبن أبي خالد يقتل المظلوم ، ويعين الظالم بأكلة ،
فأجرى عليه المأمون في كل يوم ألف درهم لمائدته ، وكان مع ذلك يشره إلى طعام
الناس . ولما أنصرف دينار بن عبد الله من الجبل ، قال المأمون لأحمد بن أبي خالد :
امض إلى هذا الرجل وحاسبه وتقدم إليه بحمل ما يحصل لنا عليه . وأنفذ معه خادما
ينهي إليه ما يكون منه ، وقال : إن أكل أحمد عند دينار عاد إلينا بما نكره .
ولما اتصل خبر أحمد بدينار قال للطباخ : إن أحمد أشره من نفخ فيه الروح ، فإذا
رأيته فقل له : ما الذي تأمر أن يُتخذ لك ، ففعل الطباخ ، فقال أحمد : فراريج

(١) كذا في الأغاني (ج ٣ ص ٦٨ طبع دار الكتب) والمستطرف . وفي الأصول : « كم تبلغتك » .

(٢) كذا في معجم ياقوت ونظم الدر لأبي سعد . وفي الأصول : « أبو سعيد منصور بن الحسن الآبي »
وهو بحريف . والآبي نسبة إلى آبة قرية من أصبهان .

(٣) البذل : العطاء ، وفي الأصل : « نزلا » .

كَسَكْرِيَّةَ بِمَاءِ الرِّمَانِ تُقَدِّمُ مَعَ خَبْزِ الْمَسَاءِ بِالسَّمِيدِ، ثُمَّ هَاتِ بَعْدَهَا مَا شِئْتَ، فَابْتَدَأَ
 الطَّبَاخُ بِمَا أَمَرَ، وَأَخَذَ أَحْمَدُ يُكَلِّمُ دِينَارًا، فَقَالَ لَهُ: يَقُولُ لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: إِنْ لَنَا
 قَبْلَكَ مَا لَا قَدْ حَبَسْتَهُ عَلَيْنَا، فَقَالَ: الَّذِي لَكُمْ ثَمَانِيَةَ آلَافِ أَلْفٍ، قَالَ: فَاحْمِلْهَا،
 قَالَ: نَعَمْ، وَجَاءَ الطَّبَاخُ فَاسْتَأْذَنَ فِي نَصَبِ الْمَائِدَةِ، فَقَالَ أَحْمَدُ: عَجِّلْ بِهَا فَإِنِّي
 أَجُوعُ مِنْ كَلَبٍ، فَقَدَّمَتْ وَعَلَيْهَا مَا اقْتَرَحَ، وَقَدَّمَ الدِّجَاجُ وَعِشْرِينَ فَرُوجًا كَسَكْرِيَّةَ،
 فَأَكَلَ كُلُّ جَائِعٍ نَهْمًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا مِمَّا قَدَّمَ، فَلَمَّا فَرَّغَ وَقَدَّرَ الطَّبَاخُ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ،
 لَوَّحَ بِطَيْفُورِيَّةٍ فِيهَا خَمْسَ سَمَكَاتٍ شَبَابِيظَ كَأَنَّهَا سَبَائِكُ الْفِضَّةِ، فَأَنكَرَ أَحْمَدُ عَلَيْهِ
 أَنْ لَا قَدَّمَهَا، وَقَالَ: هَاتِيهَا، وَأَعَادَ أَحْمَدُ الْخَطَابَ، فَقَالَ دِينَارٌ: أَلَيْسَ قَدْ عَرَفْتِكَ
 أَنَّ الْبَاقِيَ لَكُمْ عِنْدِي سَبْعَةَ آلَافِ أَلْفٍ؟ قَالَ: أَحْسِبُكَ اعْتَرَفْتَ بِأَكْثَرِ مِنْهَا، فَقَالَ:
 مَا اعْتَرَفْتَ إِلَّا بِهَا، فَقَالَ: هَاتِ خَطِّكَ بِمَا اعْتَرَفْتَ بِهِ، فَكَتَبَ بِسِتَّةِ آلَافِ أَلْفٍ،
 فَقَالَ أَحْمَدُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! أَلَيْسَ قَدْ اعْتَرَفْتَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا؟ قَالَ: مَا لَكُمْ قَبْلِي
 إِلَّا هَذَا الْمَقْدَارُ فَأَخَذَ خَطَّهُ بِهَا، وَتَقَدَّمَ الْخَادِمُ فَأَخْبَرَ الْمَأْمُونُ بِمَا جَرَى. فَلَمَّا وَرَدَ
 أَحْمَدُ نَاولَهُ الْخَطَّ، فَقَالَ: قَدْ عَرَفْنَا مَا كَانَ مِنْ أَلْفِ الْأَلْفِ بِتَنَاوُلِ الْغَدَاءِ، فَمَا بِالْ
 أَلْفِ الْأَلْفِ الْآخَرِ! فَكَانَ الْمَأْمُونُ بَعْدَ ذَلِكَ يَقُولُ: مَا أَعْلَمُ غَدَاءَ قَامَ عَلَى أَحَدٍ
 بِأَلْفِي أَلْفٍ إِلَّا غَدَاءَ دِينَارٍ، وَأَقْتَصَرَ عَلَى الْخَطِّ وَلَمْ يَتَعَقَّبْهُ كَرَمًا وَنُبْلًا.

١٥

وَمِنْهُمْ أَبُو الْعَالِيَةِ، حُكِيَ أَنَّ أَمْرَأَةً نَحَلَتْ فَخْلَتَ إِنْ وَلَدَتْ غُلَامًا لِأَشْبَعَنَّ
 أَبَا الْعَالِيَةِ خَيْصًا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَأَطْعَمَتْهُ، فَأَكَلَ سَبْعَ جِفَانٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا
 حَلَفَتْ أَنْ تُشْبِعَكَ خَيْصًا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ عَلِمْتَ لِمَا شَبِعْتَ إِلَى اللَّيْلِ.

وَمِنْهُمْ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْعَلَّافُ الشَّاعِرُ، دَخَلَ يَوْمًا عَلَى الْوَزِيرِ
 الْمُهَلَّبِيِّ بِيغَدَادَ، فَأَنْفَذَ الْوَزِيرُ مِنْ أَخَذَ حِمَارَهُ الَّذِي كَانَ يَرْكَبُهُ مِنْ غُلَامِهِ، وَأَدْخَلَ

٢٠

المطبخ وذُج وطبخ لحمه بماء وملح ، وقُدِّم بين يديه ، فأكله كله وهو يظن أنه لحم بقر ، فلما خرج [و] طلب الحمار ، قيل له : قد أكلته . وعوضه الوزير عنه ووصله .
فهذا كافٍ في أخبار الأكلة .

ذكر ما قيل في الجبن والفرار

ومن أقبح ما هُجِيَ به الرجل أن يكون جباناً فتراراً ، وقد نهانا الله عز وجل عن الفرار ، فقال : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَنِئْسَ الْمَصِيرُ)** . وقال تعالى : **(إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ)** .
وقالت عائشة رضي الله عنها : إن لله خلقاً قلوبهم كقلوب الطير ، كلما خفقت الريح خفقت معها ، فأفَّ للجبناء ! أفَّ للجبناء !

وقال خالد بن الوليد عند موته : **(لَقَدْ لَقِيتُ كَذَا وَكَذَا زَحَفًا ، وَمَا فِي جَسَدِي مَوْضِعٌ [شبر] إِلَّا فِيهِ طَعْنَةٌ بَرُخْ أَوْ ضَرْبَةٌ بِسَيْفٍ أَوْ رَمِيَّةٌ بِسَهْمٍ ، وَهَئِذَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتَفَ أَنْفِي ، كَمَا يَمُوتُ الْغَيْرُ ، فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجَبْنَاءِ !)**

وقيل : كتب زياد إلى ابن عباس : أن صف لي الشجاعة والجبن والجود والبخل ، فكتب إليه : كتبت تسألني عن طبائع رُكبت في الإنسان تركيب الجوارح ، أعلم أن الشجاع يقاتل عمن لا يعرفه ، والجبان يفر عن عرسه ، وأن الجواد يُعطى من لا يلزمه ، وأن البخيل يمسك عن نفسه . وقال شاعر :

يَفِرُّ جِبَانُ الْقَوْمِ عَنْ عَرَسِ نَفْسِهِ * وَيَجْمِي شُجَاعُ الْقَوْمِ مَنْ لَا يَنَاسِبُهُ

٢٠ (١) الزيادة عن العقد الفريد وتذكرة الصفدي . (٢) هو أبو يعقوب الحريري كما في كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس تأليف أبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى الأندلسي ورقة ١٣٣ (٣) كذا في الأصل وبهجة المجالس . وفي العقد الفريد : «عن أم نفسه» .

وقالوا : الجبن غريزة كالشجاعة يضعها الله فيمن شاء من خلقه .

قال المتنبي :

يرى الجبناء أن الجبن حزم^(١) * وتلك خديعة الطبع اللئيم

وقالوا : حد الجبن : الضن بالحياة ، والحرص على النجاة .

وقالت الحكماء في الفراسة : من كانت فزعته في رأسه فذاك الذي يفر من أمه وأبيه ، وصاحبه وأخيه ، وفصيلته التي تؤويه .

ويقال : أسرع الناس إلى الفتنة أقلهم حياء من الفرار .

وقال هاني الشيباني لقومه يوم ذي قار يحرضهم على القتال : يا بني بكر ! هالك معذور خير من ناج فرور . المنيّة ولا الدنيّة . استقبال الموت خير من استدباره .

الثغر في ثغور النحور ، خير منه في الأعجاز والظهور . يا بني بكر ! قاتلوا ، فما من المنايا بد ، الجبان مبغض حتى لأمه ، والشجاع محبوب حتى لعدوه .

ويقال : الجبن خير أخلاق النساء ، وشر أخلاق الرجال .

وقال يعلى بن منبه لقومه حين فتروا من على يوم صفين : إلى أين ؟ قالوا : ذهب الناس ، قال : أف لكم ! فراراً واعتذاراً !

قال : ولما قوتل أبو الطيب المتنبي ورأى الغلبة عليه فتر ، فقال له غلامه : أترضى أن يتحدث الناس بهذا الفرار عنك ؟ وأنت القائل :

الخيّل والليل والبيداء تعرفني * والطعن والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعاً ، وقاتل حتى قتل ، وأستقبح أن يعير بالفرار .

(١) في ديوان المتنبي : « ان العجز عقل ... الخ » .

(٢) في العقد الفريد : « قال الأحنف » .

(٣) ورد هذا الخبر في تذكرة الصفدي بتبسط عما هنا .

(٤) في تذكرة الصفدي : « حاموا » .

وقال المنصور لبعض الخوارج عليه وقد ظفّر به : أخبرني عن أصحابي ، أيهم كان أشدّ إقداما في المبارزة ؟ قال : لا أعرف وجوههم مقبلين وإنما أعرف أقفيتهم مُدبرين ، فقل لهم يُدبروا لأعترتك أيهم كان أشدّ فرارا .

وقال ابن الروميّ في سليمان بن عبد الله بن طاهر :

قِرْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ أَضْرَبَهُ * شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيُدْنِفُهُ
لَا يَعْرِفُ الْقِرْنَ وَجْهَهُ وَيَرَى * قَفَاهُ مِنْ فَرَسٍ فَيَعْرِفُهُ

وقال حسان بن ثابت يُعير الحارث بن هشام بفراره يوم بدر :

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَ الَّذِي حَدَّثَنِي * فَنَجَوْتُ مَنَجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكَ الْأَحْبَبَ لَمْ يُقَاتِلْ دُونَهُمْ * وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِحَامِ
مَلَأْتُ بِهِ الْفَرَجَيْنِ فَارْمَدَتْ بِهِ ^(١) * وَتَوَى أَحْبَبَهُ بِشَرِّ مَقَامِ

وقال أبو الفرج الأصفهانيّ : وكان أبو حية النيرى ، وهو الهيثم بن الربيع ابن زُرارة ، جباناً بخيلاً كذاباً . قال ابن قتيبة : وكان له سيف يسميه : ألعاب المنية ، ليس بينه وبين الخشبة فرق . قال : وكان أجبن الناس ، قال : فحدثني جاره
قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصاً فأشرفت عليه ، وقد أنتضى سيفه ، وهو واقف في وسط الدار يقول : أيها المُغترَّبنا ، المجترئ علينا ، بئس والله ما اخترت لنفسك ، خيرٌ قليل ، وسيفٌ صقيل ، لعباب المنية الذي سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تُخاف نبوته ، أخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك ، إني والله إن أدعُ قيساً إليك لا تقم لها ، وما قيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلاً ورجلاً ، سبحان الله !

(١) ارمدت به : أسرعت وعدت مثل عدو الرمداء ، وهي النعام .

(٢) يقال : نضى السيف من غمده وانتضاه إذا أخرجه .

ما أكثرها وأطيبها! فيينا هو كذلك، إذا الكلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذي
مسحك كلبا، وكفانا [فيك] حربا^(١).

ومن أبلغ ما قيل في الحب من الشعر القديم، قول الشاعر^(٢):
ولو أنها عصفورة لحسبتها * مسومة تدعو عبيدا وأزنا^(٣)

ومثله قول عروة بن الورد:

وأشجع قد أدركتهم فوجدتهم * يخافون خطف الطير من كل جانب
وقال آخر:

ما زالت تحسب كل شيء بعدهم * خيلا تذكر عليهم ورجالا

وقول أبي تمام:

موكَّل بيفاع الأرض يشرفه * من خفة الخوف لا من خفة الطرب^(٤)

وقال ابن الرومي:

وفارس أجبن من صنفرد^(٥) * يحول أو يعور من صنفرة^(٦)
لو صاح في الليل به صائح * لكانت الأرض له طفرة
يرحمه الرحمن من جنبه * فيرزق الجنه به النصرة

١٥

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدي.

(٢) في كتاب النقااض (ص ٥٨٤) ولسان العرب هو العوام بن شاذب الشيباني.

(٣) كذا في النقااض ص ٥٨٥ ولسان العرب مادة «زئم»؛ وعبيد وأزئم: بطنان من بني يربوع.

وفي الأصلين (أرنا) بالراء المهملة وهو تحريف.

(٤) الصفرد: طائر يقال له: أبو المليح وهو طائر جبان.

(٥) في ديوان ابن الرومي: "أويشول".

٢٠

(٦) في ديوان ابن الرومي: "فيطعم الله به نصره".

- ومن أخبار الفرّارين الذين حسّنوا الفرار على قبّحه
 قال صاحب كيلة ودمنة : إن الحازم يكره القتال ما وجد بُدًّا منه ، لأن النفقة
 فيه من النفس ، والنفقة في غيره من المال .
 وقالوا : من توقّى سَلَمٌ ، ومن تهوّر نَدَمٌ .
 وقال عبد الله بن المقفّع : الشجاعة متّلفة ، وذلك أن المقتول مُقبلاً أكثر من
 المقتول مُدبراً ، فمن أراد السلامة فليؤثر الجبن على الشجاعة .
 ولِإِيمَ بعض الجبناء على جنبه ، فقال : أَوَلِ الحرب شَكْوَى ، وأوسطها نَجْوَى ،
 وآخرها بَلْوَى .
 وقال آخر : الحرب مقتلة للعباد ، مذهبة للطارف والتلاد .
 وقيل لجبان : لِمَ لا تقاتل ؟ فقال : « عند النطاح يُغَلَّبُ الكبش الأجم^(١) » .
 وقالوا : الحياة أفضل من الموت ، والفرار في وقته ظَفَرٌ .
 وقالوا : الشجاع مُلقًى ، والجبان مُوقًى . قال البديع الهمداني :
 ماذا قهما كالشجاع ولا خلا ۞ بمسرّة كالعاجز المتّوآنى
 وقالوا : الفرار في وقته ، خير من الثبات في غير وقته .
 وقالوا : السّلم أزكى للآل ، وأبقى لأنفس الرجال .
 وقالوا : الحِمام في الإقدام ، والسلامة في الإحجام .
 وقال المتوكل لأبي العيّن : إني لأفرق من لسانك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الكريم
 ذو فرّق وإحجام ، واللّيم ذو وقّاحة وإقدام .

(١) الأجم : الذي لا قرن له ، وهو مثل يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعدّ له .

وقيل لأعرابي: ألا تعرف القتال فإن الله قد أمرك به؟ فقال: والله إني لأبغض الموت على فراشي في عافية، فكيف أمضي إليه رگضا! قال شاعر:

تمشي المنايا الى قوم فأبغضها * فكيف أعدو إليها عارى الكفن^(٢)؟

وقيل ليزيد: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا رأيت شخصا بالليل فكن للإقدام عليه أولى منه عليك"، فقال: أخاف أن يكون قد سمع الحديث قبلي، فأقع معه فيما أكره، وإنما الهرب خير.

وسمع سليمان بن عبد الملك قارئاً يقرأ: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقال: ذلك القليل نريد.

ولما فتر أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد يوم مرداء هجر بالبحرين من أبي فديك الخارجي إلى البصرة، ودخل عليه أهلها، فلم يدروا كيف يكلمونه ولا ما يلقونه به من القول، أيهنثونه بالسلامة أم يعزونه بالفرار، حتى دخل عبد الله ابن الأهم، فاستشرف الناس له، ثم قالوا: ماعسى أن يقول لمنهزم! فسلم ثم قال: مرحبا بالصابر المخدول^(٤) [الذي خذله قومه]، الحمد لله الذي نظر لنا عليك، ولم ينظر لك علينا، فقد تعرضت للشهادة جهداً، ولكن الله علم حاجة أهل الإسلام إليك فأبقاك لهم بخذلان من معك لك. فقال أمية: ما وجدت أحداً أخبرني عن نفسي غيرك.

(١) في تذكرة الصفدى والعقد الفريد (ج ١ ص ٤٥ طبع بولاق): «ألا تغزو العدو فان الله... الخ».

(٢) في تذكرة الصفدى: «عارى الكفن».

(٣) في معجم البلدان لياقوت — بعد أن شرح «مرداء هجر» بأنها رملة دونها لا تنبت شيئاً —

قال: «مرداء مضر أيضاً قرية كان بها يوم بين أبي فديك الخارجي وأممية بن عبد الله بن خالد بن أسيد

ففر أمية أقبح فرار» اهـ. (٤) الزيادة عن العقد الفريد.

وقال الحارث بن هشام وأحسن في اعتذاره عن الفرار :

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا مهري بأشقر مزيد
وعلمت أني إن أقاتل واحدا * أقتل ولا يضرر عدوى مشهدي
فصدفت عنهم والأحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم سمرمد

وقال زفر بن الحارث وقد فتر يوم مرج راهط^(١) عن رقيقه^(٢) :

أذهب يوم واحد إن أسأته * بصالح أيامي وحسن بلائيا
فلم ترمني زلة قبل هذه * فرارى وتركي صاحبي ورأيا

وهي أبيات نذكرها إن شاء الله في التاريخ . ونظير ذلك قول عمرو بن معد يكرب من أبيات يخاطب بها أخته ربحانة ، وقد فتر من بني عبس :

أجاءلة أم النوير خراية^(٣) * على فرارى إذ لقيت بني عبس
وليس يعاب المرء من جبن يومه * إذا عرفت منه الحماية بالأمس^(٤)

وعكس هذا البيت عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي ، وكان قد فتر يوم الحرة من جيش مسلم بن عقبة ، فلما حاصر الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة جعل يقاتل أهل الشام ويرتجز :

أنا الذي فرت يوم الحرة * والشيخ لا يفتر إلا مرة
فاليوم أجرى كرة بفرة^(٥) * لا بأس بالكرة بعد الفرة

ولم يزل يقاتل حتى قتل . قال الفترار السلمي :

(١) مرج راهط : موضع بغوطة دمشق ، سمي باسم رجل من قضاعة ، كانت به وقعة مشهورة بين قيس وتغلب (راجع معجم ياقوت) في اسم راهط .

(٢) في العقد الفريد : « عن أبيه وأخيه » .

(٣) في حماسة البحتري (ص ٦٧ طبع أوربا) : « أم الحصين » .

(٤) في العقد الفريد : « ... إذا عرفت منه الشجاعة ... الخ » .

(٥) الذي في حماسة البحتري ص ٦٥ « وقال حيان بن الحكم السلمي » .

(١) وفوارس لبستها بفوارس * حتى إذا التبت أملت بها يدي
وتركتهم تقص الرماح ظهورهم * من بين مقتول وآخر مسند
هل ينفعني أن تقول نساءهم * وقيل دون رجالهم : لا تبعد؟

وقال آخر :

(٣) قامت تشجني هند فقات لها * إن الشجاعة مقرن بها العطب
لا والذي منع الأبصار رؤيته * ما يشتهي الموت عندي من له أرب
للحرب قوم أضل الله سعيهم * إذا دعيتهم إلى نيرانها وثبوا

وقيل لحيان في بعض الوقائع : تقدم ، فقال :

وقالوا تقدم قلت لست بفاعل * أخاف على نخارتي أن تحطما
فلو كان لي رأسان أتلقت واحدا * وإكنه رأس إذا زال أعما
وأوتم أولادا وأرميل نسوة * فكيف على هذا ترون التقدما

ذكر ما قيل في الحق والجهل

قالوا : الحق قلة الإصابة ، ووضع الكلام في غير موضعه . وقيل : هو فقدان
ما يُحمد من العاقل . وقيل لعمر بن هبيرة : ما حد الحق ؟ قال : لا حد له كالعقل .

(١) ورد هذا البيت في حماسة البحرى ص ٢٦٥ هكذا :

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى إذا التبت نفحت بها يدي

(٢) كذا في حماسة البحرى ، وتقص : تدق وتكسر . وفي الأصل : « تقص » وهو تحريف .

(٣) في تذكرة الصفدى : * باتت تشجني عرسي وقد علمت *

(٤) رواية تذكرة الصفدى : * حجت الأنصار كعبته *

(٥) في تذكرة الصفدى : ... الى آفاتهما ... الخ .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "الأحمق أبغض الخلق إلى الله ،
لأنه حرّمه أعزّ الأشياء عليه وهو العقل" .

(١١٠)

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى : أتدري لم رزقت الأحمق ؟ قال : لا يا رب ،
قال : ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاجتهاد .

وقال الشعبي : إذا أراد الله أن يزيل عن عبد نعمة كان أول ما يعدمه عقله .

وقالوا : الحمق داءٌ دواؤه الموت . وقد بين الله تعالى خيبة من لم يعقل بقوله : ﴿لِيُنذِرَ
مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ قيل : عاقلا ، وبقوله : ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أثنى قومٌ على رجل عند النبي صلى الله
عليه وسلم حتى بالغوا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كيف عقل

الرجل" ، فقالوا : نُخبرُك عن اجتهاده في العبادّة وأصناف الخير وتساءلنا عن

عقله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إنّ الأحمق يصيبُ بحمقه أعظمَ من

جُورِ الفاجر وترتفع العبادُ غدا في الدرجات [زافى من ربهم] على قدر عقولهم" .

ومن كلام لقمان لابنه : أن تكون أحرص عاقلا خيرا من أن تكون نطوقا جاهلا .

ولكل شيء دليل ، ودليل العقل النقل ، ودليل النقل الصمت^(٢) . وكفى بك جهلا

أن تنهى الناس عن شيء وتركبه .

وقال عيسى عليه السلام : عالجت الأكمة والأبرص فأبرأتهم ، وعالجت الأحمق

فأعميانى . قال شاعر :

لِكُلِّ داءٍ دواءٌ يُسْتَطْبُ به * إلا الحماقة أعيت من يداويها

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

(٢) رواية الصفدى : « ودليل العقل التفكير ، ودليل التفكير الصمت » .

وقال آخر :

وعلاجُ الأبدانِ أيسرُ خطباً * حينَ تعتَل من علاجِ العقولِ

وقال آخر :

الحُمقُ داءٌ ماله حيلةٌ * تُرجى كبعدِ النجمِ من مسّه

وقيل إذا قيل لك : إن فقيراً استغنى ، وغنياً افتقر ، وحيّاً مات ، أو ميتاً عاش ،
فصدّق ، وإذا بلغك أن أحقّ استغادَ عقلاً فلا تُصدّق .

وقالوا : الأحقُّ نمتى أمّه أنّها به مُشكلة ، ونمتى زوجه أنّها منه أرملة ، ويتمنى
جاره منه العزلة ، ورفيقه منه الوحشة ، وأخوه منه الفرقة .

وقال سهل بن هارون : وجدتُ مودةَ الجاهل ، وعداوةَ العاقل ، أسوةً في الخطر ،
ووجدتُ الأنسَ بالجاهل ، والوحشةَ من العاقل ، سيّئ في العيب ، ووجدتُ غشَّ
العاقل أقلَّ ضرراً من نصيحةِ الجاهل ، ووجدتُ ظنَّ العاقل أوقعَ بالصواب من
يقينِ الجاهل ، ووجدتُ العاقلَ أحفظَ لما لم يُستكتم من الجاهل لما أُستكتم .
وقال لقمان لابنه : لا تعاشرِ الأحقَّ وإن كان ذا جمال ، وأنظر الى السيف ،
ما أحسنَ منظره وأقبحَ أثره ! .

وقال عليّ رضي الله عنه : قطيعةُ الجاهل تعدلُ صِلّةَ العاقل . وقال : صديق
الجاهل في تعب .

وقال آخر : لَأَنَا لِلْعَاقِلِ الْمُدَبِّرِ أَرْجَى مِنْهُ لِلْأَحْمَقِ الْمُقْبِلِ . وقال شاعر :
عَدُوُّكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنَ الصَّدِيقِ لَكَ الْوَامِقِ الْأَحْمَقِ

(١) كذا في تذكرة الصندي . وفي الأصل : « أرجى شيء من الأحق » وهو تحريف .

والبيت المشهور السائر :

وَلَا أَنْ يُعَادِيَ عَاقِلًا خَيْرٌ لَهُ * مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ صَدِيقٌ أَحمقُ

وقيل : الحمق يسلب السلامة ، ويورث الندامة . وقد ذموا من له أدب بلا عقل .

ووصف أعرابي رجلا فقال : هو ذو أدب وافر ، وعقل نافر . قال شاعر :

فَهَبْكَ أَخَا الْآدَابِ أَيْ فَضِيلَةٍ * تَكُونُ لَدَى عِلْمٍ وَلَيْسَ لَهُ عَقْلٌ



ومن صفات الأحمق وعلاماته . قيل : ما أعْدَمَكَ من الأحمق فلا يُعْدَمُكَ منه كثرة الالتفات وسرعة الجواب . ومن علاماته الثقة بكل أحد .

وَيُقَالُ : إِنَّ الْجَاهِلَ مُولِعٌ بِحِلَاوَةِ الْعَاجِلِ ، غَيْرُ دَبَالٍ بِالْعَوَاقِبِ ، وَلَا مُعْتَبِرٍ بِالْمَوَاعِظِ ، لَيْسَ يُعْجِبُهُ إِلَّا مَا ضَرَّهُ ، إِنْ أَصَابَ فَعَلَى غَيْرِ قَصْدٍ ، وَإِنْ أَخْطَأَ فَهُوَ الَّذِي لَا يَحْسُنُ بِهِ غَيْرُهُ ، لَا يَسْتَوْحِشُ مِنَ الْإِسَاءَةِ ، وَلَا يَفْرَحُ بِالْإِحْسَانِ .

وقالوا : سِتُّ خِصَالٍ تُعَرِّفُ فِي الْجَاهِلِ : الْغَضَبُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، وَالْكَلَامُ فِي غَيْرِ نَفْعٍ ، وَالْفِطْنَةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ ، وَلَا يَعْرِفُ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ ، وَالثَّقَّةُ بِكُلِّ أَحَدٍ .

وقالوا : غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ ، وَغَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ . وَالْعَاقِلُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا مَثَلًا ، وَالْأَحْمَقُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا حَافِلًا ^(١) . الْأَحْمَقُ إِذَا حَدَّثَ ذَهَلًا ، وَإِذَا تَكَلَّمَ عَجَلًا ، وَإِذَا حَمَلَ عَلَى الْقَبِيحِ فَعَلَ .

وقال أبو يوسف : إِبْثَاتُ الْحِجَةِ عَلَى الْجَاهِلِ سَهْلٌ ، وَلَكِنْ إِقْرَارُهُ بِهَا صَعْبٌ .

(١) كَذَا فِي التَّذَكُّرَةِ . وَفِي الْأَصُولِ : « خَلْفًا » بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ .

وقال وهب بن منبه : كان يقال للأحمق : اذا تكلم فضحه حمقه ، واذا سكنت فضحه عيه ، واذا عمل أفسده ، واذا ترك أضاع ، لا علمه يعينه ، ولا علم غيره ينفعه ، تود أمه أنها تكلمته ، ونمتي امرأته أنها عديمته ، ويتمنى جاره منه الوحدة ، وتأخذ جلسه منه الوحشة .

- وَيُسْتَدَلُّ عَلَى الْأَحْمَقِ بِأَشْيَاءَ ، قَالُوا : مَنْ طَالَتْ قَامَتُهُ ، وَصَغُرَتْ هَامَتُهُ ،
وَأَنَسَدَتْ لَحِيَّتَهُ ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى مَنْ يَرَادُ أَنْ يُقَرَّرَ عَنْ عَقْلِهِ السَّلَامُ .
وَيُقَالُ فِي التَّوْرَةِ : اللَّحْيَةُ مَخْرَجُهَا مِنَ الدِّمَاغِ ، فَمَنْ أَفْرَطَ عَلَيْهِ طَوْلُهَا قَلَّ دِمَاغُهُ ،
وَمَنْ قَلَّ دِمَاغُهُ قَلَّ عَقْلُهُ ، وَمَنْ قَلَّ عَقْلُهُ فَهُوَ أَحْمَقُ .

- وَقَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ لِمَا ضُ قَضِيَ عَلَيْهَا : صَغُرَ رَأْسُكَ ، فَبَعْدَ فَهْمِكَ ، وَأَنَسَدَتْ
لَحِيَّتَكَ ، فَتَكُونُ سَجَ عَقْلُكَ ، وَمَا رَأَيْتَ مَيْتًا يَقْضِي بَيْنَ حَيِّينِ غَيْرَكَ .

- وَقَالَ مُسْلِمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِحُلَسَائِهِ : يُعْرِفُ حَقُّ الرَّجُلِ فِي أَرْبَعٍ : طَوْلَ لَحْيَتِهِ ،
وَبِشَاعَةِ كَنِيَّتِهِ وَإِفْرَاطَ شَهْوَتِهِ ، وَنَقْشَ خَاتَمِهِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ طَوِيلُ اللَّحْيَةِ ،
فَقَالَ : أَمَّا هَذَا فَقَدْ أَتَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ ، فَانْظُرُوا أَيْنَ هُوَ مِنَ الثَّلَاثِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا كُنَيْتُكَ ؟
فَقَالَ : أَبُو الْيَاقُوتِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا نَقَشَ خَاتَمُكَ ؟ فَقَالَ : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي
لَا أَرَى الْهُدُودَ . قِيلَ : فَأَيُّ الطَّعَامِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْجَلَنْجَبِينَ^(٢) ، فَقَالَ مُسْلِمَةُ :
فِيهِ مَا بَعْدَ كَنِيَّتِهِ ، مَعَ طَوْلَ لَحْيَتِهِ ، مَعَ نَقْشِ خَاتَمِهِ شَكٌّ لِمُعْتَبِرٍ .

- قَالَ الشَّعْبِيُّ : خَطَبَ الْحِجَاجُ يَوْمَ جُمُعَةٍ فَأُطَالَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لَهُ :
إِنَّ الْوَقْتَ لَا يَنْتَظِرُكَ وَإِنَّ الرَّبَّ لَا يَعْذُرُكَ ، فَأَمَرَ بِهِ خُبَسَ ، فَأَتَاهُ أَهْلُهُ يَشْفَعُونَ فِيهِ

(١) فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (ج ٢ ص ٣٩ طبع دار الكتب المصرية) : « هشام بن عبد الملك » .

(٢) فِي كِتَابِ الْأَلْفَاظِ الْفَارَسِيَةِ الْمَعْرُوبَةِ لِأَدِي شِيرٍ وَأَقْرَبُ الْمَوَارِدِ أَنَّ الْجَلَنْجَبِينَ : مَعْجُونٌ يَعْمَلُ
مِنَ الْوَرْدِ وَالْعَسَلِ ، فَارْسِيٌّ مَعْرَبٌ عَنْ كَلِمَةِ " كُلِّ " وَمَعْنَاهَا وَرْدٌ ، وَعَنْ كَلِمَةِ " أَنْكَبِينَ " وَمَعْنَاهَا عَسَلٌ .

وقالوا : إنه مجنونٌ ، فقال المجحاجُ : إن أقرَّ بالحنونِ خَلَيْتُ سبيلَه ، فأتوه وسألوه ذلك ، فقال : لا والله ، لا أقول إن الله آبتلاني وقد عافاني ، فبلغ كلامه المجحاجَ فعظم في نفسه وأطلقه .

وقال الأصمعيُّ : قلت لغلامٍ من أبناء العرب : أيسرك أن يكون لك مائة ألفٍ وأنت أحمق ؟ قال : لا والله ! قلت : ولم ؟ قال : أخاف أن ينجني على حمقى جنائيةً فتذهب مني ويبقى حمقى .

والعربُ تضربُ المثلَّ في الحمقى بعجل بن الجهم ، ويزعمون أنه قيل له : إن لكل فرسٍ جوادٍ آسمًا ، وإن فرسك هذا سابقٌ فسمه ، ففقأ عينه وقال : سميتُه الأعور . وفيه يقول الشاعر :

رَمَتْنِي بَنُو عَجَلٍ بِدَاءِ أَيَّهِمْ * وهل أحدٌ في الناس أحمق من عجلٍ
أليس أبوهم عارٌ عينَ جواده * فسارت به الأمثالُ في الناس بالجهلِ

ويضربون المثلَّ في الحمقى بهبنة القيسى ، وهو يزيد بن ثروان ، ويكنى أبا نافع ، حكى أنه شرد له بعيرٌ ، فقال : من جاء به فله بعيران ، فقتل له : أتجعل في بعير بعيرين ؟ فقال : إنكم لا تعرفون فرحة الوجدان .

وقد رضى قومٌ بالجهل فقالوا : ضعف العقل أمانٌ من الغم . وقالوا : ما سرُّ عاقلٍ قط . قال أبو الطيب المتنبي :

ذو العقلِ يشقى في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

(١) رواية عيون الأخبار (ج ٢ ص ٤٣) :

* وأى عباد الله أنوك من عجل *

(٢) عاره : صيره أعور . ٢٠

وقال حكيمٌ : ثمرة الدنيا السرور، ولا سرور للعقلاء . وقال المغيرة بن شعبة :
 ما العيش إلا في إلقاء الحشمة . وقال بكر بن المعتمر : إذا كان العقل ^(١) سبعة أجزاء
 احتاج الى جزء من جهل ليُقدِّم على الأمور، فإنَّ العاقل أبداً متوانٍ مترقب متوقِّف
 متخوِّف . قال النابغة الجعدي :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له * بوادر تَحْمِي صَفْوَه أن يُكْدرا
 وقال آخر :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتكُ اللّهجُ
 أخذه آخر فقال :

من راقب الناس مات غمًّا * وفاز بالآلدة الجسورُ
 وقالوا : الجاهلُ ينالُ أغراضه ، ويظفر بأرائه ، ويطيحُ قلبه ، ويجرى في عنان
 هواده ، وهو برئٌ من اللوم ، سليمٌ من العيب ، مغفورُ الزلات .
 وقالوا : الجاهلُ رنحُ الدرع ، خالي البال ، عازبُ الهم ، حسنُ الظن ، لا يخطرُ
 خوفُ الموت بفكره ، ولا يجرى ألمُ الإشفاق على ذكره .
 وقالوا : الجهلُ مطيئة المراح والمسرة ، ومسرحُ المزاج والفكاهة ، وحليفُ الهوى
 والتصابي ، صاحبه في ذمامٍ من عهدة اللوم والعتب ، وأمانٍ من قوارصِ الذم والسب .
 قال بعضُ الشعراء :

ورأيتُ الهمومَ في صحبة العقلِ فداويتُها بأمراضِ عَقْلِي
 وقالوا : لو لم يكن من فضيلة الجهل غيرُ الإقدام ، وورود الحمام ، إذ هما من
 الشجاعة والبسالة ، وسببُ تحصيل المهابة والجلالة ، لكفاه . قال أبو هلال العسكري :
 سألني بعضُ الأدباء : أيُّ الشعراء أشدُّ حمقا ؟ قلت الذي يقول :

(١) في تذكرة الصفدي : "تسعة" .

أَتَيْهِ عَلَى إِنْسٍ الْبِلَادِ وَجِئَهَا * وَلَوْ لَمْ أَجِدْ خَلْقًا لَتَهَتُّ عَلَى نَفْسِي
أَتَيْهِ فَلَا أَدْرِي مِنَ التَّيِّبِ مَنْ أَنَا * سِوَى مَا يَقُولُ النَّاسُ فِيَّ وَفِي جَنْسِي
فَإِنْ صَدَقُوا أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ مِثْلَهُمْ * فَمَا فِي عَيْبٍ غَيْرَ أَنِّي مِنَ الْإِنْسِ

ذكر ما قيل في الكذب

٥ قال الله عز وجل : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ . وقال : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ . وقال في الكاذبين : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ .

١٠ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ^(١) ” إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى
الْفُجُورِ وَالْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” الْكَذِبُ مُجَانِبُ
الْإِيمَانِ “ . وقال صلى الله عليه وسلم : ” ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مَنَافِقٌ وَإِنْ صَلَّى
وَصَامَ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ مَنْ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا أَؤْتِمِنَ خَانَ “ .
وقال صلى الله عليه وسلم : ” لَا يَجُوزُ الْكَذِبُ فِي جِدِّ وَلَا هَزْلٍ “ . وقال : ” لَا يَكُونُ
الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا “ .

وقالت الحكماء : ليس لكاذب مروة .

١٥ وقالوا : مَنْ عُرِفَ بِالْكَذِبِ لَمْ يَحْسُنْ صِدْقُهُ .

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : خُلِفَ الْوَعْدُ ثَلَاثُ النِّفَاقِ .

وقال بعض الحكماء : الصِّدْقُ مُنْجِيكَ وَإِنْ خِفْتَهُ ، وَالْكَذِبُ مُرْدِيكَ وَإِنْ أَمِنْتَهُ .

قال أبو عمرو بن العلاء القاري : سَادَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَكَانَ مِمْلَقًا ، وَسَادَ أَبُو جَهْلٍ وَكَانَ

(١) في تذكره الصفدي زيادة في هذا الحديث نصها : ” وَتَحَرَّوْا الصِّدْقَ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ

حَدَّثَنَا ، وساد أبو سفيان وكان بخالا ، وساد عامر بن الطفيل وكان عاهرا ، وساد
كليب بن وائل وكان ظلوما ، وساد عيينة وكان نَحْمَقًا ، ولم يسد قط كذاب ، فصلح
السؤدد مع الفقر والحداثة والبخل والعهر والظلم والحق ، ولم يصلح مع الكذب ،
لأن الكذب يعم الأخلاق كلها بالفساد .

وقال يحيى بن خالد : رأيت شريب خمر نزع ، ولصا أقلع ، وصاحب فواحش
رجع ، ولم أر كذابا رجع .

ويقال : الكذب مفتاح كل كبيرة ، والخمر جماع كل شر .

وقيل : لا تأمن من يكذب لك أن يكذب عليك .

وقيل : الكذب والنفاق والحسد أثافي الدل .

وقال ابن عباس : حقيق على الله ألا يرفع للكاذب درجة ، ولا يثبت له حجة .

وقال سليمان بن سعيد : لو صحبني رجل وقال : لا تشترط علي إلا شرطا واحدا
لقلت : لا تكذبني .

وقال أبو حيان التوحيدى : الكذب شعار خلق ، ومورد رنق ، وأدب سيئ ،
وعادة فاحشة ، وقل من أسترسل فيه إلا ألفه ، وقل من ألفه إلا أتلفه .

وقال غيره : الكذب أوضع الرذائل خُطّة ، وأجمعها للذمة والمحنة ، وأكبرها ذُلّا
في الدنيا ، وأكثرها خزيا في الآخرة ، وهو من أعظم علامات النفاق ، وأقوى الدلائل
على دناءة الأخلاق والأعراق ، لا يؤتمن حامله على حال ، ولا يصدق إذا قال .
وقيل : لكل شيء آفة ، والكذب آفة النطق .

وقال بعض الكرماء : لو لم أدع الكذب تأثما ، لتركته تكزما .

وقال أرسطاطاليس : فضّل الناطق على الأخرس بالنطق ، وزين النطق الصدق ،
فإذا كان الناطق كاذبا فالأخرس خير منه .

وقال بعض الحكماء لولده : يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالْكَذِبَ ، فَإِنَّهُ يُزِرُّ بِقَائِلِهِ ، وَإِنْ كَانَ شَرِيفًا فِي أَصْلِهِ ، وَيُذِلُّهُ وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا فِي أَهْلِهِ .

وقال الأحنف بن قيس : إِثْنَانِ لَا يَجْتَمِعَانِ : الْكَذِبُ وَالْمَرْوَةُ .

وقال بُزْرَجِيهْرُ : الْكَاذِبُ وَالْمَيِّتُ سَوَاءٌ ، لِأَنَّ فَضِيلَةَ النُّطْقِ الصَّدْقُ ، فَإِذَا لَمْ يُوثَّقْ بِكَلَامِهِ بَطَلَتْ حَيَاتُهُ .

وقال معاويةُ يوماً للأحنف : أَتَكْذِبُ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ مُذْ عَلِمْتُ أَنَّ الْكَذِبَ شَيْنٌ .

وقيل : لَا يَجُوزُ لِلرَّجُلِ أَنْ يَكْذِبَ لِصَلَاحِ نَفْسِهِ ، فَمَا عَجَزَ الصَّدْقُ عَنْ إِصْلَاحِهِ كَانَ الْكَذِبُ أَوْلَى بِفَسَادِهِ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

مَا أَحْسَنَ الصَّدْقَ وَالْمَغْبُوطَ قَائِلُهُ * وَأَقْبَحَ الْكَذِبَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

وَقَالُوا : إِحْذَرِ مَصَاحِبَةَ الْكَذَّابِ ، فَإِنْ أَضْطَرَّتْ إِلَيْهَا فَلَا تَصَدِّقْهُ ، وَلَا تَعْلَمْهُ أَنَّكَ كَذَّبْتَهُ ، فَيَنْتَقِلَ عَنْ مَوَدَّتِهِ ، وَلَا يَنْتَقِلَ عَنْ كَذِبِهِ .

وَقَالَ هُرْمَسٌ : اجْتَنِبْ مَصَاحِبَةَ الْكَذَّابِ ، فَإِنَّكَ لَسْتَ عَلَى شَيْءٍ يُتَحَصَّلُ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ مَعَهُ عَلَى مِثْلِ السَّرَّابِ يَلْمَعُ وَلَا يَنْفَعُ .

وقيل : الْكَذَّابُ شَرٌّ مِنَ النَّمَامِ ، فَإِنَّ الْكَذَّابَ يَخْتَلِقُ عَلَيْكَ ، وَالنَّمَامَ يَنْقُلُ عَنْكَ . قَالَ شَاعِرٌ :

إِنَّ النَّمُوْمَ أُعْطِيَ دُونَهُ خَبْرِي * وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ فِي مُفْتَرِي الْكَذِبِ

وَقَالَ آخَرُ :

لِي حِيلَةٌ فِيمَنْ يَنْمُو * وَلَيْسَ فِي الْكَذَّابِ حِيلَةٌ

مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُو * لُ خَيْلَتِي فِيهِ قَلِيلُهُ

ووصف أعرابي كذابا فقال : كَذِبُهُ مِثْلُ عُطَّاسِهِ : لَا يُمَكِّنُهُ رَدُّهُ .

وقال بعض الأعراب : حَبِيتَ مِنَ الْكَذَّابِ الْمَشِيدِ بِكَذِبِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ يَدُلُّ النَّاسَ عَلَى عَيْبِهِ ، وَيَتَعَرَّضُ لِلْعِقَابِ مِنْ رَبِّهِ ، فَلَا تَأْمَلْهُ عَادَةً ، وَالْأَخْبَارُ عَنْهُ مُتَضَادَّةٌ ، إِنْ قَالَ حَقًّا لَمْ يُصَدَّقْ ، وَإِنْ أَرَادَ خَيْرًا لَمْ يُؤَفَّقْ ، فَهُوَ الْجَانِي عَلَى نَفْسِهِ بِفِعَالِهِ ، وَالْدَّالُّ عَلَى فَضِيحَتِهَا بِمَقَالِهِ ، فَمَا صَحَّ مِنْ صَدَقَةٍ نُسِبَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَمَا صَحَّ مِنْ كَذِبٍ غَيْرِهِ نُسِبَ إِلَيْهِ .

ويقال : الْكَذِبُ جَمَاعُ النِّفَاقِ ، وَعِمَادُ مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ ، عَارٌ لَا زَمَ ، وَذَلٌّ دَائِمٌ ، يُخَيِّفُ صَاحِبُهُ نَفْسَهُ وَهُوَ آمِنٌ ، وَيَكْشِفُ سِتْرَ الْحَسَبِ عَنْ لُؤْمِهِ الْكَامِنِ .
وقال بعض الشعراء :

لَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ إِلَّا مِنْ مَهَانَتِهِ * أَوْ عَادَةِ السُّوءِ أَوْ مِنْ قِلَّةِ الْوَرَعِ
وقال الأصمعي : قِيلَ لِرَجُلٍ مَعْرُوفٍ بِالْكَذِبِ : هَلْ صَدَقْتَ ؟ قَالَ : أَخَافُ أَنْ أَقُولَ : « لَا » ، فَأَصْدُقُ .

وآفة الكذب النسيان . قال شاعر :

وَمِنْ آفَةِ الْكَذَّابِ نَسْيَانُ كَذِبِهِ * وَتَلَقَّاهُ ذَا دَهْيٍ إِذَا كَانَ كَاذِبًا

وقال علي بن اللحام شاعر اليتيمة :

تَكْذِبُ الْكَذِبَةُ يَوْمًا * ثُمَّ تَنْسَاهَا قَرِيبًا
كُنْ ذَكُورًا يَا أَبَا يَحْيَى * بِي إِذَا كُنْتَ كَذُوبًا

وقال أبو تمام :

يَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَعَدًّا حَشَوْهُ خُلْفٌ * وَأَكْثَرَ النَّاسِ قَوْلًا حَشَوْهُ كَذِبٌ

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

صحيفة أفنيت "ليت" بها و"عسى" * عنوانها راحة الراجي إذا يتسأ
وعده له هاجس في القلب قد برمت^(١) * أحشاء صدرى به من طول ما هجسا
يراعة غرنى منها وميض سنا * حتى مددت إليها الكف مقتبسا^(٢)
فصادفت حجرا لو كنت تضربه * من لؤمه بعصا موسى لما أنجسا^(٣)

وقال آخر :

وتقول لى قولا أظنك صادقا * فأجىء من طمع اليك وأذهب
فإذا اجتمعت أنا وأنت مجلس * قالوا مسيئة وهذا أشعب

ذكر ما قيل فى الغدر والخيانة

قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾
وقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ .
وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من أمن رجلا ثم قتله
وجبت له النار وإن كان المقتول كافرا " . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا
جمع الله الأولين والآخرين رفع لكل غدير لواء وقيل هذه غدرة فلان " .

(١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٤٩ طبع بولاق) :

« وعد له هاجس فى الغدر ... * ... من طول ما أنجسا »

(٢) فى العقد الفريد : « مواعد » .

(٣) فى العقد الفريد : « نصادمت » .

(٤) رواية الجامع الصغير : « من أمن رجلا على دمه فقتله فأنا برى ، من القاتل وإن كان المقتول كافرا » .

(٥) فى تذكرة الصفدى رواية ابن عمر : « الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان » .

وقالوا : من نقض عهده ، ومنع رِفْدَه ، فلا خيرَ عنده .

وقالوا : الغالب بالغدر مغلول ، والناكث للعهد ممقوت مخذول .

وقالوا : من علامات النفاق ، نقضُ العهد والميثاق .

وقالوا : لا عذر في الغدر . والعذر يصلح في كلِّ المواطن ؛ ولا عذر لغادر

ولا خائن .

وفي بعض الكتب المنزلة : إن مما تُعَجَّلُ عقوبته من الذنوب ولا تُؤَخَّرُ : الإحسان

يُكْفَرُ ، والذمة تُخْفَرُ . قال شاعر :

أَخْلَقَ بَيْنَ رِضَى الْخِيَانَةِ شِمَّةً * أَلَّا يَرَى إِلَّا صَرِيحَ حَوَادِثِ

مَا زَالَتِ الْأَرْزَاءُ تُلْحِقُ بِؤْسَهَا * أَبَدًا بِغَادِرِ ذِمَّةٍ أَوْ نَاكِثِ

وقالوا : الغدر ضامن العثرة ، قاطع ليد النصرة .

ويقال : من تعدى على جاره ، دَلَّ على لُؤْمٍ نَجَارِهِ .

وذكر أن عيسى صلوات الله عليه مرَّ برجل وهو يُطَارِدُ حَيَّةً وهى تقول له :

والله إني لم تذهب عني لأَنْفُخَنَّ عليك نفخةً أَقْطَعُكَ بها قِطْعًا ، فمضى عيسى

عليه السلام في شأنه ، ثم عاد فرأى الحية في جُونة الرجل محبوسة ، فتمال لها :

ويحك ! أين ما كنتِ تقولين ؟ قالت : يا رُوحَ الله ، إنه حلف لى وغَدَرَ ، وإنَّ سُمَّ

غدره أَقْتُلُ له من سُمَّي .

ذكر أخبار أهل الغدر وغدراتهم المشهورة

أعرف الناس في الغدر آل الأشعث بن قيس بن معديكرب ، وقد عُدَّت لهم
غَدَرَات ، فمنها : غدر قيس بن معديكرب بمراد ، وكان بينهم عهد ألا يغزوهم
إلى أنقضاء شهر رجب ، فوافاهم قبل الأمد بِكِنْدَةَ ، وجعل يحمل عليهم ويقول :
أقسمت لا أنزل حتى تهزموا * أنا ابن معديكرب فاستسلموا
* فارس هيجا ورئيس مِصْدَم *

فَقُتِلَ قيس بن معديكرب . وأرتد الأشعث عن الإسلام . وغدر الأشعث بنى
الحارث بن كعب ، وكان قد غزاهم فأسروه ، ففدى نفسه بمائتي بعير ، فأعطاهم
مائة وبقي عليه مائة فلم يؤدّها ، وجاء الإسلام فهدم ما كان في الجاهلية .

وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وغدر أيضا
بأهل طبرستان ، وكان عبید الله بن زياد ولّاه إياها ، فصالح أهلها على ألا يدخلها
ورحل عنهم ، ثم عاد إليهم غادرا ، فأخذوا عليه الشعب ، وقتلوا ابنه أبا بكر .

وغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالهجاج لما ولّاه خراسان ، وخرج
عليه وأدعى الخلافة ، وكان بينهم من الوقائع ما نذكره في أخبار الهجاج
إن شاء الله تعالى ، وكانت الدائرة على عبد الرحمن ، وكلّهم ورثوا الغدر عن
معديكرب ، فإنه غدر مَهْرَةَ ، وكان بينه وبينهم عهد إلى أجل ، فغزاهم ناقضا لعهدهم
فقتلوه وبقرُوا بطنه ومكّوه بالحصى .

وغدرت أبنة الضيّز بن معاوية بأبيها صاحب الحضرم ودلت سابور على
طريق فتحه ، ففتحها وقتل أباه وتزوجها ، ثم قتلها . وقد ذكرنا ذلك في الجزء الأول

من هذا الكتاب في المباني . ومن ذلك ما فعله النعمان بسنمار ، وقد ذكرناه أيضا في خبر بناء الخورنق .

ومن أشهر الغدر عمرو بن جرموز : غدر بالزبير بن العوام ، وقتله بوادي السباع . ونذكر ذلك إن شاء الله تعالى في حرب الجمل .

- ومن الغدر الشنيع ما فعلته عضل والقارة ، روى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله إن فينا إسلاما وخيرا ، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويُقرئونا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام ، فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من أصحابه ، وهم : مرثد بن أبي مرثد الذنوي ، وخالد بن [أبي] البكير حليف بني عدي^(١) ابن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخو بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدي^(٢) أخو بني جحجج بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثنة أخو بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق ، ومعتب بن عبيد أخو عبد الله لأمه ، وأمر عليهم مرثد ابن أبي مرثد ، وقيل أمر عليهم عاصم ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع — ماء لذيذ — غدروا بهم وأستصرخوا عليهم هذيانا ، فلم يرع القوم وهم في رحالهم إلا الرجال في أيديهم السيوف ، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ، فقالوا : إنا والله ما نريد قتلكم ، وإنما نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة [ولكم عهد الله وميثاقه لا نقتلكم] ، فأما مرثد وخالد وعاصم ومعتب فقالوا : والله ما نقبل من مشرك عهدا

(١) في تذكرة الصفدي : « ستة نفر » وفي طبقات ابن سعد بيتان لحسان بن ثابت ذكر فيهما الستة

ولم يذكر معتب بن عبيد .

(٢) التصويب عن الصفدي والطبقات الكبرى .

(٣) الزيادة عن تذكرة الصفدي .

ولا عَقْدًا ، فقاتلوا حتى قُتلوا ؛ وأما زيد وخُبَيْب وعبد الله فلا نوا ورغبوا في الحياة ، وأعطوا بأيديهم ، فأسروهم وخرجوا بهم الى مكة لبيعهم بها ؛ حتى إذا كانوا بمرَّ الظَّهران أترع عبد الله بن طارق يده من القرآن ، ثم أخذ سيفه وآستأخر عن القوم ، فرمَّوه بالحجارة حتى قتلوه ؛ وقَدِمُوا بخبيب وزيد الى مكة فباعوهما ، فابتاع خبيبا حُجْر بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعُقْبَة بن الحارث بن عامر بن نوفل ليقتله بالحارث ؛ وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأمية بن خلف .

وروى أن خبيبا لما حصل عند بنات الحارث آستعار من إحداهن موسى ليستجد بها [للقتل] ؛ فمارع المرأة إلا صبي لها يدرج ، وخبيب قد أجلس الصبي على فخذه ، والموسى في يده ؛ فصاحت المرأة ، فقال خبيب : أتَحْسَبِينَ أنى أقتله ؟ إن الغدر ليس من شأننا ؛ فتمالت المرأة : مارأيت بعد أسيرا قط خيرا من خبيب ! لقد رأيته وما بمكة من ثمرة ، وأن في يده قِطفا من عنب يأكله ، إن كان إلّا رزقا رزقه الله خبيبا . ولما نُحرج بخبيب من الحرم ليقتلوه قال : ذروني أصل ركعتين ، ثم قال : لولا أن يقال : جزع لَزِدْتُ ، وما أبالي على أى شئ كان مصرعى . وهذه القصة نذكرها إن شاء الله تعالى بما هو أبسط من هذا في السيرة النبوية في سيرة مرثد إلى الرجيع .

قيل : أغار خَيْثَمَةُ بن مالك الجُعْفِيُّ على حَيٍّ من بني القَيْنِ ، فاستأقَّ منهم إبلا
 فأحرقوه لَيْسَتْ تَنْقُذُوهَا مِنْهُ ، فلم يَطْمَعُوا فِيهِ ، ثُمَّ ذَكَرَ يَدَا كَانَتْ لِبَعْضِهِمْ عِنْدَهُ ، نَحَلَى عَمَّا
 كَانَ فِي يَدِهِ ، وَوَلَّى مِنْصَرَفًا ، فَنَادَوْهُ وَقَالُوا : إِنْ الْمَفَازَةُ أَمَامَكَ ، وَلَا مَاءَ مَعَكَ ، وَقَدْ
 فَعَلْتَ جَمِيلًا ، فَأَنْزَلَ وَلَكَ الدَّمَامُ وَالْحِبَاءُ ، فَتَزَلَّ ، فَلَمَّا أَطْمَأَنَّ وَسَكَنَ وَأَسْتَمَكُنُوا مِنْهُ ،
 غَدَرُوا بِهِ فَقَتَلُوهُ . فَفِي ذَلِكَ تَقُولُ عَمْرَةَ آيَتُهُ :

(۲) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

غدرتم بمن لو كان ساعة غدركم * بكفّيه مفتوق الغرار بن قاضب

أذادكم عنه بضرب كانه * سهام المنايا كلهم صواب

(١)

وتلاحى بنو مفروق بن عمرو بن محارب، وبنو جهم بن مرة بن محارب، على ماء لهم، فغلبتهم بنو مفروق فظهرت عليهم، وكان في بني جهم شيخ له تجربة وسن، فلما رأى ظهورهم قال: يا بني مفروق، نحن بنو أب واحد، فلم نتفانى؟ هلموا إلى الصلح، ولكم عهد الله تعالى وميثاقه وذمة آبائنا ألا نهيجكم أبدا ولا نزاحمكم في هذا الماء، فأجابتهم بنو مفروق إلى ذلك، فلما أطمأنوا ووضعوا السلاح عدا عليهم بنو جهم فنالوا منهم منالاً عظيماً، وقتلوا جماعة من أشrafهم. ففي ذلك يقول أبو ظفر الحارثي:

(٢)

هلا غدرتم بمفروق وأسرته * والبيض مصالاة والحرب تستعر

(٣)

لما أطمأنوا وشاموا من سيوفهم * ثرتم اليهم وعمر الغدر مشتهر

غدرتموهم بأيام مؤكدة * والورد من بعده للغادر الصدر

هذا ما قيل في الغدر.

وأما الخيانة، فقد نهى الله تعالى عنها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا

اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا إيمان لمن لا أمانة له

ولا دين لمن لا عهد له».

وقيل: من ضيع الأمانة، ورصى بالخيانة، فقد برئ من الديانة.

(١) كذا في تذكرة الصفدى. وفي الأصل: «بنو مقرون» وهو تحريف.

(٢) في تذكرة الصفدى: «هلا ظفرت».

(٣) كذا في تذكرة الصفدى. وفي الأصل: «في».

(٤) رواية الجامع الصغير: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة

له وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد».

وقال حكيم : لو علم مُضَيِّعُ الأمانة ، ما في النكث والخيانة ، لقصّر عنهما عَنَانَهُ .
وقالوا : من خان مان ، ومن مان هان ، وتبرأ من الإحسان .

قيل : دخل شهر بن حوشب وهو من جِلَّةِ القراء وأصحاب الحديث على معاوية ،
وبين يديه خرائط فيها مال ، قد جُمِعت لتوضع في بيت المال ، فقعد على خريطة
منها وأخذها ، ومعاوية ينظر إليه ، فلما رُفعت الخرائط فُقد من عددها خريطة ،
فأعلم الخازن بذلك معاوية ، فقال : هي محسوبة لك فلا تسأل عن أخذها . ففيه يقول
بعض الشعراء :

لقد باع شهر دينه بخريطة * فمن يأمن القراء بعدك يا شهر

وقال المنصور لعامل بلغه عنه خيانة : يا عدو الله وعدو أمير المؤمنين وعدو
المسلمين ! أكلت مال الله ، وخُنت خليفة الله ، فقال : يا أمير المؤمنين ، نحن عيالُ
الله ، وأنت خليفة الله ، والمال مال الله ، فقال من نأكل إذا ! فضحك وأطلقه ،
وأمر ألا يؤلَّى عملاً بعدها .

وسرق رجل في مجلس أنوشروان جاماً من ذهب وهو يراه ، فتفقده الشرايـ
فقال : والله لا يخرج أحد حتى يُفتش ، فقال له أنوشروان : لا تتعرض لأحد ،
فقد أخذه من لا يردّه ، وراه من لا ينم عليه .

وحكى أن بعض التجار أودع عند قاضٍ بمَعَرَّةِ النعمان وديعةً ، وغاب مدّةً ، فلما
رجع طالبها ، فأنكرها القاضى ، فتشفع إليه برؤساء بلده في ردها ، فما زالوا به
حتى أقتر بها ، وأدعى أنها سُرقت من حرزه ، فاستحلفه المودع فحلف . فقال ابن
الدّويدة في ذلك :

(١) كذا في الصّفى . وفي الأصول : « فمن أين نأكل » .

لَا يَصْدُقُ الْقَاضِي الْخَوَّوْنُ إِذَا أَدْعَى * عَدَمَ الْوَدِيعَةِ مِنْ حَصِينِ الْمَوْدِعِ
 إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقُ، إِنَّمَا * ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ يَعْنِي لَوْ تَعَى
 أَوْ قَالَ قَدْ وَقَعَتْ فَيَصْدُقُ، إِنَّمَا * وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْقِعٍ
 وَقَالَ ابْنُ الْحَجَّاجِ :

وَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْقَاضِي عَسَاهُمْ * إِذَا وَقَعَ الْيَمِينُ يُخْلَفُونِي
 وَأَضِيعُ مَا يَكُونُ الْحَقُّ عِنْدِي * إِذَا عَزَمَ الْغَرِيمُ عَلَى الْيَمِينِ

ذكر ما قيل في الكبر والعجب

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ
 جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ . وَقَالَ : ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
 لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ . وَقَالَ : ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ . وَقَالَ :
 ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ . وَنَاهَيْكَ بِهَذَا زَجْرًا .
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ
 نَّحْرَدَلٍ مِنْ كِبَرٍ" . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ تَعَظَّمَ فِي نَفْسِهِ وَآخْتَالَ فِي مَشِيئَتِهِ
 لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ" . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ
 خِيَلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ [يَوْمَ الْقِيَامَةِ]" .

وَرَوَى : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ ، مَرَّ بِالسُّوقِ يَحْمِلُ حُرْمَةً حَطَبٍ ، فَتَقِيلُ لَهُ :
 أَلَيْسَ قَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ عَنْ هَذَا؟ قَالَ : بَلَى ! وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَقْمَعَ بِهِ الْكِبَرَ ،
 سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ
 مِثْقَالُ حَبَّةٍ [مِنْ نَّحْرَدَلٍ] مِنْ كِبَرٍ" .

(١) النكلمة عن الجامع الصغير .

(٢) النكلمة عن الصفدي .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما وجد أحد في نفسه كبرا إلا من مهانة يجدها في نفسه .

وقالوا : مَنْ قَلَّ لَبُهُ كَثُرَ عَجْبُهُ .

وقالوا : عَجِبُ المرء بنفسه أحد حساده .^(١)

وقال أردشير بن بابك : ما الكبر إلا فضل حَقٍّ لم يدر صاحبه أين يضعه فصرفه إلى الكبر .

ومن كلام لابن المعتز : لما عَرَفَ أَهْلُ التَّقْصِيرِ حَالَهُمْ ، عند أهل الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيرا ، ويرفع حقيرا ، وليس بفاعل .^(٢)

وقال أكرم بن صيفي : من أصاب حظا من دنياه فأصارد ذلك إلى كبر وترفع فقد أعلم أنه نال فوق ما يستحق ، ومن أقام على حاله فقد أعلم أنه نال ما يستحق ، ومن تواضع وغادر الكبر فقد أعلم أنه نال دون ما يستحق .

وقال علي رضي الله عنه : عجبت للكبر الذي كان بالأمس نطفة ، وهو غدا جيفة .
وقيل : مرّ بعض أولاد المهبّ بمالك بن دينار وهو يخطب ، فقال له : يا بني ، لو خففت بعض هذه الخيلاء ألم يكن أحسن بك من هذه الشهرة التي قد شهرت بها نفسك ؟ ! فقال له الفتى : أو ما تعرف من أنا ؟ قل : بلى ! والله أعرفك معرفة جيدة ، أولك نطفة مذرة ، وآخرك جيفة قذرة ، وأنت بين ذلك حامل عذرة ، فأرخي الفتى رذنيته وكف مما كان يفعله ، وطأ طأ رأسه ، ومضى مسترسلا .

(١) كذا في تذكرة الصفدي . وفي الأصل « عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله » والظاهر أن كلمة

« عقله » مقحمة من النسخ .

(٢) في أدب الدنيا والدين وتذكرة الصفدي : « لما عرف أهل النقص » .

(٣) الرदन : المكان .

وقال الواقدي^(١) : دخل الفضل بن يحيى ذات يوم على أبيه [وأنا عنده] وهو يتبخر في مشيته ، [فكره ذلك منه^(٢)] فقال لي يحيى : يا أبا عبد الله ، إن البخل والجمل مع التواضع أزين بالرجل من الكبر مع السخاء والعلم ، فإلها حسنة غطت على عيبين عظيمين ، وإلها سيئة غطت على حسنتين كبيرتين ، ثم أوما إليه بالجلوس وقال : أحفظه يا عبد الله ، فإنه أدب كبير أخذناه عن العلماء .

ومن الكبر المستهجن ما روى : أن وائل بن حجر أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقطعته أرضا ، وقال لمعاوية : "اعرض هذه الأرض عليه وآ كتبها له" ، فخرج مع وائل في هاجرة شامية ، ومشى خائف ناقته ، وقال له : أردفني على عجز راحلتك ، فقال : لست من أرداف الملوك ، قال : فأعطني نعليك ، فقال : ما بخل يمنعني يابن أبي سفيان ، ولكن أكره أن يبلغ أقبال اليمن أنك لبست نعلي ، ولكن آمش في ظل ناقتي ، فحسبك به شرفا . وقيل : إن وائلا أدرك زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدثه .

والعرب تجعل جذيمة الأبرش الغاية في الكبر ، وروى : أنه كان لا ينادم أحدا ترفعا وكبرا ، ويقول : إنما ينادمني الفرقدان . ومنه قول متمم :
* وكنا كندمانى جذيمة حقة *

قيل : إنما أراد الفرقدين ، لا كما ذكره الرواة أنهما مالك وعقيل .
وقيل : كان ابن ثوبة من أقبح الناس كبرا ، روى : أنه قال لغلामه : آسقني ماء ، فقال : نعم ، قال : إنما يقول : "نعم" من يقدر على أن يقول : "لا" ، وأمر

(١) الزيادة عن تذكرة الصنفى .

(٢) كذا في الأصل والتذكرة . ولعلها : «يا أبا عبد الله» .

(٣) كذا في الصنفى والطبرى . وفي الأصول : «أبو» وهو تحريف . وفي المستطرف (ج ١ ص ٥٥)

«كان ابن عوانة» .

بضر به . ودعا أكاراً فيكلمه ، فلما فرغ [من كلامه] ^(١) دعا بماء وتمضمض استقذاراً لمخاطبته . قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود :

ولا تعجباً أن تُؤتياً فتُكَلِّمًا * فمأحشَى الأقوامُ شرّاً من الكبر

قال الجاحظ : المذكورون بالكبر من قريش : بنو مخزوم ، وبنو أمية ، ومن العرب : بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زُرارة بن عدس ، وأما الأَكاسرة فكانوا لا يَعدّون الناس إلا عبيداً ، وأنفسهم إلا أرباباً ، والكبر في الأجناس الدليّة أرسخ ، ولكن القلّة والدلة مانعتان من ظهور كبرهم ؛ ومن قَدَر من الوضوء أدنى قُدرة ^(٢)

ظهر من كبره ما لا خفاء به ، و [شئ قد قتلته علماً وهو أني] لم أر ذا كبر قطّ علا مَنْ دونه إلا وهو يذل لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه . قال : أما بنو مخزوم ،

و بنو أمية ، و بنو جعفر بن كلاب ، واختصاصهم بالتيه ، فإنهم أبطَرهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة ؛ ولو كان في قُوَى عقولهم فضلٌ عن قُوَى دواعي الخيّة فيهم لكانوا كبنى هاشم في تواضعهم وإنصافهم مَنْ دونهم .

وقال أبو الوليد الأعرابي ^(٣) :

ولستُ بتيّاه إذا كنتُ مُثرياً * ولكنه خُلقي إذا كنتُ مُعديماً

وإن الذي يُعطى من المال ثروة * إذا كان نذل الوالدين تعظماً

ومن المتكبرين ، عُمارة بن حمزة ، حكي عنه : أنه دخل على المهدي ، فلما استقر به الجلوس ، قام رجل كان المهدي قد أعدّه له ليتكّم به ، فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : مَنْ ظلمك ؟ قال : عُمارة غصبني ضيعتي ، وذكر ضيعة من

(١) زيادة عن الصفدي .

(٢) رواية الصفدي : « والجملة أن من قدر الخ » .

(٣) في الصفدي : « قال أبو البداء » .

أحسن ضياع عُمارة وأكثرها خراجاً، فقال المنهديّ لعمارة: قم فأجلس مع خصمك، فقال: يا أمير المؤمنين، ما هو لي بخصم، إن كانت الضيعة له فليست أنازعها فيها، وإن كانت لي فتمدد وهبثها له، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين، فلمّا أنصرف المجلس، سأل عُمارة عن صفة الرجل، وما كان لباسه، وأين كان موضع جلوسه. وكان من تيممه أنه إذا أخطأ يتر على خطئه تكبرا عن الرجوع، ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة، الخطأ أهون منه.

ومنهم من أهلكه الكبر وأذله. كان خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسريّ أميراً على العراق، وبلغ من هشام بن عبد الملك محلاً رفيعاً، فأفسد أمره العجب والكبر، وأدّياه إلى المَلَكَة^(١)، وعذب حتى مات، وذلك أنه إذا ذكر هشام عنده قال: آبن الحمقاء! فسمعها رجل من أهل الشام، فقال لهشام: إن هذا البطر الأشر الكافر لنعممتك ونعممة أبيك وإخوتك، يذكرك بأسوأ الذكرك، قال: لعله يقول: الأحول، قال: لا، ولكنه يقول: ما لا تلتقي به الشفتان، قال: لعله يقول: آبن الحمقاء، فأمسك الشاميّ، فقال هشام: قد بلغني كلّ ذلك عنه. وكان خالد يقول: والله ما إمارة العراق مما تُشرفني، فبلغ ذلك هشاماً [فغاضه]^(٢)، فكتب إليه: بلغني أنك يا ابن النصرانية تقول: إن إمارة العراق لا تُشرفك وأنت دعيّ [إلى] بجيلة القليلة الدليلة، والله إنني لأظن أن أول من يأتيك صيفيّ بن قيس فيشدّ يدك إلى عنقك. قال خالد بن صفوان بن الأهم: لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعذبه، وقتل ابنه يزيد بن خالد، فرأيت في رجله شريطاً قد شدّه به الصبيان يحزونه، فدخلت إلى هشام يوماً فحدثته فأطلت، فتنفّس وقال: يا خالد [ربّ خالد]^(٢)! كان أحبّ إلىّ قُرباً وألذّ

(١) كذا في تذكرة الصندي. وفي الأصول: «أدناه».

(٢) الزيادة عن الصندي.

عندى حديثاً منك — يعنى خالدًا القسري — قال : فانتهزتها ورجوت أن أشفع فتكون
لى عند خالد يدا ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما يمنعك من استئناف الصنيعة فقد
أدبته بما فرط منه ؟ فقال : هيهات ! إن خالدًا أوجف فأعجف ، وأدل فأمل ، وأفراط
فى الإساءة فأفرطنا فى المكافأة ؛ ^(١) فحلم الأديم ، ونزل الجرح ، وبلغ السيل الزبى ،
والحزام الطيين ، ولم يبق فيه مستصلح ، ولا للصنيعة سند موضع ، عد إلى حديثك .
ومنها : من أفرط به الكبر إلى الكفر . حكى : أن سعيد بن زرارة مرّت به
أمرأة فقالت له : يا عبد الله ، كيف الطريق إلى مكان كذا ؟ فقال لها : أمثلى يكون
من عبيد الله !

ومنها : عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، قال له رجل من قومه وقد رأى منه
ما أعجبه : كثر الله فينا مثلك ، فقال : لقد كلفتم الله شططا .

ومن أشعار المتكبرين التياهيين قول بعضهم :

* أتيه على جنّ البلاد وإنسها *

الأبيات ، وقد تقدمت فى الحمقى .

وقال آخر :

ألقى فى لظى فإن أحرقتنى * فتيقن ابن لست بالياقوت
صنع النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالكبريت
قال ابن صابر الحزاني المنجنيق^(٢) يرد عليه :

أيها المدعى الفخار دع الفخ * ر لدى الكبرياء والجبروت
نسج داود لم يفد ليلمة الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت

(١) حلم الأديم : فسد ، وهو وما بعده كناية عن اليأس من إصلاح الأمر بعد أن أوصله الفساد الى
حيث لا يرجى إصلاحه . (٢) فى الأصل « ابن جبارة » والتصويب عن وفيات الأعيان لابن
خلكان (أنظر ترجمته فى الجزء الثانى ص ٥٠٠ — ٥٠٧ طبع بولاق) .

وبقاء السَّمْنِدِ^(١) في لَهَبِ النَّارِ * رِزِيلُ فُضَيْلَةَ الْيَاقُوتِ
وكذلك النِّعَامُ يَلْتَقِمُ الْجَمْدَ * رَوَا الْجَمْرُ لِلنِّعَامِ بِقُوتِ



ومما أُجِّجَ به أهل التكبر ، قول جُعَيْفِرَانَ يَهْجُو سَعِيدَ بْنَ سَلَمَ بْنَ قُتَيْبَةَ :
أُمَّ سَعِيدٍ لِمَ وَلَدْتِيهِ * مَلُونًا بِالْكِبَرِ وَالتَّيِّهِ
لَيْتَكَ إِذْ جِئْتَ بِهِ هَكَذَا * حِينَ نَحَرْتِيهِ أَكَلْتِيهِ

(١١٧)

ذكر ما قيل في الحرص والطمع

قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ
أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أربع من الشقاء ... الخ» عُدَّ منها
الحرص والأمل . وقال : «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم فأفسداها أشدَّ من حرص
المرء على المال» . وقال : «يَتَشَبَّ^(٤) ابْنُ آدَمَ وَتَشَبَّ مِنْهُ اثْنَتَانِ الْحَرِصُ عَلَى الْمَالِ^(٣)
وَالْحَرِصُ عَلَى الْعَمْرِ» . وقال : «إِيَّاكُمْ وَالطَّمْعَ فَإِنَّهُ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ» .

(١) السمند : طائر يستلذ بالنار ولا يبحرق بها .

(٢) تمام الحديث كما في الجامع الصغير والصفدي : « ... جمود العين وقسوة القلب والحرص وطول
الأمل » .

(٣) الذي في الجامع الصغير : « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال
والشرف لدينه » . وقد ساق الحديث في اللسان مادة (شرف) برواية فيها بعض مخالفة عما هنا وعلق على قوله
«والشرف لدينه» بقوله : يريد أن يتشرف للباراة والمفاخرة والمساماة .

(٤) رواية الجامع الصغير : « يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص وطول الأمل » .

ومن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الطمع ^{مُورِد} غير مُصْدِر ، وضامن غير وافي . [وربما شَرِقَ شارب الماء قبل رِيهِ ^(١)] ، وكلما عَظُمَ قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده . والأمانى ^(٢) تُعمى البصائر . أزرى بنفسه من آستشعر الطمع ، واستولت عليه الأمانى .

وقال بعضهم : الحرص ينقص من قدر الإنسان ، ولا يزيد في رزقه .

وقال قتيبة : إن الحريص آستعجل الذلة ، قبل إدراك البغية .

وقيل : لا راحة لحريص ، ولا غنى لذي طمع .

وقيل : إن كعباً لقي عبد الله بن سلام ، فقال : يا بن سلام ، مَنْ أرباب العلم ؟

قال : الذين يعملون به . قال : فما أذهب العلم من قلوب العلماء بعد إذ علموه

ووعوه ؟ قال : الطمع ، وشره النفس ، وطلب الحوائج إلى الناس . قال الأصمعي :

سمعت أعرابياً يقول : عجبت للحريص المستكبر ، المستقل لكثير ما في يده ، المستكثر

لقليل ما في يد غيره ، حتى طلب الفضل بذهاب الأصل ، فركب منفاوز البرارى ،

ولجج البحار ، معرضاً نفسه لللمات ، وماله للآفات ، ناظراً إلى من سَلِمَ ، غير معتبر

بمن عدم .

معين التارخ لأهل التارخ

قال يزيد بن الحكم الثقفى :

رأيت السخى النفس يأتيه رزقه * هنيئاً ولا يُعطى على الحرص جاشع

وكل حريص ابن يُجاوز رزقه * وكم من موفى رزقه وهو وادع

وقالوا : مصارع الألباب تحت ظلال الطمع . ويقال :

الحز عبد ما طمع * والعبد حر ما قنع

(١) الزيادة عن الصفدى .

(٢) لم يذكر الصفدى كلام علي بن أبي طالب فيه الفقرة الأخيرة ، وإنما ذكرها لأرسنطا طائس

وعبارته : « لا غنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأمانى » .

وقالوا : أخرج الطمع من قلبك ، تَحَلَّ القيد من رجلك .

وقال عمرو بن مالك الحارثي :

الْحِرْصُ لِلنَّفْسِ فَقْرٌ وَالْقَنُوعُ غِنًى * وَالْقَوْتُ إِنْ قَنَعَتْ بِالْقَوْتِ يَجْزِيهَا
وَالنَّفْسُ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ حِيزَلَهَا * مَا كَانَ إِنْ هِيَ لَمْ تَقْنَعْ بِكَافِيهَا
وقال ابن هرمة :

وفي اليأس عن بعض المطامع راحةٌ * ويأربُّ خُسِرَ أدركته المطامعُ
وقال هذبة بن خشرم :

وبعضُ رجاءِ المرءِ ما ليسَ نائلاً * عَنَاءٌ وبعضُ اليأسِ أعفى وأروحُ
وقال مكثف بن معاوية التميمي :

تَرَى الْمَرْءَ يَأْمَلُ مَا لَا يَرَى * وَمِنْ دُونِ ذَلِكَ رَيْبُ الْأَجَلِ
وَكَمْ آيِسٍ قَدْ أَتَاهُ الرَّجَاءُ * وَذِي طَمَعٍ قَدْ لَوَاهُ الْأَمَلُ
وقال آخر :

طَمِعْتَ فِيمَا وَعَدْتُكَ الْمَنَى * وَلَيْسَ فِيمَا وَعَدْتُ مَطْمَعُ
وَوَقُتَ بِالْبَاطِلِ مِنْ قَوْلِهَا * وَلَيْسَ حَقًّا كُلُّ مَا تَسْمَعُ
وَإِنَّمَا مَوْعِدُهَا بَارِقٌ * فِي كُلِّ حِينٍ خَلْبٌ يَلْمَعُ

ويضرب المثل في الطمع "بأشعب" . قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ فقال
للقائل له : لم تقل هذا إلا وفي نفسك خير تصنعه بي . وقيل : إنه لم يمت شريف

(١) كذا في تذكرة الصفدي وكتاب الشعر والشعراء وحماصة البحرى . وفي الأصل : « هرمة بن

خشرم » وهو تحريف .

(٢) كذا في الصفدي وحماصة البحرى . وفي الأصول : « التيمى » .

(٣) في الصفدي وحماصة البحرى « ما لن يرى » .

قَطَّ من أهل المدينة إلا استعدى أشعْبُ على وصِيَّه أو وارثه وقال له : آحلف أنه لم يُوصَ لي بشيء قبل موته . ووقف على رجل يعمل طبقا من الخَيْرَانِ ، فقال له : وسَّعه قليلا ، قال الخيزراني : كأنك تريد أن تشتريه ؟ قال : لا ، ولكن ربما يشتريه بعض الأشراف فيُهدي إلى فيه شيئا . وسأله سالم بن عبد الله بن عمر رضى الله عنه عن طمعه ، قال : قلت لصبيان مرة : أذهبوا ، هذا سالم قد فتح بيت صدقة عمر حتى يُطعمكم تمرا ، فلما أحضروا ظننت أنه كما قلت لهم ، فعدوت في إثرهم . وقيل له : ماذا بلغ من طمعك ؟ قال : أرى دخان جارى فأثرد^(١) عليه . وقيل له أيضا : ما بلغ من طمعك ؟ قال : ما رأيت عروسا بالمدينة تُزف إلا كنت بيتي ورششته طمعا أن تُزف إلى . وقيل له : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، كلب أُم حومل ، تبغى فرسخين ، وأنا أمضغ كندرا^(٢) ، ولقد حسدته على ذلك .

ذكر ما قيل في الوعد والمطل

رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العدة دين^(٣) » . وقال بعض القرشيين : من خاف الكذب أقل من المواعيد . وقيل : أمران لا يسلمان من الكذب : كثرة المواعيد ، وشدة الاعتذار . وقالوا : خُلف الوعد ، خُلِقَ الوعد . وقال المهلب لبنيه : يا بني ، إذا غدا عليكم الرجل أورا ح مسلما فكفى بذلك تقاضيا .

(١) ثرد الخبز : فته .

(٢) الكندر : ضرب من العلك ، وهو اللبان الذكر .

(٣) رواية الجامع الصغير : « عدة المؤمن دين » .

قال الشاعر :

أروح لتسليم عليك وأغتدى * فحسبك بالتسليم منى تقاضيا
كفى بطلاب المرء ما لا يناله * عناء وباليأس المصرح ناهيا

وقيل : الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يُحقِّقه كان كلفظ لا معنى له ، وجسم لأروح^(١)

فيه . وقالوا : الخلف الأم من البخل ، لأنه من لم يفعل المعروف ، لزمه [ذم اللؤم
وحده ، ومن وعد فأخلف لزمه ثلاث مذقات] : ذم اللؤم ، وذم الخلف ، وذم العجز .

قال بعض الشعراء :

وعدت فأكذبت المواعيد جاهدا * وأقلعت إقلاع الجهم بلا وبلى
وابحررت لى حبلا طويلا تبعته * ولم أدري أن اليأس فى طرف الحبل

وقال أبو تمام :

وما نفع من قد مات بالأمس صاديا * اذا ما سماء اليوم طال أنهارها
وما العرف بالتسويق إلا كخلة * تسليت عنها حين شط مزارها

والعرب تضرب المثل بمواعيد عرقوب ، وكان رجلا من العماليق وله فى ذلك
حكايات . فمنها : أنه أتاه أخ له : يسأله شيئا ، فقال له عرقوب : إذا أطلعت هذه
النخلة فلك طلعتها ، فلما أطلعت ، أتاه الرجل للعدة ، فقال : دعها حتى تصير بلحا ،
فلما أبلحت ، أتاه ، فقال : دعها حتى تصير زهوا ، فلما أزهرت ، قال : دعها حتى
تصير رطبا ، فلما أرطبت ، قال : دعها حتى تصير تمرا ، فلما أتمرت ، عمد إليها
عرقوب بخذها ، ولم يعط أخاه منها شيئا .

(١) النكلمة عن العقد الفريد .

وفيه يقول الأشجعي :

وعدت وكان الخلف منك سجيّة * مواعيد عرقوب أخاه بيترب^(١)

وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً * وما مواعيدها إلا الأباطيل

وقال السكيت للمهدي : يا أمير المؤمنين ، لو كان الوعد يستنزل بالإهمال والسكوت

لشكرتك القلوب بالضمير ، وانظرت إلى فضلك العيون بالأوهام ، فقال المهدي :

هذا جزاء التفريط فيما يكسب ، الأجر ، ويدخر الشكر ، وأمر بقضاء حاجته .

وقال أعرابي : العذر الجميل أحسن من المطل الطويل ، فإن أردت الإنعام

فأنجح ، وإن تعذرت الحاجة فأفصح .

وقال بعض كرماء العرب : لأن أموت عطشا أحب إليّ من أن أخلف موعدا .

وقالوا : من وعد فأخلف لزمته ثلاث مذمات : ذم الأوم ، وذم الخلف ،

وذم الكذب . وقال بعض الشعراء^(٢) :

ولا خير في وعد إذا كان كاذباً * ولا خير في قول إذا لم يكن فعلاً

فإن تُجمع الآفات فالبخل شرّها * وشر من البخل المواعيد والمطل

قال بعض الأعراب : فلان له مواعيد عواقبها المطل ، وثمارها الخلف ،

ومحصولها اليأس .

(١) يترب (بالتاء المثناة وفتح الراء) : قرية بالنيامة . أنظر اللسان والقاموس . وفي الأصول :

يثرب بالتاء المثناة .

(٢) هو صالح التميمي كما في المستطرف ج ١ ص ٢٣٤

وقال آخر : فلان له وعد مُطْمَع . ومَطْلٌ مُؤَيِّس ، وأنت منه أبدا بين يأس
وطمع ، فلا بَدَلٌ مُرِيح ، ولا منعٌ صَرِيح .

وقال الثعالبي : أقول من أخلف المواعيد ولم يَفِ بشيء منها إسماعيل بن صَبِيح
كاتب الرشيد ، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة .

ذكر ما قيل في العي والحصر

قال الله عز وجل : ﴿ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ . وقال تعالى
إخبارا عن فرعون عند افتخاره على موسى بالبيان : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ
مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ . قال أهل التفسير : إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول
قال : ﴿ رَبِّ أشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾
الآية ، فقال الله تعالى : ﴿ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ :

وقيل : حد العي معنى قصير يحويه لفظ طويل . وقال أكرم بن صيفي :
هو أن نتكلم فوق ما تقتضيه حاجتك . وقالوا : الفقير الناطق أغنى من الغني
الساكت .

وقال كسرى : الصمت خير من عي الكلام .

وقالوا : فضل الإنسان على ما عداه من الحيوان بالبيان ، فإذا نطق ولم يفصح
عاد بهيما .

وقالوا : العي داء دواؤه الخرس . ومن علامات العي الاستعانة ، وهي أن ترى
المخاطب إذا كل لسانه عند مقاطع كلامه يقول للمخاطب : اسمع مني ، أو سمعت
لي ، وأفهم عني ، وأشبه ذلك .

ومنهم من يقول : قولي كذا، أعني به كذا، ولا يريد التفسير، ولكنه يعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأقول ليفهم عنه .

ومن عيوب اللسان التَّمَتَّةُ ، والفَأْفَاءُ ، والعُقْلَةُ ، والحُبْسَةُ ، والَلْفُ ، والرَّتَّةُ ، والغَمْغَمَةُ ، والطُّمْطُمَةُ ، واللُّكْنَةُ ، والغَنَّةُ ، والثُّغَّةُ . فالتَّمَتَّةُ ، قال الأصمعي : إذا تَعَتَّعَ في التاء فهو تَمَّتَمَ ، وإذا تردَّدَ في الفاء فهو فَأْفَأَ . قال الراجز :

ليس بفَأْفَأٍ ولا تَمَّتَمَ * ولا كثير الهُجْرِ في الكلام^(١)

والعُقْلَةُ : التواء اللسان عند الكلام . والحُبْسَةُ : تعذر النطق ، ولم تبلغ حد الفأفأ ولا التمام . ويقال : إنها تعرض أول الكلام ، فإذا مر فيه انقطعت . والَلْفُ : إدخال بعض الكلام في بعض . وقال الراجز :

كأن فيه لففا إذا نطق * من طول تحييس وهم وأرق

والرَّتَّةُ : اتصال بعض الكلام ببعض دون إفادة . والغمغممة : أن تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف ، ولا تفهم معناه . والطمطممة : أن يكون الكلام شبيها

﴿١١٩﴾

بكلام العجم ، وهي حميرية ، وقالوا : هي إبدال الطاء بالتاء لأنهما من مخرج واحد ، فيقول : السُّلْتَانُ والشَّيْطَانُ ، وأشهاد ذلك . قيل : وكانت في لسان زياد بن سلمى ، وكان خطيبا شاعرا كاتباً . واللُّكْنَةُ : إدخال بعض حروف العرب في حروف

العجم ، وتشترك فيها اللغة التركية والنبطية ، وهي إبدال الهاء حاءً ، وانتقال العين همزة ، وكانت في لسان عبيد الله بن زياد ، وصهيب الرومي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن مولى لزياد ، قال له : أيها الأمير ، أهدوا لنا همار وهش : يريد : أهدوا لنا حمار وحش ، فلم يفهم زياد عنه ، وقال : ويلك ! ماذا تقول :

(١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤) في هذا الشطر :

* ولا محب سقط الكلام *

- قال : أحدوا لنا أَيْراً : يريد عَيْراً ، فقال زياد : أرجعنا إلى الأول فهو خير . والغنة أن يشرب الصوت الحِشْؤم . والحنة : ضرب منها . والترخيم : حذف بعض الكلمة لتعذر النطق بها . واللثغة : إبدال ستة حروف غيرها ، وهي : الهمزة والراء والسين والقفاف والكاف واللام ، أما التي تعرض للهمزة فهي إبدالها عينا ، فإذا أراد أن يقول : أنت ، قال : عَنَت ، وهي مستعملة في لسان التكرور . وأما التي تعرض في الراء فهي ستة أحرف ، فمنهم من يجعلها غينا معجمة فيقول (عَمَغ) : يريد عَمَر . وهي غالبية على لسان أهل دمشق ، وإذا اجتمعت الراء والغين في كلمة كقولهم : رَغِيف ، قالوا : (غريف) ، وفَغَرْتُ بمكانٍ فرغت ، فيبدلون كل حرف بالآخر . قيل : وكانت في لسان محمد بن شبيب الخارجي ، وواصل بن عطاء المعتزلي ، وكان لاقتداره على الكلام ، وغزارة مادته منه يتجنب النطق بها . وفيه يقول الشاعر ١٠
- من أبيات :

ويجعل البرق قحفا في تصرفه * وجانب الراء حتى أحتال للشعر

ولم يطق مطرا والقول يعجلاه * فعاذ بالغيث إشفافا من المطر

- ومنهم : من يجعلها عينا مهملة ، فيقول في أزرق : أزعق ، وهي في لسان عوام أهل دمشق . ومنهم : من يجعلها ياء ، فيقول في عَمَر : عَمَى . ومنهم : من يبدلها بالطاء . ومنهم : من يبدلها همزة ، فإذا أراد أن يقول : رأيت ، قال : آَيت . وأما التي تعرض للسين فإنهم يبدلون ثاء ، فيقولون : باسم الله ، ويثرة الله ، إذا أرادوا باسم الله ، ويُسرة الله ، أو أشباه ذلك . وهي مستحسنة في الجوارى والغلمان . قال الشاعر :

وأهيف كالدلال شكوتُ وجدي * إليه الحُسْنِ وأطلتُ بئى

وقلت له فدتك النفس صلني * تحز في الثواب فقال بئى

وأما التي تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً ، فإذا أراد أن يقول :
 زال ، وقلت ، نطق : بَطَالَ ، وَطُلْتُ ، وهي نبطية ، وكانت في لسان أبي مُسلم صاحب
 الدعوة ، وعبيد الله بن زياد . ومنهم من يجعلها كافا فيقول : كَال وكُلْتُ . وأما التي
 تعرض للكاف ، فمنهم من يجعلها همزة ، فيقول : أَأَف . ومنهم من يبدلها تاء ،
 فيقول : تَان ، إذا أراد : كان . وأما التي تعرض في اللام ، فمنهم من يبدلها ياء ،
 فيقول : اعْتَيَّيْتُ ، بمعنى أعتلت ، ويقول في جَمَل : جَمِي ، وإذا أقسم بالله ،
 يقول : وَيَاه . ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهملة ، فيقول في خَوْخ : حَوْح ،
 وتُستحسن في الغلمان والجواري . ومنهم من يبدل الجيم ضاداً ، فإذا اجتمع لأحد
 في كلمة جيم وضاد ، مثل ضجر ، ونضج ، قال : جضر ، ونجض . والحمد لله وحده !

جزوب
 معين التارخ
 لأهل التارخ

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث في أحد الأصولين الفتوغرافيين

ككل الجزء الثالث من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب ، يتلوه إن شاء الله تعالى
في أول الجزء الرابع منه : ” الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني
في المجون والنوادر والفكاهات والملح “ والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد
نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث في الأصل الآخر الفتوغرافي

ككل الجزء الثالث من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب على يد مؤلفه ، فقير
رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التيمي القرشي
المعروف بالنويري عفا الله عنه . ووافق الفراغ من كتابته في يوم الثلاثاء المبارك
لاثنى عشرة ليلة خلت من صفر عام اثنتين وعشرين وسبعمائة ، يتلوه — إن
شاء الله تعالى — في أول الجزء الرابع : الباب الثالث من القسم الثالث من الفن
الثاني في المجون والنوادر والفكاهات والملح .

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
وحسبنا الله ونعم الوكيل